سلسلة منشورات مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
العدد: 11 السداسي الثاني 2021

تاريخ الجـزائر، المجتمع والثقافة والنخب عبر العصور، أعمال مهداة للدكتـور يحيى بوعزيز

الجزء الأول

تنسيق وإشراف

أ.د/ عبد الله مقلاتي **د/ الطاهر خالد**

د/ فتح الدين بن زواو **د/ حسين محمد الشريف**

المدير الشرفي للسلسلة
أ. د / كمال بداري مدير الجامعة
مدير السلسلة
أ. د / عبد الله مقلاتي
المراجعة اللغوية
أ. د / عبد الحميد عمران
التصميم والإعداد التقني
د / الطاهر خالد

اللجنة العلمية الاستشارية للسلسلة			
الأستاذ	الجامعة	الأستاذ	الجامعة
أ.د/ عمر بوضربة	جامعة المسيلة	أ.د/ حسن حبيب اللولب	جامعة تونس
أ. د صالح لميش	جامعة المسيلة	أ.د/ أبو بكر الصديق حميدي	جامعة المسيلة
أ. د/ عبد الكامل جويبة	جامعة المسيلة	د/ منى صالحي	جامعة المسيلة
أ. د/ محمد يعيش	جامعة المسيلة	د/ حسين محمد الشريف	جامعة المسيلة
أ. د/ أحمد مسعود سيد علي	جامعة المسيلة	د/ حسين عبد الستار	المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة
أ. د/ بوعزة بوضرساية	جامعة الجزائر 02	د/ فتح الدين بن أزواو	جامعة المسيلة
أ.د/كمال بيرم	جامعة المسيلة	أ.د/ سفيان لوصيف	جامعة سطيف 02
أ.د/ محمد قن	جامعة الجلفة	د/ دحمان تواتي	جامعة تيبازة

منشورات مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية

– جامعة محمد بوضياف بالمسيلة–

حي إشبيلية، ص ب 190 ولاية المسيلة–الجزائر

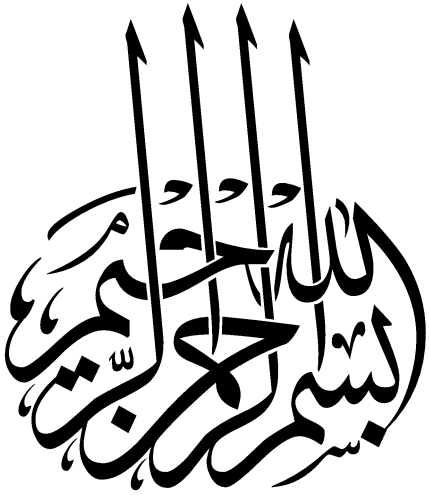
revuehalgint@gmail.com

virtuelcampus.univ-msila.dz/lerra2

https://www.facebook.com/profile.php

رقم الإيداع القانوني: السداسي الثاني 2021

ISBN: 978-9931-899-00-6


بسم الله الرحمن الرحيم

أعمال ودراسات مهداة

إلى الدكتور يحيى بوعزيز رحمه الله

كلمة مدير مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية

يشرفني باسمي الخاص وباسم أسرة المخبر وفي الذكرى الرابعة عشر لوفاة الدكتور يحيى بوعزيز أن أصدر هذا الكتاب (تاريخ الجزائر، المجتمع والثقافة والنخب عبر العصور، أعمال مهداة للدكتور يحيى بوعزيز)، وذلك عرفانا بفضل المرحوم على البحث التاريخي وكتابة التاريخ الوطني الجزائري.

فقد سخر يحيى بوعزيز جهوده طوال نصف قرن لخدمة الثقافة العربية الإسلامية وكتابة تاريخ الجزائر الوطني، ونشر أكثر من خمسين كتابا في التاريخ وتحقيق المخطوطات والفكر والثقافة، ولد المرحوم عام 1929 بالقبائل الصغرى ببلدة الجعافرة، ودرس في الكتانية بقسنطينة وفي عنابة، وأكمل دراسته في الزيتونة والقاهرة، واشتغل أستاذا بجامعة وهران لسنوات طويلة.

وكانت مسيرة المرحوم حافلة بالنشاط العلمي والثقافي وبالنضال الوطني في صفوف الطلبة الجزائريين وحزب جبهة التحرير الوطني، فضلا عن جهوده في حقل الصحافة والنشر والتأليف، وكذا التدريس وحضور الملتقيات والندوات وتقديم المحاضرات، وقد سجلت مذكراته من ثلاث أجزاء بعضا من نشاطه العلمي والفكري الدؤوب.

وتعد مؤلفاته المتنوعة اليوم منهلا للطلاب والباحثين، وقد شرحت تاريخ الجزائر وركزت على قضايا المجتمع والنخب السياسية والثقافية، ومنها ما تعلق بتاريخ الجزائر الوسيط والحديث والمعاصر، وبرجال المقاومة مثل الأمير عبد القادر ومحمد المقراني ...الخ، وكذا مسار الحركة الوطنية والثورة التحريرية ونخبة الفكر والثقافة في الجزائر والمغرب العربي، كما اهتم بجمع الوثائق من مختلف دور الأرشيف العربية والأجنبية، وبالبحث عن المخطوطات وتحقيقها.

واستكمالا لمشروعه البحثي هذا وجهنا الدعوة لنشر كتاب خاص به، يركز أبحاثه ودراساته على المجالات المتقاطعة لتاريخ الجزائر، السياسة والمجتمع

والثقافة والنخب الفاعلة، وهي مجالات حيوية ما زالت فجواتها تحتاج لمزيد من البحث والتقصي.

وقد زاوج بوعزيز مشروعه البحثي بجهود التدريس الأكاديمي، حيث ظل مدرسا للتاريخ بجامعة وهران منذ السبعينيات وإلى غاية وفاته يوم 7 نوفمبر 2007، كما كان يزور الجامعات الوطنية والعربية والدولية لتقديم المحاضرات فضلا عن تنشيطه للملتقيات الوطنية والدولية، وترك بذلك أثرا في الحياة الثقافية الجزائرية وفي المدرسة التاريخية الجزائرية، باعتباره أحد روادها الأفذاذ وأكثر الأساتذة تأثيرا على نخبتها فكرا ومنهجا.

ونهدف من وراء نشر هذا الكتاب إلى تخليد ذكرى رجل خدم الجزائر والجامعة الجزائرية، حيث ارتأينا أن نساهم في مناقشة أبحاثه وأفكاره وكتاباته التاريخية والفكرية، وذلك من خلال نشر كتاب يتضمن بحوث ودراسات تتناول مجال الدراسات والأفكار التي اشتغل حولها الأستاذ وجلها حول تاريخ الجزائر، ودراسات حول بحوثه ومؤلفاته وحياته، كما نهدف إلى تكريس مبدأ تكريم العلماء والاقتداء بمنهجهم العلمي، من خلال إرساء تقليد الاقتداء بالعلماء النابغين، وإلى تشجيع الباحثين ونشر البحوث التاريخية والمعارف، ونهدف أساسا إلى استكمال المشروع البحثي للدكتور بوعزيز حول تاريخ الجزائر السياسي والاجتماعي والثقافي.

وقد تجاوب الباحثون مع دعوة الكتابة ووصلتنا إسهاماتهم الثرية، ورأينا أن ننشرها وفق محاور الكتاب الآتية:

القسم الأول: بحوث تتعلق بحياة وكتابات وإسهامات الدكتور يحيى بوعزيز.

القسم الثاني: بحوث في تاريخ الجزائر القديم.

القسم الثالث: بحوث في تاريخ الجزائر الوسيط.

القسم الرابع: بحوث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر.

وختاما نتمنى أن نكون قد وفقنا في عملنا، وأننا أسهمنا في جمع دراسات مفيدة لكتابة تاريخ الجزائر، وأننا استذكرنا جهد الرجل المضحي من أجل وطنه وكتابة تاريخه، المرحوم يحيى بوعزيز، ونتقدم بالشكر الجزيل للزملاء المنسقين على جهدهم المضني، وكذا الزملاء المحكمين الذين سهروا على تقييم المساهمات العلمية، ومن دون أن ننسى الباحثين الذين نشرت أعمالهم في هذا الكتاب، وكذا مصفف الكتاب الدكتور الطاهر خالد على جهده المبذول والتضحيات الجسام في اخراج الكتاب في أبهى حلة.

الأستاذ الدكتور عبد الله مقلاتي 7 نوفمبر 2021

القسم الأول

بحوث تتعلق بحياة وكتابات وإسهامات الدكتور يحيى بوعزيز

الأستاذ الدكتور يحيى بوعزيز: منارة في التأريخ، بيوغرافيا، شهادات، وآثار

Professor Dr "Yahia Bouaziz": a beacon in historiography (biography, testimonies and antiquities)

د/ كركب عبد الحق
جامعة ابن خلدون تيارت

الملخص

من رحم الجزائر ومن مدينة برج بوعريريج، بزغت إلى الوجود عدة قامات علمية وشخصيات وطنية، صدح صيتها عبر حدود الوطن وخارجه، وبزخمها الفكري كتبت أسماءها بأحرف من ذهب وضعته وشاحا على جبينها ونياشين مرصعة في صدر الأمة ليحذو حذوها النشء ليخوض دروب العلم والمعرفة، ومن هذه الأسماء الكاتب الكبير، والمؤرخ الجزائري 'يحيى بوعزيز' رحمه الله.

تدعيما وإثراء في بحثي هذا عن المرحوم المؤرخ الدكتور يحيى بوعزيز الذي تميز وانفرد بدسامة وغزارة فكره ومادته العلمية في مجال التاريخ على سبيل الحصر بكل أمانة إلى الاستعانة من كتابات بعض زملائي إلى اجتهادي في التنقيب عن الشخص والغوص في مسار حياته وأعماله المختلفة، وأنوه بشهادات حية ممن درسوا على يده، لأقدم هذه الورقة البحثية ليكون سندا للباحث والقارئ.

Abstract

From the womb of Algeria and the city of BordjBouArréridj,many scholars and national figuresburst into existence,whose reputations rang out over the borders of the country and abroad.Through their intellectual momentum, their nameswere written in golden letters,worn as a headscarf and a medal by the nation.Therefore, the young will follow suit to go through the paths of science and knowledge.From these names, there is the great writer and Algerian historian "YahiaBouaziz" - May he rest in peace.

With support and enriching in this research about the late historian Dr. "YahiaBouaziz" thatdistinguished with his dense and abundance of thoughts and his scientific materials in the historian field exclusively. In all honesty, with the use of the writings from some of my colleagues, my

diligence in prospecting about this person's life path and his different works and from living testimonies that studying from him. I present this research paper as an asset to the researcher and the reader.

مقدمة

مــن رحم الجزائر، وبيئتها الوطنية، ترعرع غرس طيب أصوله من نبات حسن، ومن عبق تربة مدينة برج بوعريريج، من جذور أسرة عريقة ملتحفة بالدين، وبالشمائل المحمدية الطيبة الحميدة، فعنت إلى الوجود قامة علمية من الشرق الجزائري، وشخصية مبهرة، مفخرة الجزائر في كل المحافل، زنجر صيتها بكلم المعارف وطنيا وعربيا، فتميزت بغزارة العلم، والفكر الرنان، ذات ديناميكية متجددة ومتسارعة، تشد المتطلع إلى أفكارها بشغف، وتدعوه للاغتراف من معارفها ونهل العلم، وبعصامية متطلعة للأفق الرحب، وبجدارة واستحقاق حفر العلامة **'يحيى بوعزيز'** رحمه الله اسمه بأحرف من ذهب، باعتراف ما خلف من آثار علمية زينت بهاء المكتبة الوطنية، والتي وجمت لها قامات المتطلعين والباحثين مطرقة تقديرا وعرفا لما أنتج منذ من خمسينيات القرن الماضي حتى وافته المنية بين أروقه ومنابر نور العلم في جامعة وهران الجزائرية، هو من الشهداء على العصر خط بأنامله اسمه في لوح المؤرخين، وبالبند العريض في قائمة فطاحل الأساتذة الكتاب، اسم علق وضاءا كمنارة يهتدي به الطالب، وممهدا له أقلام العلم والمعرفة، وغرسا شتلات البحث، للنشء بمهارة وسلوك قويم.

إذ خلف زخما كبيرا من الآثار العلمية المكتوبة من مختلف الدراسات والقضايا والمناهج، فكانت كمنارات يهتدي بها الباحث والقارئ في مختلف دروب العلم والاستقصاء التاريخي، فأبين من خلال هذه الورقة البحثية أن الرجل كان منكبا على تحرير العقول والأقلام فحياة الرجل مسيرة تشدو، وتتشدق

بها صفحات التاريخ، هامة فذة في نضال مستمر، لأكثر من نصف قرن من عمره ناسكا، ويغرف من محاريب العلم، والفكر، والمعرفة. مما سبق أطرح استفهامات: **ما هي أهم محطات سيرة ومسيرة حياة يحيى بوعزيز؟ وكيف استطاع أن يساند القضية الجزائرية خلال عمر الثورة التحريرية؟ وماهي مظاهر مساهمته في كتابة التاريخ الوطني والمدرسة التاريخية الجزائرية؟**

كل هذه التساؤلات سيتم الإجابة عنها بالشرح الوافر، مع تبياني وتوضيحي للمحطات الرئيسة عرض الموضوع الحالي. ولتمكين الباحث والقارئ من الاستفادة، من علم العلامة الأستاذ **'يحيى بوعزيز'** رحمه الله، سأجتهد في الإلمام الوافر، وبالإحاطة الشاملة، في جمع القدر الكبير من معلومات عن مسار شخصية المؤرخ وتقفي حياته، وأصوغها مرتبة عبر بحثي الحالي لأوضح للباحث والقارئ، قدر وتفرد هذه القامة العلمية للأجيال، باعتمادي عما كتب من سير عن المرحوم، وبالبحث والتحري عنها، لأجمعها لتكون دليلا وسندا يعتمد عليه مستقبلا في الدراسة والتعريف بالرجل.

أولا/ المولد والنشأة والتكوين

1. مولد ونشأة يحيى بوعزيز

ولد من يوم الجمعة في 14 ذو الحجة 1347هـ، الموافق لـ 27 ماي 1929[1] بقرية جعافرة[2] ولاية برج بوعريريج بالشرق الجزائري، لأمه السيدة فطوم بنت الشيخ الهادي بن الشيخ بلقاسم، ولوالده الشيخ الحاج عبد الرحمان بن

1- بوعزيز يحيى، **رحلة في فضاء العمر أو مذكرات القرن**، ج1، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 87.

2- بوعزيز يحيى، **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1995، ص114.

الشيخ بلقاسم، نشأ البرعم الندي في كنف بيت غامر بالعلم والدين، بين عدد كبير من إخوته، فكان أبوه إمام مسجد، ومعلم القرآن الكريم، ومبادئ اللغة العربية للصبيان[1].

ينحدر أصول يحيى بوعزيز من أسرة شريفة وعريقة، متأصلة الجذور، من شجرة عائلة بوعزيز أو آيت بوعزيز، والتي تؤول أصولها للولي الصالح سيدي الشيخ محمد بن عبد الله الذي ينتهي نسبه إلى السيدة فاطمة بنت سيدنا رسول ﷺ، ذلك ما أكده المؤرخ ذاته عن نسبه الشريف في إحدى مؤلفاته[2].

أفنى والده حياته في حنايا العلم والمعرفة، بصفته شيخ الطريقة الرحمانية، ليحتضن بعدها الطريقة العلوية بعدما ظهرت في ولاية مستغانم، وصار من كبار مشايخها وأجلها إلى غاية انتقاله إلى الرفيق الأعلى، تاركا وراءه زوجته التي ترعرع وليدها في أحضانها منسجم القوام والفكر حافظا القرآن الكريم، ملما بأصول اللغة العربية وبمبادئها، لم يترك شاردة أو واردة إلا تعلمها في مختلف العلوم العربية والفقهية واللغوية، والفروض الدينية، كما أنه ناصف وشارك والده تنشيط الدروس في نفس الزاوية، فكان يبادر ويخلف والده تعليم تلقين طلبة دروسا في بعض الأحيان.

2.مراحل تكوينه التعليمي والثقافي

تعتبر المرحلة الابتدائية هي نقطة انطلاق الحياة التعليمية لأي شخص فيها يتعلم ويستقى من مناهل العلم والمعرفة، وشخصيتنا قبل دخولها إلى هذا المنعرج المهم قد سبق لها التعلم وأخذ الباع الكافي من العلم والفقه ما يجعله قد اكتسب علما نافعا مدرا بالمعرفة وللفائدة لغيره، وذلك بفضل الزاوية التي

1- بوعزيز يحيى، **رحلة في فضاء العمر**، المصدر السابق، ص145.

2- المصدر نفسه، ج3، ص176.

أسسها والده الشيخ عبد الرحمان والتي كان يلقن فيها القرآن الكريم ومبادئ أصول الشريعة والفقه والآداب المختلفة، ليكون بذلك يحيى بوعزيز أحد المتلقين والمتزودين من هذه المعالم القرآنية الكريمة. في أواخر سنة 1937 انتقل يحيى بوعزيز هو وأسرته إلى مدينة برج بوعريريج، أين واصل مسيرته في حفظ القرآن الكريم مع الأطفال، ليعود مرة أخرى برفقة أسرته إلى مسقط رأسه وعمره لا يتعدى اثنا عشرة سنة[1]. وبالرغم من تلقيه كل هذه المعارف إلا أن والده أراد له أن يواصل تعليمه العلوم العربية والدينية والأدبية، فقرر أخذه إلى معهد الكتانية بقسنطينة والذي أسسته الزاوية الحملاوية، ومن قسنطينة توجها معا إلى مدينة عنابة عام 1947 حيث قضى مدة ثلاث سنوات، حيث درس بزاوية الشيخ حسن الطرابلسي، وتعلم على يده علوما شتى طيلة ثلاث سنوات[2].

انتقل من الجزائر من مدينة (عنابة) إلى تونس لإكمال مشواره الدراسي، طالبا للتحصيل العلمي أو التطويع كما كان معروفا آنذاك، حيث سجل من (1950/1949) في مقاعد السنة الأولى في الجامع الطابع، وبعدما تكلل تعبه بالنجاح، انتقل إلى إتمام السنة الثانية بالجامع الحفصي في القصبة من (1951/1950)، ثم تدرج إلى السنة الثالثة بالجامع اليوسفي قرب الوزارة الأولى بالقصبة من (1952/1951)، وليختتم مشواره الدراسي بالتعريج والتفوق بالسنة الرابعة، وهي السنة الأهلية التي تابع دراستها بجامع حمودة باشا من سنة (1953/1952) أين تحصل منه على الشهادة الأهلية بدرجة امتياز،

1- بوعزيز يحيى، **رحلة في فضاء العمر**، المصدر السابق، ج1، ص 90.

2- المصدر نفسه، ص104.

وكان الأول في سائر المملكة التونسية آنذاك[1]. وإكراما له بمعية زملائه قامت إدارة جامع الزيتونة في عام 1954 بجمع كل الطلبة المتفوقين وأدخلت الجميع المعهد في أقسام خاصة، فدرس فيه يحيى بوعزيز السنة الخامسة[2]، واجتاز الامتحان بنجاح، منتقلا إلى السنة الموالية (السادسة)، والتي كانت تدرس داخل جامع الزيتونة، ونجح فيها بجدارة واستحقاق في 6 جانفي 1957 وتوج بشهادة التحصيل[3].

في يوم 14 أكتوبر 1957 انتقل يحيى بوعزيز إلى مصر، حيث أكمل دراسته العليا، فسجل بكلية الآداب بجامعة القاهرة واختار قسم التاريخ لأنه يميل إليه منذ الصغر،[4] وكان سبب التحاقه بالقاهرة للدراسة هو رفض جبهة التحرير عودته إلى الجزائر وذلك حسب ما قالته زوجته " **فاطمة العايب**" حيث أنه قرر العودة للبلاد، لكن القادة ومن بينهم العقيد عميروش آيت حمودة رفض عودته، ووفرت له جبهة التحرير الوطني كل الظروف لإكمال دراسته الجامعية بالقاهرة[5].

وفي سنة 1961 كانت السنة التي انتظرها بوعزيز ليتخرج فيها، لكنه رسب في مادة الدولة الفاطمية، والتي درسها له الدكتور محمد سرور، فاضطر بذلك انتظار السداسي كاملا لإعادتها، ليتحصل سنة 1962 منها على شهادة

1- آيت حبوش حميد، **قراءة في الموروث التاريخي للدكتور يحيى بوعزيز**، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 5، العدد 2، 2014، ص ص 227-253.

2- بوعزيز يحيى، **رحلة في فضاء العمر**، ج1، المصدر السابق، ص133.

3- المصدر نفسه، ج1، ص152.

4- بوضرساية بوعزة، **رواد المدرسة التاريخية الجزائرية**، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص268.

5- مياسي إبراهيم، **قبسات من تاريخ الجزائر**، د.ط، دار هومة، الجزائر، 2010، ص228.

الليسانس،[1]وهي السنة التي نالت فيها الجزائر على استقلالها، ليعود الأستاذ الفائز إلى الجزائر أملا في بناء دولة ما بعد الاستقلال. وقد زاول دراسته حتى حصل على شهادة الدكتوراه الدرجة الثالثة في التاريخ الحديث والمعاصر من جامعة الجزائر 1976 تحت عنوان " **ثورة 1871 ودور عائلة المقراني والحداد**"،[2] وحصل على انتداب بجامعة وهران عام 1970/1969 للبحث والتفرغ للدراسة الأكاديمية.[3] أنجز يحيى بوعزيز هذه الأطروحة وناقشها في شهر أكتوبر 1976[4] بحيث نشرت هذه الدراسة ولقيت استحسانا كبيرا لدى الباحثين والقراء[5].

ثانيا/ نشاطه الثقافي والفكري

لم يقتصر يحيى بوعزيز في بداياته العلمية منذ أن كان طالبا في خمسينيات القرن الماضي على التحصيل العلمي فقط من حضور للدروس وحفظ للمتون، بل كان مهتما وتواقا إلى حضور النشاطات الثقافية من ندوات فكرية، وأمسيات شعرية، وعروض مسرحية، بكل من تونس ومصر.

هذه المرحلة صقلت شخصه وفكره وكانت حلقة جديدة في تسيير تجربته لما كان مسؤولا عن الثقافة في رابطة الطلبة الجزائريين بتونس ثم في مصر، إذ نشط عام 1957 ندوة في تونس تمثلت في إحياء ذكرى الأمير عبد القادر، ونال من خلالها إعجاب الحضور والنخبة المثقفة من علماء تونس أمثال:

1- بوعزيز يحيى، **رحلة في فضاء العمر**، ج2، المصدر السابق، ص66.

2- آيت حبوش حميد، المرجع السابق، ص ص 227-253.

3- بوعزيز يحيى، **رحلة في فضاء العمر**، ج1، المصدر السابق، ص92.

4- المصدر نفسه، ص93.

5- المصدر نفسه، ص ص93-94.

الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور، والمؤرخ الأستاذ عثمان الكعاك، والنقابي أحمد بن صالح، ومن الجزائر كل من الأستاذ عبد الله شريط، والشاعر صالح الخرفي. وتزايدت همة وعصامية الطالب المثابر يحيى بوعزيز في مصر حيث أشرف على ترأس اللجنة الثقافية التي كانت تستقبل نخبة من المثقفين الجزائريين والمصريين بإلقاء عدة محاضرات، كما ساهم رفقة زملائه في فتح مكتبة للمطالعة، مع إصدار مجلة "**الطالب الجزائري**"، التي طبعت منها أعداد قليلة ثم توقفت لأسباب مادية[1].

ويمكن تقسيم محتوى المقالات التي نشرها يحيى بوعزيز إلى ثلاث (03) مراحل[2]:

- مرحلة تحسس الثورة 1956.
- مرحلة الانخراط في الثورة 1957.
- مرحلة التطلع لما بعد الثورة 1962.

1- نشاطاته العلمية والسياسية

قبل البدء في تفصيل نشاطه الثوري، نلاحظ أن يحيى بوعزيز كان له اتصالات مع جبهة التحرير الوطني وذلك لما ذكرناه سالفا في ما يخص إكمال دراسته في الزيتونة وهذا ما يدل على نشاطه السياسي إضافة إلى نشاطه العلمي.

---

1 - بوعزيز يحيى، **أخلاقيات العلم وشعلة الوطنية**
https://soufaouraktakhafia.blogspot.com

2 - بلورزاع براهمة، **يحيى بوعزيز وجهاد الكلمة (1956-1962)**، مجلة الناصرية للبحوث الاجتماعية والتاريخية، العدد الأول، 2011، ص ص 165-170.

أ- نشاطه قبل الثورة التحريرية (1946- 1954)

انخرط في العمل السياسي في الإطار الطلابي، فانضم إلى الطلبة الجزائريين التابعة لحزب الشعب الجزائري سنة 1950، ودخوله لهذا الميدان لم يكن بالصدفة بينما اكتسب ثقافة سياسية، وذلك من خلال اطلاعه على بعض الجرائد التونسية، "**مثل النهضة**" و"**الزهرة**" عندما كان يدرس بعنابة سنة 1947، وفي سنة 1956 انضم إلى الجمعية الجزائرية (المذكورة سابقا) بحيث صار عضوا في إحدى خلاياها، فكان يدفع مبلغ أربعين" **دورو**" كاشتراك شهري للحزب وتعقد هذه الخلايا اجتماعا دوريا كل شهر تقريبا[1].

كانت للرجل مساهمات كثيرة في تحرير المقالات والصحف والجرائد التونسية، وأبرزها المقال الذي كتبه في جريدة "**المنار**" التونسية سنة 1951.[2] كما كون الأستاذ جمعية مع طلبة الزيتونة عرفت بـ "**صوت الطالب الزيتوني**" وذلك للدفاع عن مشاكلهم وقضاياهم، ومن بينها تأسيس جامعة الزيتونة الجديدة في الموسم الدراسي 1953-1954.[3]بالإضافة إلى مساهمته في تنوير الرأي العام بمسقط رأسه بواسطة المطبوعات والنشريات والكتب[4].

ب- نشاطه أثناء الثورة التحريرية (1954-1962)

هذه المرحلة الحاسمة في تاريخ الجزائر والتي بدأت فترتها من 1 نوفمبر 1954 إلى 5 جويلية 1962، والتي لعب فيها يحيى بوعزيز دورا بالغ الأهمية،

1- بوعزيز يحيى، **رحلة في فضاء العمر**، ج1، المصدر السابق، ص ص 129-130.

2- قاصري محمد السعيد، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر(1830-1962م)**، د.ط، دار الإرشاد، الجزائر، 2003م، ص557.

3- بوعزيز يحيى، **رحلة في فضاء العمر**، ج1، المصدر السابق، ص136.

4- قاصري محمد السعيد، المرجع السابق، ص558.

إذ ساهم من خلال نشاطاته الفكرية والثقافية بالتعريف المباشر بالقضية الجزائرية، فقام بنشر مختلف المقالات حول الثورة التحريرية،[1]كما نشر بعض المقالات الثقافية خاصة في جريدة "**الصباح التونسية**"، وبعدما ذيع صيته عبر المحررات التي لقيت إعجابا وطلبا صارت كبرى الصحف تتهافت عليه طالبة منه الكتابة في أعمدتها، فكان ينشر موضوعات متنوعة على مدار الأسبوع، وكلها تتحدث عن الثورة الجزائرية، وعن مشاكل الطلبة والمجاهدين وغيرهم.

وسال حبره على صفحات مختلف الجرائد نذكر منها: "**لواء البرلمان**" و"**الشعب**" و"**صوت الطالب الزيتوني**"، واستمر عمله في الصحافة التونسية مدة سنتين إلى أن سافر إلى القاهرة أواخر خريف العام 1957[2].

تجدر الإشارة إلى أن معظم مقالاته جمعت في كتاب واحد تحت عنوان "**أحداث ثورة أول نوفمبر خيبات الوزير المقيم لاكوست**"،[3] شارك مترجما في إضراب الطلبة الجزائريين في 19 ماي 1956، وكان من القائمين على تنظيمه، كما شارك في الاحتفال الذي أقامه طلبة جامع الزيتونة لإحياء للذكرى الرابعة والسبعين لوفاة الأمير عبد القادر في 07 مارس 1957، وقد قام بتأليف كتابه تحت عنوان "**بطل الكفاح الأمير عبد القادر الجزائري**" [4] أسس رابطة الطلبة الجزائريين بمصر، مع ثلة من زملائه الطلبة الجزائريين نذكر منهم: علي مفتاحي، أبو قاسم سعد الله، وآخرون [5].

1- قاصري محمد السعيد، المرجع السابق، ص557.

2- بوعزيز يحيى، **رحلة في فضاء العمر**، ج1، المصدر السابق، ص ص 133-134.

3- المصدر نفسه، ص149.

4- المصدر نفسه، ص155.

5- قاصري محمد السعيد، المرجع السابق، ص553.

ترك بصماته واضحة نيرة من خلال مشاركته في سلسلة من الندوات والمحاضرات التي قامت بها رابطة الطلبة الجزائريين في القاهرة، وهذه الأنشطة مسخرة لخدمة الثورة في أبعادها الثلاثة: الثقافية والفكرية والإعلامية،[1] كما شارك شفاهة في إذاعة صوت العرب من القاهرة، أين تكلم عن الكفاح الشعب الجزائري، عبر أثيرها قام بالتعريف بالقضية الوطنية ونشرها بين أوساط الطلبة العرب،[2] ضف إلى مختلف مشاركاته في مهرجانات وحفلات للطلبة الجزائريين المتخرجين والوافدين على مصر، وساهم دون أن يدخر جهدا في إحياء الحفل الذي أقامته الاتحادية للطلبة العسكريين الحاضرين في القاهرة يوم 10 ديسمبر 1959،[3] وعلى رغم انشغاله بالدراسة وتواجده في ديار الغربة، إلا أنه لم ينس وطنه فدافع عنه بالسلاح وكتب عنه وله، وشجع الطلبة بأن يدافعوا عن وطن سلب بقوة السلاح.

ثالثا/ آثاره بعد الاستقلال

1- نشاطه التدريسي والتربوي

عانى يحيى بوعزيز عند رجوعه إلى الجزائر بحصوله على منصب عمل، وذلك بسبب الظروف التي كانت تعيشها الجزائر عشية الاستقلال[4]، وخلال الموسم الدراسي لعام 1962- 1963 درس بمدينة مليانة في ثانوية "**مصطفى فروخي**" اللغة العربية، ثم تنقل إلى ثانوية البنين" **بحي قمبيطا**" في

1- آيت حبوش حميد، المرجع السابق، ص ص 227-253.

2- هلالي عمار، **نشاط الطلبة الجزائريين إبان حرب التحرير 1954**، دار هومة، الجزائر، 2004م، ص75.

3- قاصري محمد السعيد، المرجع السابق، ص564.

4- بوعزيز يحيى، **رحلة في فضاء العمر**، ج2، المصدر السابق، ص ص 84-85.

وهران، ودرس بها نفس المادة[1]. عيَن عضوا في لجنة التأليف المدرسي الوزارية سنة 1963 بالعاصمة،[2] كما كلف عام 1969 بتأليف كتاب مدرسي في التاريخ الحديث والمعاصر للسنة الأولى ثانوي، وأنجزه مع زميلين آخرين له تحت عنوان " **تاريخ العالم الحديث في فجر الصناعة إلى الحرب العالمية الثانية**".

في العام الدراسي لسنة 1963– 1964، أسندت للمؤرخ تدريس مادتي التاريخ والجغرافيا، بمعهد تشريح المعلمين بمدينة وهران[3]. أسندت إليه رئاسة دائرة التاريخ لمدة عامين متواليين، وكذا استند إليه معهد الحضارة الإسلامية لمدة عام، درس في هذه المؤسسة عدة مقاييس في التاريخ الأوروبي الحديث، وتاريخ الدولة العثمانية، وغيرها من المقاييس، وأشرف على مناقشة عدة رسائل بجامعة وهران تخرج منها العديد من الطلبة[4]. أثرى المكتبات الوطنية بما يزيد عن أربعين (40) كتابا، والعديد من المقالات والمحاضرات ومئات المشاركات في الملتقيات الوطنية والدولية[5].

2– نشاطه العلمي الصحفي

تنوعت مراحل يحيى بوعزيز في نشاطاته الثقافية في كل من تونس القاهرة والجزائر كما أشرنا إليه سالفا، فأصبح عنده تجربة ثريه ما بين العمل الصحفي والنشاط الطلابي وتأليفه للعديد من الكتب ومشاركته في الملتقيات

1– بوعزيز يحيى، **رحلة في فضاء العمر**، ج2، المصدر السابق، ص ص 84–85.

2– المصدر نفسه، ص 115.

3– المصدر نفسه، ص ص 84–85.

4– المصدر نفسه، ص ص 95–99.

5– بلبراوات بن عتو، **الاهتمامات التاريخية للدكتور يحيى بوعزيز**، المجلة الناصرية للبحوث الاجتماعية والتاريخية، العدد الأول، 2011، ص ص19–29.

ومؤتمرات الفكر الإسلامي والحضارات وغيرها من النشاطات الثقافية[1]. شارك بالكتابة في الصحافة التونسية طول عامي 1956– 1957 خاصة جريدة الصباح المستقلة التي فتحت له أبوابها لنشر المقالات المختلفة حول الثورة ومشاكلها وقضايا الطلبة،[2] فكانت له بعض المقالات المنشورة في جريدة الصباح تنقلها جريدة "**تشرين**" السورية التي تقوم بإعادة نشرها من جديد لما فيها من مادة مهمة ومعلومات مكثفة عن حالة الثورة الجزائرية وعمليات التدمير والتخريب والإبادة، وكل السياسات البشعة التي استعملتها فرنسا ضد الجزائريين بصفة خاصة وعلى كل مستعمراتها بصفة عامة، كما تمكن من نشر العديد من المقالات الأخرى في جريدة اللواء والشعب وغيرها من الجرائد التونسية[3]. وكان له العديد من المشاركات في الجرائد الجزائرية جريدة الشعب التي تعتبر أكثر الجرائد المهتمة بنشر مواضيعه، كما نشرت له جريدة الشروق اليومي والنصر والمساء والجمهورية والحوار وغيرها من الجرائد الأخرى[4].

كانت له كتابات ومشاركات بناءة وفعلية في المجالات الجزائرية نذكر منها كتابته في مجلة الثقافة والأصالة الجزائرية للأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم، وقد بدأ النشر فيها منذ 1971. ومن المقالات الأوائل التي نشرت، ومن أهمها كان أول مقال له بعنوان دور الإخوان الرحمانيين في ثورة 1871 واستمر بنشرها إلى غاية 1980[5]. وقد تميزت مواضيع مقالاته بالتنوع ومن

1- بوعزيز يحيى، **رحلة في فضاء العمر**، ج3، المصدر السابق، ص ص182-183.

2- قاصري محمد السعيد، المرجع السابق، ص201.

3- المرجع نفسه، ص ص 182-183.

4- بوعزيز يحيى، **رحلة في فضاء العمر**، ج1، المصدر السابق، ص93.

5- بوعزيز يحيى، **رحلة في فضاء العمر**، ج2، المصدر السابق ، ص97.

خلالها كانت انطلاقاته فأراد التعريف بالثورات الجزائرية وأوضاعها السياسية وكانت مقالاته محل اهتمام من طرف المثقفين داخل البلاد وخارجها، ومعظمها ارتبطت بوثائق حقيقية ورسمية[1].

كما كانت له مشاركات ونشاطات في الإذاعة العربية التونسية في حصة "**صوت العرب**" وذلك باقتراح من جبهة التحرير الوطني[2]. كانت له مشاركات ثرية في القاهرة عندما كان طالبا بها في حصة " **كلمة الجزائر**" والتي كانت تبث في إذاعة صوت العرب التي كان يديرها المصري أحمد السعيد.[3]

بث حصص أثرية في الإذاعة المحلية بوهران عن التاريخ المحلي لوهران ولتلمسان وجوانب من تاريخ المرابطين والموحدين، ولم تكن حصص منظمة، ولكن بعد تدشين المقر الجديد سنة 1970 داعية للمشاركات في حصص ذات صلة بالتاريخ المشترك للبلدان المغاربية، وتواصلت هذه الحصة بالبث حتى نقلت إلى الجزائر العاصمة، فاستبدلها بحصة عنوانها "**مدن وتاريخ** " ثم غير عنوانها إلى "**رحاب التاريخ**"، قد قدم في هذه الحصص موضوعات كثيرة كلها كانت عن التاريخ وبلدان المغرب العربي، واعتمد في إعدادها على كتبه ومقالاته، وقد لقيت هذه الحصة نجاحا كبيرا وكان يتابعها باستمرار جمهورها الخاص[4].

شارك الرجل في إلقاء حصص بالتلفزة المحلية لمدينة وهران، في إطار الحصص التي كان حزب جبهة التحرير الوطني يقدمها وهي حصة محلية

1- بوعزيز يحيى، **رحلة في فضاء العمر**، ج1، المصدر السابق ، ص93.

2- مياسي إبراهيم، المرجع السابق، ص288.

3- هلال عمار، المرجع السابق، ص77.

4- بوعزيز يحيى، **رحلة في فضاء العمر**، ج2، المصدر السابق، ص ص101-104.

وقصيرة وتوالت بعد ذلك حصصه على شاشة التلفزة بصفة دورية وحسب المناسبات خاصة خلال ندوات وملتقيات ومحاضرات[1].

رابعا/ مرحلة البحث والتأليف

تميزت مسيرة المؤرخ يحيى بوعزيز بغزارة إنتاجه العلمي في ميدان البحث التاريخي، وبثراء المصادر التي استسقى منها معلوماته، وقد أحصي لهذا المؤرخ أزيد اثنين وأربعين مرجعا.[2]

وقد ارتكز يحيى بوعزيز في عمله البحثي التاريخي على توفير المادة التاريخية الخبرية بلغة عربية ذات أسلوب سهل وسلس، وبمنهجية واضحة، تمكن الطلاب والباحثين من الاعتماد عليها في انجاز أبحاثهم وفي الوقت ذاته للقراء الهواة فرصة فهم تاريخ وحضارة الجزائر، وجعل يحيى بوعزيز نصب عينيه على فكرتين مفيدتين في البحث وهما[3]:

– أن تكون المواضيع أصيلة وبعيدة عن التكرار والاجترار لكتابات أخرى.

– أن تكون متنوعة، ولذلك نجد له اهتمامات بتاريخ الجزائر الوسيط الحديث والمعاصر.

بدأت تجربة يحيى بوعزيز في مجال التأليف تتبلور وتظهر إلى الوجود في مدينة تونس منذ كان طالبا يزاول دراسته بجامع الزيتونة، فقد صدر له عام 1957 كتابه الأول تحت عنوان: "**الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري**"، ونظرا لتعلقه الكبير بمؤسس الدولة الجزائرية الحديثة

1– بوعزيز يحيى، **رحلة في فضاء العمر**، ج2، المصدر السابق، ص101.

2 – بطيب الهوارية، **منهجية يحي بوعزيز من خلال كتاباته التاريخية**، مجلة الناصرية للبحوث الاجتماعية والتاريخية، العدد الأول، 2011، ص ص 113–124.

3 – بلبراوات بن عتو، المرجع السابق، ص ص 19–29.

تفجرت قريحته الفكرية والعلمية فواصل نشر عدة كتب ودراسات في المجال ليطبع له كتابين قيمين وهما: "**بطل الكفاح الأمير عبد القادر**" و"**مراسلات الأمير عبد القادر مع إسبانيا وحكامها العسكريين بمليلية**".

1- الكتب

أ- كتب عن تاريخ المقاومة الجزائرية

- **ثورة الباشاغا محمد المقراني والشيخ الحداد عام 1871:**

طبع سنة 1988، واحتوى على 771 صفحة، كما طبع طبعة عدد خاص في دار البصائر، الجزائر سنة 2009، واحتوى على 435 صفحة، هذا الموضوع كان أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه سنة1967[1] أدرج في أربعة فصول، وببابين مما جعله يشمل بعناية مراحل ثورة المقراني والحداد[2].

- **علاقات الجزائر الخارجية مع دول مماليك أوروبا 1500_1830م:**

طبعة1 ديوان المطبوعات الجامعية 1986، يحتوي على 200 صفحة، وهناك طبعة خاصة، عن دار البصائر، الجزائر،2001 تحتوي أيضا على 200 صفحة تعود بوادر هذه الدراسة إلى عام 1976 عندما دعي الدكتور يحيى بوعزيز للمشاركة في الملتقى الثاني عشر للفكر الإسلامي بباتنة بموضوع علاقات الجزائر الخارجية فقام بقراءة ما كتبه الفرنسيون على هذا الموضوع، حيث سلط الضوء على النضال المرير الذي خاضه الشعب الجزائري وكيف استطاع أن يضع حدا للوجود الاستعماري الاسباني في كل بلدان المغرب الثلاثة (الجزائر-تونس- وليبيا) من هنين وتلمسان غربا إلى

1- بوعزيز يحيى، **الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري**، المرجع السابق، ص ص 189_191

2- بوعزيز يحيى، **ثورة الباشاغا محمد المقراني والشيخ الحداد عام 1871م**، المصدر السابق، ص ص 6_7.

طرابلس الغرب شرقا، وكيف استطاعت قيادته أن ترغم دول أوروبا على الكف عن سياسة العدوان والاعتراف بهذه القوة الجديدة في هذا الجناح الغربي من العالم الإسلامي[1].

- **كتاب سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية (1830_1954م):**

ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية بن عكنون الجزائر، انقسم هذا الكتاب إلى قسمين: القسم الأول يتحدث عن السياسة التي اتبعها المحتل الفرنسي في الجزائر بعد احتلالها، والوسائل التي طبقها لفرض سيطرته المطلقة والهيمنة على الجزائر أرضا وشعبا، كما تحدث عن السياسة الفرنسية في عهد الجمهورية الثانية (1840_1852)، وعن سياسة الاستيطان الأوروبي (1870_1930) وعن القوانين المنتهجة آنذاك.

أما القسم الثاني تحدث فيه عن المقاومة السياسية، هذا الكتاب احتوى في بدايته على تقديم وتمهيد ومقدمة توضيحية بأنه جزء من كتاب "**الموجز في تاريخ الجزائر**" الصادر في أواخر عام 1965، عدد صفحات الكتاب 143 صفحة بالإضافة إلى أحداث أخرى[2].

ب- الكتب التي تتناول فيها تاريخ المدن الجزائرية

- **كتاب وهران عبر التاريخ:**

الطبعة الأولى، الجزائر، 1985 يحتوي على 189 صفحة والطبعة الثانية عن دار الغرب الإسلامي وهران 2002 يحتوي على 159 صفحة،

---

1 - الشمري غازي، **الدكتور يحيى بوعزيز في ذكرى وفاته**، مجلة عصور، المجلد 6، العدد 2، 2007، ص 10-15.

2- آيت حبوش حميد، المرجع السابق، ص ص 227-253.

هناك طبعة من قبل وزارة الثقافة 2007 وهناك طبعة خاصة دار البصائر سنة 2009، وهذه الدراسة حسب قول يحيى بوعزيز محاولة متواضعة لكشف الغطاء عن بعض الجوانب المجهولة من تاريخ المدينة وتسليط الضوء على بعض معالمها الحضارية وقد تناول الحديث عنها منذ نشأتها إلى حملة الاحتلال الفرنسي عام 1830 وعن أثارها العمرانية القصور والأبراج والحصون والأسوار وعن بعض شخصياتها العلمية[1].

- **تلمسان عاصمة المغرب الأوسط:**

الطبعة الأولى، الجزائر سنة 1985 يحتوي 92 صفحة وطبعة خاصة سنة 2009 تحتوي 284 صفحة، اتبع يحيى بوعزيز نفس الطريقة التي اتبعها في كتابة وهران عبر التاريخ بحيث تحدث عن مدينة تلمسان وشخصياتها العلمية[2].

- **كتاب تحقيق مخطوط طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر:**

تحقيق ودراسة يحيى بوعزيز، دار الغرب الإسلامي 1990، بيروت، قسم إلى مجلدين.[3]

ج- كتب التاريخ العام

❖ تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 11 إلى مطلع القرن 20: دار هومة، الجزائر،2010[4].

1- بوعزيز يحيى، **وهران عبر التاريخ**، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 62.

2- بوعزيز يحيى، **تلمسان عاصمة المغرب الأوسط**، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص 16.

3- الشمري غازي، المرجع السابق، ص ص 10-15.

4- بوعزيز يحيى، **رحلة في فضاء العمر**، ج1، المصدر السابق، ص 183.

❖ تاريخ العالم الحديث من فجر الصناعة إلى الحرب العالمية الثانية: ألفه مع الزميلين أحمد بن الطاهر وبلحاج يحتوي على 345 صفحة في الجزائر لسنة 1969.

❖ الاستعمار الحديث في إفريقيا وآسيا وجزر المحيطات: سنة 1988 قام يحيى بوعزيز بتقديم هذه الدراسة للقارئ والطالب الجامعي تروي قصة الاستعمار الأوروبي لقارتي إفريقيا وآسيا وأرخبيلات المحيطات الهادي والهندي والأطلسي، يحتوي على 135 صفحة.

2- المقالات: لدى يحيى بوعزيز العديد من المقالات والتي كانت من بين أهم البصمات التي تركها وراءه للأجيال القادمة، وصلت إلى أكثر من ألف (1000) مقالة، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

_ الدور الديني والسياسي للطرق الصوفية بالجزائر، مجلة الحضارة الإسلامية، عدد 2، أبريل 1996، وهران.

_وثائق جديدة عن موقف الأمير عبد القادر والدولة العثمانية من الثوار المقرانيين عام 1871م، مجلة الثقافة، عدد 39، جوان-جويلية 1977م، ص ص 11-24.

_موقف الرسميين التونسيين من الصبايحية والكلبوتي مجلة الأصالة، عدد 60، 1987، ص ص 222_233.

أفضال الزيتونة على المسيرة الثقافية والعلمية والتربوية بالجزائر، مجلة الهداية، تونس، عدد (152) رمضان شوال 1423/ نوفمبر- ديسمبر 2002.[1]

1- بوعزيز يحيى، **كتابة تاريخنا الوطني- ديوان العرب**، نسخة محفوظة، 7 نوفمبر 2016م على موقع واي باك مشين.

لم يكتفي بمشاركته العلمية في التظاهرات الثقافية والندوات والملتقيات التاريخية، وإنما تعدى نشاطه إلى المساهمة في الكتابة الصحفية، فقد ساهم في "**الفكر**" وبالخصوص جريدة" **الصباح**" والتي ينتقل من خلالها للقارئ التونسي والعربي جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر منذ الاحتلال، ويقدم أخبارا عن تطور الكفاح المسلح في البلاد، وقد واصل كتاباته الصحفية بعد نيل الاستقلال، ولم يكف عن تزويد الصحف والمجلات الجزائرية بالمدد العلمي في حقل التاريخ وبآراء في قضايا الثقافة والهوية التي كان يعالجها معالجة صارمة ولكن دون اندفاع[1].

3- الملتقيات

شارك يحيى بوعزيز في عدة ملتقيات بحيث أنه كان دائم الحضور فيها ولم يتأخر عليهم، وقد شارك في ملتقيات وطنية ودولية وذلك سنة 1974، وحضوره فالوطنية أكثر من الدولية ولهدف هو غرس الروح الوطنية لدى الشباب الجزائري.

مشاركته في هذه الملتقيات لعب دورا كبيرا في التشجيع على الكتابة والتأليف ونذكر بعض من هاته الملتقيات والتي هي كالتالي:

أ- داخل الوطن

كانت هذه الملتقيات تحت إشراف الشؤون الدينية منها:

- ملتقى الفكر الإسلامي المنعقد في مدينة بجاية سنة 1974، والدعوة الثانية في مدينة تلمسان سنة 1975.
- في جويلية 1976 شارك في الملتقى العاشر للفكر الإسلامي بعنابة[2].

1- مولود، عويمر، "**الدكتور يحيى بوعزيز في ذكراه العاشرة**" http://elbassair.org

2- بوضرساية بوعزة، المرجع السابق، ص 274

– دعي كذلك للمشاركة في الملتقى الفكر الإسلامي في باتنة 12 سبتمبر 1978 بعنوان " **علاقات الجزائر مع دول ومماليك أوروبا فيما بين القرن السادس عشر ومطلع القرن التاسع عشر**" وقد نشر في مجلة الثقافة [1].

– إضافة إلى مشاركته في ملتقيات الفكر الإسلامي أيضا في الملتقى الدولي حول المصادر الاسبانية لتاريخ الجزائر بوهران 22 أبريل 1981 شارك بموضوع "**الجديد في علاقة الأمير عبد القادر مع اسبانيا وحكامها العسكريين بمليلة**" [2].

– ملتقى مدينة وهران أيام 26-27-28-29-30 أكتوبر 1984 بمناسبة الذكرى الثلاثين للثورة بموضوع "**وهران عبر التاريخ**" [3].

– ملتقى كان يوم 28 نوفمبر 1954 وكان عبارة عن ملتقى دولي تحدث فيه عن طريق محاضرة ألقاها بعنوان" **مكانة أول نوفمبر بين الثورات العالمية ودورها في تحرير الجزائر**" [4].

ب– خارج الوطن: ومنها

– ملتقى جزيرة جربة ما بين 7 و11 أبريل 1980 شارك بموضوع مقاومة جزيرة جربة للغزوات الأوروبية في القرن السادس عشر.[5]

1– بوعزيز يحيى، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، المصدر السابق، ص 41.

2– المصدر نفسه، ص 41.

3– المصدر نفسه، ص 377.

4– طويلي محمد، **الثورة الجزائرية وصداها في العالم، الملتقى الدولي الجزائري**، (من 24 إلى 28 نوفمبر)، الجزائر، 1984م، ص 82.

5– بوعزيز يحيى، **رحلة في فضاء العمر**، ج2، المصدر السابق، ص 94.

– ملتقى رد فعل تونس على الاحتلال عام 1881 الذي انعقد في تونس 31 ماي 1981 شارك فيه بمقال عنوانه" **دور تونس في دعم حركات التحرر الجزائرية وموقف الجزائريين من احتلالها**".

– الملتقى الوطني الأول لكتابة تاريخ الثورة بقصر الأمم من 28 إلى غاية يوم 30 أكتوبر 1981 شارك فيه بموضوع " **ما كتب عن ثورة أول نوفمبر 1954**"[1].

خامسا/ نماذج عن طلابه– أقوال في ذكراه نقل وأمانة–

– شهادة لعرج جبران: (أستاذ محاضر أ– جامعة سيدي بلعباس)

يتحدث الأستاذ لعرج جبران في شهادة له عن المؤرخ يحيى بوعزيز قائلا:

يحيى بوعزيز الإنسان: ارتكز الأستاذ بوعزيز طيلة حياته على مبادئ التربية التي استمدها من القران الكريم ومن محيطه الاجتماعي الذي عاش فيه (درس في زاوية والده بمسقط رأسه وهي زاوية الحملاوية بقسنطينة)، ما حاد ولا زاغ عنها يوما ولا تلكأ في تبليغها وإيصالها إلى الناس عامة وإلى طلبته خاصة. لقد كان الأستاذ بوعزيز زاهدا في هذه الدنيا ومبتعدا عنها قدر المستطاع وهذا بفضل تواضعه العلمي وابتعاده عن الأضواء، وقد نفسر هذا ربما لتربيته الدينية وتجاربه الشخصية التي صقلت نظرته اتجاه هذه الحياة.

كما عرف الأستاذ بشخصيته المتميزة التي تؤثر في النفوس قبل العقول، إذ كان فسيحا بليغا يمتلك القلوب والألباب، وقورا وقار القوي الواثق بنفسه الذي يحترم نفسه من غير تكبر ولا جفاء، يجمع بين صفتي التواضع والحلم من جهة، وبين الصدق والأمانة من جهة أخرى.

1– بوعزيز يحيى، **رحلة في فضاء العمر**، ج2، المصدر السابق، ص 273.

كما عرف عنه الكثير من الخصال الحميدة والتي منها العفة والبعد عن التكلف والتصنيع، أن في أقواله أو أفعاله ومن خصاله ومحامده تواضعه الكبير فكان موقرا للصغير والكبير على حد السوء، كان الشيخ رحمة الله عليه معروف كذلك بالهدوء والرصانة وهي من شيم الرجال الذين تربوا وترعرعوا في البوادي. ومما أذكره عنه كان رحمه الله متواضعا بكل ما تحمله الكلمة من معنى، يتعامل مع الطلبة كأنهم أبنائه، يستمع إليهم ويهتم بانشغالاتهم، يساعدهم ويوجههم الوجهة الصحيحة كلما طلبوا ذلك، وهو في تعامله هذا لا يفرق بين الطالب وآخر، بل يعاملهم على حد السواء وهكذا ينطبق على أستاذ قول الشاعر:

ملء السنابل تنحني في تواضع والفارغات رؤوسهن شوامخ

يحيى بوعزيز الأستاذ والباحث: بفضل تكوينه المتعدد وعلمه الغزير وقلمه السيال، فقد نذر الأستاذ نفسه وحياته لمحاربة أعد أعداء البشرية وهو الجهل، فاتخذ من العلم وسيلة وسلاحا لذلك، كما عرف الأستاذ بين أقرانه ومجالسه بثقافته الواسعة والمتنوعة، وامتلاكه للكثير من الوثائق الأرشيفية عن تاريخ الجزائر، وخاصة تاريخ الحركة الوطنية والثورة التحريرية.

إن عظمة هذا الباحث الأكاديمي أهلته لأن يكون كالهرم المملوء بالمعرفة والعلم، بل هو أكثر من ذلك وأعظم وأبعد، فهو عالم بكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني متجددة عالم لم تفارقه موهبة العلم، لأنه أمن بأن العلم ليس له ضعاف، وهذا امتثالا منه لتعاليم الدين الإسلامي الذي حث على طلب العلم في كل مراحل عمر الإنسان من المهد إلى اللحد.

كما يعرف عن الأستاذ يحيى بوعزيز كذلك بأنه من الرعيل الأول الذين وضعوا أسس وقواعد المدرسة التاريخية الوطنية إلى جانب الأستاذ الدكتور أبو

قاسم سعد الله ﷺ، لقد استطاع يحيى بوعزيز بفضل تميزه وحرصه على بناء المدرسة التاريخية أن يتحول هو نفسه إلى مدرسة قائمة بذاتها وبفضل هذه الجهود طيلة ستين سنة قضاها متنقلا بين القرطاس والقلم أثمرت المدرسة التاريخية الجزائرية وأتت أكلها ضعفين بل أضعاف مضاعفة وأينعت ثمارها في كل جامعات الوطن فقد خلد الأستاذ بوعزيز ذكراها بما تركه من رصيد علمي وطلبة أضحوا اليوم أساتذة نذكر منهم: الدكتور محمد الزين، الدكتور عبد القادر بلجة، والدكتور جيلالي شقرون، الدكتور دريس بن مصطفى، الدكتور نور الدين عسال، وغيرهم كثير، فهم نجوم تتقدى بهم في الدراسات التاريخية ونهتدي بهم إذا ما طلبنا عن النهج والمنهج.

لقد استطاع الأستاذ يحيى بوعزيز بفضل علمه الغزير وثقافته الواسعة أن يصنع لنفسه طريقا في بحر العلم والعلماء عن طريق فرض أرائه وأفكاره والدفاع عن مقومات الأمة الجزائرية التي نالتها الكتابات الاستعمارية الحاقدة، بفضل جهود في إرساء أسس وقواعد المدرسة التاريخية الجزائرية ويكفيه في ذلك أنه ترك بصمته العظيمة المتمثلة في تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية التي أراد من خلاله تتبع تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر من مطلع القرن 16م إلى منتصف القرن العشرين[1].

شهادة السيد الزين محمد: (أستاذ دكتور- جامعة بلعباس)

بعد حصولنا على شهادة البكالوريا (دورة جوان 1978) التحقنا بجامعة وهران معهد العلوم الاجتماعية قسم التاريخ (هكذا كانت التسميات) وكان عددنا

1 – شهادة حية (مقابلة شخصية) مع الأستاذ: **"لعرج جبران" أستاذ محاضر** بجامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، يوم 09 أوت 2020.

كبيرا جدا إذ كان الطلبة من كل حدب ينسلون من الجهة الغربية كاملة إلى غاية ولاية عين الدفلى حاليا شرقا وأدرار جنوبا.

وقد تتلمذنا على يد خيرة الأساتذة آنذاك طيلة سنوات الليسانس الأربعة منهم: الدكتور يحيى بوعزيز رحمه الله، والدكتور غازي الشمري والدكتور مقداد يوسف(عراقي)، والدكتور مختار بويعزم والدكتور إبراهيم خضار رحمه الله، والدكتور جميل ستار (عراقي)، والدكتور خليل أحمد خليل (مصري)، والدكتور أحمد سيد أحمد (مصري) وثلة من الشباب آنذاك كانوا في مرحلة الدكتوراه ومنهم الأستاذ مهديد إبراهيم والأستاذ محمد القورصو والأستاذ(ة) كريمة مجدوب والأستاذة (ة) نور الهدى بوخالفة وآخرون.

درست على يد الأستاذ الدكتور يحيى بوعزيز سنتان في السنة الثانية ليسانس كان ذلك عام 1979_1980 في مقياس: تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية والسنة الثالثة عام 1981_1982 في مقياس: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين.

كنا نناديه الشيخ بوعزيز لأنه كان متقدما في السن نوعا ما، رجلا وقورا جدا، يغلب عليه الطابع العصبي المزاج، فكان إلى جانب التدريس يقدم دروسا مسجديه في مساجد وهران وعضو نشيط في ملتقيات الفكر الإسلامي المنعقد بالجزائر. كان يتسم بالجدية في العمل، لا يغيب أبدا لطارئ فقط طريقة تدريسه تشبه طرق مشايخ القرويين والزيتونة والأزهر، يدخل المدرج يلقي التحية ويشرع في تقديم المحاضرة يرفض المتأخرين، يتكلم بلغة عربية سلمية في المصطلحات الدارجة كقوله: لفرانسيس بدل الفرنسيين وأصبنيول بدل الاسبان وغيرها. أستاذ متمرس ذو كفاءة علمية، وقور ورغم بنيته النحيفة

وضعف بصره إلا أنه كان صاحب كاريزما قوية أي له شخصية يرفض الوساطة ولا يقبل المساومات.

رحم الله شيخنا الفاضل الأستاذ الدكتور يحيى بوعزيز وطيب ثراه وجعل تعبه وعمله في ميزان الحسنات.[1]

- شهادة بن جبور محمد: (أستاذ محاضر أ- جامعة وهران)

كان لنا الشرف أن درسنا عند المرحوم الدكتور يحيى بوعزيز في السنة الجامعية 1990-1991 في مقياس تاريخ الجزائر ما بين (1900_1945)، كان منهجه يعتمد على المصادر المحلية في استجلاء الحقائق التاريخية وكان يرفض المصادر ذات النزعة الكولونيالية المجمدة للظاهرة الاستعمارية.

كانت محاضراته ممتعة يعتمد فيها على سرد الأحداث التاريخية ووضعها ضمن سياقها التاريخي والجغرافي بأسلوب يميل في بعض الأحيان إلى الدارجة بهدف إيصال المعلومة للمتعلم، وكان يدقق في المصطلحات التاريخية، الغزو، مجازر، الاستعمار... واستطاع المرحوم جمع ملاحظاته ومعلوماته واستنكر الأرشيف لصياغة مادة علمية معتبرة لا زلنا نستحضرها في عدة مناسبات.[2]

- شهادة بن مصطفى إدريس: (أستاذ دكتور- جامعة سعيدة)

درست عند الأستاذ المرحوم يحيى بوعزيز خلال السنة الجامعية 1988_1989 مقياس تاريخ الجزائر الحديث كان الأستاذ ملتزما أشد الالتزام لا يغيب ولا يتأخر عن موعد بداية الدرس كان يلقي علينا المحاضرة وكأنك

1- شهادة حية (مقابلة شخصية) مع **البروفيسور 'الزين محمد'** بجامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، يوم 09 أوت 2020.

2- شهادة حية (مكالمة هاتفية) مع **الأستاذ: 'بن جبور محمد'** أستاذ محاضر بجامعة أحمد بن بلة جامعة وهران يوم: 08 أوت 2020.

تشاهد فلما بأدق الأحداث وكأنه عاصر وعايش تلك الأحداث فعلا مما كان يضفي على حصته طابع التشويق ويبعد الملل عنا، مع سنه الذي كان متقدما آنذاك كنا نلمس فيه الجدية والإحساس بالمسؤولية تجاهنا من حيث الدقة في المواعيد واستيفاء الحصة حقها زمنيا، لم يكن يبخل عنا بالمعلومة لأن محاضراته كانت شاملة لكل جوانب موضوعها ويترك لنا حرية التساؤل بكل ثقة عن الغامض من الأحداث، وأذكر جيدا أحد الأسئلة التي طرحت عليه: لماذا كان زعماء التيار الاستقلالي يطالبون بالاستقلال التام وكانوا يبدؤون مطالبهم بإصلاحات ثانوية؟

فرد علينا بأنها ديبلوماسية السياسيين، وذلك من أبجديات السياسة والمطالب السياسية ومما أذكره عنه رحمه الله أنه دخل علينا يوما المدرج وفي يده ورقة سؤال الامتحان ومباشرة بعد أن استلمنا أوراق الامتحان وبدأ في قراءة السؤال زلت رجله في فراغ الدرج فسقط على ظهره وكان مرتديا القشابية الوبرية ولم يجرأ أحد منا على الضحك لشدة احترامنا له ومباشرة نهض قائلا لا شيء واصلوا كتابة السؤال رحمه الله وأسكنه فسيح جناته [1]

خاتمة

لا ننعي الرجل أنه مات جسدا بل نحتفي بذكراه القائمة المدرة للعلم والمعرفة، لا نقول متى، وكيف مات، بل نتقفى مسار حياة الرجل، لنعرفه للأجيال، يحيى بوعزيز منارة علم فياض مذ تنفست روحه عبق الحياة الشريفة في زاوية بيت تشم منه رياح الدين والعلم، كيف لا وقد سخر الرجل دون عناء

1 شهادة (مكالمة هاتفية) مع **البروفيسور 'بن مصطفى إدريس'** بجامعة مولاي الطاهر بسعيدة، يوم 07 أوت 2020.

وكلل حياته منذ الصبا إلى أن تغمد الله روحه، كمؤرخ فذ على مدار القرن نصف قرن في العمل إلى إحياء الثقافة العربية العريقة بالجزائر، ويدعو بالحكمة إلى إحياء ذكراه جيلا بعد جيل.

فلم تخبو شعلة عطائه الفكري الأصيل عبر مسار حياته الحافل بمحطات مختلفة المناسبات والتأثيرات، جاب دور العلم والمعرفة نهما وناهلا تارة ومعطاء تارة أخرى، محررا ناشرا، أستاذا مدرسا، فصحفيا بارعا، ومؤرخا للفائدة العامة بما يفوق 42 محررا في تاريخ الجزائر وثورتها التحريرية، كتب بأمانة علمية وإنصاف، ودوّن عن سير ذاتية للأعلام والمفكرين الشيخ عبد الحميد بن باديس، ومولود قاسم نايت بلقاسم، إذ بقي المؤرخ وفيا لمنهاجه في التواصل والتعامل مع مختلف الوثائق والمخطوطات، فاقتصر على التعريف بالمخطوطة بإسهاب ونشرها دون الاهتمام المطلق بتحقيقها العلمي الذي تركه لغيره من الباحثين والمهتمين بالمخطوطات.

لقد أسهمت مقالات بوعزيز الصحفية في خدمة القضية الجزائرية، سواء من خلال عرضها لأحداث وتطورات النضال والكفاح الوطني وتعميم الإعلام الثوري، أو نقدها للسياسة الفرنسية، ومواجهتها للدعاية المغرضة، عبر منبر جريدة الصباح التونسية، وغيرها من المنابر.

وفي يوم 7 نوفمبر 2007، بوهران توفي الموسوعة الفكرية عن عمر ناهز 78 سنة، إثر مرض ألزمه الفراش لمدة سنة بعد عمر كرسه للتدريس الجامعي والبحث والكتابة والتأليف في تاريخ الجزائر، ﷺ وألحقه بالصالحين.

يحيى بوعزيز مؤرخا
Yahya Bouaziz historian

الشافعي درويش
جامعة زيان عاشور الجلفة

الملخص

استطاع الباحثون الجزائريون والمؤرخون على وجه الخصوص على الرغم من المدة الزمنية القصيرة، أي فترة ما بعد سنة 1962م من إرساء دعائم مدرسة تاريخية جزائرية عريقة، ساهمت إلى حد بعيد في إعادة كتابة تاريخ الجزائر والحفاظ على هويته الوطنية من خلال كشف الحقائق وإعادة كتابتها ونشرها للأجيال اللاحقة حتى تعرف حقيقة تاريخ بلادها. وذلك بإعادة النظر في هذا التاريخ من خلال استقراء الوثائق الأرشيفية والمخطوطات والمصادر المحلية، ومقارنة الوقائع التاريخية مع بعضها، قصد كشف الزيف الذي ألحقته المدرسة الغربية الفرنسية بتاريخ الجزائر. ومن بين أعلام ورواد هذه المدرسة الجزائرية التاريخية الوطنية نذكر الأستاذ والمؤرخ والمفكر والباحث المبدع يحيى بوعزيز، الذي تميز عن غيره بغزارة الإنتاج وشموليته وتنوع مواضيعه. لذلك استحق عن جدارة أن يكون من بين أهم هؤلاء الرواد الجزائريين.

الكلمات المفتاحية: يحيى بوعزيز؛ المؤرخ؛ تاريخ الجزائر؛ المؤلفات العلمية.

Abstract:

After the Independence of Algeria in 1962, Algerian historians established an Algerian historical school that contributed to rewriting the history of Algeria and preserving its national identity by uncovering, rewriting and disseminating the facts for subsequent generations to know the history of its country. Among the flags of the National Historical School are Professor Yahia Bouaziz, who distinguished his production, diversity and comprehensiveness.

key words: Yahia Bouaziz-the History of Algeria-Scientific works-Historical articles-.

مقدمة

يتوفر لدينا اليوم إنتاج أدبي تاريخي محلي يتعلق بتاريخ الجزائر خلال العصور المختلفة، وهذا الإنتاج بأقلام جزائرية هي نتاج ما يعرف بالمدرسة التاريخية الجزائرية، هذه المدرسة التي نشأت بعد الاستقلال، ونقصد بها المدرسة التاريخية الجزائرية المشبعة بالهوية الوطنية، وتدافع عن الجزائر واستقلالها وثوابتها من خلال كتابات أعلامها. وبطبيعة الحال رواد هذه المدرسة كانوا قد عاشوا ويلات السياسة الاستعمارية الفرنسية، ووقفوا على محاولات التهميش التي فرضها الاستعمار، وعلى ومحاولات محو معالم الأمة الجزائرية والقضاء على هويتها وثوابتها.

من جهة أخرى كان لهذه الفئة نصيب من الحظ بان تعلموا في الكتاتيب والزوايا والجوامع والمدارس الحرة الجزائرية مبادئ اللغة العربية وحفظوا القرآن الكريم، ثم انتقلوا إلى البلدان المجاورة لمزاولة تعليمهم في مراكزها كتونس ومصر وبلاد المشرق العربي. وهذا ما جعلهم السباقين لتأسيس المدرسة التاريخية الجزائرية الوطنية أن صح القول. من أجل الدفاع عن تاريخ الجزائر ومحاربة التزييف التي مارسها الكتاب الفرنسيون بهدف إضفاء الشرعية التاريخية على الاستعمار الفرنسي في الجزائر.

إن أعلام المدرسة التاريخية الجزائرية كثيرون، وكتاباتهم اليوم غزيرة وهم الذين عنوا بجمع وتنقيح الكتابات المتعلقة بتاريخ الجزائر عبر العصور المختلفة، وحاولوا إزالة الزيف الذي لحق به جراء كتابات المدرسة الغربية الفرنسية. ومنهم: الشيخ **عبد الرحمن الجيلالي، ومبارك الميلي، وتوفيق المدني، مولود قاسم، والإبراهيمي، وأبو القاسم سعد الله، وسعيدوني، والعربي زبيري، وعبد الحميد زوزو، بسام العسلي، وإسماعيل العربي، موسى لقبال،**

ومولاي بلحميسي، وغيرهم، ومن هؤلاء الكثيرين اخترت واحدا من أعلام هذه المدرسة، توفرت فيه وفي كتاباته وأعماله مميزات المؤرخ المبدع، والمفكر الملم بالحقائق المتعلقة بتاريخ الجزائر بمختلف مراحله. وهو **الأستاذ الدكتور يحيى بوعزيز**.

ولقد اخترت هذا الموضوع والمتعلق بشخصية الأستاذ يحيى بوعزيز باعتباره أحد أعلام المدرسة الجزائرية من جهة، على الرغم من أن هذا المؤرخ والمفكر قد تناولته عدة دراسات سواء بعض المقالات المتخصصة منها، أو ملتقيات أقيمت حوله .لكن يبقى أنه من أعلام المدرسة الجزائرية البارزين ،والذين مهما كتبنا عنهم فلن نوليهم حقهم، يضاف إلى ذلك أن هذا المؤرخ المبدع والمفكر الموسوعي والذي كتب عن تاريخ الجزائر بكامله، ولم يتخصص في فترة معينة أو موضوع معين، بل ساهم بغزارة إنتاجه الأدبي في إثراء المكتبة الوطنية الجزائرية بأعماله، وفي إعادة بناء تاريخ الجزائر ومحاربة كل أعمال التزييف التي حاولت المدرسة الفرنسية إلحاقها من أجل طمس تاريخ الأمة الجزائرية.

كما ساهم المؤرخ الباحث الفذ في تزويد وتكوين الطلبة الجزائريين في ميدان التاريخ وأطّر الكثير من الباحثين الذين هم اليوم يمثلون جيل المدرسة الوطنية. لذلك استحق هذا المؤرخ والمفكر المبدع أن يكون رائدا من بين أهم أعلام المدرسة التاريخية الجزائرية الوطنية، بسبب ما تميز به عن غيره من طبيعة الإنتاج الأدبي والتاريخي، وغزارته وتنوع مضامينه التي شملت كل الحقب التاريخية والمجالات المختلفة؛ من السياسية إلى الاجتماعية، إلى الثورية، والفكرية، فاستحقت عن جدارة إدراجها بشكل عام في خانة التاريخ والحضارة (بطبيعة الحال للجزائر).

والحقيقة أنه من بين دواعي اختياري لهذا العلم، واقصد الأستاذ **يحيى بوعزيز**؛ هو إنني أحببت الأستاذ على الرغم من إنني لم التق به، أحببته من كتاباته وكان أول كتاب تعاملت معه هو كتاب **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، في مرحلة دراستي الجامعية، ومنذ ذلك تأثرت بهذه الشخصية، وزاد إعجابي به عندما اكتشفت ذلك الكم الهائل من المؤلفات العلمية له. لذلك قررت أن اكتب عنه، رغم علمي أنه سبقني الكثير للكتابة عنه، وظل عنوان المقال يراودني منذ مدة طويلة، وأردت نشره إلى أن جاءت فرصة انعقاد هذا اليوم الدراسي، الموسوم بـ: بأعلام المدرسة التاريخية الجزائرية، فكانت الفرصة.

والسؤال الذي يتبادر للدارسين من هو المؤرخ يحيى بوعزيز؟ وماهي مميزات وصفات هذا المؤرخ والمفكر؟ وإلى ماذا تعود هذه الغزارة في المؤلفات والإنتاج الأدبي والتاريخي المتعلق بتاريخ الجزائر خلال كل عصوره؟ وما هو المنهج الذي اتبعته؟ وما أهمية ما كتبه هذا المؤرخ بالنسبة لتاريخ الجزائر، ومساهمته في المدرسة التاريخية الجزائرية؟

وللإجابة على هذه الإشكالية قمت بتقسيم هذا المقال إلى العناصر التالية، في محاولة للإلمام بالموضوع قصد إعطاء شخصية المؤرخ يحيى بوعزيز حقها، بالتعريف بها وبإنجازاتها العلمية.

أولا/ التعريف بشخصية المؤرخ يحيى بوعزيز

ولد يحيى بوعزيز في يوم 27 ماي 1929م بقرية الجعافرة، في دائرة الجعافرة بولاية برج بوعريريج، حفظ القرآن الكريم، وتعلم مبادئ اللغة العربية على يد والده الحاج عبد الرحمن بوعزيز، انتقل إلى مدينة عنابة في سنة 1947م، وزاول تعليمه الابتدائي هناك في مدرسة خاصة، وفي سنة 1949م

انتقل إلى تونس حيث التحق بمعهد الزيتونة لمزاولة دراسته، وتحصل منه على شهادة الأهلية بامتياز والأول على البلاد التونسية في سنة 1953م، وبعدها على شهادة التحصيل في أواخر سنة 1956م. ثم التحق بجامعة القاهرة بمصر في سنة 1957م وتخصص في دراسة التاريخ، أين تحصل على شهادة الليسانس مع مطلع سنة 1962م، وعندما عاد إلى الجزائر واصل مواره العلمي، فتحصل على شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر من جامعة الجزائر في سنة 1976م[1].

اشتغل يحيى بوعزيز خلال تواجده بتونس في ميدان الصحافة، في إطار نشاط جبهة التحرير الوطني، ونشر العديد من المقالات في الصحف والمجلات، ونشر كتابا عن كفاح الأمير عبد القادر، وكان عضوا في الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، ورئيس اللجنة الثقافية في تونس. أما في القاهرة فقد شارك في إذاعة عدة حصص من إذاعة صوت العرب؛ تتعلق بكفاح الشعب الجزائري وثورته ضد الاستعمار الفرنسي، وترأس اللجنة الثقافية، كما ساهم في تحرير جريدة الطالب الجزائري، التي كان يصدرها الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين (فرع القاهرة) [2].

وعندما عاد الأستاذ يحيى بوعزيز إلى الجزائر في سنة 1962م، اشتغل في مهنة التدريس، وعيّن في لجنة التأليف المدرسي الوزارية في سنة 1963م بالعاصمة، وكلف في ستة 1969م بوضع الكتاب المدرسي في التاريخ الحديث للسنة الأولى من التعليم الثانوي مع زميلين له. ثم انتقل إلى ميدان البحث حيث

---

(1) يحيى بوعزيز: أعلام **الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي**، ط1، بيروت 1995، ج1، ص 114.

(2) المرجع نفسه.

اشتغل أستاذا بجامعة وهران، وهو عضو بمجلسها العلمي. وظل أستاذا بجامعة السانية بوهران إلى أن تقاعد في سنة 1996م، والأستاذ أيضا عضو مؤسس لاتحاد الكتاب الجزائريين، وكذا اتحاد المؤرخين الجزائريين.

وقد شارك الأستاذ يحيى بوعزيز في معظم ملتقيات الفكر الإسلامي التي كانت تعقد سنويا بالجزائر، وفي ملتقيات علمية دولية خارج الجزائر منها: ملتقى تاريخ التجارة عبر الصحراء بمدينة طرابلس الليبية في سنة 1979م، ومؤتمر المستشرقين الألمان المنعقد في برلين الغربية في سنة 1980م، وكذا الملتقى الدولي الثاني لتاريخ المغرب وحضارته بتونس في سنة 1980م، وملتقى رد فعل تونس من الاحتلال الفرنسي المنعقد في سنة 1981م، وملتقى صيانة جزيرة جربة المنعقد بها في سنة 1982م، وملتقى تاريخ العلاقات العربية التركية المنعقد بطرابلس الغرب في سنة 1982م، وملتقى التراث والمعاصرة المنعقد بالجزائر في سنة 1984م، والملتقى الدولي عن صدى الثورة الجزائرية بالخارج في سنة 1984م، ملتقى الحركة الوطنية وحروب التحرير 1850م-1950م في سنة 1984م بالجزائر، والملتقى الدولي الرابع لتاريخ المغرب وحضارته بتونس في سنة 1986 م، وملتقى تجاوب الثورات العبية بالمغرب العربي المنعقد بتونس في سنة 1992م، وملتقى دور المرأة العربية في حركة الإصلاح بمدينين في جنوب تونس في سنة 1992م وغيرها [1]. وقد توفي المؤرخ يحيى بوعزيز في سنة 2007م عن عمر ناهز ال 78 سنة. وقد أوصى بأن توهب مكتبته الخاصة العامرة إلى المكتبة الوطنية الجزائرية [2].

(1) يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص 115.

(2) آيت حبوش حميد: **قراءة في الموروث التاريخي للدكتور يحيى بوعزيز**، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 7، 2014، ص 234.

ومن هنا يمكننا القول إن الأستاذ يحيى بوعزيز تدرج في مساره العلمي من خلال محطات هامة في حياته، ومن خلال رحلات علمية قادته إلى عدة دول، ساهمت إلى حد بعيد في إثراء مساره البحثي، وهو ما انعكس إيجابا بطبيعة الحال، على قيمة إنتاجه العلمي والتاريخي، فجاء غزيرا وموثقا ودقيقا، ومتنوعا، وشاملا لكل مراحل تاريخ الجزائر.

ثانيا/ خصائص ومميزات منهجه في كتابة التاريخ

وضع المؤرخ يحيى بوعزيز شروطا لإعادة صياغة أحداث التاريخ الوطني، وهي أنه لابد من إعادة كتابة هذا التاريخ من وجهة النظر الوطنية، مع ضرورة استخدام الوثيقة الوطنية في هذه العملية ... ومن الشروط والعوامل الأخرى التي يتوجب مراعاتها لإنجاز هذه المهمة، هي فحص دور الأرشيف بمنطقة حوض البحر المتوسط، وشمال أوروبا والمتحدة، واستخراج الوثائق التي لها صلة بتاريخ الجزائر، واستغلالها لإعادة بناء الوقائع وتصحيحها [7].

ودعا الأستاذ بوعزيز إلى ضرورة إعادة صياغة تاريخ المدن الجزائرية، ذلك أن هذه المدن تعرضت لعملية الطمس والمسخ والتشويه، بكيفية فضيعة جدا من طرف كل من الإسبان والفرنسيين، الذين بذلوا كل جهودهم لإثبات أن هذه البلاد كانت أوربية قبل أن تكون عربية إسلامية. وفي تقديره يرى عملية تحرير التاريخ الوطني من الفكر الاستعماري تتمثل في تصحيح الأخطاء، ودحض الزيف والتشويه ورفع اللبس، وملء الفجوات؛ وهذا بطبيعة الحال عن طريق الرجوع إلى الوثيقة الموجودة داخل الوطن أو خارجه.

ولقد قاده البحث والاهتمام إلى ضرورة العناية بالوثائق؛ باعتبارها المصدر الأول، واكتشف بالتجربة والممارسة؛ أن فهم تاريخنا الحديث والمعاصر، يفتقر إلى المادة الخامة، وأن تذوق التاريخ واستيعابه والإحساس

به، يتوقف على قراءة النصوص المعاصرة، ذلك أنه لا يكفي أن يقرأ المرء سردا للأحداث التاريخية، أو تحليلا جافا، بل لابد من قراءة النص الأصلي في لغته وعبارته وأسلوبه وحرارته الأولى، وذلك ما يعطي للحادثة التاريخية معناها ولونها وقوتها [9].

وبذلك يمكن القول إن الأستاذ يحيى بوعزيز وضع لنفسه، وللباحثين في مجال التاريخ من بعده، يستند إلى الوثيقة التاريخية الأصلية باعتبارها مصدرا أوليا لفهم الأحداث التاريخية، بالتعامل معها وتحليلها بلغتها الأصلية، لذلك يستوجب على الباحث الإلمام باللغة الأصلية للوثيقة حتى يفهم معناها الحقيقي دون تأويل أو تغيير له، وخاصة للباحثين في التاريخ الحديث والمعاصر، وباستعمال هذا المنهج في البحث تميز إنتاجه العلمي بالغزارة والشمولية والدقة في تفسير الأحداث التاريخية المتعلقة بتاريخ الجزائر.

ثالثا/ بيبليوغرافيا لأهم مؤلفاته

يعد الإنتاج الأدبي والتاريخي للأستاذ يحيى بوعزيز غزيرا ومتنوعا وشاملا لمختلف مراحل وعصور الجزائر، فهو لم يقتصر على فترة معينة، ولم يختص بموضوع معين. وقد ساهم هذا الإنتاج في إثراء المكتبة الوطنية الجزائرية، وساعد الطلبة والباحثين ولازال إلى يومنا في فهم وقراءة تاريخ بلادهم، وإنجاز بحوثهم. لذلك يمكن اعتبار المؤرخ والمفكر يحيى بوعزيز موسوعة علمية تاريخية من خلال أعماله الغزيرة، والتي يدور مضمونها العام حول تاريخ الجزائر وحضارتها عبر العصور المختلفة. وقد نشر الأستاذ خلال مسيرته العلمية عددا كبيرا من الكتب المطبوعة قدرت بحوالي 24 بحسب ما ذكره في كتابه **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة الجزء 1**، وعددا أكبر من المقالات والمشاركات العلمية في الملتقيات والبحوث المنشورة تجاوز

عددها حسب قوله في نفس الكتاب 80 بحثا تاريخيا. ويمكن أن نذكر بعض هذه المؤلفات لعلها تفيد طلبتنا اليوم، على سبيل التسهيل عليهم في عملية إحصاء هذه العناوين، حتى يتوجهوا لها مباشرة عند حاجتهم إليها في مواضيع معينة قد تخصهم في مشوارهم البحثي العلمي مستقبلا، وحتى في مراحل حياتهم العلمية الجامعية في مرحلة الليسانس. وهي كالتالي:

1- الكتب المطبوعة [1]

1- الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، ط3، تونس 1963.

2- الموجز في تاريخ الجزائر ج1، الجزائر 1965.

3- تاريخ العالم الحديث من فجر الثورة الصناعية إلى الحرب العالمية الأولى بالاشتراك مع زميلين الجزائر 1969.

4- ثورة 1871م (دور عائلتي المقراني والحداد) الجزائر 1978.

5- ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين (الجزائر – قسنطينة) 1980.

6- مراسلات الأمير عبد القادر مع إسبانيا وحكامها العسكريين في مليلة، الجزائر 1982، قسنطينة 1986(ط2).

7- علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا (1500-1830)، الجزائر 1985.

8- التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1930-1954، الجزائر 1985.

9- وهران عبر التاريخ، الجزائر 1985.

10- تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، الجزائر 1985.

---

(1) هذه القائمة من المؤلفات ذكرها الأستاذ يحيى بوعزيز في معظم مؤلفاته.

11- الإيديولوجيات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية (1920-1954)، الجزائر 1985.

12- كفاح الجزائر من خلال الوثائق، الجزائر 1986.

13- الاستعمار الحديث في أفريقيا واسيا وجزر المحيطات، الجزائر 1988.

14- مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، الجزائر 1991.

15- وصايا الشيخ الحداد ومذكرات ابنه سي بوعزيز، الجزائر 1989.

16- فريدة منسية او تاريخ قسنطينة، الجزائر 1991.

17- طلوع سعد السعود في أخبار وهران ومخزنها الأسود. دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990 ،2ج.

18- الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية، الجزائر 1991.

19- المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد (1780-1798)، الجزائر1993.

20- مواقف العائلات الأرستقراطية من الباشاغا المقراني وثورته 1871، الجزائر 1994.

21- أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1995 ،2ج.

22- روضة النسرين في مناقب الأربعة المتأخرين لابن معد، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1995.

23- سيرة الأمير عبد القادر وجهاده لمصطفى بن التهامي (تحقيق)، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1995.

24- تاريخ أفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16 إلى مطلع القرن 19، الجزائر.

2- البحوث والمقالات المنشورة

وحسب الأستاذ يحيى بوعزيز من خلال ما ورد عنه في كتابه أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، فإن عددها ثمانون عملا (80)، وقد نشرها الأستاذ في عدة مجلات علمية وطنية وعربية، منها: مجلة الأصالة، والثقافة، ومجلة أول نوفمبر، ومجلة الدراسات التاريخية، ومجلة التاريخ، ومجلة الحضارة الإسلامية كلها بالجزائر، ومجلات عربية كمجلة المؤرخ العربي، والمجلة التاريخية المغربية (تونس)، ومجلة الحرس الوطني (الرياض)، ومجلة الكويت، ومجلة البحوث التاريخية (طرابلس). وسأتطرق إلى بعض العناوين التي جلبت اهتمامي على سبيل المثال لا الحصر:

1- ثورة المقراني والشيخ الحداد، في مجلة الأصالة العدد 2.

2- واقع ومستقبل التعريب في الجزائر، في مجلة الأصالة العدد 17-18.

3- مكانة ثورة أول نوفمبر بين الثورات العالمية ودورها في تحرير الجزائر وأفريقيا، مجلة الأصالة ع22.

4- الأمير عبد القادر ومشروع قناة قابس والبحر الإفريقي، في مجلة الأصالة العدد 25.

5- وثائق جديدة عن ثورة بن ناصر بن شهرة 1851-1875، في مجلة الثقافة العدد 31.

6- أضواء على انتفاضة سكان واحة الزعاطشة والشيخ بوزيان 1849، في مجلة الثقافة العدد 32.

7- وثيقتان جديدتان عن كفاح الشريف محمد بن عبد الله 1841-1895، في مجلة الثقافة ع 33.

8- أضواء على كفاح الشريف بوشوشة، في مجلة الثقافة العدد 34.

9- نماذج من مقاومة سكان الواحات، في مجلة الأصالة العدد 41.

10- أضواء على ثورة أولاد سيدي الشيخ 1864-1873، في مجلة الثقافة العدد 46.

11- اهتمامات الفرنسيين بالتوارق ومنطقة الهقار من خلال ما كتبوه، في مجلة الأصالة العدد 72.

12- اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر والصحراء من خلال ما كتبوه، في مجلة الثقافة العدد 57.

13- طرق القوافل والأسواق التجارية في الصحراء الكبرى كما وجدها الأوربيون في القرن 19م، في مجلة الثقافة العدد 69.

14- أضواء على ثورة الشيخ بوعمامة 1881-1908، في مجلة الثقافة العدد 68.

15- انتفاضة التوارق في ازجر والهقار 1916-1919، في مجلة الثقافة العدد 93.

لذلك يمكن القول إن الإنتاج العلمي للأستاذ يحيى بوعزيز كان غزيزا، واستطاع بحق كتابة اسمه بأحرف من ذهب بين أعلام المدرسة التاريخية الجزائرية الوطنية، وترك لنا رصيدا علميا شاملا حول تاريخ الجزائر وقضايا أخرى، مازلنا نقتني منه اليوم، وكذا الأجيال في الجامعات الجزائرية، وفي مجالات أخرى، لذلك وجب علينا أن نترحم على روحه، وأن لم نفعل ذلك فسيبقى هذا الرصيد العلمي شفيعا له يوم القيامة، فرحمك الله يا أستاذ.

رابعا/ قراءات لأهم مؤلفاته التاريخية

يصعب الإلمام بكل مؤلفات الأستاذ يحيى بوعزيز؛ نظرا لغزارة الإنتاج العلمي له كما أشرنا لذلك سابقا، والذي وصل إلى 24 كتابا مطبوعا، ناهيك عن المقالات والمشاركات البحثية في الملتقيات، والتي تجاوزت ال 80 مقالا تاريخيا منشورا، وبذلك يستحق هذا المؤرخ والمفكر أن يلقب بالموسوعة التاريخية والفكرية، نظرا لطبيعة إنتاجه ومضامينه المتميزة، والتي تصب في خانة الإنتاج التاريخي والحضاري المتعلق بتاريخ الجزائر في كل عصوره. ونحن من موقعنا هذا وفي هذا اليوم الدراسي، يصعب علينا على الرغم من توفر كتب الأستاذ يحيى بوعزيز في المكتبات الجزائرية، ورغم القراءات إلى سبقنا إليها بعض الباحثين، إلا انه كما قلت يصعب الإلمام بمضامين مؤلفاته كلها، لكثرتها من جهة ولقوة معانيها ودقة لغتها وأسلوبها، ولتنوع مضامين وقضايا تلك المؤلفات من جهة أخرى. لذلك سأحاول تقديم قراءات مختصرة لمؤلفات معينة، وسأحاول تقديم أسبابي لاختيارها دون غيرها، وهي كالتالي:

1- ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين

كان هذا الكتاب بداية معرفتي بالأستاذ يحيى بوعزيز، فقد كان أول كتاب أتعامل معه وكنت آنذاك في مرحلة الليسانس بجامعة الجزائر، فلفتت انتباهي أهمية الكتاب، لأنني وجدت فيه مؤلفا جامعا لكل المقاومات والثورات الشعبية التي قام بها الشعب الجزائري لمواجهة الاستعمار الفرنسي خلال القرن التاسع عشر (19) وبداية القرن العشرين (20)، وقلما نجد مؤلفا بهذا الحجم من حيث غزارة المادة العلمية والأحداث التاريخية، مع دقة الأسلوب وقوة اللغة العربية، فاستحق أن يكون موسوعة للمقاومات والثورات الجزائرية خلال القرن 19م وبداية القرن 20م.

2- علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا (1518-1830)

هو ثاني كتاب أتعامل معه، عرفته في مرحلة الليسانس، ثم في مرحلة تحضير مذكرة الماجستير في سنة 2009-2011، نظرا لطبيعة موضوع مذكرتي المتعلق بالعلاقات، يعتبر هذا الكتاب من المؤلفات الهامة والمتميزة، لأنه يعالج مرحلة هامة وممتعة من تاريخ الجزائر الحديث (1518-1830)، والمتمثلة في العلاقات الخارجية لإيالة الجزائر مع الدول الأوروبية خلال العهد العثماني. والجميل في الكتاب أن الأستاذ تطرق بالتفصيل كل العلاقات، وتتبعها كرونولوجيا دون إهمال أي منها، وخاصة العلاقات مع فرنسا والتي قدم لها شرحا وافيا. يضاف إلى ذلك أهميته من حيث اعتماده على التوثيق فقد اعتمد صاحبه على مراكز الأرشيف الأوروبية، لتوضيح تلك المرحلة من تاريخ الجزائر.

يحتوي الكتاب على ستة فصول، وهي كالتالي:

- **الفصل الأول:** نظرة عامة عن العلاقات الجزائرية الأوروبية في العصر الحديث.

تناول فيه الكاتب بعض المصطلحات والمفاهيم التاريخية، كما ناقش فيه قضايا عامة وتفسيرات تتعلق بعلاقات الجزائر مع الدول الأوروبية بشكل عام، وكذا عامل تلك العلاقات.

- **الفصل الثاني:** العلاقات الجزائرية الأوروبية من الفتح التركي العثماني حتى تحرير تونس من الاحتلال الإسباني.

تناول فيه المؤلف انضمام الجزائر للدولة العثمانية ودور الجزائر في مواجهة المشروع الإسباني لاحتلال سواحل المغرب الإسلامي، وتحرير طرابلس الغرب ثم تونس.

– **الفصل الثالث:** تأسيس المراكز الفرنسية بالساحل الشرقي الجزائري وبداية العلاقات الجزائرية الفرنسية. تناول فيه الأستاذ بوعزيز بداية العلاقات الفرنسية خلال القرن 16م، واستمرارها خلال النصف الأول من القرن 17م، وتطرق فيه لعدة قضايا كسرقة سيمون دونسا للمدفعين الجزائريين، ومذبحة الوفد الجزائري في مرسيليا، وقضايا أخرى.

– **الفصل الرابع:** العلاقات الجزائرية الأوروبية من 1660م إلى 1792م.

وتناول المؤلف في هذا الفصل علاقات الجزائر مع عدة دول أوربية كهولندا، وإنجلترا، وفرنسا، وإسبانيا، وبعض الدول الإسكندنافية، وكان خاتمة الفصل تحرير وهران من الاحتلال الإسباني.

– **الفصل الخامس:** العلاقات الجزائرية الأوروبية من 1792م إلى 1830م. على الرغم من عنوان الفصل إلا أنه يتناول قسما كبيرا من العلاقات الفرنسية، ومشاريع الفرنسيين لاحتلال الجزائر، ويختمها بالحديث عن نتائج مؤتمر فيينا المتعلقة بالجزائر وحملة اللورد اكسماوث على الجزائر.

– **الفصل السادس: أوضاع** الجزائر في عهد الداي حسين.

وتناول فيه الأسباب والظروف التي أدت إلى الاحتلال الفرنسي للجزائر ونهاية الإيالة. ليختم الكتاب بعدة ملاحق معظمها معاهدات ووثائق أرشيفية.

3– أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة [1]

يعتبر هذا الكتاب الذي هو في جزئين؛ من الموسوعات الثقافية التي تكلمت عن علماء الجزائر، وقد استخدم فيه المؤرخ منهجا قويا، تتبع فيها حياة عدة علماء جزائريين ورجال فكر ورحلاتهم ومؤلفاتهم، مثل مولود قاسم، والفضيل

(1) يحيى بوعزيز: **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1995، ج1.

الورتلاني عضو جمعية العلماء المسلمين، المقري، وابن خلدون، وعبد الكريم المغيلي، وابن زرفة، ومصطفى بن التهامي، وغيرهم، لكن الجميل في الأمر انه تتبع هؤلاء العلماء من فترات مختلفة كالفترة الحديثة والمعاصرة.

4- سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية [1]

يعتبر هذا الكتاب من المؤلفات المهمة، والذي عالج فيه الأستاذ السياسة الفرنسية منذ احتلال الجزائر إلى اندلاع الثورة التحريرية، وقد تتبع الأستاذ وبدقة تلك السياسة سواء العسكرية منها أو الإدارية، وسياسة القوانين المجحفة في حق الجزائريين والمصادرات والسياسة الثقافية والدينية، عن طريق تجهيل الجزائريين ومحاربة اللغة العربية والدين الإسلامي. والمهم كذلك هو دقة الإحصائيات التي أوردها المؤلف بدقة، اعتمادا على الوثائق الأرشيفية. ثم تطرق المؤلف إلى رد الفعل الوطني ممثلا في المقاومات الشعبية، والأحزاب السياسية، انتهاء بالوصول إلى قناعة الكفاح المسلح مع الثورة التحريرية الكبرى في سنة 1954م.

5- تاريخ أفريقيا الغربية الإسلامية (16م-19م) [2]

من المواضيع التاريخية والفكرية الهامة، نظرا لقلة الكتابات حول هذه المواضيع، فقد عالج المؤلف إلى تاريخ أفريقيا الغربية الإسلامية؛ نظرا للروابط المشتركة مع الجزائر ودول المغرب الإسلامي والعالم الإسلامي عموما، وقد عالج الأستاذ يحيى بوعزيز تاريخ السودان الغربي خلال العصرين الوسيط

---

(1) يحيى بوعزيز: **سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

(2) يحيى بوعزيز: تاريخ **أفريقيا الإسلامية الغربية من مطلع القرن 16 إلى مطلع القرن 19**، دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر، 2009.

والحديث، وتتبع تطور مختلف الإمارات والدول التي قامت فيه، ومظاهرها الحضارية والاقتصادية والثقافية خلال العصرين لذلك يعتبر الكتاب مميزا.

خاتمة

بعد إنجاز هذا المقال القصير حول أحد أعلام المدرسة التاريخية الجزائرية؛ المؤرخ والمفكر يحيى بوعزيز، استخلصت بعض النتائج، التي أراها مهمة، والتي يجب من المفروض توفرها في أي باحث في مجال التاريخ، وهي كالتالي:

إن حياة الأستاذ كانت حافلة وان تكوينه مر بمراحل ومحطات ساهمت في ذلك، واقصد من ذلك مراحل تعليمه والرحلات العلمية التي قام بها.

منطلق فكرة كتابة تاريخ الجزائر كانت الحفاظ على ملامح الشخصية الجزائرية وثوابتها الحضارية من عروبة وإسلام. ومحاربة الزيف الذي حاول الاستعمار الفرنسي من خلال المدرسة الغربية الحاقه بتاريخ الجزائر وإخراجه من محتواه الحقيقي. اعتمد الأستاذ على قاعدة التوثيق فمعظم أعماله العلمية كانت تنطلق من دراسة الوثائق الأرشيفية، بهدف الوقوف على الحقائق الدقيقة.

غزارة الإنتاج العلمي وهذه ظاهرة قلما نجدها عند المؤرخين والباحثين الجزائريين، سواء الكتب المنشورة أو المقالات العلمية. التنوع في الإنتاج العلمي الكتب والمقالات من جهة، وتنوع المواضيع والمضامين؛ لأن الأستاذ رغم تخصصه في التاريخ الحديث والمعاصر؛ إلا أنه كتب عن التاريخ والحضارة والفكر. الشمولية بحيث أن كتابات الأستاذ شملت كل مراحل تاريخ الجزائر من القديم إلى المعاصر والثورة التحريرية الكبرى، فوضع بذلك إطارا عاما حافظ من خلاله على تاريخ الجزائر العام أو الموسوعي.

عالج الأستاذ في مقالاته بعض المواضيع الآنية التي كانت الجزائر تمر بها في الفترة المعاصرة، أو البلاد العربية، كمستقبل التعريب في الجزائر، وقضية الساقية الحمراء وواد الذهب بالنسبة للمغرب، ولماذا لم يستفد العرب من تجارب تاريخهم، وقضايا البعد الأفريقي للجزائر، وبعض القضايا الحضارية، وغيرها.

والجميل في كتابات المؤرخ أنه كتب عن كل تاريخ الجزائر، بكل عصوره، وبكل مناطقه، ومراحله، والأجمل فيه أنه اهتم كثيرا بتاريخ الثورات والمقاومات الشعبية في الجنوب الجزائري ولم يهمل أيا منها، باعتبارها امتدادا تاريخيا وحضاريا للجزائر، على العكس من بعض الكتاب الذين أهملوا ذلك.

موقف المؤرخ يحيى بوعزيز من الحزب الشيوعي الجزائري (1935-1945)

The attitude of the historian YahiaBouaziz from the Algerian Communist Party (1936-1945)

✍دة/لهلالي سلوى
جامعة محمد لمين دباغين سطيف02

الملخص

يعتبر المؤرخ يحيى بوعزيز من رواد المدرسة التاريخية الجزائرية حيث كانت إسهاماته التاريخية إضافة قيّمة للمكتبة الجزائرية، من خلال مجموع الأعمال التي قدمها والمتعلقة بتاريخ الجزائر على فترات زمنية مختلفة، ويعتبر موضوع الحركة الوطنية الجزائرية عموما والحزب الشيوعي تحديدا أهم هذه المواضيع التي تناولها المؤرخ يحيى بوعزيز وأبدى فيه مواقف مبنية على أسس تاريخية منتقدا بشدة أفكاره ومساره السياسي.

Abstract

The historian Yahya Bouaziz - may God have mercy on him - is considered one of the pioneers of the Algerian historical school. His historical contributions were a valuable addition to the Algerian library, through his collection of publications related to the history of Algeria at different time periods. The issue of the Algerian national movement in general and the Communist Party in particular was the most important of these topics. The historian Yahya Bouaziz dealt with the case and expressed his positions based on historical facts and criticizing severely his ideas and his political career.

مقدمة

كان لي الشرف أن التقيت ذات يوم بالمؤرخ الكبير يحيى بوعزيز وأنا طالبة في قسم التاريخ بجامعة فرحات عباس في إطار ملتقى دولي حول 8ماي

1945 سنة 2005، وسررت يومها بالتقاط صورة تذكارية معه لم أكن حينها أدرك من هو علميا وبمرور السنوات وبعد أن اطلعت له على دراسات قيمة له أدركت أنّ المؤرخ المرحوم يحيى بوعزيز من رواد المدرسة التاريخية الجزائرية، وقد أسهم وبشكل كبير في كتابة تاريخ الجزائر وهذا من خلال مؤلفاته التاريخية الكثيرة والمتنوعة عن مختلف الحقب التاريخية المتعلقة بالجزائر، وقد ساهمت في تشكيل شخصيته الوطنية وحسه التاريخي عدة عوامل جعلت منه أحد أقلام المدرسة الجزائرية بإسهامه في كتابة تاريخ الجزائر من خلال العديد من المؤلفات والمقالات والدراسات الأكاديمية والأرشيفية. اهتم المؤرخ بوعزيز في مؤلفاته بنضال الحركة الوطنية الجزائرية وسياسة الإدارة الاستعمارية تجاهها، غير أنه استثنى الحزب الشيوعي من دائرة النضال الوطني بسبب مرجعياته ومواقفه السياسية التي كرست الإيديولوجية الإندماجية، حيث انتقد أفكاره التي عكستها أدبياته السياسية، وهو ما سنحاول دراسته من خلال ورقتنا البحثية هذه انطلاقا من اشكالية تتمحور حول نظرة المؤرخ يحيى بوعزيز للمرجعيات الفكرية والسياسية للحزب الشيوعي ومواقفه السياسية.

أولا/ نبذة عن المؤرخ يحيى بوعزيز

1- نسبه وتعليمه

لقد كان ميلاد المؤرخ يحيى بوعزيز في الفترة التي كانت فيها الجزائر تحت وطأت الاستعمار الفرنسي، وفي الفترة التي ولد فيها أول حزب وطني جزائري في المهجر هو حزب نجم شمال إفريقيا وفي كل الظروف التي كانت تمر بها الجزائر من نهضة فكرية وسياسية واجتماعية وإصلاحية[1].

1- بوعزة بوضرساية: **رواد المدرسة التاريخية الجزائرية**، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص 262.

ولد المؤرخ يحيى بوعزيز يوم 27 ماي 1929 في قرية الجعافرة، دائرة الجعافرة ولاية برج بوعريريج، وقد كان هو الابن الأكبر في عائلته أمه السيدة فطوم بنت الشيخ الهادي بلقاسم بن الشيخ الولي الحسين والتي كانت من مواليد سنة1909 تزوجت من الشيخ عبد الرحمان بن الشيخ الحسن بن الشيخ الحسن والد يحيى بوعزيز بعد الحرب العالمية الأولى[1].

تزوج يحيى بوعزيز من السيدة فاطمة العايب بنت الحاج الطيب التي ولدت سنة 1950 بقرية الجعافرة، أبوها كان تاجرا متنقلا وصديقا لوالد يحيى الذي كان يعرف بنشاطه المكثف خلال الثورة التحريرية، الشيء الذي أدى به إلى السجن، كما سبق الذكر فقد تزوج يحيى بوعزيز من فاطمة سنة 1962 بعد أن تعارفا لكونهما يقطنان في نفس العمارة بشارع حمو بوتليليس، وقد كان لهما بنتان الأولى زكية والثانية عائشة تعلمتا وحصلتا على شهادة الدكتوراه في الطب عام 1990 واشتغل في مستشفى مدينة برج بوعريريج عام 1991[2]، توفي يحيى بوعزيز يوم الأربعاء 7 نوفمبر 2007 بمدينة وهران عن عمر يناهز 78 سنة.

أما نسبه فهو ينحدر من عائلة أولاد بوعزيز أو آيت بوعزيز العريقة في العلم والثقافة وشرف النسب حيث ينحدر نسبها من نسل الشيخ الولي الصالح الحسين بن الشيخ عبد العزيز، وهو الأخر ينحدر من ذرية الشيخ محمد بن عبد الله الذي يوجد ضريحه ومقامه في قرية إمزراق بدائرة الجعافرة ولاية برج بوعريريج، ويذكر أن نسبهم يرجع للسيدة فاطمة بنت الرسول ﷺ،

1- حميد آيت حبوش: "**قراءة في الموروث التاريخي للدكتور يحيى بوعزيز**"، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 5، العدد7، ديسمبر 2014، ص ص 228-229.

2- المرجع نفسه، ص 229.

لقد كان جده من الأولياء الصالحين عاش في فترة الممتدة من 1765-1857 وكان له أربعة علماء هم:- الشيخ بلقاسم، الشيخ العربي، الشيخ الصالح، الشيخ محمد كانوا حافظين للقرآن الكريم وساهموا في تعليمه للأجيال القادمة، مع الإرشاد الديني والاجتماعي[1].

2- مساره العلمي

تدرج المؤرخ يحيى بوعزيز على المراحل التعليمية الرسمية، فقد كانت أول مرحلة هي المرحلة الابتدائية التي تعد من أهم المراحل التي ساهمت في تكوين شخصية يحيى حيث كانت البدايات الأولى لتعليمه على يد والده حيث حفظ القرآن الكريم، وسهر على تعلم علوم الشريعة واللغة العربية والنحو والفقه[2]، وبعد هذه المرحلة من التعليم الابتدائي انتقل إلى مرحلة جديدة من التعليم وهي مرحلة التعليم في الزيتونة في تونس من أجل الحصول على شهادة التحصيل أو التطويع، وبالفعل ففي سنة 1953 تحصل على الشهادة الأهلية بامتياز وكان الأول ومنحت له جائزة تمثلت في كتابين هما كتاب تاريخ الأدب العربي وخلاصة تاريخ تونس[3].

وعندما أنهى تعلمه في تونس انتقل للقاهرة ليكمل دراسته من أجل الحصول على شهادة ليسانس وهناك درس التاريخ العام وتاريخ مصر من أقدم

1- حميد آيت حبوش: المرجع السابق، ص ص 227-228.

2- بلقاسم ميسوم: **الكتابات التاريخية الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية 1830-1962**، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر2، 2012، ص 308.

3- يحيى بوعزيز: **رحلة في فضاء العمر أو مذكرات القرن**، ج1، ط خ، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 132.

العصور إلى قيام الثورة المصرية عام 1952، وتحصل على شهادة ليسانس[1]، وقد رجع للجزائر وكانت نالت استقلالها ليواصل مسيرة التعليم العالي واشتغل في عدة مهام ودخل سلك التدريس وفي سنة 1968، ليسجل بجامعة الجزائر بموضوع ثورة المقراني والحداد وقد حصل به على شهادة الدكتوراه[2].

ثانيا/ دخوله عالم التأليف

ترجع السنوات الأولى لبداية التأليف بالنسبة للمؤرخ يحيى بوعزيز إلى سنة 1957 وذلك راجع لعدة عوامل أثرت على المؤرخ وساعدته على دخول عالم التأليف والتي تمثلت في:

1- تكوينه الدراسي

حيث يذكر يحيى بوعزيز بأنه تكون ودرس في قرية الجعافرة وتلقى فيها تعليما أوليا على يد والده الشيخ الحاج عبد الرحمان حيث حفظ القرآن الكريم وتلقى مبادئ اللغة العربية، وفي سنة 1947انتقل لعنابة حيث أتم تعليمه الابتدائي في مدرسة خاصة ثم سافر بعدها إلى تونس ودرس بالزيتونة لينتقل فيما بعد إلى القاهرة سنة 1957 وتخصص في دراسة التاريخ أين تحصل على شهادة ليسانس سنة 1962 وبعد نيل الجزائر لاستقلالها رجع إلى البلاد واشتغل في التدريس، وفي سنة 1969 كلف بتأليف كتاب مدرسي بيداغوجي في التاريخ الحديث للسنة الأولى ثانوي، وفيما بعد قام بوعزيز باستكمال دراسته الجامعية حيث تمكن من الحصول على شهادة الدكتوراه في جامعة الجزائر سنة1976[3].

1- يحيى بوعزيز: المصدر السابق، ص ص 15-66.

2- المصدر نفسه، ص 93.

3- بن عتو بلبروات: " **الاهتمامات التاريخية للدكتور يحيى بوعزيز**"، مجلة الناصرية، المجلد 1، العدد1، جوان 2011، ص 19.

2- حسه الوطني وإيمانه بالكفاح القلمي

لقد عاش يحيى بوعزيز فترة الاستعمار الفرنسي في الجزائر بكل معاناتها كأي جزائري وطني، لذلك أدرك جيدا أن الكفاح الذي يمكن الجزائريين من التخلص من الاستعمار هو التعليم لأن الاستعمار استطاع التمكن من الجزائريين بقطع التعليم عنهم وجعلهم ضائعين في الجهل، لذلك حرص على الكفاح بالقلم ليكون أحد الرجال الأوفياء والمخلصين لوطنهم.

إلى جانب تبلور نزعته السياسية ذات المدلول الوطني بانضمامه لجبهة التجرير الوطني، كما انخرط في الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين وقد نجح كذلك في تنظيم إضراب الطلبة الجزائريين والتحاقهم بالثورة[1]، كما كان ينشط كذلك في القاهرة لكونه كان طالبا هناك فاستغل تلك الفرصة حيث خصص له حصة بإذاعة صوت العرب وقد عرف فيها بجرائم الاستعمار الفرنسي وبين أهداف الثورة ومبادئها، وبعدها أشرف على تحرير مجلة الاتحاد المسماة" **مجلة الطالب الجزائري**".

وبعد استقلال الجزائر عاد يحيى بوعزيز إلى أرض الوطن وقام بالمشاركة في بناء الدولة الجزائرية وقد كان يؤكد على ضرورة استغلال التاريخ والتراث والقلم لتحصين الأجيال الجزائرية من الأفكار التي قامت فرنسا بنشرها وسط الشباب الجزائريين، لذلك قام بالمشارك في الكثير من الملتقيات العلمية خارج الجزائر ويساهم بقلمه ليعرف بتاريخ الجزائر[2].

1- بن عتو بلبروات: المرجع السابق، ص ص 20-21.

2- المرجع نفسه، ص 21.

3- تأثره بالمفكر والمؤرخ مولود قاسم نايت بلقاسم

والحق أنه من أهم العوامل التي أثرت في شخصية يحيى بوعزيز وشجعته على التأليف هو شخصية مولود قاسم نايت بلقاسم حيث قال عنه:" **وأسجل هنا اعترافي الجميل لمولود قاسم نايت بلقاسم، لأنه هو الذي شجع قلمي على الكتابة والانطلاق في تحرير الموضوعات الوثائقية، وانتشلني وانتشل قلمي من الكسل والركود والجمود، وكان السبب حتى في تأليف بعض كتبي، انطلاقا من الموضوعات التي حررتها للملتقيات الفكرية الإسلامية ولمجلة الأصالة التي فتح مجالها لي ولغيري من الكتاب والباحثين...**".

كما كانت لديه الرغبة في التأليف والوفاء للتراث الجزائري الذي أغفله مؤرخو الحضارة وبالتالي بقاؤه مجهولا، بالإضافة إلى رغبته التعرف على أوضاع الشعب الجزائري تحت الاحتلال الفرنسي والوجود العثماني وغيرها، لذلك فكل هذه العوامل كان لها دور كبير في جعل يحيى بوعزيز مؤرخا وطنيا[1].

ثالثا/ اهتمامات المؤرخ يحيى بوعزيز بالتاريخ الجزائري

لقد اهتم المؤرخ يحيى بوعزيز بالبحث في تاريخ الجزائر معتمدا في ذلك على الإلمام بالمادة التاريخية اللازمة، لذلك ركز الباحث يحيى خلال بحثه على نقطتين هما:

أن تكون المواضيع أصيلة وبعيدة عن التكرار والاجترار لكتابات أخرى.

أن تكون متنوعة ولذلك نجد له اهتمامات بتاريخ الجزائر الوسيط، الحديث والمعاصر.

1- حميد آيت حبوش: المرجع السابق، ص ص 234-235.

ونجد من بين الاهتمامات الكتابية التي اهتم بها يحيى ما يلي:

1- البحث في التاريخ السياسي للعالم الحديث والمعاصر

قام يحيى بوعزيز بالبحث في العديد من المجالات كالبحث في أسباب الصراع الدولي الذي كان يشتد منذ الانقلاب الصناعي الذي كان في أوروبا الغربية والذي عرّض إفريقيا وأسيا وأمريكا الجنوبية للحركة الاستعمارية، لذلك قام بتأليف بعض الكتب في هذا الشأن نذكر منها:

-كتاب تاريخ العالم الحديث من فجر الصناعة إلى الحرب العالمية الثانية: كان هذا الكتاب من تأليف مشترك مع الأستاذ أحمد بن الطاهر وبلعديس بلحاج، طبع بالجزائر سنة 1969.

-كتاب الاستعمار الحديث في إفريقيا وأسيا وجزر المحيطات: طبع بالجزائر سنة 1988 وهو يعتبر دراسة مصغرة لحركة التوسع الاستعماري الحديث بمختلف جنسياته منذ فترة الاكتشافات الجغرافية.

2- البحث في التاريخ السياسي للجزائر

ركز خلال دراسته هذه على التاريخ السياسي للجزائر في عصرها الحديث والمعاصر مع بعض الاهتمام بعصرها الوسيط المتأخر، لذلك قام بتأليف العديد من الكتب منها:

-الموجز في تاريخ الجزائر الذي طبع سنة 1965.

-ثورة 1871(دور عائلتي المقراني والحداد) طبع سنة 1978 بالجزائر.

-مراسلات الأمير عبد القادر مع إسبانيا وحكامها العسكريين بمليلة طبع بقسنطينة سنة 1982.

-تلمسان عاصمة المغرب الأوسط طبع سنة 1985 بالجزائر.

3- الاهتمام بتحقيق المخطوطات وترجمة الوثائق الأرشيفية

وقد اهتم كذلك المؤرخ يحيى بوعزيز بتراث الجزائر فقام بتحقيق المخطوطات وترجمة الوثائق حيث أسهم ببحثه في وثائق العصر العثماني، فأعاد كتابة العديد من الرسائل المكتوبة باللغة التركية والاسبانية وحتى باللغة العربية وقد تمكن من سد الفراغ التاريخي من خلال ذلك[1].

رابعا/ موقف المؤرخ يحيى بوعزيز من الحزب الشيوعي الجزائري

1- موقفه من المرجعية الفكرية والسياسية للحزب

يذكر المؤرخ يحيى بوعزيز بأن الحزب الشيوعي الجزائري لا تنطبق عليه صفة الجزأرة من جانبها الوطني حيث يقول:" **وهناك تيار رابع لا نعتبره جزائري على الساحة الجزائرية وهو الحزب الشيوعي الذي يرتبط ارتباطا عضويا الشيوعي الفرنسي في فرنسا وبالأحزاب الشيوعية الأخرى في أوروبا الغربية وروسيا وتغلغل في أوساط العمال الكادحين عن طريق المنظمة النقابية الفرنسية**"[2]. ونلمس في موقفه من الحزب الشيوعي الجزائري فهمه العميق لارتباط هذا الأخير بالأفكار الشيوعية التي انتشرت في العالم أواخر القرن 19 بتبني أفكار الفيلسوف الألماني كارل ماركس وفريدريك انجلز، وتطور هذا الفكر من فكر فلسفي إلى نظام سياسي عندما تجسد في روسيا بعد نجاح الثورة البلشفية سنة 1917م، وذلك بالقضاء على النظام القيصري وقد بدأت الأفكار الشيوعية تنتشر في العالم بعد نهاية الحرب العالمية الأولى والتي تنادي بالقضاء على الفوارق الطبقية والاستغلال الإنساني والهيمنة

1- بن عتو بلبروات: المرجع السابق، ص ص 22-27.

2 - يحيى بوعزيز: **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 401.

الاستعمارية الرأسمالية على العالم التي تستغل الشعوب الضعيفة[1]. ونظرا للغطاء الاستعماري على الجزائر فقد كان انتقال تلك الأفكار والإيديولوجيات الأوروبية إلى الجزائر سهلة، حيث وجدت الطريق للتغلغل بدعم من الصحافة الفرنسية والمعارضة السياسية والمناقشات البرلمانية التي كانت تتعلق بالجزائر، رغم ذلك فإن نقص الوعي السياسي في أوساط المجتمع الجزائري كان حاجزا قويا بينه وبين هذه الأفكار، ومع ذلك فقد كان مثقفون وأشباه مثقفين قد استطاعوا باتصالاتهم المباشرة مع الفرنسيين أن يهضموا بعض هذه الأفكار والإيديولوجيات[2].

غير أنّ الجذور التاريخية للفكر الشيوعي في الجزائر تعود إلى منتصف العشرينات من القرن العشرين عن طريق تبني عدد من المهاجرين في فرنسا للأفكار الماركسية، هذا بفعل انضمامهم إلى النقابات العمالية التي كانت تابعة للتيارات اليسارية في فرنسا فتأثر بعض المهاجرين بهذه المبادئ وانخرطوا في هذه التيارات المعادية للأنظمة الإقطاعية الرأسمالية[3]. وقد انبثق الحزب الشيوعي الجزائري عن الحزب الشيوعي الفرنسي الذي كان غطائه القانوني، حيث كان أعضاءه من فرنسيين وشبان إسرائيليين وأوروبيين وأهالي جزائريين، كما كان هذا الحزب ينشط في كل من الجزائر، وهران وقسنطينة وقد استطاع

1 – بن زروال جمعة: الحركات **الجزائرية المضادة للثورة التحريرية 1954–1962**، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2012م، ص13.

2 – أبو القاسم سعد الله: الحركة **الوطنية الجزائرية**، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م، ص329.

3 – بن زروال جمعة، المرجع السابق، ص 14.

المناضلون الشيوعيون الجزائريون الاتصال بالكتل الشعبية وصرحوا بأنهم مناضلون جاءوا يستكملون طريق ونضال الأبطال الجزائريين[1].

وفي سنة 1936م استطاع الجزائريون الانفصال عن الحزب الشيوعي الفرنسي، وعكست هذه التسمية أي تسمية الحزب "**الحزب الشيوعي الجزائري**" محاولة إضفاء الصبغة الوطنية على الحزب، وتعززت بترقية جزائريين إلى مناصب المسؤولية مثل عمار أوزقان وبن علي بوقرط، ليكونوا وسطاء بين الجزائريين والمسلمين وإيصال الدعاية الشيوعية لأبناء وطنهم بمخاطبتهم باللغة التي يفهمونها[2].

أما الناشطون في هذا الحزب فقد تميزوا بتأثرهم الكبير بالأفكار والأطروحات الاستعمارية الفرنسية وذلك لأنهم درسوا في المدارس الفرنسية، بالإضافة إلى تأثرهم الكبير بالإيديولوجية الشيوعية التي كانت تنتشر في تلك الفترة وكانت في أوج عصرها وانتشارها هذا ما جعل لها كل الأثر على الطلبة المفرنسين الذين لم يكونوا متشبعين بالثقافية الوطنية العربية[3].

2- من خلال المطالب

لقد ركز يحيى بوعزيز من خلال كتابه الإيديولوجيات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية من خلال ثلاثة وثائق جزائرية على إيديولوجية الحزب الشيوعي لذلك فقد حددها في ثلاثة نقاط، والتي تمثلت في عمله على حماية

1-Robert Montagne : La Fermentation des partis politique en Algérie.politique Etrangère ; Anneè 1997 ; v2 ; N02 ;(http // www. Perseè. Fr.

2 -مصطفى أوعامري: "**الحزب الشيوعي والمسألة الوطنية 1920-1954**"، مجلة الحضارة الإسلامية، المجلد 17، العدد 29، جوان2016، ص458.

3- أحمد بن نعمان: فرنسا **والأطروحة البربرية في الجزائر**، منشورات دحلب، د.ت، ص 118.

المصالح والسيادة الفرنسية بالجزائر بأي ثمن وأي شكل وعدم السماح بالنيل منهما مهما كانت الحيثيات، بالإضافة إلى المطالبة ببعض الإصلاحات الشكلية فقط والتي لا تعبر عن المشكل الرئيسي للأهالي الجزائريين[1].

وهذا ما يمكن لمسه من خلال الأهداف والمبادئ التي كان يناضل من أجلها الحزب الشيوعي الجزائري حيث كانت مطالبه اجتماعية بحتة، ومنه فالمتتبع لتاريخ الحركة الوطنية الجزائرية يجد الاختلاف الذي وجد في كل الاتجاهات الوطنية الجزائرية والأمر الذي وحدها هي تلك القضية التي كان يناضل من أجلها وهي قضية الشعب الجزائري الذي اعتبرت نفسها دائما ممثلا له للتعبير عن آماله وطموحاته[2].

لقد كان الحزب الشيوعي الجزائري بعيدا عن الام الشعب رغم أنه كان يناضل نظريا من أجل قضية الشعب الجزائري ولم يستطع الاقتراب منه وظلّ يناضل من أجل الطبقة العمالية، حيث كان نشاطه موجها لتلك الطبقة الكادحة في المجتمع الجزائري من محرومين والفقراء فكان يصور حالة اليأس والانحطاط التي وصل إليها الشعب الجزائري في ميادين حياته (الاجتماعية، الاقتصادية والثقافية)، وقد كانت مطالبه الأساسية ترتكز على محاولة تحسين الأوضاع اليومية في إطار الكفاح الاجتماعي، لذلك فهناك من اعتبر أن الحزب الشيوعي الجزائري كان عبارة عن منظمة نقابية أكثر من كونه حزبا

---

1 –يحيى بوعزيز: **الإيديولوجيات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية من خلال ثلاثة وثائق جزائرية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص9.

2–مومن العمري: **الحركة الثورية في الجزائر، 1926–1954**، دار الطليعة للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2003، ص 58.

سياسيا[1]. كانت نظرة الحزب الشيوعي الجزائري للواقع الأهلي وحلوله التي لا يمكن ان تتحقق إلا في ظل السلطة الفرنسية لأنه كان يرى فيها سبيلا للخلاص من هذه الأوضاع السيئة، ومن هذا المنطلق كان الحزب الشيوعي الجزائري يوجه دعوة صريحة للتماهي في الحضارة الفرنسية، كما أن الحزب الشيوعي الجزائري كان يرفض أفكار ابن باديس المتمثلة في الثلاثية التي قدسها الشعب الجزائري (الإسلام، اللغة، الوطن)، هذا الرفض جعلهم ينبذون الشيوعيين وأفكارهم[2] . ومن خلال هذا تمثلت المبادئ والأهداف التي سطرها الحزب طيلة فترة نضاله الماضية في:

– المطالبة بالمساواة في الحقوق بين الجزائريين والفرنسيين في الإطار الاتحاد الفرنسي مؤقت في انتظار تكوين دولة جزائرية اشتراكية مستقلة تضم كل الساكنين فيها مسلمون فرنسيون ويهود على غرار الجمهورية السوفيتية.

– المطالبة بجنسية مزدوجة جزائرية فرنسية.

– تكوين برلمان جزائري بمفهوم الحزب الشيوعي له الحق في التشريع ويتشكل بالتساوي من ستين نائبا جزائري وستين نائب فرنسي.

– إقامة حكومة يرأسها شخص منتخب من قبل البرلمان بمحلي وأن يكون لفرنسا ممثلا في الجزائر.

– تكون اللغتين الفرنسية والعربية رسميتين في الجزائر.

– استقلال داخل الحزب وليس استقلال تام.

– إقامة جبهة مشتركة مع الأحزاب الوطنية.

1– مومن العمري: المرجع السابق، ص 42.

2– فرحات عباس: **حرب الجزائر وثورتها، ليل الاستعمار**، تر: أبو بكر رحال، مطبعة فضالة، المهدية، المغرب، د–ت، ص 345.

– الدعوة إلى قيام ثورة من الفلاحين ضد الإمبريالية والإقطاع وإقامة الصراع الطبقي ضد البرجوازية الاستعمارية.

– استقلال العامل الجزائري في إطار الشيوعي العالمي.

كما كانوا يرون بأن تحرير الجزائر مرهون بتحرير فرنسا من أيدي البرجوازية[1].

– رفع مطلب إلغاء قانون الأنديجينا.

– المساواة في الحقوق السياسية والنقابية بين الأهالي والأوروبيين.

– فصل الدين عن الدولة.

– المطالبة بوضع حد لنزع الملكية ومصادرة الأراضي وإلغاء الضرائب والديون في الأسواق وإنشاء صناديق لمساعدة الفلاحين[2].

إن جل هذه المبادئ والأهداف كانت كلها محور اهتمام مناضلي الحزب الشيوعي الجزائري التي لم يكن لها أي تأثير على الأحزاب الأخرى، وقد رد عليها مصالي الحاج وأنصاره بأنها نوع من العمالة والخيانة ووصفها بقمة الخضوع والذوبان في الشخصية الفرنسية الاستعمارية.

3– نظرته لمفهوم الأمة الجزائرية في الخطاب الشيوعي

يذكر المؤرخ يحيى بوعزيز كذلك بعدم تسليم هذا الحزب لوجود شعب جزائري موحد حتى لا يكون ذلك مبررا للتسليم بمطالبه الوطنية، وهو الشيء الذي كان يؤكده بأن السكان الجزائريين يتألفون من مجموعة أعراق وهو لا يعترف بكلمة الشعب ويؤكد ذلك من خلال قول الجنرال ديغول في تصريح تقرير المصير الجزائري يوم 16 نوفمبر 1959: بأن الجزائر لا يوجد به شعب

1–عمار بوحوش: **التاريخ السياسي من البداية إلى غاية 1962**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 280.

2– محمد الميلي: **المؤتمر الإسلامي الجزائري**، ط1، دار هومه، الجزائر، 2006، ص 116.

موحد وإنما هناك عرب قرطبة وعرب الشام والقبائل، الشاوية، الميزابيون وغيرهم من الشعوب الأخرى.

ونظرا لسيطرة أفكار الحزب الشيوعي الفرنسي على الحزب الشيوعي الجزائري فإن نظرته إلى الأمة الجزائرية كانت مبنية على قناعة تاريخية بأنها أمة لم تتكون وهي بحاجة لوجود فرنسا حتى أن الحزب بدوره لا يتصور نفسه بعيدا عن الحزب الأم، وهذه الفكرة يؤكدها التصريح الذي أدلى به الأمين العام للحزب عمار أوزقان الذي يقول: "**تطلب من الحزب الشيوعي الفرنسي أن يبقى دليلنا ومرشدنا لأننا نقتنع بالاستقلال الداخلي للحزب عن أخيه الأكبر ولا نريده استقلال تاما عنه**"[1] .

وهذا ما عكسته الإيديولوجيات التي وضعها الحزب الشيوعي الفرنسي هو الإطار العام لنشاط الحزب الشيوعي الجزائري وحدد معالمه المتمثلة في:

- عدم التسليم بوجود شعب جزائري أو أمة جزائرية.
- العمل على حماية المصالح الفرنسية بالجزائري مهما كانت الظروف.
- هذه الإصلاحات التي طالب بها الحزب، لا تمس إطلاقا بسيادة ومصالح فرنسا.

ومن خلال هذه المعالم نجد أن الحزب الشيوعي الجزائري لا يرتبط بالمسألة الوطنية خاصة وأنه كان يطالب بالإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية لا للشعب الجزائري الذي لا يعترف به الحزب، بل لكل العرب والقبائل القطنيين في الجزائر وكانوا يعتبرون المسلمين الذين يثيرون مسألة المواطنة الجزائرية و يعملون من أجل استقلال الجزائر إنما هم يعملون ضد مصلحتها وهم في خدمة

1- مولود قاسم نايت بلقاسم : **ردود الفعل الأولية على أول نوفمبر داخلا و خارجا أو بعض مآثر نوفمبر**، ط1، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، ص ص 43-44.

الامبريالية الأجنبية، وأعلن الشيوعيون شعار أن الجزائر المنفصلة عن فرنسا تعني الجزائر العربية والجزائر في وحدة عربية تعني وقوعها تحت سيطرة الامبريالية الأجنبية، بالإضافة إلى تبرير الحزب الشيوعي الجزائر عن تخليه وعدم اعترافه بفكرة الوطن الجزائري والجنسية الجزائرية وذلك على حد قولهم بأن الجنسية الجزائرية لا يمكن أن تطرح في ذلك الوقت لوجود عدة عناصر يتكون منها أصحاب هذه الجنسية من أوروبيين ومسلمين ويهود وهم يحاولون الذوبان مع بعضهم البعض ثم يتكون شعب جزائري ومنه فالأمة الجزائرية لا وجود لها[1]. وبهذا فإن الأمة الجزائرية لا تزال في إطار التكوين وهذا التكوين لا يمكن أن يكتمل خارج دائرة الأمة الفرنسية فالشعب الجزائري مرتبط بالشعب الفرنسي والاستقلال الحقيقي لا يتم إلا باستقلال وتحرير فرنسا من النازية والفاشية أولا، ومنه فمفهوم الثورة والتحرر عند الشيوعيين الجزائريين يتضمن مقاومة النازية ثم مقاومة الاستعمار فهما وجهان لعملة واحدة فلا يمكن التخلص من الاضطهاد القومي والطبقي والظلم الاجتماعي إلا بالتخلص من النظام الرأسمالي[2].

كان الحزب الشيوعي يستغل المقوّمات الهوياتية الجزائرية من أجل كسب الطبقات الشعبية، و يرى سيفان ايمانويل بأن هذا الموقف ما هو إلا مجرد مناورة دعائية حتمتها العراقيل والمعوقات التي اصطدم بها الشيوعيون، حين حاولوا التغلغل في صفوف المجتمع الجزائري وقد فعلوا ذلك بنصيحة من

---

1 – شريط عبد الله: **مع الفكر السياسي الحديث والمجهود الأيديولوجي في الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986م، ص ص 139–142.

2 -Charies Robert Ageron : **Le parti communiste Algèrien de 1939-1943** ; in :vingtième siecie ;revue d'histoire ;n 12 ;octo/dec1986. P40.

لازوراي رئيس الفرع الاستعماري للحزب الشيوعي الفرنسي في الجزائر[1]، بالنسبة للتعليم الذي بقي مفهومه عاما لكل الأطفال لكن مادامت هذه الأمة تشكل مزيج من عشرين عنصرا فإن هذه القضية تبقى غامضة وتكتفي بالتنظير لتعليم يكوّن الطفل تكنولوجيا وعلميا على خطى الإيديولوجية الماركسية[2].

أما عن موقفهم من الإسلام فهم يرفضون اعتبار الإسلام عنصرا في هوية الأمة الجزائرية التي هي في طور التكوين ووصلوا إلى درجة حتى رفضهم وصف الحضارة الإسلامية في الجزائر بأنها ذات طابع إسلامي، وفضلوا تسمية الحضارة العربية البربرية، رغم وجود بعض العناصر التي تدرك جيدا قيمة الدين كعامل محرك في المجتمع لهذا كانت حذرة في هذه المسألة ويبرر عمار اوزقان هذا الرفض للإسلام باعتبار أن المناضلين الشيوعيين الجزائريين أساسا درسوا في نفس الوقت القرآن إلى جانب الماركسية[3].

كما امنوا بعمق بالموروث الثقافي الفرنسي وهي نظرة تطابق رأي الإدماجي رابح زناتي عندما صرح: "**إننا نقاتل كي نستجيب لتعليمات القرآن الذي يأمرنا بمحاربة الظلم والوقوف في وجه الطغاة (...) تقاتل للحفاظ على مصالحنا المرتبطة بمصالح فرنسا، ولكي ننقذ موروثنا الفكري، هذا الموروث الذي نسج بصبر منذ دخول الفرنسيين**"، ولا يقصد بالموروث الفكري هنا طبعا العربي الإسلامي، بل الفرنسي الذي زرع وفق مشاريع مرحلية وفيما يتعلق

1- Sivan Emmanuel: **communisme et nationalisme en algérie (1920-1962) ,** presse de la fondation national des sciences politiques ,paris ,1962, pp 108-109.

2 –لونيسي رابح: **التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف 1920–1954**، دار كوكب العلوم، الجزائر ،2009، ص 419.

3 – المرجع نفسه، ص405.

بقضية الدين الإسلامي فقد صرح العربي برأيك في جريدة الجزائر الجمهورية، في مقال بعنوان "**هل يمكن إدخال الدين في مطالبنا**"[1] وقد جاء فيه: "**إن المعتقدات المتنوعة والتصورات المختلفة لنفس المعتقد تبرز مدى هشاشة الرابط الديني كعامل وحدة وعمل إذ تأملنا أثار الدين هو خطر على حركة تطور الجماهير (...) إن كان من ينشدون التطور ويتباكون على بعض المعتقدات وعلى بعض الممارسات وعلى الدور الذي يلعبه المسجد و يجمعون على أن هذه الوضعية عائق حقيقي أمام التطور، عندئذ أنى لنا الحديث عن الدين والرقي في الوقت نفسه، تقولون نريد تشبيب الدين، إصلاحه حتى لا يكون عائقا بل أداة تقدم، على أية حال (...) إنكم بذلك تخاطرون في الجزائر ببعث ظاهرة عرفتها فرنسا، وهي الحروب الدينية (...) من الفائدة أن يكون الدين شأنا خاصا جدا، لا ينبغي الخلط بين مؤمن ومواطن هذا التميز أساسي (...) هل نحتاج إلى التذكير بالثورة والعمل الجبار اللائكي لأتاتورك الذي جرد الكنيسة الإصلاحية من عبء التعليم، بل ذهب إلى حد اعتماد القانون المدني السويسري** "[2].

خاتمــة

لقد كان يحيى بوعزيز من المؤرخين الذين اهتموا بكتابة التاريخ الوطني، وقد ساهمت عدة عوامل في جعله يدخل عالم الكتابة والتأريخ لذلك ساهم بكتاباته في إحياء تاريخ الجزائر في فتراته المختلفة، بالاعتماد على الوثائق والمخطوطات وجعلها مصدرا من مصادر كتابة تاريخ الجزائر.

1- C.A.O.M.9H53: le sous préfet de l'arrondissement de setif a monsieur le préfet , le 21/11/1939.

2- C.A.O.M.10H53.GGA,B.M.P.I.A,cité dans le journal Alger républicain , le mercredi 12/07/1939.

كما اهتم المؤرخ يحيى بوعزيز بعدة قضايا وطنية جزائرية وأبدى عدة مواقف ومن بين هذه القضايا التي اهتم بها قضية الحزب الشيوعي والذي أبدى رأيه حولها واستنتج بأن إيديولوجية الحزب الشيوعي الجزائري ماهي إلاّ خدمة مصالح الأقلية الفرنسية، وتقديم بعض الإصلاحات البسيطة وذلك من خلال ارتباطه العميق بالأفكار الشيوعية الفرنسية والمدرسة الفرنسية التي شكلت مرجعيته الأساسية، وهو ما جعل نشاطه لا يخرج عن دائرة التظلمات والمناداة بمطالب لا علاقة لها بواقع المجتمع الجزائري أنذاك، كما كانت مواقفه سلبية حول ما تعلق بالأمة والتاريخ وإنكار الهوية الجزائرية ودوائر انتمائها من خلال التصريح بأنّ الشعب الجزائري هو مزيج مركب وليس شعبا واحد كاملا في طور التكوين، ولهذا اقصاه المؤرخ يحيى بوعزيز من الاتجاهات الوطنية الجزائرية.

جهود يحيى بوعزيز وإسهاماته في الكتابة عن تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء

Yahya Bouazizi's efforts and contributions to writing about The history of sub-Saharan Africa

د/ الطاهر خالد
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

الملخص

لا يمكن لأي دارس أو باحث في الجامعة الجزائرية أن يتجاهل الأعمال الأكاديمية المتميزة ليحيى بوعزيز، التي جعلت منه مرجعا في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر فهو من ألمع مؤرخيها. إلا أننا في هذه الورقة البحثية سنحاول إبراز ما أسهم به من تأليف عن تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء الذي أثرى به المكتبة الجزائرية والإفريقية، خاصة وأن الرجل كانت تآليفه عن تاريخ هذه المنطقة في خضم مرحلة ما بعد الاستقلال وإلى غاية نهاية القرن العشرين، حيث عرفت فيها الجامعة الجزائرية عدم اهتمام باحثيها بمثل هذه الدراسات، وظلت مجهوداتها محدودة إذا ما قارنا ذلك بما بذلته الدول المغاربية والعربية والأوروبية في هذا الفضاء. رغم علاقات التواصل الحضاري التي ربطتنا بالمنطقة منذ القدم. فقد أنجز يحيى بوعزيز كتابين عالج فيهما العديد من القضايا التي مرت بها المنطقة، بالإضافة إلى مجموعة من المقالات صدرت في مجلات وطنية ودولية. لهذا وجب علينا أن نبين بعض الجوانب من حياته، واهتماماته بتاريخ إفريقيا، وأهم القضايا التي تطرق لها.

الكلمات المفتاحية: يحيى بوعزيز؛ إفريقيا جنوب الصحراء؛ الاستعمار الأوروبي.

Abstract

No student or researcher at the Algerian University can ignore the distinguished academic works of Yahya Bouaziz, which made him a reference in the modern and contemporary history of Algeria, as he is one of its brightest historians, but in this research paper we will try to highlight what he contributed to in the authoring about the history of sub-Saharan Africa that he enriched with The Algerian and African Library, especially since the man was writing about the history of this region in the midst of the post-independence phase and until the end of the twentieth century, where the Algerian University knew the lack of interest of its researchers in such studies and its efforts remained limited if we compare that with what the Maghreb, Arab and European countries made in this space Despite the civilizational communication relations that have linked us to the region since ancient times, Yahya Bouaziz wrote two books in which he addressed many of the issues that the region went through, in addition to a group of articles published in national and international magazines. Therefore, we have to clarify some aspects of his life and his interests in the history of Africa and the most important issues he addressed.

Key words: Yahya Bouaziz; Sub-Saharan Africa; European colonization.

مقدمة

لا يسعنا في هذه الورقة البحثية إلا أن نتحدث عن قامة من قامات المؤرخين الجزائريين الذي خلف وراءه رصيدا تاريخيا من الكتابات، سواء في مجال التأليف أو التحقيق أنار بها الجامعة والمكتبة الجزائرية بفكره، إنه رجل العلم والتعليم يحيى بوعزيز رحمه الله، الذي جمع بين التدريس الجامعي والبحث في التاريخ من جوانبه ومراحله المختلفة، ليظفر بلقب مؤرخ، فهو يتبوأ درجة عالية من العلم ومرتبة مرموقة في الكتابة التاريخية، وهذا لأصالة مواضيعه وعمق رؤيته الحضارية، فقد قضى ما يزيد عن خمسة عقود من حياته في العطاء للساحة الفكرية والعلمية. وجهوده لم تسقي التاريخ الجزائري فقط بل جاءت متنوعة، فعلى الرغم من الضباب المتراكم على تاريخ إفريقيا جنوب

الصحراء في الجامعة الجزائرية في ذلك الوقت إلا أنه أسهم بكتابين عن تاريخها، حملت بين طياتها العديد من القضايا التاريخية التي مرت بها المنطقة محاولا معالجتها، ناهيك عن العديد من المقالات، والتي صدرت في مجلات مختلفة، بالإضافة إلى مشاركته في بعض الملتقيات والمؤتمرات الوطنية والدولية ومن واجبنا اليوم كباحثين أن ندرس عصارة فكره ونتاج قلمه عن تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء. ومن هذا المنطلق نطرح التساؤل التالي: **ما مدى إسهام يحيى بوعزيز في الدراسات الإفريقية بالجامعة الجزائرية؟ وهل استطاع أن يزيل النقص الذي عان منه هذا التخصص بجامعاتنا؟ وكيف غطى القضايا التي عالجها؟**

وبناء على ما تقدم فإننا ارتأينا أن نعالج هذا المقال مركزين فيه على أربع محاور أساسية، البداية كانت حول التعريف بيحيى بوعزيز، ثم تطرقنا إلى مكانته والثناء عليه. كما أثرينا مقالنا بالحديث عن إفريقيا جنوب الصحراء في الدراسات الجزائرية (1962-2000)، وفي الأخير عرجنا على إنجازاته في هذا المجال.

أولا/ التعريف بيحيى بوعزيز

1- مولده ونشأته

ولد يحيى بوعزيز يوم 27 ماي 1929 بالجعافرة بولاية برج بوعريريج [1]، تأثر منذ صغره بمحيطه الاجتماعي، الذي لم يكن يختلف عن الوضع العام للبيئة الاجتماعية للمجتمع الجزائري التي كانت غالبيتها تفضل تعليم أبنائها في الزوايا والكتاتيب. حفظ القرآن في سن مبكرة، وهذا ما خول له أن

(1) يحيى بوعزيز: **رحلة في فضاء العمر أو مذكرات القرن**، ج1، الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2009، ص87.

يصلي التراويح بسكان القرية خلال شهر رمضان، وتثقف ثقافة عربية أصيلة على يد والده الشيخ عبد الرحمن [1]. بعد ذلك انتقل إلى عنابة المعروفة بإرثها العلمي والتعليمي عام 1947، وزاول تعليمه الابتدائي في مدرسة خاصة إلى غاية 1949، سافر بعدها إلى تونس ودرس بمعهد الزيتونة إلى غاية 1956 [2]. حصل على الشهادة الأهلية بامتياز عام 1953، وعلى شهادة البكالوريا عام 1956 [3]. وأثناء إقامته بتونس اشتغل بميدان الصحافة فنشر العشرات من المقالات في الصحف والمجلات التونسية [4]، ونشر كتابا عن جهاد الأمير عبد القادر عام 1957، وكان عضوا في الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين ورئيس اللجنة الثقافية بتونس. انتقل إلى القاهرة عام 1957 ليلتحق بكلية الآداب لتحضير شهادة ليسانس في التاريخ وبقي هناك إلى غاية 1962، وشارك في إذاعة حصص من إذاعة "**صوت العرب**" [5] ليشهر بجرائم الاستعمار الفرنسي ويروج لمبادئ وأهداف الثورة الجزائرية وحق الشعب الجزائري في حريته وكرامته كباقي شعوب العالم. ومجددا ترأس اللجنة الثقافية

(1) حميد آيت حبوش: "**قراءة في الموروث التاريخي للدكتور يحيى بوعزيز**"، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 05، ع/2، (جامعة جيلالي الياس سيدي بلعباس–الجزائر)، ديسمبر 2014، ص230.

(2) يحيى بوعزيز: المصدر السابق، ص ص104، 108.

(3) عبد القادر جيلالي بلوفة: "**رأي المؤرخ يحيى بوعزيز في اكتشاف المنظمة الخاصة**"، المجلة الناصرية للبحوث الاجتماعية والتاريخية، المجلد 01، ع/01، (جامعة معسكر–الجزائر)، جوان 2011، ص125.

(4) يحيى بوعزيز: المصدر السابق، ص149.

(5) بلوزاع براهمة: "**يحيى بوعزيز وجهاد الكلمة 1956–1962**"، المجلة الناصرية للبحوث الاجتماعية والتاريخية، المجلد 01، ع/01، (جامعة معسكر–الجزائر)، جوان 2011، ص168.

للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، وأشرف على تحرير مجلة الإتحاد المسماة "**مجلة الطالب الجزائري**" [1]. وعند عودته إلى الوطن عام 1962 حصل على دكتوراه الدرجة الثالثة في التاريخ الحديث والمعاصر عام 1976 [2]. توفي يوم الأربعاء 07 نوفمبر 2007 بوهران عن عمر ناهز 78 سنة بعد حياة علمية حافلة.

2- وظائفه الإدارية والعلمية التي شغلها

اشتغل يحيى بوعزيز عام 1963 بمهنة التدريس وعين عضوا في لجنة التأليف المدرسي الوزارية. وكلف عام 1969 بوضع كتاب مدرسي في التاريخ الحديث للسنة الأولى من التعليم الثانوي. وكان أستاذا للتاريخ الحديث والمعاصر في جامعة السانيا بوهران، حتى تقاعد أواخر عام 1996. وكان عضو مؤسس لاتحاد الكتاب الجزائريين، وعضو في اتحاد المؤرخين الجزائريين.

3- أهم أعماله

تنوعت مؤلفات يحيى بوعزيز بين التأليف والتحقيق، ونظرا لحجم الموضوعات التاريخية والسياسية والاقتصادية والثقافية والفكرية التي طرقها في أزمنة وعصور مختلفة تميز انتاجه العلمي بالجدية وهذا موضح في الجدول:

---

(1) بن عتو بلبروات: "**الاهتمامات التاريخية للدكتور يحيى بوعزيز**"، المجلة الناصرية للبحوث الاجتماعية والتاريخية، المجلد 01، ع/01، (جامعة معسكر-الجزائر)، جوان 2011، ص21.

(2) سليمان قوراري: "**يحيى بوعزيز ودوره في إبراز أعلام الجزائر ومأثرهم**"، مجلة رفوف، المجلد 03، ع/03، (جامعة أحمد دراية أدرار-الجزائر)، سبتمبر 2015، ص230.

المؤلفات المحققة	المؤلفات المطبوعة	المقالات	الملتقيات الوطنية والدولية
04 (أنظر الملحق رقم01)	15 (أنظر الملحق رقم02)	112 (أنظر الملحق رقم03)	10 (أنظر الملحق رقم 04)

ثانيا/ مكانة يحيى بوعزيز والثناء عليه

عرف يحيى بوعزيز بنشاطه العلمي ونبوغه وفكره الواسع في التاريخ الحديث والمعاصر، حيث انبرت أقلامه في هذا الباب، فأعطت لنا باقة متميزة من الكتب والمقالات، فكون بذلك شخصية اعتبرت من أهم أقطاب العلم في الجزائر، فقد أجمع المؤرخين الجزائريين الذين عاصروه على سمو مكانته وعلو قدره وسعة علمه وحسن سيرته ومنهم:

يقول عنه أستاذه أبو القاسم سعد الله رحمه الله: "**هو مكثر في التأليف في تاريخ الجزائر الحديث بحيث تناول التاريخ الوطني والتاريخ الوثائقي الذي يتناول الجزائر وعلاقاتها بدول الجوار (إسبانيا، فرنسا، إفريقيا)، كما اهتم بالوثائق المتعلقة بتاريخ الثورة، وقد كتب عن تاريخ الثورة بينما ظل بعض المؤرخين حذرين من تناوله إلى حد الآن...**" [1].

كما قال عنه عبد الرزاق قاسوم رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: "**لقد كان يحيى بوعزيز وطنيا حتى النخاع**" [2].

---

(1) جمال بوطي: "**المؤرخ يحيى بوعزيز وإسهاماته في كتابة التاريخ الوطني الجزائري (2007-1929)**"، مذكرة ماستر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2016، ص40.

(2) المرجع نفسه، ص40.

وما قاله صديقه فيه غازي الشمري: "**عرفته جد وقت العمل لا يعرف دعة ولا يستوطن راحة وإن ركن إلى الراحة بعد جهد أو قبل جهد ربما مال إلى الدعابة والنكتة ليخفف عن نفسه عبء العمل الذي قام به أو ينتظره...**" [1].

كما قال عنه زميله عبد القادر بوباية: "**الدكتور يحيى بوعزيز واحد من رواد قسم التاريخ بجامعة وهران السانية حيث ساهم منذ التحاقه بها في تكوين ألاف الحاملين لشهادة الليسانس في التاريخ الذي غرس فيهم روح الوطنية وحب الجزائر. كما ساهم بفضل عشرات الكتب التي ألفها والمقالات التي نشرها في المجلات الوطنية والدولية، وعشرات المحاضرات التي ألقاها في الملقيات الوطنية والدولية في إثراء المكتبة الجزائرية خاصة، والمكتبات العربية عامة**" [2].

أما عن تلميذه مبخوت بودواية ذكر لنا أنه: "**اشتغل خلال إقامته بتونس في ميدان الصحافة ثم أستاذا للتاريخ الحديث والمعاصر جامعة السانية وهران وكان لنا الشوق أن تتلمذنا على يده**" [3].

---

(1) غازي الشمري: "**يحيى بوعزيز في ذكرى وفاته** "، مجلة عصور، المجلد 06، ع/02، (جامعة وهران 01–الجزائر)، ديسمبر 2007، ص15.

(2) عبد القادر بوباية: "**إسهام الدكتور يحيى بوعزيز في التأريخ للجزائر في العصر الوسيط: الموجز في تاريخ الجزائر نموذجا**"، مجلة عصور الجديدة، المجلد 04، ع/13، (جامعة وهران 01– الجزائر)، أفريل 2014، ص214؛ وأيضا عبد القادر بوباية: "**الدكتور يحيى محققا: كتاب روضة النسرين نموذجا**"، المجلة الناصرية للبحوث الاجتماعية والتاريخية، المجلد 01، ع/01، (جامعة معسكر–الجزائر)، جوان 2011، ص63.

(3) مبخوت بودواية: "**قراءة وصفية في كتاب تلمسان عاصمة المغرب الأوسط للدكتور يحيى بوعزيز**"، المجلة الناصرية للبحوث الاجتماعية والتاريخية، المجلد 01، ع/01، (جامعة معسكر– الجزائر)، جوان 2011، ص43.

وقال عنه أيضا أحد تلامذته عابد سلطانة: "...**كان أستاذنا غزير الإنتاج، حيث نشر عديد البحوث والمقالات والمحاضرات، والتي كان ينشطها عبر الملتقيات الوطنية والدولية، فبلغ بذلك مجموع مقالاته وبحوثه المنشورة في مختلف المجلات والدوريات العلمية، ما يناهز الثمانين (80) مساهمة بين دراسات ومقالات ومحاضرات**" (1).

كما أعجب به أحد طلبته بلوزاع براهمة فذكر عنه: "...**عرفت الدكتور يحيى بوعزيز مقدما لحصة إذاعية حول تاريخ الجزائر من محطة وهران الجهوية فأعجبت بطريقة تقديمه للحصة، ثم تقربت منه أكثر وأنا طالب بمعهد التاريخ بوهران فحصل لي الشرف أن تتلمذت على يديه واحترمته، وزاد احترامي له حينما عرفته وهو طالب بالبلاد التونسية لقد عايشته من خلال ما خلفه من أثر في صحافة تونس أيام الثورة التحريرية**" (2).

ووصفه عبد الله مقلاتي قائلا: "**المناضل والمؤرخ يحيى بوعزيز... كان طالبا نشطا في تونس والقاهرة، يهتم بالنشاط الطلابي والثقافي...**" (3).

ثالثا/ إفريقيا جنوب الصحراء في الدراسات الجزائرية (1962-2000)

تدخل اسهامات يحيى بوعزيز في حقل التأليف عن إفريقيا جنوب الصحراء ضمن مرحلة شهدت فيها الجامعة الجزائرية نقص اجتهاد باحثيها في هذا الفضاء، وذلك طيلة مرحلة عطائه العلمي. حيث عرفت هذه المرحلة وضعا

(1) عابد سلطانة: "**المؤرخ الدكتور يحيى بوعزيز ومصادر التاريخ الجزائري مخطوط طلوع سعد السعود في أخبار وهران وخزنها الأسود**"، المجلة الناصرية للبحوث الاجتماعية والتاريخية، 2011، ص103.

(2) بلوزاع براهمة: المرجع السابق، ص165.

(3) عبد الله مقلاتي: **قاموس شهداء وأبطال الثورة الجزائرية**، منشورات مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، 2020، ص ص123، 124.

مغايرا عن الدراسات التاريخية الأخرى، خاصة ما تعلق بقضايا التاريخ الجزائري الحديث والمعاصر، وربما يعود ذلك إلى غياب أساتذة متخصصين وضعف التأطير في هذا المجال. وافتقار المكتبات الجزائرية إلى وثائق ومصادر متعلقة بهذا التخصص؛ وأيضا عدم وجود معهد خاص بالدراسات الإفريقية إلى يومنا هذا.

وسنحاول من خلال هذا العمل رصد معالم الإسهامات التي قدمها الباحثون الجزائريون الذين عاصروا يحيى بوعزيز في التأليف أو التحقيق في مجال الدراسات الإفريقية والذين أشفو غليلها في الجامعة الجزائرية بمجهوداتهم المتمثلة في حركتهم العلمية النشيطة وانتاجهم العلمي بأشكاله المختلفة، وقراءتهم لواقع البحوث في هذا التخصص.

1-الجهود البحثية الفردية

من بينهم المجاهد والباحث والمؤرخ عبد القادر زبادية (توفي في 2013/04/03) الذي يعتبر من الطلبة الناشطين في إطار جمعية البعثة الجزائرية الزيتونية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بتونس [1]، الذي زاول دراسته العليا بجامعة بغداد. وواصل دراسته إلى أن نال شهادة الدكتوراه الدور الثالث بجامعة الجزائر بقسم التاريخ تحت عنوان "**مملكة سنغاي في عهد الأسقيين 1493-1591**" ناقشها بتاريخ 1970/05/06 [2].

ثم تحصل على دكتوراه دولة في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر بجامعة كمبريدج بلندن سنة 1974 وخصص أطروحته لدراسة شخصية "

(1) خير الدين شترة: **معجم أعلام الجزائر خرجي الجامع الأعظم بتونس**، ط1، ج2، الجزائر: منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2015، ص79.

(2) **مجلة الدراسات التاريخية**، ع/1، (الجزائر)، السنة الأولى، 1986، ص179.

The Career and Correspondence of AHMAD AL-BAKKAY of Timbuctu-an Historical Study of his Political and Religious Rôle from 1847 to 1866". كما قدم مجموعة من الدراسات التي تناولت تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء ومنها:

كتاب "**مملكة سنغاي في عهد الأسقيين 1493م-1591م**" وهي في الأصل أطرحته في الدكتوراه كما أشرنا إليها سابقا، تناول فيه تاريخ مملكة سنغاي من بداية حكم الأسقيين إلى غاية سقوطها على يد السعديين، كما تطرق إلى التطور السياسي للمملكة وأبرز حواضرها، وواقع النظام القضائي والتعليمي وازدهار الحركة الفكرية والعلمية بها، صدر سنة 1971.

كما حقق "**أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي**" لمحمد بن عبد الكريم المغيلي، التي كتبت حوالي (907هـ/1501م) في مدينة غاو العاصمة السياسية لسنغاي، والمخطوط عبارة عن أجوبة للأسئلة السبع التي سُئل عنها المغيلي من قبل أسكيا محمد توري ملك السنغاي. نشره سنة 1974. وأعاد نشره سنة 1989 في كتاب: "**الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء-دراسات نصوص-**".

وآخر ما أصدره كتاب "**دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء- في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين-**" تحدث فيه عن مؤلفات العرب والمسلمين في العصر الوسيط كمصدر وثائقي وحيد عن شعوب جنوب الصحراء، التي كانت لها انعكاسات وتسجيلات مثبتة وموجودة أمام الباحثين لأنها تعتبر جزء ثمين من التراث الثقافي والحضاري. صدر سنة 2009 عن ديوان المطبوعات الجامعية.

كما حصل **عمار هلال (توفي سنة 1995)** على دبلوم الدراسات المعمقة في تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء من جامعة الجزائر 02 بعنوان: "**التعليم العربي في السنغال خلال العهد الفرنسي**" سنة 1980، تحت إشراف عبد القادر زبادية. ومن أهم مؤلفاته في هذا التخصص: كتاب "**الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء**" تطرق فيه للطرق الصوفية ودورها في الارتباط الحضاري والتبادل الثقافي بين شمال إفريقيا وجنوبها، وتجلى ذلك في توافد العلماء والصلحاء على حواضرها للتدريس والإمامة منذ العصر الحديث، فلعبوا دورا بالغ الأهمية لأنهم باشروا وحرصوا على نشرها في تلك الربوع. مما جعل الطرق الصوفية تشكل حلقة وصل ورافدا من روافد التبادل الفكري والثقافي بين المنطقتين. صدر سنة 1984.

وكتاب "**دراسة في حركة التبشير والتنصير بمنطقة إفريقيا جنوب الصحراء**" بالاشتراك مع الهادي المبروك الدالي (توفي في 2020/01/20). وتتناول هذه الدراسة حركات التبشير والتنصير التي كانت تجوب مناطق إفريقيا جنوب الصحراء تحت هدف الإغاثة من الجفاف، لكن في الحقيقة كان هدفها الأول محاربة الإسلام واللغة العربية ومسخ الشخصية الإفريقية المسلمة وتشتيتها وتفتيتها من قبل الإمبريالية الأوروبية، لا لسبب إلا للحفاظ على مصالحها التي منحتها لنفسها في هذه المنطقة. صدر سنة 2002.

2-حركة التأليف والتحقيق

أ- مجال التأليف:

نسجل عن حركة التأليف لتاريخ إفريقيا جنوب الصحراء أنها كانت قليلة ومحتشمة في هذه المرحلة ويمكن رصدها فيما يلي:

كتاب محمد العربي الزبيري: "**التجارة الخارجية للشرق الجزائري**"، الذي صدر سنة 1972. وكتاب محمد الطمار بعنوان: "**الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**"، طبع سنة 1983. وكتاب جودت عبد الكريم يوسف بعنوان: "**العلاقات الخارجية للدولة الرستمية**"، صدر سنة 1984. وقد خصصت هذه الكتب صفحات هامة عن علاقة الجزائر ببلاد السودان.

وكتاب بحاز إبراهيم بكير بعنوان: "**الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م) دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية**"، وتطرق فيه إلى تأسيس الدولة الرستمية وطرقها التجارية مع بلاد السودان، صدر سنة 1985.

وكذلك كتاب "**الصحراء الكبرى وشواطئها**" لإسماعيل العربي (توفي في 1997/03/31) الذي تعود فكرته إلى هيئة الإذاعة والتليفزيون التي اقترحت على مؤلفه إلقاء سلسلة من المحاضرات عن الصحراء الجزائرية، وتلبية لهذا المقترح قام برحلات لها وبعض مناطق الساحل الإفريقي كمالي والنيجر، إضافة إلى الصحراء الليبية للدراسة من أجل إنجاز هذا الكتاب. بالإضافة إلى تأليفه لكتاب "**حاضر الدول الإسلامية في القارة الإفريقية**" وكلاهما صدرا سنة 1984.

ب- مجال التحقيق

تميزت هذه المرحلة بنشر عدد من المصادر عن المغرب الإسلامي وبلاد السودان. وممن عرفوا في مجال التحقيق "**إسماعيل العربي**" ومن إسهاماته تحقيقه لمجموعة من المصادر الإباضية التي خلقت لنا تراثا فكريا، حيث تناولت السير والعقائد والتاريخ، كما تحتوي في مضامينها على معلومات هامة حول الجوانب الاجتماعية والاقتصادية للمغرب الإسلامي وبلاد السودان،

وأشارت إلى دور الفقهاء والتجار الإباضيين في نشر الإسلام في الصحراء وما ورائها، فكان له الفضل في إعادة إحياء الكثير من هذه المخطوطات ومنها: كتاب بعنوان: "**سير الأئمة وأخبارهم**" لأبي زكريا يحيى بن أبي بكر (ت471هـ/1078م)، ويعتبر من أهم المصادر الإباضية الغنية بمعرفة الآثار الاجتماعية الناتجة عن الروابط التجارية بين الدولة الرستمية وبلاد السودان، صدر سنة 1979.

وكتاب بعنوان: "**سير مشايخ المغرب**" لأبي الربيع الوسياني، وهو من أهم المصادر الإباضية التي رصدت معلومات قيمة تتعلق بالأنشطة التجارية المغاربية ببلاد السودان، وذلك من خلال تراجم شيوخ المذهب الذين قصدوا ما وراء الصحراء.

ومن بين ما حققه إسماعيل العربي كتب الرحلة والجغرافيا، التي ما يرد فيها من نصوص تعتبر منبعا حقيقيا للمعلومات الثقافية والعلمية، لأن أصحابها دونوا كل ما شاهدوه وما عرفوه عن طبائع الناس وسلوكهم، فهي تخزن بين طياتها مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية عن بلاد السودان. وقد حقق في هذا المجال كتابين: الأول بعنوان "**الجغرافيا**" لأبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي (ت685هـ/1286م)، سنة 1970. وتكمن أهميته أن تحدث عن الأنشطة الاقتصادية والطرق التجارية وتجارة الملح، وتحديد مواقع المدن بالدرجات الفلكية وتوصيفا لنباتات المنطقة وحيواناتها، وأنشطة أهلها وعاداتهم في اللباس والعمران. والكتاب الثاني بعنوان: "**القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس–مقتبس من نزهة المشتاق**" لأبي عبد الله الشريف الإدريسي (ت559هـ/1166م) الذي صدر عن دار ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر

سنة 1983. من المصادر الجغرافية المهمة عن بلاد السودان لكونه يحتوي معلومات في غاية الأهمية.

ومن الكتب التي حققت أيضا بأقلام جزائرية نجد كتاب بعنوان: "**أخبار الأئمة الرستميين**"، الذي حققه **محمد ناصر وإبراهيم بحاز** لابن الصغير (توفي بعد 290هـ/903م) حيث يعتبر مؤرخ الدولة الرستمية لأنه سكن بتيهرت عاصمة الرستميين، وعاصر بعض أئمتهم، وعاش في فترة حكم أبي اليقظان بن الأفلح. والكتاب من أهم المصادر في معرفة الأنشطة الاقتصادية بالدولة الرستمية خاصة النشاط التجاري مع بلاد السودان. صدر عن دار الغرب الإسلامي بلبنان سنة 1985.

كما حقق **إبراهيم طلاي** كتاب بعنوان: "**طبقات المشايخ بالمغرب**" في جزأين للشيخ أبي العباس بن أحمد بن سعيد الدرجيني (ت670هـ/ 1272م)، ويعتبر من أهم المصادر حول تاريخ المذهب الإباضي والتعريف بالرجال الإباضيين في شمال إفريقيا، وفيه معلومات قيمة عن الواحات الصحراوية مثل ورجلان وأريغ بتقرت واودي سوف وجربة وجبل نفوسة، وجهودهم في نشر الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، وقد قسمه صاحبه إلى قسمين الأول خصصه للتاريخ والثاني للسيرة، حيث عرّف ببعض العلماء الذين كانت لهم اسهامات في الجانب الثقافي والعلمي ببلاد السودان، فاستدرك سير أبي زكريا الورجلاني (ت474هـ/1081م) المعروف بتاريخ أبي زكريا، وحمل الكتاب مجموعة من الفوائد، صدر عن دار مطبعة البعث بالجزائر سنة 1974.

رابعا/ إنجازات يحيى بوعزيز في تاريخ افريقيا جنوب الصحراء

رغم ضآلة انتاجه في هذا المجال، ولعل ذلك راجع إلى عدم تخصصه في هذا الميدان، إلا أنه ألف كتابين مهمين في هذا التخصص هما:

1- الاستعمار الأوروبي الحديث في إفريقيا وآسيا وجزر المحيطات

عالج في هذا الكتاب الاستعمار الأوروبي لقارتي إفريقيا وآسيا، حيث ذكر في مقدمته أسباب اختياره لهذا الموضوع قائلا: "**وهذه الدراسة المتواضعة التي نقدمها اليوم للقارئ وللطالب الجامعي، وتروي قصة الاستعمار الأوروبي لقارتي إفريقيا وآسيا وجزر وأرخبيلات المحيطات: الهادي والهندي، والأطلسي، وما نتج عنها من كوارث، وأهوال ومصاعب مادية وروحية وبشرية واقتصادية واجتماعية ودينية وعرقية وثقافية وسياسية وعسكرية**"[1].

واستهله بالحركة الاستعمارية القديمة التي اقترنت بالاستيطان الأوروبي المسيحي في بلدان هذه القارات. ونتج عن هذه الحركة آثار سلبية في جميع الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، تسببت في عزل مجتمعاتها عن جميع مظاهر الحياة. أنجزه في 13 جوان 1986، ويحتوي على 128 صفحة، وقسمه إلى ثلاثة أقسام هي:

القسم الأول: تمهيد في أسباب الاستعمار الحديث وطرق تغلغله.

القسم الثاني: الاستعمار الحديث في إفريقيا.

القسم الثالث: الاستعمار الحديث في آسيا وجزر وأرخبيلات المحيطات.

لم يكتفي يحيى بوعزيز بتخصصه في تاريخ الجزائر بل تعدى ذلك بدراسته واهتمامه بتاريخ إفريقيا في خضم المرحلة الاستعمارية، فثرائه الفكري الذي يدل عن ثقافته ووعيه وواقعيته جعلته يتعمق في القضايا التي تمسها ويطرق مواضيعها بجدية، وتعتبر قضية الاستعمار للعالم عامة وإفريقيا خاصة

(1) يحيى بوعزيز: **الاستعمار الأوروبي الحديث في إفريقيا وآسيا وجزر المحيطات**، الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009، ص5.

إحدى القضايا التي شغلت فكره ولا نستغرب ذلك إذا ما علمنا أنه من جيل عاش تجربة النضال ضد الاستعمار ونخوة الاستقلال، فوظف ما عايشه في استنطاق أفكاره عن استعمار القارة، لأنه انخرط في تجربة الثورة الجزائرية التي تعتبر الصورة الحقيقية لوطأته، ويشير لذلك في قوله: "**وقد اتسمت هذه الحركة الاستعمارية الحديثة بالشراسة والمكر والخبث، والأهوال والمدمرة وبالقتل والتشريد الجماعيين في السكان الأصليين وافقارهم وتجهيلهم وعزلهم عن كل مظاهر الحياة والمدنية الجديدة وبالمبالغة في ابتزاز خيرات بلدانهم الاقتصادية، الفنية، والثقافية، والجمالية، وذلك مما عمق الفارق الحضاري حاليا بين شعوب أوروبا وشعوب هذه البلدان التي يحلم للأوروبيين أن يطلقوا عليها اسم العالم الثالث المتخلف**" [1]. فنجاح الحركة الاستعمارية بإفريقيا بدأت مع حركة الكشوفات الجغرافية في القرن 15م ووصلت ذروتها في القرن 19م وهي بداية الحركة الاستعمارية الحديثة، التي شنتها أوروبا على القارة الإفريقية بهدف استغلال ما في باطنها وما عليها من سكان، لأن الصناعة الأوروبية الناهضة حديثا كانت بحاجة إلى المواد الخام وأسواق لتصريف منتجاتها فوجدوا إفريقيا حلا لذلك.

فقد شهد المد الاستعماري أواخر القرن 19م تحولا كبيرا، إذ غير الأوروبيون أفكارهم وانقلب عزوف بعضهم عن المستعمرات إلى تكالب مسعور، فظهرت الجمعيات التي أخذت تثير الحماس في النفوس وتروج مزايا الامبريالية الجديدة، وظهر كتّاب كتبوا عن ضرورة إبقاء المستعمرات وسطروا الرسائل والكتب التي برهنوا فيها لشعوبهم على أن المستعمرات ضرورة لا بديل عنها. ونتج عن ذلك تفكك أشكال الروابط الاجتماعية التقليدية بالمجتمعات الإفريقية

(1) يحيى بوعزيز: **الاستعمار الأوروبي الحديث**، المرجع السابق، ص ص4، 5.

من قبيلة وعشيرة، وظهرت أقلية من الأغنياء الموالين للاستعمار، وتحويل الأفارقة لعمال وجنود لدى المستعمر، وإثقال كاهل غالبية الشعب بالضرائب وأعمال السخرة. كما أجرى المبشرون طمسا ظاهرا للممارسات الدينية الأصلية لإفريقيا، وبذلوا جهدا كبيرا من أجل ذلك. وكانوا مصممين بالقضاء على كل من لا يعتنق المسيحية، فكانت بدايتهم بتفكيك الثقافة الموروثة بهذه المنطقة. فظهر الأوروبي بثقافته وقوته وهو مصدر السلطة ومركزها، وتشكلت بنية اجتماعية دينية بسبب الإقصاءات المستمرة للثقافة الإفريقية، وهنا ظهرت نزعة التمركز العرقي التي قامت بترتيب مختلف فروع العائلة البشرية في نظام تصاعدي للحضارة يحتل فيها الإفريقي (الزنجي) أدنى مراتب السّلم، بينما يحتل الأوروبي (الأبيض) أعلاها.

وأسندت هذه النظرية إلى الزنوج بالذات درجة من العقم الثقافي جعلت من الممكن بل من المحتّم تفسير تاريخهم وتطورهم الاجتماعي في ضوء ما يسمى "**بالأثر الحامي**". وأدى ذلك إلى التمييز العرقي والفصل الحاد بين التجمعات السكانية الأوروبية ومثيلاتها الزنجية. وهذا ما أدى إلى خلق شعور بالنقص عندهم.

كما برزت جهود يحيى بوعزيز في مجال البحث عن تاريخ إفريقيا، مدركا بخفايا وخبايا تاريخ القارة مشاركا في مناقشتها بعرض تاريخي ومنهجي لحقيقة الحركة الاستعمارية الأوروبية موضحا ذلك في قوله: "...**لقد امتصت أوروبا كل خيرات هذه البلدان – إفريقيا وآسيا– وامكانياتها الاقتصادية وأورثتها المزيد من الجهل والفقر والآفات الاجتماعية المختلفة وغرست فيها جاليات مسيحية أوروبية تتسبب في حروب أهلية عرقية وفي مشاكل عنصرية دينية كثيرة تعوق هذه البلدان عن التقدم والتطور وتفقدها الأمن**

والاستقرار الضروريين للبناء الحضاري" [1]. يعتبر يحيى بوعزيز أن الاستعمار الأوروبي حطم البنية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لإفريقيا تمثلت مظاهرها في زراعة الفرقة بين الأفارقة من خلال إشعال فتيل الأحزاب والطوائف والعنصريات والقوميات، مما أوجد حزازات بين الإفريقيين فيما بينهم، نتج عنه تقطيع بلادهم إلى دويلات صغيرة وأقاليم تإن من ويلات استبداد أموالها وثرواتها ومعاناتها من التخلف عن مسايرة الركب التطوري والرقي الحضاري، لأن الحركة الاستعمارية الأوروبية الحديثة كانت مبنية في جوهرها على الاستعمار والاسترقاق والاستغلال والنهب والازدراء، فزرعت فيما بينهم الأنظمة العسكرية التي لا تهتم بالدين ولا تلتزم بالقانون، وقد تميز حكمها بالاستبداد والضعف الاقتصادي.

ومن الثابت أن هذا الاستعمار دعم نشر المسيحية لمواجهة هيمنة الإسلام وانتشاره السريع في إفريقيا، وعمد إلى تقييد انتشاره بالقوة، فنتج عن ذلك اعتناق شعوب بلاد السودان الديانة المسيحية بمذاهبها المختلفة السائدة في أوروبا حيث عمل المستكشفين على الاستكشاف والتبشير في نفس الوقت، ولقد أصر الكثير منهم على تحويل الأفارقة إلى المسيحية الكاثوليكية أو البروتستانتية وهذا ما أكد عليه لفنجستون في قوله: "**والآن أصبحت إفريقيا مكتشفة فعليكم أن تفتحوا للتجارة ولنشر المسيحية بين القبائل الوثنية** " [2].

تعرض يحيى بوعزيز لضرورة إعادة الكتابة التاريخية لإفريقيا السوداء لأنها ظلت تكتب طيلة الفترة الحديثة والمعاصرة بأيادي المستعمر، فنوه أنه لا

---

(1) يحيى بوعزيز: **الاستعمار الأوروبي الحديث**، المرجع السابق، ص5.

(2) جوزفين كام: **المستكشفون في إفريقيا**، ترجمة: السيد يوسف نصر، القاهرة: دار المعارف، 1983، ص13.

بد اليوم أن تدرك شعوبها أن الوقت قد حان لأن يكتبوا تاريخهم بأيديهم لأن التاريخ هو الوعاء أو المرآة الوحيدة التي تعكس تراث الأمم وحضارتها. فمصادر تاريخيهم كتبها أوروبيون حملت الكثير من التحيزات والأخطاء التاريخية الناجمة عن الجهل بطبيعة القارة وشعوبها، في حين الأفارقة لم يكتبوا تاريخهم اليوم كما ينبغي، لذلك رأى يحيى بوعزيز ضرورة وضعهم أمام الأمر الواقع لأن هذا ما تسبب في قلة الكتابات والأبحاث التاريخية المتعلقة أساسا بالقارة الإفريقية.

وقد أكد على ذلك قائلا: "**إن الظاهرة الاستعمارية في إفريقيا وآسيا بحاجة إلى دراسة وبحث عميقين لإبراز مخازي الاستعمار الأوروبي ومساوئه ومفاسده على حقيقتها ولإظهار مدى الجرم الذي ارتكبه الغزاة الأوروبيون سياستهم وزعمائهم على مدى هذه الحقبة الاستعمارية في حق شعوب هذه البلدان التي وقعت فريسة في أيديهم وضحية لأطمعهم ونهشهم وكرههم وخبثهم وحتى تستطيع الأجيال الصاعدة أن تحافظ على استقلالها الوطني وتدرك ضخامة الضحايا التي قدمها الأجداد في سبيل استعادة هذا الاستقلال الوطني، وطرد الغزاة المعتدين من بلدانهم وأوطانهم**" [1].

لا ننكر بأنه برز على الساحة الإفريقية علماء ومفكرون وأسماء لامعة ساهمت في بناء الحضارة الإنسانية، وذلك من خلال إنتاجاتهم القيمة، لكن مع حضور الاستعمار أتلفت تلك الكنوز الثمينة ومنع ظهورها على السطح وذلك بسياسته القذرة، سياسة القمع والسطو وطمس الحقائق. فأكبر فلاسفة القرن 19م هيغل Hegl يرى أن الزنجي بسبب قصور الوعي الديني عاجز عن

(1) يحيى بوعزيز: **الاستعمار الأوروبي الحديث**، المرجع السابق، ص5.

إيجاد كيان سياسي ينظم شؤون حياته، ويقول: "**ترقد فيما وراء التاريخ الواعي لذاته يلفُّها حِجاب الليل الأسود**" [1].

بل إن طبيعتهم من النوع الذي يحاول دون وجود مثل هذا التنظيم، ولهذا حياتهم تقوم على العنف المتبادل فيما بينهم، والأقوى يستبد بالأضعف ويوقعه تحت سيطرته. كما جزم أنها: "**ليست جزءا من تاريخ العالم ولا تكشف عن حركة التطور**" [2]. من الواضح أن الصورة التي يحاول أن يركبها عنه تستعير كل عناصرها من الروايات التي يرويها المبشرون، كما وصف إفريقيا السوداء بالغباء، وأنها أرض الوحوش والثعابين والمستنقعات والجو السام للأوروبيين [3].

ولتصحيح هذه المغالطات التاريخية عن الإفريقي الأسود آن الأوان للتعمق في دراسة إفريقيا الماضوية والتوجه نحو البحث الجاد والتنقيب في آثار وتراث إفريقيا السوداء، وإعادة كتابة تاريخها وصياغتها بمنهج علمي موضوعي وأكاديمي، حتى تستفيد منه أجيال الحاضر والمستقبل ليعرف الأفارقة حقيقة تاريخهم الصحيح النقي من الشوائب والأوهام.

2- تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين

قام بتأليف هذا الكتاب خلال فترة تدريسه للطلبة بمعهد التاريخ بجامعة السانية بوهران لمقياس إفريقيا الغربية الإسلامية، فجمع مادته التاريخية من

---

(1) هيغل: **العقل والتاريخ**، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، ج1، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2007، ص 172.

(2) المصدر نفسه، ص182.

(3) هيغل: المصدر السابق، ص172.

مختلف المصادر السودانية والمغربية والأوروبية، فهو يعتبر ثمرة جهوده المتواصلة لعدة سنوات من البحث والدراسة والاطلاع والتدريس، وهذا ما ذكره في مقدمة الكتاب: "**وهذا الكتاب الذي نقدمه اليوم للقراء والدارسين والمختصين، هو ثمرة جهود متواصلة لعدة سنوات خلت من البحث والدراسة، والاطلاع، والتدريس لمقياس إفريقيا الغربية الإسلامية لطلبة السنة الثالثة من شهادة الليسانس في التاريخ بمعهد التاريخ، في جامعة السانية وهران. فجمعنا مادته التاريخية من مختلف المصادر والمظان، ورتبناها...**" [1].

وزيادة في التوضيح وإمعانا في إجلاء خلفيات تأليفه للكتاب يؤكد قائلا: "...**نقدم كتاب تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية للقراء والباحثين والطلبة، ونتمنى أن يسد الثغرة التي تتخلل تاريخ هذه المنطقة، ويلبي حاجة الطلبة في الجامعات الذين يتطلعون لمعرفة تاريخ هذا الجزء الخامس من العالم الإسلامي...**" [2]. وتضمن ثمانية أقسام:

القسم الأول: عرف فيه السودان الغربي وحدد موقعه الجغرافي وسلالته وشعوبه ولغاته ولهجاته المختلفة.

القسم الثاني: تتبع فيه حركة وصول الإسلام لغرب إفريقيا وانتشاره بها، من صدر الإسلام إلى ما بعد عهد المرابطين والموحدين.

القسم الثالث: حدد الدول والامارات والممالك التي قامت بإفريقيا الغربية مثل غانة، مالي، صنغاي...

---

(1) يحيى بوعزيز: **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين**، الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009، ص6.

(2) يحيى بوعزيز: **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية**، المرجع السابق، ص7.

القسم الرابع: درس الدور الذي قام به محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني في توات وكانو وغاو ضد مكر وخبث اليهود.

القسم الخامس: درس حركة الجهاد لبعض العلماء المصلحين وعلى رأسهم عثمان الفودي وأخوه عبد الله وابنه محمد بلّو، وعمر بن سعيد الفوتي، وأحمد لوبو الماسيني، محمد الأمين الكانمي، وساموري توري.

القسم السادس: درس المآثر والمظاهر العربية الإسلامية بالسودان الغربي مثل: الإسلام واللغة والثقافة الإسلامية، والأنظمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعمرانية، ونظم الحكم واستعرض تاريخ مختصر لعدد من المدن السودانية ذات التأثير الواسع في نهضة غرب إفريقيا مثل: أودغست وجني وغاو وتنبكت.

القسم السابع: استعرض في هذا القسم سير وتراجم عدد من العلماء والفقهاء والمؤرخين المصلحين الذين لهم دور بارز في غرب إفريقيا

القسم الثامن: أدرج في هذا القسم عدد من الخرائط والرسومات التي تحدد مواقع السلالات واللهجات والدول والممالك والإمارات التي توالت على غرب إفريقيا.

في هذا الكتاب تطرق يحيى بوعزيز إلى الكثير من القضايا المتعلقة بتاريخ إفريقيا جنوب الصحراء في جميع الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتاريخية والجغرافية. لكن في هذه الورقة البحثية سنعرج على بعضها فقط على النحو التالي:

إحساس يحيى بوعزيز بالمسؤولية في إبرازه للجوانب الحضارية التي أسهم فيها المشارقة والمغاربة بالدور الفعال في ترسيخ الحضارة الإسلامية في السودان الغربي، جعله يحاول الكشف عن الجهود التي قاموا بها لتثبيتها في

هذه البلاد. وفي الحقيقة أن تتبعه لانتشار الإسلام لبلاد السودان جاء متأمل، ومن أهم القضايا التي هدف إليها إثبات أن هذه المنطقة تدين بالإسلام. وصرح بذلك في قوله: "**ويعتبر القرنان السادس عشر الميلادي، والعاشر الهجري من أهم الفترات التي عاشتها شعوب السودان الغربي وشهدت خلالها نهضة وتطورا كبيرين، وواسعين في أكثر من مجال وتوثقت صلاتها بالشعوب العربية الإسلامية المغربية والمشرقية، غير أن الاستعمار الأوروبي المسيحي النصراني الذي بدأت طلائعه تزحف على القارة منذ أواخر القرن 19م، من أجل إيقاف هذه النهضة والتطور وقطع الصلة بين السودان الغربي المسلم وباقي أجزاء العالم الإسلامي بمختلف الوسائل...**" [1].

حمل المشارقة والمغاربة الإسلام والثقافة العربية عبر أربعة طرق تجارية من شمال القارة إلى غربها ووسطها، أولها يربط ليبيا وتونس بمنطقة بحيرة تشاد وثانيها تونس ببلاد الهوسا وثالثها الجزائر بأواسط نهر النيجر، ورابعها المغرب الأقصى بأعالي نهر النيجر ونهر السينغال، وعبر مصر وعبر البحر الأحمر إلى منطقة السودان ووادي النيل. فالازدهار الثقافي الذي شهدته إفريقيا جنوب الصحراء لم يأتِ فجأة ولكنه جاء على ثلاث مراحل بدأت يوم أن بدأ المشارقة والمغاربة في نشر الإسلام والثقافة ووصل ذروته خلال القرن (10هـ/16م) فكان أزهى عصور الثقافة الإسلامية في هذه المنطقة بفضلهم، **الأولى** يغلب عليها الاحتكاك السلمي، وكان التجار العرب والمغاربة دعامته، **والمرحلة الثانية** يغلب عليها جهاد المرابطين الذين أعطوا النفوذ الإسلامي المتنامي بعدا اقتصاديا وثقافيا وسندا سياسيا، وتجمع **المرحلة الثالثة** بين السلم والجهاد وترتبط بالدعوة للعقيدة الإسلامية وتعميق مفاهيمها بين الإفريقيين. وقد

(1) يحيى بوعزيز: **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية**، المرجع السابق، ص6.

عرفت هذه المرحلة مؤثرات تمثلت في ثوابت أهمها أن المغرب كان قاعدة لانتشار الإسلام الذي كانت بدايته بالفتوحات الإسلامية المشرقية، وبه دخلت شعوب المنطقة إلى الإسلام، فالمغاربة جاؤوا بكتاب جامع للغة والبلاغة والفقه والقانون والنظام الاجتماعي، كما لعبت دويلاته التي قامت به دورا في ذلك. فانتقلت الزعامة الدينية والقيادة السياسية والاقتصادية والريادة الثقافية للإفريقيين بعد أن تشبعوا بروح الإسلام، واقترنت المرحلة الأخيرة أيضا بقيام عدد من الممالك الإسلامية بالمنطقة [1].

وأشار يحيى بوعزيز أن الاستعمار الأوروبي لإفريقيا غير خريطتها وتركيبتها، فهو لم يكن استعمارا اقتصاديا أو سياسيا فقط، وإنما كان استعمارا دينيا صليبيا، هدفه فرض النصرانية على الأفارقة، وإحلالها محل الإسلام دين الفطرة، فاستخدم جيوش التنصير في محاربة الوجود العربي والإسلامي. وصور لنا المؤرخين والفلاسفة الأوروبيين أن إفريقيا جزأين منفصلين بصحراء كبرى أحدهما أبيض في الشمال والآخر أسود في الجنوب لكل ثقافاته وحضاراته أمثال شال أدري جوليان Charles-André Julien.

والبعض منهم يرى أنها قارة لا تاريخ لها أمثال هيغل وهوك تريفور روبر Hugh Trevor-Roper. غير أن كل من رولاند أوليفر Roland Oliver وجون فيج اعترفا في قولهما: "**ولو أننا اعتبرنا الصحراء الكبرى عائقا للتقدم العربي الحقيقي فإن ديانة العرب وحضارتهم قد انتشرت بلا جدال من القاعدة الراسخة في شمال إفريقية خلال المناطق الزنجية وبذلك أصبح**

(1) أحمد المبارك: **العلاقات العربية الافريقية**، ضمن كتاب العرب والدائرة الأفريقية، لبنان: مركز الدراسات والوحدة العربية، 2005، ص39.

السودان كله في يوم من الأيام جزءا من العالم الإسلامي" [1]. لقد تشكلت علاقات بين الشمال وممالك جنوب الصحراء، فكانت نقاط التواصل بينهما متعددة حيث انتقلت المعارف والعلوم الإسلامية إلى ما وراء الصحراء عن طريق التجار والدعاة وهجرات قبائل العرب والبربر والطرق الصوفية، وقد تجلى هذا التأثير في مجالات مختلفة كالدين واللغة والتصوف والتأليف وفن العمارة وغيرها، غير أن أول هذه التأثيرات هو انتشار الإسلام في المنطقة، وهذا ما أهله أن يكون جسرا حضاريا ودينيا وثقافيا بين العالم الاسلامي والممالك الواقعة بجنوب الصحراء.

وأكد يحيى بوعزيز أن انتشار الإسلام في غرب إفريقيا ارتبط بدخول العلماء والفقهاء والتجار العرب، فقد اعتبرت منطقة جذب لهم. حيث حملوا لواء الإسلام على عاتقهم لتعليم مجتمعات ما وراء الصحراء معالم الدين الإسلامي ومبادئه وقواعده، وتعريفهم الآداب الإسلامية، وتعليمهم اللغة العربية، وتنظيمهم على أسس العقيدة الإسلامية الصحيحة، فكان لهم دفع قوي في ازدهار الحركة العلمية بالمنطقة، فنشروا العلم وتولوا المناصب العليا بحواضرها. كما كانت الممالك الإسلامية التي قامت بإفريقيا جنوب الصحراء منفتحة على العالم الإسلامي، ووصل أوجه في عصر مملكة سنغاي، خاصة في عهد الأسقيين، الذين فتحوا الباب على مصراعيه في وجه العالم الخارجي، مما ساعد على انتشار الثقافة العربية الإسلامية، والاحتكاك بها، فذاعت شهرة المنطقة، فشد إليها العلماء والفقهاء رحالهم، وقصدوها من كل حدب وصوب، خاصة المراكز الثقافية كتنبكت، وجني، وكانم وغيرها، فتشكلت بها لوحة

(1) رولاند أوليفر وجون فيج: **موجز تاريخ إفريقية**، ترجمة: دولت أحمد صادق، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1965، ص74.

امتزجت فيها مختلف الثقافات مع محافظتها على أصالتها، وبرز أبناؤها بمختلف العلوم، فكان منهم العالم والفقيه والإمام والقاضي وشيخ الشيوخ والمدرس والمعلم والمفتي والمحدث والخطيب والناثر والشاعر فساهموا في إرساء الحضارة الإسلامية فيما وراء الصحراء. وهذا ما أشار إليه يحيى بوعزيز في قوله: "**كما عرف السودان الغربي عددا من العلماء المصلحين الكبار الذين لعبوا دورا رائدا في نشر الفكر والثقافة العربية الإسلامية الدينية واللغوية وفي القيام بإصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية، وعلى رأس هؤلاء الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني وأحمد بابا التنبكتي الصنهاجي...وبالموازاة مع هذا عرف السودان الغربي قيام مراكز حضارية هامة تجارية، وثقافية واقتصادية من ضمنها: أودغست، وجني، وتمبكتو، وكانو، وولاته، وأروان، استقطبت العلماء والفقهاء والتجار وأرباب الحرف ونشأت بها أسواق للتعامل التجاري يقصدها الناس من مختلف أنحاء القارة وخارجها، وأكسبها ذلك نهضة وتطورا في ميادين العمران والثقافة والاقتصاد والاجتماع**" [(1)] .

ركز يحيى بوعزيز في القسم الرابع على دور العلماء الوافدون إلى غرب إفريقيا والذي تجلى في إثراء وتفعيل النهضة العلمية، منهم ذو الرؤية الثقافية والحكمة الصائبة محمد بن عبد الكريم المغيلي، الذي انطلق من توات قاصدا لها كمعلم ومرشد ومصلح وداعي ومفتي وقاضي، فدخل بلاد آير عام 1479م ثم توجه إلى بلدة تكدة فكان مدرس [(2)] ، وبنى مسجدا في قرية أياتول

(1) يحيى بوعزيز **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية**، المرجع السابق، ص ص5، 6.

(2) أحمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تحقيق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس–ليبيا، 1989، ص577.

شمال شرق أغاديس ودرس أهالي المنطقة [1]، ثم انتقل إلى كاتسينا وتولى بها قضاء الجماعة والتدريس، توجه إلى كانو حاضرة محمد بن يعقوب رومغا، حكم في الفترة الممتدة ما بين (1463م–1499م) وفيها استقر مقامه، فقربه السلطان وجعله مستشاره ووزيره، وولاه القضاء والإفتاء في الفترة التي قضاها ببلاده، وكتب له مجموعة من الرسائل ووصايا وفتاوى، منها مجموعة في أمور الإمارة والسياسة الشرعية "**تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين**" [2] .

ثم انتقل إلى مملكة سنغاي سنة (908هـ/1502م) واتصل بالسلطان أسكيا الحاج محمد الذي قربه إليه، ووجه له أسئلة تتضمن المشاكل السياسية والدينية والاجتماعية التي تواجه مملكته، فأجابه المغيلي في رسالة بعنوان "**أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي**" [3]. كما ظلت أعماله وآثاره مكتوبة والروايات الشفهية المنقولة عنه يحفظها العلماء ويتداولها أهل الإصلاح والسياسة ورجال الدعوة جيلا بعد آخر [4]، إلى أن وصلت مرحلة قيام الحركة التي قادها عثمان بن

---

(1) أبو بكر ميغا: "**دور الإمام المغيلي العلمية والإصلاحية في السودان الغربي في أواخر القرن التاسع وأوائل العاشر الهجريين وأثرها في الرعاة والرعية وانتعاش الحركة العلمية في المنطقة**"، مجلة جامعة محمد بن سعود الإسلامية، ع/7، (المملكة العربية السعودية)، أكتوبر1992، ص207.

(2) محمد بن عبد الكريم المغيلي: **نصيحة المغيلي لأمير كانو وإرشاده**، تحقيق: عبد الرحمان حمادو الكبتي، مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والبحوث، الجزائر، 2013، ص396.

(3) Bruce S. Hall: **A Historry of Race in Muslime West Africa 1600-1960**, Cambridge University Press, New York, 2011, p73.

(4) للمزيد حول دور عبد الكريم المغيلي بإفريقيا جنوب الصحراء أنظر:

John O. Hunwick: **Sharî'a in Songhay. The Replies of Al-Maghîlî to the Questions of Askia al-Hâjj Muhammad,** Oxford University Press, London- New York, 1985, pp29-48**.**

فودي فاستثمرها، حتى لا نكاد نجد مؤلفا من مؤلفاته أو غير من منظري حركته والقائمين بدعوته والمؤرخين لها يخلو من الإشارة للمغيلي.

يعتبر محمد بن عبد الكريم المغيلي من علماء الجزائر التي كتبت بشكل منهجي رسائل عبرت فيها بوضوح عن أفكارها وآرائها السياسية، حيث لم تنحصر أفكاره خلال القرن (9هـ/15م) بل تجاوزت إلى زمانا اليوم وهذا ما أكد عليه يحيى بوعزيز في قوله: "**لقد أعطى المغيلي هذا في توات، وفاس دليلا على بعد نظره وقوة حدسه السياسي، فأوضح ما جبل عليه اليهود من مكر وخبث منذ فجر التاريخ حتى اليوم، خاصة مع الشعوب والمجتمعات الإسلامية التي آوتهم، واحتضنتهم وصانت لهم معتقداتهم الدينية، وعاداتهم وتقاليدهم القديمة، وافسحت لهم المجال ليصلوا إلى المراتب العليا في الميادين السياسية والاقتصاد والثقافة، ولكنهم اعتادوا على العقوق والجحود والنكران. لقد ارتكب اليهود مواقف مخزية تجاه الإسلام والمسلمين لن ينساها لهم التاريخ أبدا...وأدرك المغيلي هذا في توات والسودان الغربي خلال القرنين التاسع الهجري والخامس عشر الميلادي كما أدركه آخرون غيره قبله وبعده، وصحت مواقف المغيلي ونبوآته فعانت الجزائر وتونس والمغرب الأقصى، من ويلات مشاكلهم أواخر القرن 18 ومطلع القرن 19 وكانوا السبب في احتلالها جميعا من طرف الاستعمار الأوروبي الفرنسي، وذلك من خلال مشاكل عائلة يوسف باكري وبوشناق، وأبو قاية، الاقتصادية والسياسية بالجزائر، ومشاكل ضيعة خير الدين التونسي بتونس، ومشاكل الطبيب الفرنسي بالمغرب الأقصى عام 1907، كما كانوا السبب في مشاكل السلطان العثماني عبد الحميد الثاني وابنه، وفي احتلال مصر والشام من طرف الاستعمار الفرنسي والبريطاني، وفي ضياع فلسطين العربية ويعرف العالم**

أجمع ما ارتكبه ويرتكبه اليهود اليوم بفلسطين...وذلك بعد حوالي ستة قرون من أحداث المغيلي وصيحته بتوات، وفاس، وأحداث الشيخ سليمان بوادغير" [1].

كما خصص يحيى بوعزيز جانبا لبعض علماء ما وراء الصحراء وغيب البعض الآخر، حيث أبرز منجزاتهم الثقافية في إطار الحضارة العربية الإسلامية. فقد كان للممالك والعواصم والمراكز العلمية التي ذاع صيتها في جنوب الصحراء، كتنبكت وجني وأغاديس وبلاد الهوسا، دور بارز في نشر الثقافة العربية الإسلامية بالمنطقة، خاصة في عهد مملكة سنغاي التي اشتهرت بكثرة علمائها ومؤلفاتهم العلمية، حيث حفلت تنبكت العاصمة الثقافية لغرب إفريقيا بالعديد من مشاهير العلماء الذين ألفوا في شتى العلوم. فمن أشهر علماء عائلة أقيت أحمد بابا التنبكتي (ت1036هـ/1627م)، الذي لم يحظ عالم في تنبكت بمثل سعة علمه وشهرته، وكان عالماً موسوعياً، مؤرخاً، عالماً بالشريعة، ومن المتبحرين في اللغة العربية وآدابها [2]. وفي مجال النحو لقب **المختار النحوي** (922هـ/1516م) بالنحوي لتضلعه في النحو، فقد كان عالما فقيها نحويا لغويا مشاركا، ففاق علماء عصره في النحو [3]. وفي مجال علم القرآن والتوثيق اشتهر **أبو محمد عبد الله بن أبو العباس الفقيه أحمد بري**

(1) يحيى بوعزيز: **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية**، المرجع السابق، ص ص71، 72.

(2) أحمد بن محمد المقري: **روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحاضرتين مراكش وفاس**، ط2، المطبعة المالكية، الرباط، 1983، ص303؛ محمد بن الطيب القادري: **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، تحقيق: محمد حجي وأحمد توفيق، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ص ص1277، 1278.

(3) عبد الرحمان السعدي: **تاريخ السودان**، تحقيق: حماه الله ولد السالم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012، ص143.

الذي كان مفتيا في زمنه نحويا لغويا متواضعا، توفي عام (1010هـ/1602م) [1]، أما في مجال الفقه فقد كان العالم **محمد كداد الفُلاني** فقيها إماما صالحا من خيار عباد الله الصالحين، تولى إمامة الجامع الكبير بتنبكت بعد وفاة الإمام عثمان بن الحسن التشيتي بأمر من القاضي العاقب، وبقي في الإمامة اثنتي عشر سنة حتى توفي عام (989هـ/1581م) [2]. وفي مجال التاريخ صاحب كتاب "**تاريخ السودان**" عبد الرحمن بن عبد الله السعدي (ت1066هـ/1656م) الذي له باع طويل في علم التاريخ والسير أرخ لمملكة سنغاي التي امتدت في أوج اتساعها إلى منطقة آير في النيجر [3].

خاتمة

لا يخفى على أحد المجهود الكبير الذي بذله يحيى بوعزيز في معالجته للعديد من القضايا ذات الصلة بالتاريخ الجزائري، وبلورته للكثير من الإشكاليات بين مختلف الأجيال والاقطار، إلا أننا لم نفوت من هذا المنبر بالتنويه بإسهامات رمز العطاء والجد والتفاني في العمل بطرق باب الدراسات الافريقية في فترة كانت الجامعة الجزائرية بحاجة إلى مثل هذه الدراسات لتحقيق تطلعاتها، ودعم سياسات الجزائر اتجاه تحقيق التواصل الحضاري بينها وبين

---

(1) الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي: **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**، تحقيق: عبد الودود ولد عبد الله وأحمد جمال ولد الحسن، دار نجيبويه، القاهرة، 2010، ص281.

(2) الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي: المصدر السابق، ص192؛ وأيضا عبد الرحمان محمد ميغا: **الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي من القرن 8 إلى القرن 13 الهجري**، مطبعة البيضاوي، المغرب، 2011، ص284.

(3) Bruce S. Hall and Charles C. Stewart: "**The historic Core Curriculum and the book market in Islamic West Africa**", The Trans-Saharan Book Trade,Vol3, LEDEN- BOSTON BRILL, 2011, p115

الدول الإفريقية. فيحيى بوعزيز حاول نفض الغبار عن عمق الأواصر والروابط بين بلده وإفريقيا جنوب الصحراء، بإنجازه لكتابين استسقاهما من المصادر المغاربية والسودانية والأوروبية، والعديد من المقالات، فتميزت بثراء المعلومات وتنوع القضايا التي عالجها.

الملحق رقم 01

المؤلفات المحققة		
01	محمد الصالح العنتري	فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة
02	الآغا المزاري بن عودة	طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر
03	لابن صعد	روض النسرين في مناقب الأربعة المتأخرين
04	مصطفى بن تهامي	سيرة الأمير عبد القادر وجهاده

الملحق رقم 02

المؤلفات المطبوعة			
الرقم	العنوان	الرقم	العنوان
01	ثورات الجزائر في القرنين 19 – 20 م	09	سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية 1830– 1954
02	الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري	10	أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة
03	كفاح الجزائر من خلال الوثائق	11	مدينة وهران عبر التاريخ
04	الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه 1912 . 1948م	12	الاتهامات المتبادلة بين مصالي حاج واللجنة المركزية وجبهة التحرير الوطني 1946 . 1962
05	وصايا الشيخ الحداد ومذكرات ابنه سي عزيز	13	الموجز في تاريخ الجزائر
06	مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية	14	فضاء في رحلة العمر
07	الثورة في الولاية الثالثة التاريخية (أول نوفمبر 1954 . 19 مارس 1962م)	15	علاقات الجزائر الدولية مع دول وممالیك أوروبا 1500 . 1830م

08	موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب. ج 1، ج 2		

الملحق رقم 03

مجلة الأصالة				
	عنوان المقال	العدد	السنة	الصفحة
01	ثورة محمد المقراني والشيخ ابن الحداد	02	ماي 1971	29–22
02	الحقيقة عن دور زاوية صدوق والإخوان الرحمانيين في ثورة 1871	14–15	جويلية–أوت 1973	172–161
03	واقع ومستقبل حركة التعريب في الجزائر	17–18	نوفمبر 1973 جانفي 1974	130–123
04	جهود الجزائر الفكرية في موكب الحضارة العربية	19	مارس–أفريل 1974	302–287
05	مكانة ثورة أول نوفمبر 1954 بين الثورات العالمية ودورها في تحرير الجزائر وإفريقيا	22	نوفمبر–ديسمبر 1974	150–138
06	موقف بايات تونس من ثورة الأمير عبد القادر	23	جانفي – فيفري 1975	34–23
07	الأمير عبد القادر ومشروع قناة قابس والبحر الإفريقي	25	ماي–جوان1975	118–97
08	المراحل والأدوار التاريخية لدولة عبد الواد الزيانية 1236–1554	26	جويلية–أوت 1975	29–03
09	حقيقة مطالب المغرب الأقصى التاريخية حول الساقية الحمراء ووادي الذهب	28	نوفمبر–ديسمبر 1975	69–61
10	موقف وجهاء الإيالة الوهرانية من ثورة المقراني والحداد عام 1871	29–30	جانفي – فيفري 1976	48–43
11	حول الملتقى التاسع للفكر الإسلامي بتلمسان ملاحظات واقتراحات	29–30	جانفي – فيفري 1976	185–176
12	المجاعة في الجزائر أواخر عقد الستينات من القرن 19	33	ماي 1976	29–07
13	عنابة عبر التاريخ	34–35	يونيو –يوليو 1976	25–17

14	وثائق جديدة عن دور محي الدين بن الأمير عبد القادر في ثورة 1871 وعن موقف أبيه والسلطات التونسية منه	38	أكتوبر 1976	62–25
15	نماذج من مقاومة سكان الواحات	41	جانفي 1977	134–117
16	حول ملاحظات وانطباعات السليمان داود ابن يوسف عن ثورة 1871	46–47	جوان–جويلية 1977	117–105
17	جهود الأمير عبد القادر وخلفائه في تدعيم الجبهة الشرقية القسنطينية	48	أوت 1977	42–02
18	المجهولون من زعماء المقاومة في الشرق الجزائري	54–55	فيفري–مارس 1978	58–31
19	موقف الرسميين التونسيين من ثورة الصبايحية والكبلوتى في منطقة الحدود الشرقية عام 1891	60–61	أوت–سبتمبر 1978	202–157
20	انتفاضة سكان الأوراس	60–61	أوت–سبتمبر 1978	234–223
21	موقف العائلات الارستوقراطية من محمد المقراني وثورته وأحداث أخرى من خلال الوثائق عن ثورة 1871	65–66	جانفي–فيفري 1979	95–76
22	مشكلة البحث العلمي في الجزائر	67	مارس 1979	30–18
23	ملامح عن ثورة أول نوفمبر الجزائرية ومواقف ديغول تجاهها لغاية مظاهرات ديسمبر 1960	73، 74	سبتمبر–أكتوبر 1979	40–23
24	ازدهار الحضارة والفكر الإسلاميين في الغرب الإسلامي ودورهما في نهضة أوروبا ويقظتهما	75، 76، 77، 78	جانفي–فيفري 1980	144–113
25	مظاهر المقاومة وروادها في الشرق القسنطيني ضد الاستعمار الفرنسي في القرن التاسع عشر	79، 80، 81، 82	مارس–افريل–ماي–جوان 1980	99–88

26	المقاومة في جبال الونشريس وحوض الشلف وجبال الظهرة ضد الاستعمار الفرنسي (1840–1864)	82–83	جويلية–أوت 1980	18–02
مجلة الثقافة				
27	أوضاع الجزائر في القرن الماضي	29	1975	27–09
28	موقف الجزائريين من تجنيس اليهود الجماعي	30	ديسمبر 1975	63–39
29	وثائق جديدة عن ثورة ابن ناصر بن شهرة (1851–1875)	31	1976	48–39
30	وثيقتان جديدتان عن كفاح الشريف محمد بن عبد الله	33	1976	28–11
31	أضواء على كفاح الشريف بوشوشة	34	1976	99–85
32	دور الشيخ محمد الجعدي في ثورة 1871من خلال الوثائق	35	1976	25–11
33	ملامح من قلعة بني حماد ودولة الحمادية وبجاية	36	1976	22–11
34	دور الاخوان الرحمانيين في ثورة 1871 بمنطقة الأوراس وأثر المقراني والحداد فيها	38	أفريل، مايو 1977	27–11
35	وثائق جديدة عن موقف الأمير عبد القادر والدولة العثمانية من الثوار المقرانيين عام 1871	39	يونيو، يوليو 1977	24–11
36	ثورات سكان الزواغة وفرجيوة والبابور ضد الاستعمار الفرنسي وقضية الحاج بن عز الدين	40	سبتمبر 1977	21–11
37	أوضاع المنفيين بعد ثورة 1871 من خلال رسائلهم	42	ديسمبر 1977 يناير 1978	20–09
38	أربعة أحداث في ثلاث وثائق	45	يونيو، يوليو 1978	24–09
39	أضواء على ثورة أولاد سيدي الشيخ (1864–1873)	46	أغسطس،سبتمبر 1978	32–11
40	علاقة الجزائر مع دول وممالك أوروبا فيما بين القرن 16 ومطلع القرن 19	48	ديسمبر 1978	37–17

41	سياسة نابليون الثالث تجاه الجزائر من خلال أقواله ورسائله (1852–1870)	50	مارس، أفريل 1979	33–13
42	أضواء على ثورة أولاد سيدي الشيخ (1864–1873) ج2	51	مايو، جوان 1979	50–31
43	ماضي مدينة وهران وأمجادها التاريخية	52	يوليو، أغسطس 1979	57–29
44	دور عائلتي المقراني والحداد في ثورة 1871	54	نوفمبر، ديسمبر 1979	38–27
45	مظاهر المقاومة وروادها في الشرق القسنطيني ضد الاستعمار الفرنسي	55	يناير، فبراير 1980	25–11
46	اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر والصحراء (1)	57	مايو، يونيو 1980	28–15
47	اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر والصحراء (2)	58	يوليو، آب 1980	60–45
48	أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين	63	مايو، يونيو 1981	30–11
49	الجديد في علاقة الأمير عبد القادر مع إسبانيا وحكامها العسكريين بمليلية (1)	64	يوليو، أغسطس 1981	24–13
50	اتصالات الأمير عبد القادر بإسبانيا وحكامها العسكريين بمليلية (2)	65	سبتمبر، أكتوبر 1981	33–15
51	أضواء على ثورة الشيخ بوعمامة بالجنوب الوهراني (1881–1908)	68	مارس، أفريل 1982	27–11
52	دور تونس في دعم حركات التحرر الجزائرية وموقف الجزائريين من احتلالها عام 1881	70	يوليو، أغسطس 1982	57–45
53	اللقاء التاريخي بين الأمير عبد القادر وحاكم سبتة ومليلة الاسباني	75	ماي–جوان 1983	122–109
54	الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن 19	80	مارس، أفريل 1984	186–159
55	ما كتب عن ثورة أول نوفمبر 1954	83	سبتمبر، أكتوبر 1984	242–213

56	دور الطلبة الجزائريين في ثورة التحرير الوطني	83	سبتمبر، أكتوبر 1984	300–273
57	معارك الحاج أحمد في جبال أولاد السلطان من خلال ثلاث وثائق جزائرية	90	نوفمبر، ديسمبر 1985	142–123
58	انتفاضة التوارق بأزجر والهقار (1916–1919)	93	ماي، جوان 1986	189–177
59	عودة إلى نهاية الشيخ عزيز بن الحداد في المنفى	96	نوفمبر، ديسمبر 1986	137–117
مجلة التاريخ				
60	وثيقة لمسؤولين مصاليين يدينون الحركة الوطنية	عدد خاص	النصف الثاني من عام 1984	53–45
61	مفاوضات الصلح بين الجزائر وإسبانيا من خلال مراسلات الداي محمد عثمان باشا (1780–1781)	18	النصف الأول من عام 1985	152–125
62	عودة إلى مراسلات الأمير عبد القادر ومواقفه من رفاق السلاح بالجزائر	20	النصف الأول من عام 1985	23–10
63	انتفاضة سكان عين الترك وملیانة أفريل 1901	21	النصف الأول من عام 1986	127–115
مجلة أول نوفمبر				
64	مكانة عبد الحميد بن باديس بين مصلحي الشرق الاسلامي	15	أفريل 1976	04–01
65	حقائق عن نظام المغرب العربي الأقصى	15	أفريل 1976	
66	بعض عبر وأبعاد يوم 05 جويلية، و20 أوت	17	أوت 1976	26–21
67	ولماذا لا يستفيد العرب من تجارب تاريخهم	18	نوفمبر 1976	
68	الأوضاع السياسية قبيل اندلا ع الثورة	19	نوفمبر 1976	136–117
69	معابر الحركة الوطنية في القرن العشرين	20	فيفري 1977	
المجلة التاريخية المغاربية				
70	من كفاح الجزائر في القرن التاسع عشر، أربعة أحداث في ثلاثة وثائق	02	جويلية 1974	102–97

71	موقف وجهاء الإيالة الوهرانية من ثورة المقراني والحداد عام 1871	05	جانفي 1976	51–48
72	عودة إلى مراسلات الأمير عبد القادر ومواقفه من رفاق السلاح بالجزائر	42– 44	جوان1986	144–135
73	إسبانيا توسيط الجزائر لإبرام صلح مع تونس	49– 50	جوان 1988	29–23
74	الإنتاج الفكري والأدبي للشيخ أبي راس الناصري المعسكري	53– 54	جويلية 1989	253–245
75	وثائق جديدة حول محاربة الأمير عبد القادر وللشيخ التيجاني بعين ماضي، ولقبائل المخزن بوهران وقضايا أخرى	55– 56	ديسمبر 1989	243–224
76	وثيقة حزب الشعب الجزائري إلى الأمم المتحدة احتجاجا على اقحام الجزائر في الحلف الأطلسي	63– 64	جويلية 1991	379–367
77	العلاقات الجزائرية الإسبانية من خلال مراسلات ساسة البلدين في أرشيف التاريخ الوطني بمدريد	65– 66	أوت 1992	247–229
مجلة الحضارة الإسلامية (وهران)				
78	الدور الديني والسياسي للطرق الصوفية بالجزائر	02	أفريل 1996	
مجلة البحوث التاريخية (ليبيا)				
79	اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر والصحراء من خلال ما كتبوه ومدى استفادتهم من طرق القوافل في غزوها		1981	384–367
80	حروب المقاومة كما صورتها الكتابات الفرنسية	02	يوليو 1983	286–277
مجلة الكويت				
81	ماذا قدم المغرب الإسلامي للحضارة الأوروبية	08	ماي 1981	109–100

مجلة المؤرخ العربي				
82	الاستعمار الحديث في إفريقيا	31	1987	36–21
مجلة الحرس الوطني (الرياض)				
83	الحج بين الماضي والحاضر	58	أوت 1987	
مجلة الهداية (تونس)				
84	أفضال الزيتونة على المسيرة الثقافية والعلمية والتربويّة بالجزائر	152	نوفمبر . ديسمبر 2002	

جريدة الصباح التونسية		
	العنوان	التاريخ
85	لم نختلف أبدا	1956/03/04
86	هل من مزيد يا م. لاكوست	1956/07/12
87	إن الثورة الجزائرية قد وضعت النقاط على الحروف يا م. لاكوست	1956/08/04
88	قضية الجزائر مشكلة العرب يا قوم	1956/08/10
89	ساحة الوغى تحدثني	1956/08/11
90	مأساة بني معمر تمثل حرب الإبادة	1956/09/15
91	أعمال الوحشية في الجزائر: من أجل حماية الخائن	1956/10/06
92	إلى وزارة المعارف التونسية المشروع الاجتماعي في الميزان	1956/10/20
93	الصباح في معارك التحرير وصوت الجزائر الحرة	1956/10/27
94	الجواب ما ترى ما لا تسمع يا م. لاكوست	1956/10/30
95	معركة القنال وثورة الشعب الجزائري	1956/11/17
96	حول قصيد معركة الشرق والغرب: وهكذا ينبغي الأدب يا شباب الأدب	1956/12/28
97	رسالة الجمعيات	1956/12/20
98	بعد ركوع ايدن ومولليي: سجد موللي سجد لاكوست أمام ثورة الجزائر	1957/01/05
99	الآن يا م. لاكوست	1957/01/12

100	نقول هذا للتذكير	1957/02/2 ،1
101	في عالم الثورة: أرقام البؤس الجزائر حتف الاستعمار	1957/02/09
102	من اعترافات لاكوست: تحيا الجزائر حرة مستقلة	1957/03/02
103	مكافحة الثقافة	1957/03/08
104	الأمير عبد القادر	1957/03/09
105	قاهرة الغرب منبع عز العرب	1957/03/17
106	تحية القاهرة	1957/05/27
107	حول ذكرى 05 جويلية 1830: عيد بأي حال عدت يا عيد	1957/07/11
108	مرحبا بعميد الآداب الدكتور طه حسين	1957/07/18
109	جيش التحرير في الميدان	1957/07/28
110	مشكلة الثقافة العربية في الجزائر	1962/06/21–14
111	علاقة الجزائر الدولية قبل 1830	1962/07/05
112	أضواء على تاريخ البحرية والاسطول الجزائرية	1962/08/05

الملحق رقم 04

	اسم الملتقى	البلد	تاريخ انعقاد الملتقى
01	تاريخ التجارة عبر الصحراء	طرابلس الليبية	من 01 إلى04 أكتوبر 1979
02	المستشرقين الألمان الواحد والعشرين	برلين الغربية	أواخر شهر أفريل 1980
03	الملتقى الدولي الثاني لتاريخ المغرب وحضارته	تونس	أواخر شهر نوفمبر 1980
04	الملتقى الدولي رد فعل تونس من الاحتلال الفرنسي لها عام 1881	تونس	أواخر شهر ماي 1981
05	تاريخ العلاقات العربية التركية	طرابلس الغرب	من 13 إلى 18 ديسمبر 1982
06	الملتقى الدولي عن صدى الثورة الجزائرية في الخارج	الجزائر	أواخر شهر نوفمبر 1984
07	الحركة الوطنية وحروب التحرير 1850– 1950	الجزائر	أوائل ديسمبر 1984

08	الملتقى الدولي الرابع لتاريخ المغرب وحضارته	تونس	1986
09	تجاوب الثورات الشعبية بالمغرب العربي	تونس	فيفري 1992
10	دور المرأة في حركة الإصلاح	مدنين في جنوب تونس	ماي 1992

القسم الثانـي

بحوث في تاريخ الجزائر القديم

منظومة الري بتيمقاد خلال الفترة الرومانية

The irrigation system in Timgad during the Roman period

أ/ عيد عبد الحق
جامعة محمد لمين دباغين سطيف02

الملخص

يعد عنصر المياه من بين عوامل نشأة المدن القديمة إذ يجب توفيره باستمرار لتزويد السكان به، وكان هذا من بين الانشغالات التي أولى الرومان أهمية كبيرة، فبحثوا عن المنابع وأقاموا القناطر، السدود، الخزانات، قنوات ناقلة... الخ. إن هذه الآثار لمنشآت الماء توضح الطريقة التي انتهجها الرومان في التحكم العقلاني في المصادر المائية المتوفرة لديهم وتسخيرها حسب المتطلبات التي تفرضها الحياة اليومية، وكمحاولة مني أريد في هذا المقال المتواضع أن أبرز أهم المنشآت المائية المستعملة في مدينة تيمقاد.

الكلمات المفتاحية: تيمقاد، منظومة، الري، تموين، تقنيات، توزيع، آبار، خزان.

Abstract

The element of water is among the factors of the emergence of ancient cities, as it must be constantly provided to provide the population with it, and this was among the preoccupations that the Romans attached great importance to, so they searched for sources and built aqueducts, dams, reservoirs, conveying channels...etc. These effects of water installations illustrate the way the Romans followed in rational control of the water resources available to them and harnessing them according to the requirements imposed by daily life As an attempt, I want in this modest article to highlight the most important water facilities used in the city of Timgad.

Keywords: Timgad, system, irrigation, supply, techniques, distribution, wells, reservoir

مقدمة

خلال الفترة الرومانية شهد شمال إفريقيا تطورا ملحوظا شمل مجالات متعددة ومختلفة وذلك بالاستعانة بعنصر المياه الذي يعتبر القلب النابض لكل تطور مدني وحضاري .كان ويزال عنصر الماء يشكل مادة حيوية في بلاد المغرب، فالحاجة إليه تتزايد بتزايد العمران والتوسيع الزراعي، خاصة في المناطق الجنوبية التي ترتفع فيها قيمة المياه ارتفاعا يتناسب تناسب عكسيا مع منسوب المطر المتساقط سنويا يتم استغلال كل الإمكانيات اللازمة لتسهيل مهمة تموين المدينة بالمياه مما يستوجب استعمال الآبار والخزانات والقنوات الناقلة لسد الحاجة.

ولقد تم تموين المدن الكبرى بالمياه رغم صعوبة التضاريس مثل ما عليه مدينة قرطاجة حيث تم جلب المياه من بعد 100 كلم كما تم حفر نفق في جبل لإيصال مياه للمدينة مثل ما عليه مدينة (صلداي) بجاية، أما فيما يخص مدينة **تيمقاد** فهنالك ثلاث طرق يتم بها تموين المدينة بالمياه، خاصة وان هذه الأخيرة كان يسكنها ما بين 15 إلى 20 ألف نسمة وبالإضافة إلى احتوائها على 14 حماما عموميا، وكثير من الحمامات الخاصة، والنافورات العمومية .ومن ثمة من الطبيعي أن مدينة تيمقاد كانت تحتاج كميات كبيرة من المياه، لذا استعملت الطرق التالية لتموين المدينة :حفر الآبار، ـتموين المياه من ينبوع عين موري. استغلال المياه السطحية.

ومنه نطرح الإشكاليات التالية: **ما هو مصدر تموين المدينة بالمياه؟ وهل كان كافيا لتلبية كل متطلبات المدينة؟ ما هي المنشآت توزيع المياه العمومية في المدينة وداخل المباني؟ كيفية تصريف المياه في المدينة؟ مجرى المياه المستعملة؟**

ولأجل الإجابة على هذه الإشكاليات اتبعت الطريقة الآتية:

أولا/ تاريخ الأبحاث

حسب تقارير الحفريات المقامة بمدينة" تيمقاد "والخاصة بأعمال الري والمنشآت التي أقاموها كانت على النحو التالي:

ففي عام 1897 تم اكتشاف عدة قنوات كبيرة لتصريف المياه حيث هي متواجدة تحت طرق المدينة[1] .عام 1902 تم اكتشاف خزان مياه غرب الطريق الرئيسي الشرقي الغربي ديكومانوس ماكسيموس[2] . أما فيما يخص الاكتشافات التي تمت من 1903 إلى 1910 هي عدة أحواض وخزانات مياه بالإضافة إلى اكتشاف قناة مياه آتية من الجهة الغربية للمدينة على مسافة 400م غرب الكابتول بالإضافة إلى قنوات صغيرة لتوزيع المياه، واكتشاف بقايا أثار لقناة المياه في حالة سيئة على مسافة أكثر من كيلومتر جنوب مدينة تيمقاد[3]. وفي عام 1932 اكتشف الباحث GODET قانتين كبيرتين لنقل المياه وخزانين بالإضافة إلى قنوات توزيع المياه والدليل على ذلك النقيشة الأثرية[4]. وقام الباحث لويس فوشي (Leschi(L بتحليلها عام 1935 [5].

ثانيا/ أهم الطرق المستعملة في الري بتيمقاد قديما

اعتمد الرومان خلال تواجدهم بتيمقاد في الري، الطرق والمنشآت التالية:

1 Ballu (A); Les Ruines de Timgad, Antique Thmugadi; Paris; 1897; PP. 23, 24.

2 Ballu (A); Les Ruines de Timgad, Antique Thmugadi ; Nouvelles découvertes ; Paris; 1903; P. 73.

3 Ballu (A); Les Ruines de Timgad, Antique Thmugadi; Sept années de découvertes; 1903-1911; Paris; 1911; P. 19.

4 Christofle (M); Rapport sur les travaux de fouilles et consolidation effectuées en 1930-1931-1932 par les services des monuments historiques de l'Algérie ; Alger ; 1935; PP. 148-149.

5 LESCHI (L); Commentaire sur inscription de Timgad; BCTH 1934 - 1935; PP. 155 -159.

1 ـ المجاري المائية

نلاحظ على الخريطة الطبوغرافية لمدينة باتنة التي تشمل مدينة تيمقاد، عدة أودية تحيط بها هي:

أ. وادي طاقة: يجري جنوب مدينة تيمقاد وينبع من الجهة الشمالية بين جبلي تماقولت ومجيبا ويتجه نحو الشرق ليتصل بوادي الرباعة[1].

ب. وادي موري: يتشكل من تجمع عدة مجاري ويجري جنوب مدينة تيمقاد ليتجه نحو الشمال ويتصل بوادي الرباعة هو الآخر.

ت. وادي سبع ارقود: ينشأ عن التقاء واديين صغيرين وهما وادي فم الطوب ووادي حنقة العكرة ويتجه نحو الشمال والذي يعرف بتسمية وادي فم قسنطينة[2] *

ث. وادي الرباعة: ينشأ عند التقاء وادان هما وادي طاقة ووادي سبع ارقود ويتجه نحو الشمال ليتصل بوادي شمورة ويجري شرق مدينة تيمقاد.

ج. وادي ستوتز: يجري شمال المدينة حيث يظهر عند السفح الجنوبي لجبل تغراثين **متجها نحو الشرق ليتصل بوادي شمورة هو الآخر[3] .

ح. وادي شمورة: مجراه شمال شرق تيمقاد بين جبلي بوعريف وفجوج ناتج عن التقاء جميع الأودية السالفة الذكر ويميل نحو الغرب ويصب في شط جندلي.

---

1 Birebent (J); Aquae romanae; Recherches d'hydrauliques romaines dans l'est Algérien; Alger 1964.-1911; Paris; 1911 ; P. 315.

2Lartigue; Monographie de l'Aurès; Ed. Mark Audrino; Constantine; 1904, P. 49.

3 Birebent (J); Aqua…op-cit; P.P 318-319.

* في الخريطة الطبوغرافية الحالية لمدينة باتنة تذكر تسمية وادي سبع أرقود بتسمية فم قسنطينة.

**يرتفع جبل ثيغراثين عن مستوى سطح البحر ب 1375 م.

2 ــ الآبار

تسمى باللغة اللاتينية Putesوتعتبر طريقة من الطرق التي استعملها القدامى لتموين مدنهم بالمياه [1]توجد أحيانا أبار عمومية تابعة لتعمير مدينة ولكنها نادرة فغالبا هي خاصة تابعة لمبنى حمام أو منزل[2]. هناك عدة أنواع من الآبار حسب شكل الفوهة فمنها الدائرية والمربعة، المستطيلة الشكل وفي بعض الأحيان نجد حتى الآبار ذات الفوهة المثلثة الشكل [3]

أ ــ مكونات الآبار

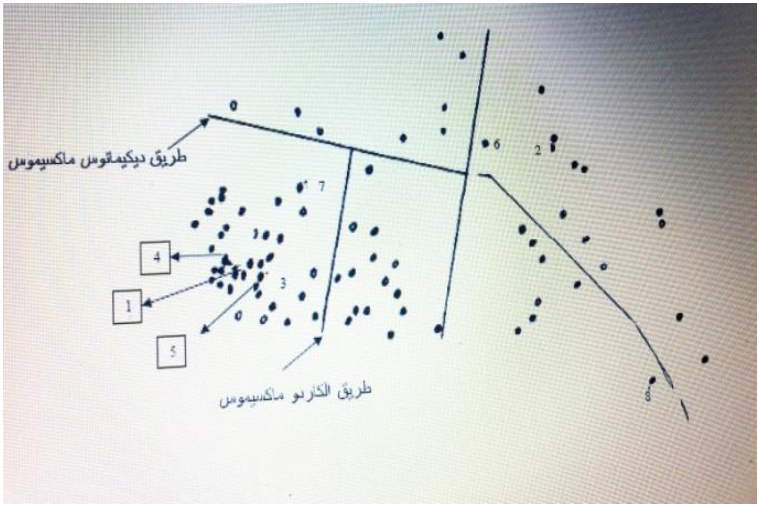
تتكون الآبار من فوهة بسيطة تحفر في بلاطة حجرية بفتحة دائرية، مربعة أو مستطيلة الشكل، وعادة ما تغطى هذه الفتحة بغطاء Cooperculatum.وعندما تكون فتحة البئر مرتفعة عن سطح الأرض تدعى ب .Puteal[4]وعادة ما نجد ثقوب توضع فيها قطع حديدية لتثبيت حبل الدلو الذي هو عبارة عن إناء يسمح برفع المياه من قاع البئر وعادة ما يشبه مزهرية ذات مقبض[5].

ب- آبار تيمقاد

أبار مدينة تيمقاد كثيرة ومتنوعة تتركز خاصة في الحيين الجنوبي الغربي والشمالي الشرقي، هذا ما يدل على وجود المياه الجوفية في الشريط الممتد من الزاوية الجنوبية الغربية إلى الزاوية الشمالية الشرقية.

1 Lavedan (P); Dictionnaire illustré de la mythologie et des antiquités grecques et romaines; Ed. Hachette; Paris 1931; Puit.
2 Ibid; puit.
3 Ginouves (R); Dictionnaire méthodique de l'Architecture Grecques et Romaines; Tome II ; Ed. Ecole d'Athènes ;P209.
4 Ibid.; P 209.
5 Lavedan (P); Op. Cit.; Puit.p,187.

تم إحصاء 82بئرا في مدينة تيمقاد **مخطط رقم)01** (ومن المؤكد وجود أبار أخرى مردومة ويعتبر هذا العدد مهما بالمقارنة بآبار مدن أخرى مثل زغوان، بحيث تم إحصاء 119بئر، تتراوح أعماقها ما بين 4و59 م وأقطار فوهاتها تتراوح من متر إلى 3أمتار[1].



مخطط رقم 01 آبار تيمقاد

فيما يخص أبار تيمقاد هناك تواجد المياه في البعض منها حتى يومنا هذا ربما مياه الأمطار التي تصب سنويا مثل بئر منزل "**ذي الحدائق**" شرق الفوروم والعديد من الآبار فيها المياه حسب ما جاء في مقال Godet (R)في مجلة ليبيكا «Lybica»عام 1954.[2].

3 ـ تصنيف الآبار بتيمقاد

صنفت آبار تيمقاد حسب ما يلي:

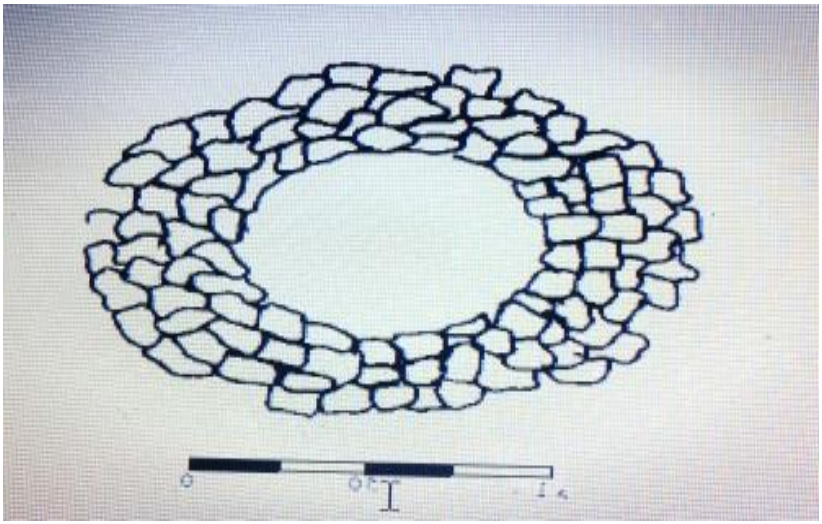
1 Lavedan (P); Op. Cit; Puit.p,187.

2 Godet (R); Le ravitaillement de Timgad en eau potable Libyca antiquité (archéologie, épigraphie); T. II; 1 er Semestre; 1954; P. 66.

أ- حسب مادة بناء الفوهة

- الآبار المبنية بواسطة الحجارة الصغيرة

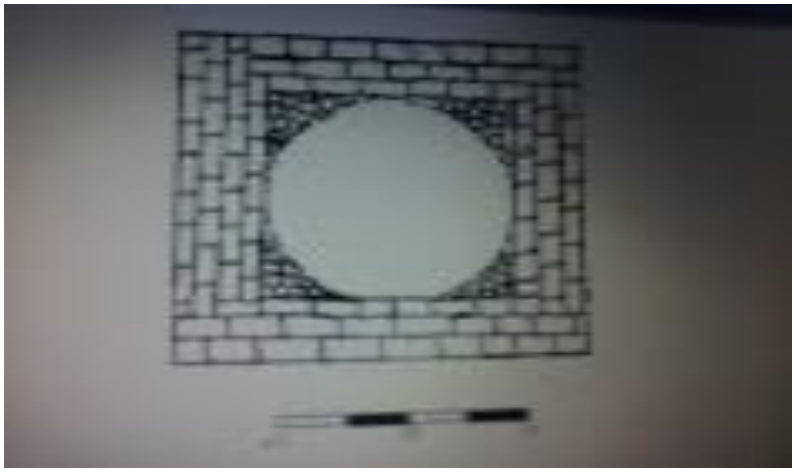
يوجد هذا النوع من الآبار في المدينة بكثرة، وخاصة في الناحية الشمالية الغربية منها ولكنها أحيانا كثيرة في حالة سيئة بسبب تساقط حجارة الجدران والقاذورات مما أدى إلى امتلاء البئر إلى مستوى الفوهة **مخطط رقم 02.**



مخطط رقم 02. الآبار المبنية بواسطة الحجارة الصغيرة

- الآبار المبنية بواسطة الأجر

إن هذا النوع من الآبار المبنية بالأجر متواجد على نمطين الأول تبنى فوهته فقط بالأجر وهذا مثال متواجد في الجهة الغربية لسوق سيرسيوس " **سوق الملابس** "وهو عبارة عن بئر كبير مبنى بواسطة حجارة صغيرة متماسكة جيدا بواسطة ملاط قوي العمق يبلغ 4.80 م وقطر فوهته 1.05 م، يحيط هذا البئر بناء مربع الشكل من مادة الأجر طول ضلعه 1.65 م. **مخطط رقم (03)**

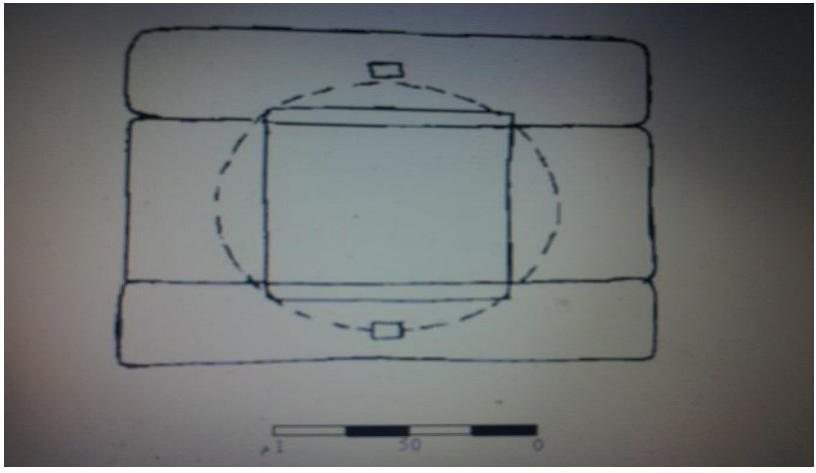


مخطط رقم (03): الآبار المبنية بواسطة الأجر

ب- حسب تقنية بناء فوهة البئر

- الآبار المحفورة في تبليط الأرضيات

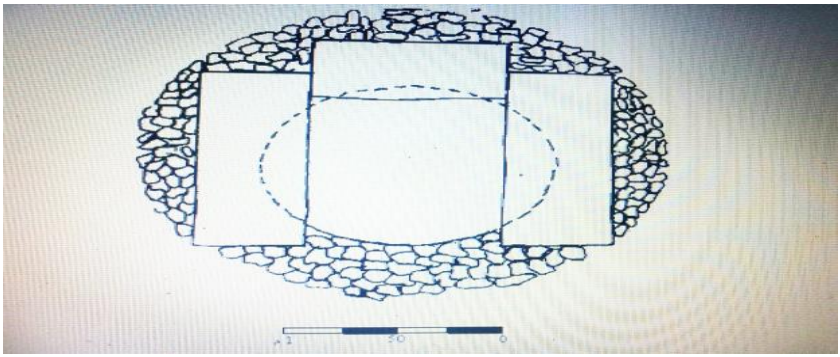
هذا النوع من الآبار متواجد عادة في المساحات المبلطة للمنازل والساحات وهي ذات فوهة مربعة أو مستطيلة الشكل بحيث شكلتها البلاطات الحجرية، ومثل عن ذلك. **مخطط رقم 04**



مخطط رقم 04 . الآبار المحفورة في تبليط الأرضيات

- الآبار ذات الفوهة المرتفعة والمحاطة ببلاطات

هذا النوع من الآبار مرتفع على سطح الأرض وهو مبني بحجارة صغيرة



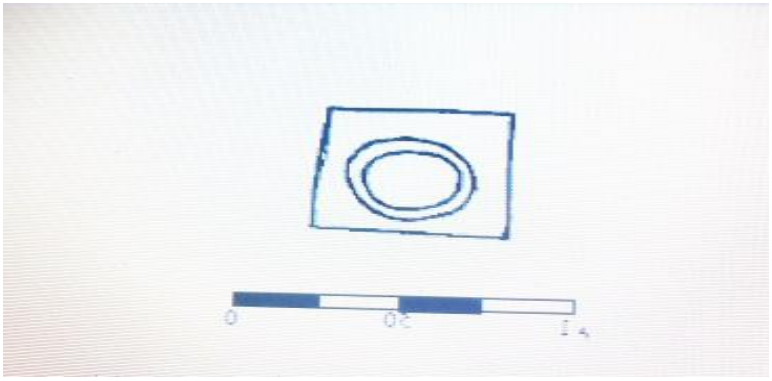
الواحدة فوق الأخرى ومتماسكة فيما بينها ببلاط. **مخطط رقم05**

مخطط رقم05 الآبار ذات الفوهة المرتفعة والمحاطة ببلاطات.

ج- حسب شكل البلاطة التي حفر فيها البئر

- مربعة الشكل

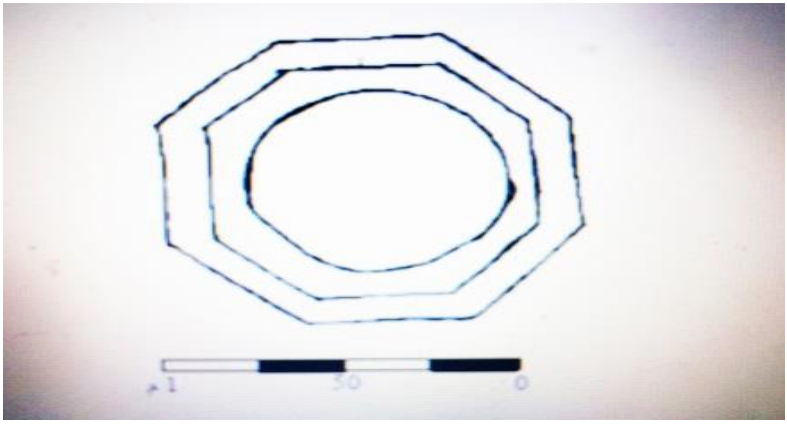
يتعدد هذا النوع من الآبار، وخاصة في المساحات المبلطة منها ذات الفوهة الصغيرة جدا قطرها تبلغ حوالي 0.30 م تتوضع عليه بلاطة حجرية كغطاء، هذا النوع المحفور في بلاطة حجرية تبلغ 0.44 م ويبلغ عمق البئر حاليا3.24 **مخطط رقم (06)**



مخطط رقم (06) آبار مربعة الشكل

- ثمانية الشكل

يقع هذا النوع من الآبار شرق المكتبة العامة لمدينة ثاموقادي البئر محفور في بلاطة حجرية ذات شكل ثماني يبلغ ضلعه حوالي 0.50 م ويبلغ سمكها 0.10 م وارتفاع البلاطة على مستوى الفوهة أي من الجهة لداخلية 0.25م ومن الجهة الخارجية 0.08 م وذلك للتربة العالقة بها، وتحتوي من الجهة الداخلية على 8 ثقوب مستطيلة الشكل، يبلغ قطر الفوهة 0.75 م وهذا البئر فيه المياه حتى يومنا هذا .إن ما يلفت النظر هو أن معظم أبار مدينة تيمقاد محفورة عند أبواب الغرف **مخطط رقم (07)**.



مخطط رقم (07) **آبار** ثمانية الشكل

د- ينبوع عين موري

- موقع ينبوع عين موري

يقع ينبوع عين موري على بعد 2 كلم جنوب شرق مدينة تيمقاد وقد اخذ تسمية الواد الذي يصب فيه وهو موري[1] ، وهذا الواد يتجه نحو الشمال فيموَّل واد شمورة، وعلى بعد حوالي 200 م من مصب الينبوع وعلى حافته

1 Godet (R); Op. Cit.; P. 68.

الغربية، نجد بقايا لبناء قديم وقد كشفت الحفريات خزان على عمق 5.50 عن مستوى سطح الأرض.

- دراسة أثرية ووصفية للخزان

تغطي أثار خزان عين موري مسافة 21 م في اتجاه شمال/ جنوب ومسافة 19 م في اتجاه شرق/غرب ومعظم أحجار هذا الخزان متساقطة على الجوانب لموقع الخزان على مستوى مرتفع بالنسبة إلى مستوى الواد الحالي وهذا المجمع البنائي يمكن أن نقسمه إلى ثلاثة أجزاء.

- **الجهة الشرقية** :تتصف من تسلسل بلاطات حجرية متوضعة على عمق 2م، بالنسبة للمستوي العلوي، وهي على شكل سلالم مبنية بحجارة مصقولة يبلغ عددها سبعة.
- **الجهة الجنوبية** :لها نفس المواصفات خاصة في الزاوية الجنوبية الشرقية بحيث نجد صفين من البلاطات الحجرية المصقولة المتماسكة فيما بينها بعضها سقطت وشكلت سلما.
- **الجهة الغربية** :نجد هنا المجمع البنائي يتمثل في خزان مياه يتربع على مساحة12 م 14x م ويتخلله الحوض المتجه شمال / جنوب ويبلغ طوله 9.80م وعرضه 5.10 م وعمقه 2.10م.

عند مقال غودي يذكر المقاسات 2.9 5.4x 10.4x أي ما يتسع لـ 170 م 4^3-3.

-تموين مدينة تيمقاد من خزان عين موري

إن تموين مدينة تيمقاد بالمياه يتم من خزان عين موري بحيث في الجدار الشمالي للخزان نجد فتحة التي توضع فيها بلاطة حجرية تستعمل للفتح

والغلق، وذلك لتموين القنوات الناقلة للمياه، يندفع الماء في قناة يبلغ عرضها 0.75م وطولها 2 م ولم يتسنى لنا رؤيتها لتحديد علوها إلا إذا قمنا بحفرية. حسب الباحث غودي (**Godet**) تتصل هذه القناة بحوض صغير ذو شكل مستطيل، وله فتحة التموين، تتصل بقناة يبلغ عرضها 0.25 م وارتفاع 0.60 م، تتجه نحو الغرب لتموين القناة الناقلة للمياه ثم تميل نحو الشمال.

هـ- تصريف المياه من خزان عين موري

في كل مكان يتم فيه تجميع المياه يستوجب قيام عمليات التنظيف والتصفية ومن المؤكد أن خزان عين موري يتعرض لهاتين العمليتين ويتم تصريف المياه الغير الصالحة الاستعمال، فنلاحظ في الجهة السفلية للجدار الشرقي للخزان عدم تواجد البلاطات الحجرية كباقي جدران الخزان بل نجده مبنيا بالحجارة الصغيرة المتماسكة بملاط قوي، وحسب الباحث **غودي** يتم تصريف المياه عبر قناة في الجدار يبلغ طولها 3 أمتار قطرها 0.20 م، ثم يتجه إلى قناة مبنية بالآجر، ويصعب متابعة مسارها وذلك لكثرة الشوائب، وأما من الجهة الخارجية لهذه القناة نجد بلاطتين حجريتين متقابلتين لتحديدها وضعت عليهما بلاطة أخرى يبلغ سمكها 0.25 م ويتوضع عليها حجارة صغيرة وتتصل بقناة أخرى تتابع مسار تصريف المياه طولها 3.80 م وعرضها 0.40 ، ارتفاعها 0.30 م وهي محفورة في بلاطات حجرية يصل طولها إلى 1 م وعرضها 0.80 م وارتفاعها 0.60م وتصب في الواد.

و- استغلال المياه السطحية

نظرا لتوسع مدينة تيمقاد في نهاية القرن الثاني الميلادي فقد أصبح ينبوع عين موري غير كاف لتلبية كل حاجيات السكان من حيث كميات المياه المطلوبة للحمامات والمنازل والنافورات وغيرها مما دفع إلى البحث عن

مصادر أخرى لتوفير الكميات اللازمة لذا جاءت فكرة البحث عن منبع أخر للمياه في الجوار، لذا تفطن الرومان إلى استعمال طريقة مهمة ومفيدة لاستغلال المياه السطحية والباطنية مما أدى بهم إلى بناء صهاريج الحفظ والتخزين.

- تعريف الصهاريج

تدعى باللغة اللاتينية[1] Receptaculum هي عبارة عن سدود بسيطة تستعمل في أسفل المنحدرات لحجر المياه الجارية على سطح الأرض أو النابعة من بطنها وتوجيهها نحو خزانات واسعة وتدعى مواجن وهي خزانات فسيحة مفتوحة مجهزة بأحواض أمامية لتسرب الحصى والشوائب العالقة، وأخرى خلفية للتحكم والتوجيه .تنتشر هذه المنشآت في المناطق الجنوبية المتميزة بالهطول الرعدية الأماكن التي تتميز بالميل الضعيف، وأمثلة عن هذه الخزانات أو السريعة والمتقطعة وذلك في الصهاريج. في "**بيزاسان الرومانية** " بالجنوب التونسي وأوضح الأمثلة الأثرية عن هذه المنشآت الاحتياطية، منها الخزان المتواجد على طريق القيروان قفصه على بعد 46 كلم من قفصه ولقد رممته بعثة التحري الاثري ويبلغ طول جدار الحجر 350 م، ولقد ذكرت البعثة المذكورة أن هناك ستة عشر من هذه المواجن في المنطقة [2]"وتعتبر هذه الصهاريج مسابح التصفية وتدعى باللاتينية Picinae Limariae[3] وهو الدور الذي ذكره فيترفيوس لعملية تصفية المياه، إذ يوضع

1 Ginouves (R); Op. Cit; Tome II ; P. 208.

1محمد البشير شنيتي :**التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في بلاد المغرب أثناء الاحتلال الروماني**، الجزائر، 1984. ص ص109 .111

3 Frontin; De aqua les aqueducs de la ville de Rome, (Texte établi et traduité par Grimal (P); Ed. Les belles lettres ;paris ; 1944) ; P. 19.

صهريجان أو ثلاثة بطريقة تمكن انتقال الماء من حوض إلى أخر قصد تصفية المياه حتى يصبح صالحا للاستعمال[1].

- صهاريج مدينة تيمقاد

- **موقع صهاريج تيمقاد**

قام الأثري شارل غودي بحفرية سنة 1932 فعثر على أثار تمَّون المدينة بالمياه وهي تتمثل في صهريجين يقعان على بعد 200 م غرب الحي الدوناتي، وتم العثور عليهما على عمق 3 أمتار عن مستوى سطح الأرض ويستعملان لحجز المياه الباطنية والمياه السطحية [2] التي تجري في روافد نتجت عن الأمطار الرعدية المشهورة بالمنطقة منذ العصور القديمة إلى زمننا هذا وعلى سبيل المثال هناك مجرى سيلان الأمطار المتساقطة افريل 2003 **مخطط رقم(08)** والتي سببت في إنشاء شعاب بجنوب المدينة وغرب الكابتول في اتجاه الشمال.



مخطط رقم (08) الأمطار المتساقطة افريل2003

مخبر قسنطينة

1 Vitruve; De architectura (Texte établi et corrigé par Perrault (Cl) ; Ed. Margada ; Paris ; 1684) ; Livre VIII ; chap. II;PP. 253-255.
2 Godet. (R); op.cit. ,P.70.

- **دراسة وصفية وأثرية لصهاريج تيمقاد**

يتمثل في صهريجين مختلفي المقاسات، **صورة رقم (01)**

. الصهريج الصغير

يتجه شرق/غرب جزء منه مبني بواسطة الآجر أما جزء الجهة العلوية فهو مبني بواسطة بلاطات مصقولة، وهو ذو مقاسات 4.60م. أما فيما يخص عمقه الحالي فيبلغ 0.85 م بحيث فيها تربة مترسبة جرفتها الأمطار، تنمو عليها الحشائش

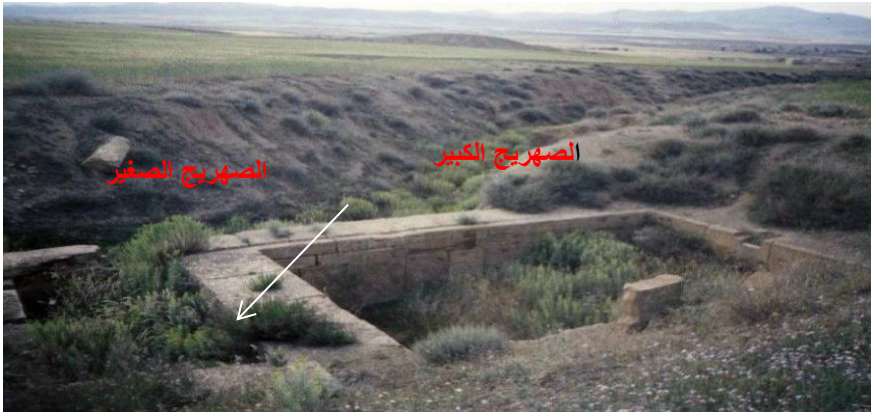
من الجهة الغربية للجدار الجنوبي للصهريج الصغير نجد حفر قناة مياه يبلغ طولها مترين وعرضها.0.30 ،وهناك قناة أخرى من الجهة الشرقية للصهريج يبلغ عرضها 0.30 م ولم تظهر جيدا لتوضع بلاطتين حجريتين ** عليها التي تؤكد أن هذا الصهريج كان مغطى، وهذه القناة كانت لتمون الصهريج بالمياه بالإضافة إلى القناة المتواجدة في الجهة الغربية للجدار الجنوبي بحيث عثرت على نفس مسارها وعلى بعد 7 أمتار من جنوب هذا الصهريج قناة على مستوى منخفض بالمقارنة مع القناة المتواجدة شرق الصهريج بحيث يبلغ عرضها 0.35 م ملبسة بملاط وردي اللون سمكه 0.05 م لعدم نفوذ المياه ولقد بنيت هذه القناة في كتلة من الحجارة الصغيرة يبلغ عرضها 2م أما ارتفاعها 1.20 م والقناة لم يظهر منها الكثير لتوضع الحجارة عليها فيها تسير المياه الباطنية.

. الصهريج الكبير

يقع هذا الصهريج شمال الصهريج السابق وتبلغ مقاساته 6.70 م عمقه الحالي يبلغ1.60م وكان يبلغ2 م 3 وذلك لنفس السبب السابق، إن هذا الصهريج مبني بواسطة حجارات مصقولة مختلفة المقاسات من مادة الحجر

الرملي وهي متوضعة في الصف الأول عموديا ويليها صفان من هذه الحجارة متوضعة أفقيا ويبلغ سمك جدران هذا الصهريج حوالي 1.10 م نلاحظ في الجدار الجنوبي للصهريج الكبير 3 فتحات اثنتان في الجوانب والأخرى في المركز.

وتبعد عن مستوى الأرض الحالي ب 0.37 م .وتستعمل هذه الفتحات لنقل أو إيصال المياه في الصهريجين أما لتموين الصهريج الكبير أو عند قيام بعملية التصفية والتنظيف. نجد وسط الجدار الشمالي للصهريج بلاطة حجرية منحوتة تمثل قناة مياه يبلغ عرضها 0.35م منها يتسرب فائض الماء النقي الصالح للاستعمال ولكننا وللأسف لم نتمكن من متابعة تلك القناة فالأمر يتطلب التنقيب عليها بالإضافة إلى انه على طول الجدار الغربي للصهريج الكبير نلاحظ تهيئته بقناة مياه عرضها 0.26 م.

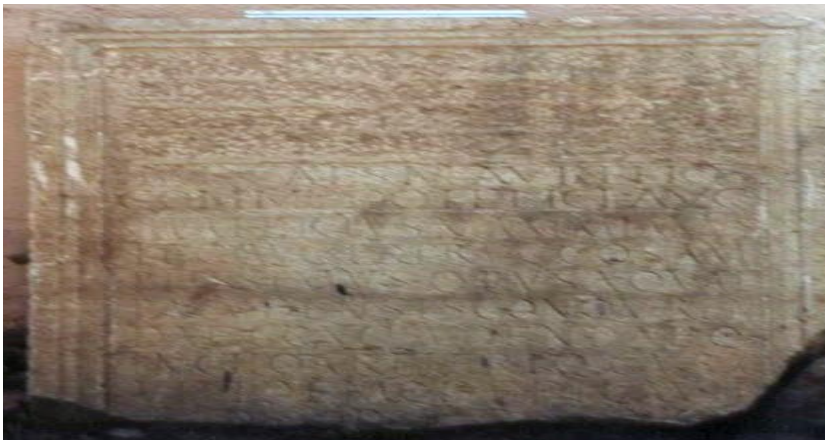


صورة رقم (01) الصهريج الكبير والصغير

ج ــ نقيشة الصهريجين

تم العثور على نقيشة لاتينية داخل الصهريج الكبير أثناء الحفرية التي قام بها كريستوفل أعوام 1931. 1932 .[1] 1933 وهي منقوشة في بلاطة حجرية ذات مقاسات 1.23 م x0.92xم 0.21م الحجر الكلسي الأبيض

وهي مكسورة قليلا من الجهة السفلية وهي حاليا متواجدة في الجهة الغربية للجدار الجنوبي لساحة المتحف تيمقاد.[1]**صورة رقم (02)**



صورة رقم (02) نقيشة الصهريجين

. نص النقيشة :كتابة النقيشة كاملة.

IMPERATOR CAESRI MARCO AURELIO
COMMODO FELICI AVGUSTI
MARCUS VALERIUS MAXIMIANVS
LEGATUS AUGUSTUS PRO PRAETORI VIRVS CLARISSIMVS
COSULI AMPLISSIMUS OPUS AQVAE
PALVDENSIS CONQVIREDAE CONCLVDENDAEQUE
INCHOARI FIERIQUE CVRAVIT IDEMQUE DEDICAVIT
DECRITO DECURIVNUM PECUNIA PUBLICA

نقشت هذه النقيشة بشكل جيد ويبلغ ارتفاع الحروف 6 سم إلا أن هذه النقيشة كانت تحتوي في الأول على 14 سطرا حذفت الأسطر الستة الأولى إلا أن أعيد كتابة الخامس والسادس ويعتبران بداية الكتابة الأثرية [2] ويمكن

1 Christofle (M); Op. Cit.; P. 87.
2 LESCHI (L); Commentaire ...;op.cit; P. 155.

أن نجزئ النقيشة إلى جزأين، بحيث الأول يتعلق بصاحب النقيشة أما الجزء الثاني فيتعلق بهدف قيام هذه النقيشة.

د – تحليل النقيشة

– الجزء الأول

صاحب هذه النقيشة هو ماركوس فاليريوس ماكسيميانوس وهذا الاسم كتب على الكثير من النقوش الأثرية الإفريقية إلا انه لا تعرف سنة حكمه بالضبط و بالمقارنة مع مدينة لومباز التي وجدت فيها قطعة نقيشة ورد فيها اسم فاليريوس الذي أهدى قوس للإمبراطور ماركوس اوريليوس كومودس * الذي كان قائدا للفرقة الاغسطسية الثالثة ما بين 180 م و 191 م وبعد ذلك اخذ كومودوس يحمل تسمية[1]. Aurelius lucius Aelius

غيرت تسمية الإمبراطور كومودوس في عهد سيبتيم سيفير ونجده تحت تسمي.[2]Divo Commodo، أما فيما يخص اسم فالريوس هنا أخذ تسمية Marcus Valerius Maximianus ، وهو قنصل، **إن** معظم النقوش التي عليها تسمية فالريوس أعيد استعمالها [3] ، وقام فالريوس ببناء هذين الصهريجين بقرار من المجلس البلدي بأموال الخزينة[4].

. الجزء الثاني

هدف كتابة النقيشة تبين وظيفة بناء هذين الصهريجين والدليل على ذلك هو مضمون النص التالي:

Aquae paludensis conquiredae concludendae que inchoari fierique curavit dedicavit idenque

1 Ibid; P. 155.
2 CIL; Tome VIII ; N° 4212.
3 LESCHI (L); op.cit ; P. 157.
4 CIL; Tome VIII ; N° 46001.

لمعرفة الوظيفة يجب معرفة معنى الكلمات بحيث Aquae Paludensis ونعني بها مياه المستنقعات بحيث الجهة الغربية للمدينة لا يمكن تشكل المستنقعات، تعرف المنطقة بميلان بسيط من الجهة الجنوبية نحو الجهة الشمالية، و بما أن المنطقة تعرف بالأمطار الرعدية تشكل روافد مياه، وأماكن تترسب فيها إذن تشكل إذن تربة طينية أي كلمة Aquae Paludensis ، وبما أن هذه القناة تتواجد في مكان منخفض،إذن تهتم بجمع المياه الباطنية حسب ما بينته كلمة وظيفة Conquiere، أما كلمة Concludere تبين وظيفة تهتم بجمع المياه الباطنية حسب ما بينته كلمة وظيفة الصهريجين حيث يمتلئ الأول ويتم عملية التسرب لكل العوالق والشوائب التي تؤكد وظيفة الصهريجين .

خاتمة

على ضوء مما تقدم في هذا البحث، نصل إلى وضع خلاصة:

اقترن تاريخ المدينة بتاريخ معظم المستعمرات الرومانية في شمال إفريقيا على أساس أنها بالنسبة للرومان كانت مستعمرة للاستغلال والعمران، وكانت نتيجة لكل هذا التسابق السريع حيازة المساحة الزراعية الخصبة، مما دفع السلطات الرومانية في التوسع و استحواذ الأراضي الزراعية التي تقع جنوبا، فانصرف الرومان في الاهتمام بعنصر الماء الذي هو العنصر الحيوي للحياة الرغدة وانطلاقا المعطيات الطبيعية لهذه المنطقة أدرك الرومان حالتها فاستهدف من خلال ذلك استغلال المدينة على أكمل وجه بواسطة اجتهادات وكلاء الإمبراطور والمسؤولين على أعمالهم في هذا المجال.

منح الرومان أهمية قصوى للماء في المدينة فلقد اتصفت الشبكة المائية بتنوعها ويدَّل على ذلك منشآت تموين المدينة بالمياه بحيث هنا استعمل

الرومان ثلاث طرق لتموينها تتمثل في الآبار التي بلغ عددها 82 بئر وهو عدد لا بأس به. وكانت تلبي عادة الحاجيات الخاصة في المدينة بحيث تتواجد في المنازل، أضيف مصدر آخر للمياه الذي يتمثل في خزان عين موري الذي لا يقل أهمية عن الآبار، وبعد

التوسع التي عرفته تيمقاد ازدادت حاجيات المدينة للمياه فتفطن الرومان إلى طريقة ثالثة للتموين تتمثل في صهاريج تصفية المياه الباطنية والسطحية من ذلك استغل الرومان كل الإمكانيات وقاوم كل الصعوبات لتلبية حاجيات المدينة للمياه وخاصة أنها تحتوي على أربعة عشرة حمام عمومي فلذا تحتاج إلى كميات هائلة للمياه.

وكل ما أستطيع قوله آن جميع هذه المؤسسات والهياكل هي اختراع توَّلد عند المعمر الروماني استجابة لتحدي الطبيعة في هذا الإقليم الجغرافي المتميز.

ـ قائمة المراجع المعتمدة:

ـــ **محمد البشير شنيتي** :التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في بلاد المغرب أثناء الاحتلال الروماني الجزائر 1984.

-**Ballu (A);** Les Ruines de Timgad, Antique Thmugadi; Paris; 1897.

-**Ballu (A);** Les Ruines de Timgad, Antique Thmugadi ; Nouvelles découvertes ; Paris; 1903.

-**Ballu (A);** Les Ruines de Timgad, Antique Thmugadi; Sept années de découvertes; 1903

-Birebent (J); Aquae romanae; Recherches d'hydrauliques romaines dans l'est Algérien; Alger 1964.-1911; Paris; 1911.

-**Christofle (M);** Rapport sur les travaux de fouilles et consolidation effectuées en 1930-1931-1932 par les services des monuments historiques de l'Algérie ; Alger ; 1935.

-CIL ; Tome VIII ; N° 4212.

-CIL ; Tome VIII ; N° 46001.

Frontin; De aqua les aqueducs de la ville de Rome, (Texte établi et traduit par Grimal; Ed. Les belles lettres ; paris ; 1944.

-Ginouves (R); Dictionnaire méthodique de l'Architecture Grecques et Romaines ; Tome II ; Ed. Ecole d'Athènes.

-Godet (R); Le ravitaillement de Timgad en eau potable Libyca antiquité

(Archéologie, épigraphie) ; T. II ; 1 er Semestre ; 1954.

-**Lartigue**; Monographie de l'Aurès; Ed. Mark Audrino; Constantine ; 1904.

-**Lavedan (P);** Dictionnaire illustré de la mythologie et des antiquités grecques et romaines; Ed. Hachette; Paris 1931; Puit

-**LESCHI (L);** Commentaire sur inscription de Timgad; BCTH 1934 – 1935.

-Salama (P) ; Les voies romaines de l'Afrique du nord ; Ed. Imprimerie nationale, Alger ; 1951.

- Vitruve; De architectura (Texte établi et corrigé par Perrault (Cl) ; Ed. Margada ; Paris ; 1684) ; Livre VIII ; chap. II.

الخيالة الثانية الأغسطسية التراقية (ALAE II THRACVM AVGVSTA) في مقاطعة موريطانيا القيصرية وأثرها على المجتمع المحلي (40 م – 284م)

Alae II Thracum Augusta in the Caesarea of Mauretania and its impact on the local community (40 AD - (284 AD)

✍أ/ خالد شهرة
جامعة سطيف 02

✍أ/خاتمي مصطفى
جامعة وهران 01

الملخص

تعتبر الخيالة الأغسطسية التراقية من أشهر الفرق العسكرية الرومانية التي تواجدت في مقاطعة موريطانيا القيصرية خلال القرن الثاني للميلاد، وجاءت هذه الأخيرة لضرب عدّة ثورات مورية ظهرت في المقاطعة، كما أنها كثفت تواجدها في المناطق الداخلية التي تشهد العديد من السلاسل الجبلية التي كانت تحتضن المقاومة مثل منطقة الونشريس وزكار وتيطري، تركت لنا هذه الفرقة أكثر من تسعة وعشرين ناقشة تمكنا من خلالها معرفة بعض الأوضاع السياسية والاجتماعية التي كانت تعيشها مقاطعة موريطانيا القيصرية خلال الفترة الرومانية من العهد الامبراطوري الأعلى.

الكلمات المفتاحية: الخيالة (Alae)، التراقية (Thracum)، موريطانيا القيصـــرية، ماركوس بيترونيوس (Marcus Petrunius)

Abstract

The Thracian Augustus cavalry is one of the most famous Roman military divisions that was present in the Caesarea Mauretania during the second century AD. The region of Al-ouarsenis , Zakar, and Titari (Media). This group left us with more than twenty-nine discussions through which we were able to learn about some of the political and social conditions that were experienced by the Caesar Province of Mauritania during the Roman period of the reign of the Supreme Imperial.

Keywords: Cavalry (Alae) - Thracum - Caesarea Mauretania - Marcus Petrunius.

مقدمة

اهتمت السلطات الرومانية بالجيش كركيزة أساسية لغرض تواجدها بموريطانيا القيصرية، ولا شك أن إدراك ذلك أوجب عليها تكوين جيش قادر على أداء المهام المسندة لها لفرض تواجدها بهذه المقاطعة، لقد اعتمدت في ذلك على مجموعة من المفرزات الكتائب **(Cohortem)** والفرق المساعدة التي تضم الخيالة **(Alae)** والسرايا **(Numerus)**.

لقد دلتنا الوثائق الإبيكرافية التي وجدت بمقاطعة موريطانيا القيصرية على مجموعة من الفرق العسكرية مرت بهذه المقاطعة، في فترات مؤقتة لتدعيم الجيش الروماني في مواجهته ضد الموريين، منها الخيالة الأغسطسية التراقية الثانية التي تعتبر من أقوى الفرق الرومانية كونها سريعة الحركة والمناورة ومتخصصة في الرماية، ومن أجل هذا استدعيت خصيصا للمشاركة في المعارك التي خاضتها القوات الرومانيّة ضد الثوار من سنة 109م، وبعين بوديب سنة 154م وسور الغزلان**(Auzia)** كذلك سنة 255م، وإلى تدخل إحدى وحداتها بسور الجواب**(Rapidum)** وبدأ الانتشار بالجهة الشمالية لمنطقة الونشريس وامتدّ من حصن خميس**(Maliana)** ومليانة **(Zacchabar)**، إلى غاية حصون مدينة غليزان **(Mina)**، كما عثر على بعض النقوش الإهدائية كذلك لجنودها تبيّن شدة القتال بينهم وبين قبائل المازيس المتمركزة بسهل شلف، وبعد إخماد الثورات وتأمين المنطقة استقر هذا الفيلق بمدينة ألتافا**(Altava)** لمساعدة الكتيبة الساردينية وصولا إلى وبوماريا كآخر محطاتها العسكرية حيث خلفت لنا سبعة وعشرين نقيشة كما تبينه (الخريطة رقم 01)

وعبر ثلاث محطات رئيسية في الموضوع يحاول الباحث أن يسلط الضوء على:

1. لمحة عن الجيش الرّوماني في المقاطعة موريطانيا القيصرية
2. تعريف بالخيالة الأغسطسية التراقية الثانية.
3. تأريخ تواجدها في مقاطعة موريطانيا القيصرية.
4. عساكرها وأهم الرتب العسكرية من خلال النقوش اللاتنية.
5. أثرها على المجتمع المحلي في مقاطعة موريطانيا القيصرية.

الهدف من هذه الدراسة: البحث في المنظومة العسكرية والبشرية للخيالة الأغسطسية التراقية في مقاطعة موريطانيا القيصرية وتقصي مسارها التاريخي وأثرها على المجتمع الموري.



الخريطة رقم 01: تبين انتشار الخيالة الاغسطسية التراكية الثانية في شمال افريقيا

Leveau (Ph.), L'aile II des Thraces, Les tribus des Mazices et les praefectis gentis en afrique du Nord, A.Af.1974. Pp.103-110. p.110

أولا/ لمحة عن الجيش الرّوماني في مقاطعة موريطانيا القيصرية

أعطت روما أولوية كبرى للجيش، وقامت ببنائه وتطويره، حيث نرى مثلا في فترة حكم الإمبراطور أوكتافيوس أغسطس أن القوة العسكرية كانت متكونة من 28 فرقة عسكرية، وفي عهد الإمبراطور دومسيان نجد 30 فرقة

عسكرية، أما في عهد الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس (193م–211م) وصل العدد إلى 33 فرقة عسكرية[1]، تؤكد المؤشرات والمعطيات الأثرية أن الجيش الروماني خلال تواجده في مقاطعة موريطانيا القيصرية قام بإنشاء خط الليمس، وهو مجموعة من الحصون والقلاع والخنادق والمدن المحصنة، وكثَّف من الوجود العسكري من أجل تضيق الخناق وتشديد الحصار على القبائل المورية. عندما تولى الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس السلطة في روما قام مباشرة بتعيين حاكم عسكري يسمى سلوستيوس مكرينيانوس على مقاطعة موريطانيا القيصرية من 198 م إلى غاية 212م، حيث أشرف القائد على ما يقارب 12700 جندي متكون من 07 فيالق و7 0 خيالة، 24 كتيبة و04 سرايا،[2] وهم كالآتي:

1-الفيالق (Legion)

اسم الفيلق	الموقع	المصدر	الأصل
Legio I Adjutrix	**Caesariae** **شرشال**	**C. I. L., VIII, 12877 ; « D. M. Julius Felix m(iles) leg. I Ajutricis pius v. a. LV, m. X.»**	**Pannonien. (C. I. L., VIII, 9376 : « C. Cusonnius Viator, miles leg. I Adjutr nation. Pan. »)**
Legio II Adjutrix	**Cartennae** **تنس**	***C. I. L.*, VIII, 9660.**	**Pannonie Inférieure**
Legio IV Flavia	**Portus Magnus /Icosium** **بطيوة – الجزائر العاصمة**	***C. I. L.*, VIII, 9762 et 3066.**	**/**
Legio X Gemina	**Albulae** **عين تيموشنت**	**C.I.L. 21669 ; L. Demaeght, B.S.G.A.O., 1897, p.277**	**(bregio) En Bretagne**

1 بشاري (م.ح)، **الجيش الرّوماني من التطوع إلى الاحترافية والفرقة الأغسطية الثالثة**، مجلة الدراسات تراثية، العدد الرابع، معهد الآثار، جامعة الجزائر،2010، ص.31.

2 Benseddik (N.) **Les troupes auxiliares de L'armée romaine en Maurétanie Césarienne sous le haut-empire**, Alger, S.N.E.D.,1979. p.83.

Mésie Inférieure (*Bas-Danube)*	*C. I. L.*, VIII, 9761, 9765	Portus Magnus بطيوة وهران	Legio XI Claudia
Germanie superieur	*C. I. L.*, VIII, 21053.	Caesariae شرشال	Legio XXX Ulpia Victrix

2- الخيالة (Alae)

اسم الجناح	الموقع	المصدر	الأصل
Ala I Flavia Britannorum miliaria civium romanorum.	Portus Magnus (بطيوة وهران)	*C. I. L.*, VIII, 9764	*Brigetio*, (بانونيا)
Ala Gaetulorum	Portus Magnus (بطيوة وهران)	*C. I. L.*, VIII, 21516	Maurétanie(Gétule)
Alae Gamina Sbastina	Place Gamina Sbastina (خربة اولاد هلال)	Benseddik (N.), Op.cit., p.40.	Sebast (Syrie)
Alae I augusta Parthorum	Kaputtasacura-Cen Altava- Pomaria أولاد سـيـدي بن يوب – عيون سبيبة – أولاد ميمون - تلمسان	*C. I. L.*, VIII, / ILS, 98389828/ .2607	Parthe (الفرس)
Alae Augusta favia	CARTENNAE (تنس)	CIL. VIII,9657.	Germanie inferieur (ألمانيا السفلى)
Alae Miliaria	Alae Miliaria /altava / aque serensis البنيـان – أولاد ميمون – حمام بوحنيفية	Salama (P.), Ala Miliaria	Africaine (إفريقيا)
Alae Flavia Hispanorum	Caesarea	Cagnat (R.), .237Op.cit, p .	Baetica (بيتيكـا – اسبانيا)
Ala pomarensium explorarium	Pomaria ain kihal	CIL, VIII, 9906	Maures

3-الكتائب (Cohortem)

اسم الكتيبة	الموقع	المصدر	الأصل
Cohors II. Breucorum	*Cohors.Breucorum* هنشـير سـويق – تخمارت ولاية تيارت	C. I. L., VIII, 21560.	Breuci (illyria)

Cirta de la numide	C. I. L., Indices, VIII, p. 1076.	Castillum tangitanium شلف	Cohors Cirtensium
Dalmatie,	C. I. L., VIII, 9377.	Caesariae شرشال	Cohors VI Delmatarum equitata
Espanie	C. I. L., VIII, 9612.	Zuccabar مليانة	Cohors I Flavia Hispanorum
les Musulamii de Numidie.	C. I. L., VIII, 4879: « Cohor. I Musulam. in Maur. »	Albulae / Caesariae عين تيموشنت – شرشال	Cohors I flavia Musulamiorum
Sardes	C. I. L., VIII, 4292. 9198, 9833	Rapidum – Columnatae – Altava –Auziae سـور جواب – عين تكرية – أولاد ميمون – سـور الغزلان	Cohors II Sardorum
//////	C. I. L., VIII, 9054,	Auziae – Tipasa سور الغزلان - تيبازة	Cohors IV Sygambrorum (ou Sugambrorum).
Galle	C. I. L., VIII, 4292.	Caesariae – auziae شرشال – سور الغزلان	Cahors I Aelia singularium

4- السرايا (Numerus):

الأصل	المصدر	الموقع	اسم السرية
//////	C. I. L., VIII 9745.	Aquae sirenses حمام بوحنيفية	Numerus Ambov
Maures	C. I. L., VIII, 9045, 9047.	Caesariae – Auziae شرشال – سور الغزلان	Vexillatio equitum Maurorum
Germanie	C. I. L., VIII, 21668.	Albulae عين تيموشنت	Exploratores Batavi
Germanie	C. I. L., III, 14207, D. M. Ulpi Queti mil. n. expl. Germ	Albulae عين تيموشنت	Numerus exploratorum Germ(anicorum).
Osdroeni	C. I. L., VIII, 9829,	Kaputtasacora سيدي علي بن يوب	Numerus Osdroenorum

Germanie	C. I. L., VIII,9059	Auziae سور الغزلان	Numerus Divitinsis Germaniae Superiori
Syrie	C. I. L., VIII, 8032,	numerus Surorum لالة مغنية	numerus Surorum sagittariorum

ثانيا/ تعريف بالخيالة الأغسطسية التراقية الثانية

كما سُميت في بعض النقوشات بالفرقة الثانية التراكية التقية السعيدة **(Ala II Thracum pia *f*elix)**[1]، أو المخلصة **(Fedelis)**، فلهذه الفرقة تدرجات مختلفة من حيث تخصصها وهذا ما نستخلصه من وثيقة بريجتيو **(Brigetio)**[2] ببانونيا السفلى حيث تشير مضامينه أن الرومان شكلوا فرقة تتضمن عساكر من المحاربين القدماء لمهارتهم القتالية بداية من العهد الإمبراطوري لفض النزاعات في تلك المقاطعة[3]، وقد لقبت باسم الفرقة التراكية الأولى للمحاربين القدماء ذات تسليح رماة **(Ala I Thracum Veteranrum Sagitariorum)** لكن لا نجد لها أثرا مادياً إلا من خلال شهادة جندي بروكيوس فتيستوس **(Procius Vetustinus)** من ببانونيا. إن هذا الجناح قد أستدعي لضرب ثورات المور سنة 150م بموريطانيا، إلا أن هنالك رأي أخر يشير حسب بعض التقارير حول وصول هذا الجناح خلال النصف الثاني من القرن الأول أو ربما في عهد الإمبراطور كلاوديوس، ومكث في المقاطعة إلى غاية سنة 255م[4]. هذا وكانت السلطات الرومانية قد عينت

1 Leveau (Ph.), **L'aile II des Thraces, Les tribus des Mazices et les praefectis gentis en afrique du Nord**, A.Af.1974. Pp.103-110. p.110.
2 Benseddik (N.), Op.cit., p.41.

3 CIL XVI.99.
4 Audoulient (A.), **Misson epigraphique en Algerie, M.E.F.R.**, 1980, Pp.397-588. p.413.

أحد قادته على رأس قبيلة المغازيس إمّا في النصف الثاني من القرن الأول أو خلال النصف الأول من القرن الثاني، ورافقت هذه الفرقة حملة تيودوز ضد ثائر فيرموس إلى زوكابار (مليانة) [1]، ويعتبر من أقوى الفرق الرّومانية وهو سريع الحركة والمناورة ومتخصص في الرماية.

1-تأريخ تواجدها في مقاطعة موريطانيا القيصرية

من الملفت أن الدراسات الحديثة اختلفت حول ظروف تواجد هذه الفرقة، حيث تفترض نصيرة بن صديق أنها قدمت من مقاطعة داسيا التي تواجدت بها مؤقتاً لتحول مهامها إلى موريطانيا القيصرية[2]، كما قد يكون إيوليوس إيولتانوس **(S.Iulius.Iulianus)** قائدا لهم وهو الذي قاد الألف مجند تراكي من موطنهم، في حين يقدم **(M.Spaidel)** احتمالين: إما أن هذا القائد نفسه هو الذي قاد مجندي الفرقة التراكية من إقليم تراسيا **(Thrace)** وذلك بغية التحاقه بالسرية السورية **(Numeris Syrorum)** ** المتواجد بأقصى غرب موريطانيا القيصرية (لالة مغنية تحديداً) لفض الثورات هناك، أو أنه التقى بالفرقة السورية بهذه المقاطعة ليقودها فيما بعد لموريطانيا الطنجية، والأرجح أن موت هذا القائد بعاصمة المقاطعة قيصرية **(Caesariae)** يعني أن هذه الوحدة جندت مع

1 Leveau (Ph.), L'Aile II, Op.cit.,p.174.

2 Leveau (Ph.), L'Aile II, Op.cit., p .76.

** ظهرت هذه السرية لأول مرة بموريطانيا القيصرية في عهد السيفيريين، وعسكرت بمركز مغنية (Numerus Syrorem) الذي منحه اسمها ولا تفوتنا الإشارة إلى ضرورة التمييز بين هذه الوحدة وبين الكتيبة السورين مسلحين بالسهام (Cohortis Syrorum Saitarioum). للمزيد يُنظر(بن عبد المؤمن (م.)، **الفرق العسكرية السورية ببلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني – أراء ودراسات في التاريخ والأثار القديمة**– أشغال الندوة العلمية بالمدرسة العليا للأساتذة بوزريعة 23-24-ديسمبر 2011 ، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص.270-277.).

الفرقة التراكية، واحتفظت لوقت ما بلقبها مالوانزيوم، نسبة لمركزها العسكري الأصلي مالوا (**Malua**)[1].

تجولت هذه الفرقة على طول ليمس مقاطعة موريطانيا القيصرية خاصة بربوع الونشريس وذلك لأهمية المنطقة وغناها من الجانب الاقتصادي والفلاحي وجمركة البضائع والسلع، أما من الجانب الاجتماعي فالاحتكاك يولد بالضرورة عملية تأثير وتأثر، ممّا يوجب مراقبة هذه الفلول غير الرومانية من الترحال في الأقل مرتين في السنة بحثاً عن الكلأ لأنعامها والتزود بالمواد الغذائية خاصة سهول حوض شلف وسرسو التي كانت تمول روما[2]، لعبت الفرقة الأغسطية التراكية الثانية دور فرقة الهندسة العسكرية المختصة في بناء المعسكرات والمنشآت الدفاعية، لوجود عدد كبير من الأحجار والأجر المختوم باسمها[3].

2- عساكرها وأهم رتب العسكرية من خلال النقوش اللاتنية

أ- بريفكتيس (Praefectus)


وثيقة (01) CIL,VIII,9358

اشتغل الفرسان التراكيين في الفرقة وظيفة سامية، تعرف بوظيفة الضباط العسكريين، والتي يعبر عنها بمصطلح بريفكتيس (**Praefectus**)، حيث كانت مهمة هذه الرتبة أدنى من وظيفة التريبون العسكري (**Tribunis**) وشغل هذا المنصب كان بعد خدمة مدتها خمس وعشرون سنة في الفرقة كقائد مائة (**Centurio**)، وسنة واحدة كقائد مائة أعلى في

1 Spaidel (M.A.), **thousand Tracian Recruits for Mauretania Tingitana**, A.Af, 11, 1977. Pp. 167-173. p.171.
2 Leveau (Ph.), L'Aile II, Op.cit., p.173.
3 Benseddik (N.), Op.cit., p.42.

الفرقة (**Primus Pilus**) أو حسب نفوذ أسرته وأمواله، و بعد تسريح هذا الشخص يحصل على حق الانتساب إلى طبقة الفرسان (**Eques**) ويحق له متابعة سيرته العسكرية، كان هذا الضابط مسؤولا عن صيانة المعسكرات والاعتناء بالمؤن والعتاد والتجهيزات الحربية والتدريب والامدادات، وعلى الأغلب يكون عمره عندما يتسلم هذا المنصب ما بين الخمسين والستين سنة، ويستلم قيادة الفرقة عند غياب قائدها والتريبون الأعلى مثلما هي كتابات الفرقه الأغسطية التراكية الثانية الذي كان يمثل كأعلى وظيفة خاصة في نقوش شرشال منها النصب التذكاري الذي اكتشفه غازغان ومارسال لوقلاي (**Louglay.M**) سنة 1950[1]، حيث كرّست هذه الكتابة (الوثيقة رقم 01) من طرف كايوس فلافيوس قائد ميداني من تراكيا إلى وكيله الأغسطي يدعى لوكيوس سبتيموس بيترونيانو (**L.S.Petroniano**) ذو مسار مهني جيد[2]، كان قد تولي برتبة (بريفكتيس) تسيير الكتائب الرّومانية المتطوعة ثم قيادة الفرق البحرية في سوريا وإقليم موزيا قبل أن يترقى إلى منصب تريبوني(قائد كتيبة) في الفيلق الثاني ترجانوس الثاني وأجريبينا ذات تسليح الرماة إلى أن تمّ توليه الحكم على مقاطعة موزياتيك بأسيا الصغرى ليحوّل بعدها مباشرة إلى مقاطعة موريطانيا القيصرية في عهد الإمبراطور ألكسندر سيفيروس (235-224م)[3].

يصف يوليوس ليبركوس إهداءه الموجّه لصديقه بريفكتيس ماركوس بترونيوس ماركي(**M.Petronio Marki**) ابن هونورانو من قبيلة كورنيا قريبة من سيرتا (قسنطينة حالياً) حيث أرّخ (**Leveau.ph**) هذا المعلم ضمن فترة

1 Leveau (Ph.), Op.cit.,n°.11,p.161.
2 Benseddik (N.), Op.cit., n° 71 p.207.
3 D'escurac doisy (H.), Un **Nouveau Procurateur En Mauritanie Césarienne, M.D.H**, vol.69. 1957.Pp-137-150. p.146.

حكم الإمبراطور هادريانوس (137-127م)، فاحتوت كتابته على أنّ هذا الأخير قد سبق وأن تولى مناصب عسكرية بنفس الرتبة بالكتيبة الريتورية الأولى (**cohort ritorium prima**)، وفي الفرقة الأغسطية التراكية بموريطانيا إلى غاية أن تمّت ترقيته إلى درجة تريبوني في الفيلق الأول المخلد للآلهة مينرفا التقية والمخلصة. كما كانت له تولية على شؤون المالية للإمبراطور في جرمانيا العليا، وتشير مضامين نصب جنائزي بعين الدفلى (**Oppidum Nouum**) أنّ السلطات عيّنت أحد قادته برتبة بريفكتيس على رأس قبيلة المغازيكس وذلك في النصف الثاني من القرن الأول[1].

ب- ديكريون (Decurio)



وثيقة رقم 02 : Benseddik (N.), Op.cit., n° 71 p.207.

يقود هذا الأخير ما بين عشرة إلى ثلاثين جندي في أوائل الفترة الجمهورية، فهو ضابط يترأس فرقة (**Turma**) الفرسان حيث يشكل جزءاً هاماً من بنية القيادة في الجيش فهو يشغل صف الضباط في الجيوش المعاصرة وكانوا أكثر الأشخاص مسؤولية في الفرق. وجد في المقاطعة القيصرية أكثر من سبعة نصب تذكارية منها نقشتين بأولاد ميمون (**Altava**) الوثيقة رقم 02، جاءت أوّلها على شرف صاحب مهارة قتالية يدعى يوليوس جرمانوس (**Iulius Germanus**)، ذو أصول جرمانية ترقى إلى قائد ميدان (**Praepositus**) بالكتيبة السردينية سنة 210م بعد مغادرة جناح تراكي إلى موريطانيا طنجية لردع ثورات المور[2]، وهي الفترة الذهبية للإمبراطور سبتيميوس سيفيريس في

1 Leveau (Ph.), L'Aile II, Op.cit., p.153.
2 CIL VIII.21721.

إنشاء وتشييد المعسكرات على الحدود الجنوبية لمقاطعة موريطانيا القيصرية والنوميدية، أمّا النصب الثاني يؤرخ 208م، حيث نرى الاستعانة بالآلهة ديانا من طرف العسكري (**Titus Iulius Germanus**) الذي عمل في الجناح التراكي والكتيبة الثانية السردينية، ويبدو أن هذا القائد من أصول جرمانية ورتبته العسكرية (**Centurion**) تخوّل له التصرف في مئة جندي في الكتيبة، أمّا ديانا التي ذُكرت في أوّل النقيشة فهي الآلهة التي تساعد الجنود في عمليات الصيد وكل ما يتعلق بالطبيعة والغابات وهي تنحدر من الحضارة الإغريقية، كما أنّها تظهر في النقوش مسلحة بقوس وسهم وتلاحق البقر الوحشي[1]، أمّا بسور الجواب (**Rapidum**) نجد إيميليوس بومبيانوس(**E.A.Pompinus**) الذي اشتغل كقائد ثلاثين (**Decurio**) وقائد ميدان (**Prepositus**) في نفس الفرقة مهداة على شرف آلهة الآباء ساليتار موري[2].أمّا في مدينة شرشال (**Caesariae**) عثر على كتابة جنائزية (الوثيقة رقم 03) مهداة على شرف الإله جوبتر ومقدمة للوكيل الأغسطي (الوالي) كايوس أوكتافيوس بودانس (**Caius Octavius Pudens**) وهي شخصية معروفة بواسطة بيبلوغرافيا متنوعة[3]، واختلف الباحثون حول الفترة الزمنية التي اشتغل فيها كوالي على مقاطعة موريطانيا القيصرية، فمن المعروف أنّه كان في المنصب خلال فترة الإمبراطور سبتيموس سيفيروس (193م-211م) وهذا



Leveau (Ph.), Op.cit., 03 وثيقة رقم p.164.15n°.

1 بوسليماني (ح.)، المرجع السابق، ص.128.

2 Leveau (Ph.), Op.cit., n°.15 p.164.

3 De lesert (P.), **Fastes des provinces Africaines Sous La Domination Romaine**, Roma, 1969.T. L.Pp.501-502. p.501.

استناداً إلى دراسة (**Pallu de lessert**) لكن الأبحاث الأخيرة التي اعتمدت على المكتشفات الجديدة كالكتابات اللاتنية تبرز وجود هذا الوالي في المقاطعة خلال السنوات (198م–200م)، وبذلك يؤرخ هذا المعلم مع نهاية القرن الثاني الميلادي .


وثيقة رقم 04
Leveau (Ph.), Op.cit., n°.15 p.164.

ووضع القائد كورنيليوس بريموس (**Cornelius primus**) الذي ذكر مهمته أنّه يرأس أعمال البريد والتموين في الفرقة التراكية الأغسطية الثانية[1]، وليس بعيداً عنها نجد إهداء لجرانيا مركيلينا (**Graniae arcellinae**) وأختها كريمنسيا (**Crementiae**) لأبيها القائد كوينتوس غارينيوس فليكس (**Quintus Garinius felix**) في الفرقة التراكية[2] حيث تؤرخ هذه الكتابة لـ 260 م، خلفت لنا كذلك هذه المفرزة بعين بسام نصباً لأولبيوس كاستوس(**Ulpius.Castus**) قائد (**Decurio**) في الفرقة التراكية الأغسطية هذا تذكار قدّم أثناء فترة حكم الوالي ماركوس أوريليوس فيلاليس كما كرّست على شرف الإله جوبتير الطيب العظيم و الآلهة الأخرى وإلى نصر أغسطس[3]، نذهب مباشرةً إلى برواقية (**Thanasamus Castra**) شرق الونشريس نجد تذكاراً لقائد (**Decurio**) يدعى بوبليوس هرنيوس (**Publio Hernnio Mascuiuli**)، أهداه له والده بوبليوس هرنيوس

1 CIL VIII.9370.
2 CIL VIII, 21035.
3 CIL VIII, 208207.

(Publius Hernius) حيث يروي لنا مدى حزنه على ابنه الذي توفي في ربيع عمره[1] كما تبينه الوثيقة رقم 04.

ج-الفرسان (Eques)



وثيقة رقم 05 : Leveau (Ph.), L'Aile II, Op.cit., n° 07 p.159.

شكل فرسان الفرق المساعدة النسبة الأكبر فكان ممكنا لهؤلاء شغل منصب قائد المائة بعد اثنا عشر عاماً من الخدمة، لكن ربما مع المهارة الحربية والقدرة على القيادة في ميدان القتال تجعل هذه المدة أقصر، والمعروف أنّ الفرسان كانوا يتحملون أعباء حياتهم اليومية، كما شكّلت الرواتب المرتفعة للفرسان أهم المغريات حيث وصل الراتب للفارس الواحد تقريباً ثمانية عشر ألف سيستريوس*، وتفيد المعطيات الأثرية المتوفرة في الوقت الحاضر أنّ الفرقة التراكية الأغسطية الثانية خلّفت لنا أربعة عشر نصباً جنائزياً بموريطانيا القيصرية ونقشاً واحداً بمدينة مكثر التونسية وهو عبارة عن إهداء تقدم به فاليريوس فيكتور **(Valerius Victor)** إلى شقيقه الفارس فاليريوس فيرمو **(Valerio Firmo)** الذي توفي وعمره خمسة وعشرين سنة بعد أن قضى

1 CIL VIII,9238 .

* شكل الديناريوس العملة الرئيسية للإمبراطورية الرّومانية، في حين كان السيستريوس العملة الفرعية الأصغر، وكان الديناريوس يساوي أربعة سيستريوس للمزيد ينظر:

:(Speidel (A.), **Roman Army Pay Scales, JRS, Vol. LXXXII**, 1992.Pp.106-118.p.107.).

خدمته لخمس سنوات في الفرقة التراكية وكحارس للوالي (**singulair**) في المقاطعة موريطانيا[1].



أمّا في شرشال تضمن لنا معلم جنائزي (الوثيقة رقم 05) الذي أنجزه ماغانوس (**Maganus**) إلى زميله ساكي كاكسيس (**Saeci Caucesis**) الإسباني الأصل وهو الفارس الذي كرّس حياته لخدمة هذا الجناح التراكي الثاني الذي كان يقوده بروبنكي (**Propinci**) لثلاثة عشر عاماً[2]، أمّا تيبريوس كلاوديوس فياتور (**Tiberius Claudius Viator**) وإخوته كليمنس (**Tiberius Claudius Clemens**) وكلاوديا موريكا (**Claudia Maurica**) إلى والدهما تيبريوس كلاوديوس كوغنوسياس (**Tiberius Claudius Cognonetias**) من بريطانيا والذي قدّر عمره بستين عاما قضى حياته كلها في خدمة الفرقة الأغسطية التراكية الثانية[3]، كذلك لوكيوس لياري (**Lecius Liari**) تقدّم بإهداء في القيصرية وهو يتمنى الرعاي الخالدة لوالده لوكيوس (**Lecius…**) الذي سقط في ميدان الشرف وعمره لا يتجاوز أربعا وعشرين سنة[4]، كما تبينه الوثيقة رقم 06.

1 Leveau (Ph.), L'Aile II, Op.cit., n° 07 p.159.
2 CIL VIII,9390 .
3 ILS, 2514.
4 Leveau (Ph.), L'Aile II, Op.cit., n°.04.p.157.



وثيقة 07 : Leveau (Ph.), L'Aile II, Op.cit., n°.04.p.157.

وفي المدينة ذاتها أيضاً وجدت نقيشة على شرف بوخوس (الوثيقة رقم 07) حيث لم تحتوي هذه الأخيرة على اسم الفارس سوى فترة العسكرية التي قضاها لسنتين في خدمة الفرقة التراكية التي كان يرأسها أنطونيوس كما جنّد فيها ابنه فيكتوس ريبوري **(Vegatus Reburi)** الذي كرّس هذا النصب مع أخيه سلفانيوس لوري **(Selvanius Leuri)** وتمنى له رعاية طيبة[1]، كما وجد بجانب النقيشة نصب آخر تقدّمت به فلاقيا ستورنيا **(Flavia Saturnia)** إلى زوجها الفارس لورو فيرو **(Lauro Viro)** ومدة خدمته التي بل غت سبعة وعشرين سنة وهو في خدمة الجناح الأغسطي التراكي الذي كان يقوده سالبيكي **(Salpici)**[2]، أمّا مجموعة أتيكي في الفرقة التراكية الثانية تشرفت بإنجاز معلم لزميلهم كلاوديوس جيميلو **(Claudius Gamilius)** ابن روجاتيس **(Rogatis)** الذي سقط في ميدان الشرف وعمره لا يتجاوز ثلاثين حيث قدرت خدمته العسكرية باثنا عشر عاماً[3]، حسب الوثيقة رقم 08.



وثيقة 08 : Leveau (Ph.), L'Aile II, Op.cit., .p.157.08n°.

1 Benseddik (N.), Op.cit., n°. 58.p.204.
2 CIL VIII.21030
3 CIL VIII, 21026.



وثيقة 09 : Benseddik (N.), Op.cit., .n°.82,p.204

أمّا سوليماري **(Salomari)** في الوثيقة رقم 09، تروي لنا مأساة فقدان أبيها الذي كان فارساً في فرقة التراكية الثانية وقدّر عمره بثلاثين سنة[1]، ومن الملاحظ أنّ هذا النصب لم يحتوي على اسم العسكري ومدة خدمته على عكس فارس إيليوس إكزوراتوس **(Ilius Exatoras)** الذي توفي وعمره ثمانية عشر سنة، توفي وهو قيد الخدمة في جناح الأغسطي الثاني للتراكين أمّا أبوه يوليوس فاليريوس **(Ulius Valerius)** محارب قديم **(Veterani)** قدّم له هذا الإهداء عن طيب خاطر للآلهة مانس[2].



وثيقة 10 : Leveau (Ph.), L'Aile II, Op.cit., n°.07.p.160.

والشأن نفسه لكالبورنيانو أنكيليوس **(Calpuraniano Anchilius)** الذي يطلب من آلهة مانس أن ترعى والده كالبورنيانو كاسيوس **(Calpuraniano Caesius)** في غربته بعيداً عن الديار، وبلغ سنه الخامس والعشرين عند وفاته وقد سبق له أن كان فارسا قبل أن يترقى إلى جندي مساعد في توثيق السجلات العسكرية **(Comantari)** للفرقة التراكية الأغسطية الثانية[3]، حسب الوثيقة رقم (10).

1 CIL VIII, 21046.
2 CIL VIII,21035.
3 CIL VIII,9380 .

تعرفنا نقيشة تنس **(Cartennae)** كذلك على فارس يدعى فاليرو توناتي **(Valero Tonati)** الذي سقط في ميدان الشرف، حيث قام أخوه ترتيليوس **(Tertilius)** بتكريس هذا المعلم وبنذر أوفاه للآلهة مانس[1].


وثيقة 11 : Leveau (Ph.), L'Aile II, Op.cit., n°.07.p.161

وشأن نفسه في مدينة سور غزلان **(Auzia)** توجد كتابة (رقم 11)، على مضامين أنها تعود لبوبليوس إيليوس بوبليوس**(Iulius Publius Ilius)** ابن بريميانو من قبيلة كويرينا، لقد كان فارساً ورومانيا المولد، تريبونياً في الكتيبة السيغامبريين الرابعة، أدى خدمته العسكرية أولا كتبريبوني في الكتيبة فيغيلوم الثالثة وضابط صف في الفرقة التراكية وقائد ميدان للخيالة المورية التي دافعت عن المقاطعة، وعضو مجلس المئتين في مستعمرات أوزيا ورسيغونيا وذلك قبل وفاته بثلاثة عشر عاماً نحن أبنائك إيليا أودي ومارتياس من كرسنا على هذا القبر بتاريخ 215 منذ تأسيس هذه المقاطعة[2].

د–حامل الراية (Signifer)

أو حامل شعار نسر الفرقة الذي كانت وظيفته مفردة في الجناح وذات منزلة رفيعة، ولذلك كان يشغل هذه الوظيفة المحاربون القدماء الأقوياء المتمتعين بفهم كامل لتكتيكات الفرقة. لقد شهدت الفرقة التراكية الأغسطية الثانية نوع هذه الرتب ووردت في مضامين نقشتين خميس مليانة **(Zucchabar)** في أقصى

1 Benseddik (N.), Op.cit., n°.82, p.204.
2vb CIL VIII,9045 .

شمال الونشريس حيث احتوى النصب الأول لمحارب قديم ماركوس أولبيوس كريسنتيس (**Marcus Elpius Crescentis**) الذي كرّس حياته كحامل الراية (**Signifero**) في مقدمة الفرقة التراكية المسلحة بالسهام، وقد أمر بوصية لابنه ماركيانوس (**Marcianus**) بإنجاز هذا المعلم تحت نفقته الخاصة[1].

يشير النصب الثاني في جنوب مدينة خميس مليانة لحامل راية آخر في فرقة تراكية يدعى لوكيوس بروكيوس بروكياس (**Lucio Procio Procia**) الذي قدّر عمره عند مماته بخمسين سنة، أمّا زوجته فلافيا هونوراتا (**Flaiua Honorata**)، وابنها لوكيوس بروكيوس (**lucius Procias**) هم من كرّسوا هذا المعلم مقدمين تمنيات أطيب للآلهة مانس لكي ترعى هذا الفقيد[2].

ثالثا/ أثرها على المجتمع المحلي في مقاطعة موريطانيا القيصرية

كما تشير النقوش إلى مشاركته في المعارك التي خاضتها القوات الرومانيّة ضد الثوار سنة 109م وبعين بوديب سنة 154م وبسور الغزلان (**Auzia**) كذلك سنة 255م، وإلى تدخل إحدى وحداته بسور الجواب (**Rapidum**) وبدأ الانتشار بالجهة الشمالية لمنطقة الونشريس وامتد من حصن خميس(**Maliana**) ومليانة (**Zacchabar**)، إلى غاية حصون مدينة غليزان (**Mina**)، كما عثر على بعض النقوش الإهدائية كذلك لجنوده تبيّن شدة القتال بينه وبين قبائل المازيس المتمركزة بسهل شلف، كما يبينه الجدول الاتي:

المعارك	المصدر
عمليات العسكرية بضواحي قيصرية 106 م	C. I. L., VIII,9370
عمليات عسكرية ببرواقية	C. I. L., VIII, 9238

1 CIL VIII, 9615.
2 Leveau (Ph.)., L'Aile II,Op.cit., n°. 25. p.169

وبعين بوديب سنة 154م وبسور الغزلان (Auzia) سنة 255م	Leveau (Ph.), L'Aile II., Op.cit., p.156.
معارك ضد قبائل المازيكس	Leveau (Ph.), L'Aile II., Op.cit.p.153.
قتال ضد المور بمليانة	C. I. L., VIII 9615

رابعا/ نهايتها في المقاطعة

بعد إخماد الفرقة الأغسطسية التراقية الثانية للثورات المورية وتأمين المنطقة استقر هذا الفيلق بمدينة ألتافا* **(Altava)** أولاد ميمون حاليا لمساعدة الكتيبة الساردينية وصولا إلى مدينة بوماريا (تلمسان حاليا) التي كانت بها آخر محطاتها العسكرية[1]، ويبدو لنا أنها حوّلت فيما بعد لمهام أخرى في مقاطعة موريطانيا القيصرية نتيجة تفاقم الثورات المورية بقيادة القبائل البقواط **(Baquatum)**.

خاتمة

وختاما لهذا الموضوع خرجنا بعدّة نتائج مهمة منها:

أن الرومان استعانوا بالفرق التراقية لدحر الثورات المورية، كون لتراقيا طبيعة مشابهة لشمال الأفريقي وبالتالي ان اختراق الجبال والمناخ الصعب يبدوا سهلا للتراقيين.

---

* تعرف بأولاد ميمون حاليا بنواحي تلمسان من المواقع الأثرية التي تركت في مختلف العصور التاريخية يعود أولى تنقيباتها في سنة 1852 حينما جاء قرار رسمي من الإدارة الاستعمارية الفرنسية ببناء قرية ثم أصبحت تدعى بـ (Lamorciére) حيث كانت تشكل ضمن خط الدفاعي الأول في عهد السيفيرين ووجود معسكرات وتجمعات سكانية مجاورة لها للمزيد ينظر: (فاضل (أ.) ، **أولاد ميمون (Altava) من فجر التاريخ إلى نهاية العهد الرّوماني**، مجلة العلوم الإنسانية ،العدد الرابع والخامس، جامعة وهران، جويلية–جانفي 2013–2014، ص.65.

1 Benseddik (N.), Op.cit., p.203.

أن كثرة نقائش المحيطة بسلسة الونشريس والزكار تدل أن المقاومة المورية كانت عنيفة نوعا ما وبالتالي أن الخيالة خسرة أكبر ضباطها كما تبيّن لنا النقائش.

ويتضح لنا أن للخيالة الأغسطسية التراكية الثانية معسكرات متنقلة وليست دائمة فكثيرا ما كانت تساهم مع الفرق الأخرى في اخماد الثورات المورية.

يبدو أن الخيالة التراكية نجحت في ضرب الثورات كون فترة القرن الثاني للميلاد عرفت نوعا من الهدوء وبالتالي أصبح وجودها في المقاطعة موريطانيا القيصرية غير ضروريا وعليه تم اسنادها في مقاطعة الغربية لظهور مقاومة مورية أخرى.

قائمة البيبليوغرافية

باللغة العربية

- بشاري (م.ح)، **الجيش الرّوماني من التطوع إلى الاحترافية والفرقة الأغسطية الثالثة**، مجلة الدراسات تراثية، العدد الرابع، معهد الأثار، جامعة الجزائر،2010.

- بن عبد المؤمن (م.)، **الفرق العسكرية السورية ببلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني – أراء ودراسات في التاريخ والأثار القديمة**– أشغال الندوة العلمية بالمدرسة العليا للأساتذة بوزريعة 23–24–ديسمبر 2011، مؤسسة كنوز احكمة للنشر والتوزيع، الجزائر.

- فاضل (أ.)، **أولاد ميمون (Altava) من فجر التاريخ إلى نهاية العهد الرّوماني**، مجلة العلوم الإنسانية، العدد الرابع والخامس، جامعة وهران، جويلية–جانفي 2013–2014.

باللغة الأجنبية

- Audoulient (A.), **Misson epigraphique en Algerie**, M.E.F.R., 1980, Pp.397-588.p.413.

- Benseddik (N.) **Les troupes auxiliares de L'armée romaine en Maurétanie Césarienne sous le haut-empire**, Alger, S.N.E.D.,1979.p.83.
- D'escurac doisy (H.), **Un Nouveau Procurateur En Mauritanie Césarienne**, M.D.H, vol.69. 1957.Pp-137-150. p.146.
- De lesert (P.), **Fastes des provinces Africaines Sous La Domination Romaine, Rom**a, 1969.T. L.Pp.501-502. p.501.
- Leveau (Ph.), **L'aile II des Thraces, Les tribus des Mazices et les praefectis gentis en afrique du Nord**, A.Af.1974. Pp.103-110. p.110.
- Spaidel (M .A.), **thousand Tracian Recruits for Mauretania Tingitana**, A.Af, 11, 1977. Pp. 167-173.p.171.
- Speidel (A.), **Roman Army Pay Scales, JRS, Vol. LXXXII**, 1992. Pp.106-118.p.107.

القسم الثالث

بحوث في تاريخ الجزائر الوسيط

الفتح الإسلامي لمنطقة الأوراس والمغرب الأوسط

The Islamic conquest of the Aures and the Middle Maghreb

د/ خالد حموم
جامعة محمَّد لمين دباغين سطيف 02

الملخص

تعد منطقة الأوراس في بلاد المغرب الأوسط من أكثر المناطق التي حدثت فيها معارك ضارية بين المسلمين والبيزنطيِّين، وكذلك السكان الأصليِّين البربر، خاصةً خلال مقاومة زعيمة قبيلة جراوة البترية دهيا بنت ماتيه بن تيفان المشهورة بلقب الكاهنة. وتذكر المصادر التَّاريخية أنَّ أبا المهاجر دينار هو أوَّل من دخل منطقة الأوراس وبلاد المغرب الأوسط فاتحًا في حدود سنة 59هـ/679م، حيث فتح مجموعة من المدن مثل ميلة، وتوغل في بلاد المغرب الأوسط ووصل حتَّى تلمسان، ثمَّ عقبة بن نافع في ولايته الثانية ابتداءً من سنة 62هـ/682م، حيث نظَّم حملة كبرى على بلاد المغرب الإسلامي ككل، وفتح مدن عديدة في بلاد المغرب الأوسط، غير أنَّ المنطقة لم تفتح آنذاك بصفة نهائية، بسب استشهاد عقبة في معركة تهودة بالقرب من بسكرة بالمغرب الأوسط سنة 64هـ/684م. ثمَّ تلته حملتي حسان بن النعمان ابتداءً من سنة 74هـ/693م فهزمته الكاهنة في الحملة الأولى، وبعد حوالي خمس سنوات هزمها وفتح بذلك منطقة الأوراس وأجزاء كبيرة من بلاد المغرب الأوسط. وحينما جاء موسى بن نصير في حدود سنة 86هـ/705م استكمل فتح ما تبقى من بلاد المغرب الأوسط، ثم واصل الفتح إلى المغرب الأقصى. وأحاول من خلال هذا البحث تتبع المراحل التاريخية للفتوحات الإسلامية في منطقة الأوراس خصوصًا والمغرب الأوسط عمومًا.

الكلمات المفتاحية: الفتح الإسلامي؛ باغاية؛ الأوراس؛ المغرب الأوسط؛ المغرب الإسلامي.

Abstract

The Aures region in the Middle Maghreb countries is one of the regions where fierce battles took place between the Muslims and the Byzantines, as well as the indigenous Berber population, especially during the resistance of the Leader of the tribe of Jerawa Petria, Dhia bint Matih bin Tiffan, who is known as the El Kahina (priestess). And the historical sources state that Abo Al-Muhajir Dinar is the first to enter the Aures region and the countries of the Middle Maghreb in within the of year 59 AH /679 AD, Where he conquered a group of cities such as Mila, and penetrated into the countries of the Middle Maghreb and reached as far as Tlemcen, then Okba Bin Nafie in his second term starting from year 62 AH /682 AD, he organized a major campaign against the countries of the Islamic Maghreb as a whole, and conquered many cities in the countries of the Middle Maghreb, but that the region was not opened at that time permanently, due to the martyrdom of an Okba in a battle for Tahouda near Biskra in the Middle Maghreb in the year 64 AH / 684 AD. Then it was followed by the campaigns of Hassan Bin El Numan, starting from the year 74 AH /693 AD, and the El Kahina defeated him in the first campaign, after about five years he defeated it, thereby opening up the Aures region and large parts of the countries of the Middle Maghreb. When Musa Bin Nusayr came about 86 AH /705 AD, the conquest of the remainder of the countries of the Middle Maghreb was completed, then he continued the conquest to far Maghreb.

Keywords: The Islamic Conquest; Bagaïa; Aures; The Middle Maghreb; Islamic Maghreb.

مقدمة

تعاقب على فتح منطقة الأوراس والمغرب الأوسط العديد من الفاتحين، وقد خاض هؤلاء الفاتحين الكثير من المعارك العسكرية ضدَّ البيزنطيِّين من جهة، وضدَّ البربر من جهة أخرى، وتمكنوا في آخر المطاف من تحقيق هدفهم الأسمى وهو فتح المنطقة ونشر الإسلام في كامل بلاد المغرب الأوسط. ومن هذا المنطلق أطرح الإشكالية التالية: **ما هي أبرز العمليات العسكرية التي أدت إلى فتح منطقة الأوراس وبلاد المغرب الأوسط؟** وللإجابة على هذه الإشكالية طرحت العديد من التَّساؤلات: **متى وكيف فتحت منطقة الأوراس،**

وباقي مناطق المغرب الأوسط؟ ومن قام بفتحهما؟ وما هي العوامل المساعدة على الفتح؟ والنتائج التي تمخضت عن هذا الفتح؟

تنطلق فرضية الدراسة من التأكيد على ذلك الارتباط القائم بين الفتح الإسلامي ومنطقة الأوراس وبلاد المغرب الأوسط ابتداءً من النصف الثاني من القرن الأول للهجرة. ويهدف هذا البحث إلى إبراز العمليات العسكرية التي حدثت في منطقة الأوراس وبلاد المغرب الأوسط، والنتائج المتمخضة عنها. ووظفت في هذا البحث المنهج السردي، بالإضافة إلى المنهج التحليلي والنقدي، لإظهار ما أمكن إظهاره من الحقائق والجوانب الخفيَّة، وكثَّفت من الاستشهاد بالنُّصوص في المتن والهامش إمَّا دعمًا لرأي أو مُساندة لاستنتاج.

أولا/ الفتح الإسلامي في عهد أبي المهاجر دينار

عندما أوشك عقبة بن نافع على الانتهاء من تأسيس القيروان لكي يواصل الفتح ويزيل سلطان البيزنطيِّين من شمال بلاد المغرب، ثمَّ يسير في نشر الإسلام بين البربر[1] حسب خطته[2]، فوجئ بعزله سنة خمس وخمسين

1- أشير إلى أنَّني استعملت التَّسمية التي جاءت في المصادر الإسلامية في العصر الوسيط للسكان الأصليِّين لبلاد المغرب (شمال إفريقيا) وهي البربر، في حين أن التَّسمية الصَّحيحة لهم هي الأمازيغ، ومعلوم بالضرورة أنَّ البربر تسمية أطلقها عليهم الرومان، وهؤلاء كانوا يطلقون هذه التَّسمية على الشعوب غير الرومانية أو التي لا تتبع ولا تنتمي لحضارتهم. ويذكر المؤرخ موسى لقبال في هذا الشأن "أنَّه تواطأ مؤرخو الرُّومان والمسلمين والأوروبيِّين على تسميتهم بالبربر وهي كلمة هجينة تعبر عن مرحلة بدائية من التَّنظيم الاجتماعي ولا تعني أبدًا معنى الهمجية أو الوحشية، وإن كنا نفضل تسميتهم بما سموا أنفسهم أي الأمازيغ". (انظر: موسى لقبال: **المغرب الإسلامي**، الشركة الوطنية للنَّشر والتَّوزيع، الجزائر، ط1، 1981م، ص16).

2- محمَّد محمَّد زيتون: **المسلمون في المغرب والأندلس**، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر، 1990م، ص29.

هجرية، حيث عزله والي مصر الصحابي الجليل مسلمة بن مخلد الأنصاري، وعيَّن مولاه أبو المهاجر دينار[1] واليًا جديدًا على بلاد المغرب[2]. وقد جاء هذا الوالي بسياسة جديدة، حيث قام باستمالة البربر عن طريق المعاملة الحسنة، وصالح زعيم قبيلة أوربة البرنسيَّة أكسل بن لمزم المشهور باسم كسيلة، وأحسن إليه وأقنعه للدخول في الإسلام، مع جموع كثيرة من البربر[3]، فسهَّل له بذلك مواصلة الفتح الإسلامي بالمغرب الأدنى والدخول إلى أرض المغرب الأوسط[4]. ويعتبر أبو المهاجر دينار أوَّل والي لبلاد المغرب وطئت خيله أرض المغرب

1- من التابعين، ولاه مولاه مسلمة بن مخلد الأنصاري إمارة جيش المسلمين بالمغرب، وقد بقي بها مدة سبع سنوات من سنة 55هـ إلى 62هـ/675م-682م، استشهد في معركة ضدَّ البيزنطيِّين رفقة عقبة بن نافع في منطقة تهودة سنة 64هـ/684م. (انظر: المالكي، أبي بكر عبد الله بن محمَّد: **رياض النُّفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسَّاكهم وسيرٌ من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، حقَّقه بشير البكوش، راجعه محمَّد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1994م، ج1، ص31 وما بعدها؛ ابن الأثير: **الكامل في التَّاريخ**، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط1، 1987م، مج3، ص450 وما بعدها).

2- المالكي، المصدر السَّابق، ج1، ص31؛ عبد الرَّحمان بن خلدون: **تاريخ ابن خلدون، المُسمَّى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، 2000م، ج4، ص237.

3- المالكي، المصدر السَّابق، ج1، ص33؛ الدبَّاغ، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، أكمله وعلَّق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن تاجي التنوخي، تصحيح وتعليق إبراهيم شبُّوح، مكتبة الخانجي، مطبعة السنة المحمديَّة، مصر، ط1، 1968م، ج1، ص46؛ ابن خلدون، المصدر السَّابق، ج4، ص237.

4- أشير إلى أنَّ مصطلح المغرب الأوسط خلال فترة الفتح الإسلامي للمغرب لم يكن متداولًا في المصادر التاريخية، وقد ظهر هذا المصطلح في القرنين الرابع والخامس الهجريين. والموقع الجغرافي لبلاد المغرب الأوسط الذي أقصده في هذا البحث هو الجزائر حاليًا.

الأوسط[1]، فبعد بناءه لمدينته الجديدة تاكروان[2] في حدود سنة 55هـ/675م والتي اتخذها عاصمةً جديدة لبلاد المغرب بدلًا عن قيروان عقبة[3]، واستمالته للبربر ضدَّ البيزنطيِّين[4]، انطلقت جيوشه منها صوب المغرب الأوسط لمحاولة فتحه. وتذكر المصادر التَّاريخيَّة حملته على المغرب الأوسط باختصار شديد[5]، حيث يذكر كل من المالكي والدبَّاغ بأنَّه خرج بجيوشه ناحية المغرب

1- السيد عبد العزيز سالم: **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، مؤسَّسة شباب الجامعة، الإسكندريَّة، 2008م، ص130.

2- وردت عند المالكي باسم دكرور، ويذكر ابن عبد الحكم أنَّ أبا المهاجر بنا على بعد ميلين من قيروان عقبة مدينة ونزل بها، ويضيف عليه ابن عذارى بأنَّها تقع على الطريق الذي يلي تونس، وأنَّ أبا المهاجر أمر النَّاس أن يحرقوا القيروان ويعمروا مدينته الجديدة. (انظر: المالكي، المصدر السابق، ج1، ص31-32؛ ابن عبد الحكم: **فُتُوح مصر والمغرب**، تحقيق عبد المنعم عامر، شركة الأمل للطِّباعة والنَّشر، مصر، د.ت، ج1، ص266؛ ابن عذارى: **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1983م، ج1، ص22).

3- يذكر ابن عبد الحكم وابن عذارى أنَّ أبا المهاجر كره أن ينزل بمدينة عقبة القيروان، فاختط مدينة جديدة بدلًا عنها واستقر بها. (انظر: ابن عبد الحكم، المصدر السَّابق، ج1، ص266؛ ابن عذارى: المصدر السَّابق، ج1، ص22).

4- استطاع أبو المهاجر تحطيم الحلف الذي كان بين البيزنطيِّين وقبيلة أوربة البربرية بفضل معاملته الحسنة للبربر وزعيمهم كسيلة بن لمزم، فدخلت أعداد كثيرة من بربر المغرب الأوسط في الإسلام وانضمت إلى جيش الفتح. (انظر: السلاوي، أحمد بن خالد النَّاصري: **الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى**، تحقيق وتعليق جعفر النَّاصري، محمَّد النَّاصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م، ج1، ص37؛ السيد عبد العزيز سالم، المرجع السَّابق، ص130).

5- تمرُّ المصادر التَّاريخيَّة مرًا سريعًا على ولاية أبي المهاجر، إمَّا لأنَّها وقعت بين ولايتي عقبة بن نافع الأولى والثَّانيَّة، أو بسبب استياء الرواة من تصرفات أبي المهاجر وإساءته لعقبة. (انظر: السيد عبد العزيز سالم: المرجع السَّابق، ص129).

الأوسط وفتح كلَّ ما مر به، حتَّى انتهى إلى العيون التي تُسمَّى اليوم عيون أبي المهاجر نحو مدينة تلمسان[1].

والمؤكد أنَّ جيش أبا المهاجر خلال حملته هذه مرَّ بمنطقة الأوراس وقام بفتح بعض مدنها وقرها، ومروره كان بالضرورة جهة المناطق الداخليَّة للمغرب الأوسط، ولم يكن من جهة الساحل لأنَّ البيزنطيِّين كانوا يملكون سواحل بلاد المغرب، فيجب على أبي المهاجر أن يقوم بتجنب الدخول في مواجهة مع البيزنطيِّين والبربر معًا. ومرَّ أبا المهاجر خلال حملته هذه، على مدينة بسكرة ونواحيها، وحارب بعض الولاة ورؤساء القبائل في جهات قسنطينة وانتصر عليهم وذلك عام 59هـ/679م، واتخذ مدينة ميلة مركزًا لعملياته الحربيَّة[2] وابتنى بها دار الإمارة وجعلها ملاصقة للجامع، ومكث بها سنتين[3]، ثمَّ عاد إلى المغرب الأدنى سنة 61هـ/681م واستقرَّ بعاصمته الجديدة تاكروان عامًا واحدً حتَّى عزل[4].

ونشير إلى أنَّ أبا المهاجر توغل في بلاد المغرب الأوسط ووصل حتَّى تلمسان[5] إلى أنَّ فتح هذه البلاد لم يكن فتحًا مؤزرًا وحقيقيًا رغم مكوثه حوالي

1- المالكي، المصدر السَّابق، ج1، ص33؛ الدبَّاغ، المصدر السَّابق، ج1، ص46.

2- عبد الرَّحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، دار الثقافة، بيروت، ط4، 1980م، ج1، ص127؛ يحيى بوعزيز: **الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر القديمة والوسيطة**، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، 2007م، ج1، ص86.

3- عبد الرَّحمان الجيلالي، المرجع السَّابق، ج1، ص127-128.

4- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السَّابق، ص130.

5- عن خط سير حملة أبو المهاجر دينار على منطقة الأوراس والمغرب الأوسط. (انظر: **الملحق رقم 1**).

عامين بمدينة ميلة، لأنَّ جيوشه عادت إلى المغرب الأدنى ولم تستقر في المغرب الأوسط لتدعيم عملية الفتح لدى قبائل البربر جميعًا.

ثانيا/ الفتح الإسلامي في عهد عقبة بن نافع (الولاية الثَّانيَّة)

عندما تولى يزيد بن معاوية خلافة المسلمين واستتب له الأمر باستقرار أوضاع الخلافة الأمويَّة بالمشرق ولو نسبيًا، فكر في بعث الفتوحات الإسلاميَّة في بلاد المغرب من جديد، فقام بعزل أبي المهاجر دينار وإعادة عقبة بن نافع لولاية المغرب وهذا في سنة 62هـ/682م[1]. فسارع عقبة بعد تعيِّينه هذا إلى إعادة بناء القيروان ونقل النَّاس إليها، كما قام بتوثيق أبي المهاجر دينار بالحديد[2]، ثمَّ تجهز لمحاربة البيزنطيِّين ومواصلة الفتوحات الإسلاميَّة في بلاد المغرب، وقام بتجهيز حملة كبيرة ناحية منطقة الأوراس وكامل بلاد المغرب الإسلامي. وانطلق في حملته هذه من قاعدة الفتح القيروان، بعد أن استخلف عليها زُهير بن قيس البلوي[3]، بجيش قوامه خمسة عشر ألف جندي[4]، لفتح بلاد المغرب الأوسط ومقاومة البيزنطيِّين. فدخل بجيشه هذا إلى منطقة الأوراس في المغرب الأوسط والبيزنطيِّين يهربون من طريقه يمينًا وشمالًا، إلى أن وصل

1- المالكي، المصدر السَّابق، ج1، ص33-34؛ ابن الأثير، المصدر السَّابق، مج3، ص450؛ ابن خلدون، المصدر السَّابق، ج4، ص237.

2- ابن عبد الحكم، المصدر السَّابق، ج1، ص267؛ المالكي، المصدر السَّابق، ج1، ص34.

3- ابن الأثير، المصدر السَّابق، مج3، ص450؛ ابن عذارى، المصدر السَّابق، ج1، ص23. (غير أنَّ ابن عبد الحكم والمالكي والدبَّاغ يذكران أنَّ عقبة استخلف بالقيروان مع زهير بن قيس البلوي، عمر بن علي القرشي). (انظر: ابن عبد الحكم، المصدر السَّابق، ج1، ص267؛ المالكي، المصدر السَّابق، ج1، ص34؛ الدبَّاغ، المصدر السَّابق، ج1، ص47-48).

4- عبد الرَّحمان الجيلالي، المرجع السَّابق، ج1، ص128.

إلى مدينة باغاية[1] شرق جبل الأوراس، ففتحها بعد أن حاصرها وقاتل البيزنطيِّين المتواجدين بها قتالًا شديدًا[2]، وغنم منهم خيلًا كثيرًا لم يرَّ المسلمون أصلب منها ولا أسرع فهي نتاج جبل أوراس المطل عليها[3].

ومنها توجه إلى مدينة لمبيس (لمبيز) ففتحها بعد قتال عنيف مع البيزنطيِّين وأصاب بها غنائم كثيرة[4]، ثمَّ ارتحل إلى بلاد الزاب بالتَّحديد إلى مدينة أذنة التي كان حولها ثلاثمائة قرية كلها عامرة، فلمَّا بلغ أهلها أنَّ عقبة قادمًا إليهم لجئوا إلى حصنهم، وهرب أغلبهم إلى الجبال والأماكن الوعرة، ونزل عقبة على وادٍ يبعد عن المدينة ثلاثة أميال، ولمَّا تجهز البيزنطيون في المساء نزلوا بدورهم بجيش ضخم أسفل الوادي، ولكن لم يحدث القتال بين الفريقين في الليل وسهر الجيشين في تلك الليلة خوفًا من مباغتة أحدهم للأخر، فسمي ذلك الوادي "**وادي سهر**" وعندما صلى عقبة الصبح أمر المسلمين بقتالهم، فحدثت

1- مدينة كبيرة يسكنها البربر عليها سوران من حجر، بها أسواق، ولها واد يجري إليها من جهة القِبلة، وأكثر غلاتها الحنطة والشعير، منها إلى قسنطينة ثلاث مراحل، ومنها إلى مدينتي طبنة وقسطيلية أربع مراحل. وحاليًا المدينة تدعى باغاي وهي بلدية تابعة لولاية خنشلة وتقع في الشمال منها. (انظر: الإدريسي: **القارَّة الإفريقيَّة وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، تحقيق وتقديم وتعليق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، 1983م، ص177-178). (انظر أيضًا: **الملحق رقم 1**).

2- المالكي، المصدر السَّابق، ج1، ص34؛ ابن الأثير، المصدر السَّابق، مج3، ص451؛ الدبَّاغ، المصدر السَّابق، ج1، ص48.

3- الرقيق القيرواني: **تاريخ أفريقية والمغرب**، تقديم وتحقيق وتعليق، محمَّد زينهم محمَّد عزب، دار الفرجاني للنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، ط1، 1994م، ص42؛ ابن عذارى، المصدر السَّابق، ج1، ص24؛ عبد الرَّحمان الجيلالي، المرجع السَّابق، ج1، ص128.

4- عبد الرَّحمان الجيلالي، المرجع السَّابق، ج1، ص128؛ يحيى بوعزيز، المرجع السَّابق، ج1، ص87.

معركة ضارية بينهما، انتهت بانتصار المسلمين والقضاء على البيزنطيِّين في بلاد الزاب[1]. ثمَّ ارتحل عقبة وجيشه إلى الجهة الغربيَّة للمغرب الأوسط، ونزل بمدينة تيهرت وقاتل فيها البيزنطيِّين والبربر معًا، وانتصر عليهم، ثمَّ واصل طريقه ناحية تلمسان ففتحها[2]، ومنها اتجه إلى المغرب الأقصى فوصل طنجة، ثمَّ قاتل البربر في السوس الأدنى والأقصى[3].

وفي طريق عودته من المغرب الأقصى استشهد عقبة بن نافع وجنده وأبي المهاجر دينار سنة 64هـ/684م في منطقة تهودة بالقرب من بسكرة في المغرب الأوسط[4].

ثالثا/ الفتح الإسلامي في عهد حسَّان بن النُّعمان الغساني

تولى حسَّان بن النُّعمان قيادة جيش المسلمين في بلاد المغرب[5] بعهد

1- الرقيق القيرواني، المصدر السَّابق، ص42-43؛ المالكي، المصدر السَّابق، ج1، ص36-37؛ ابن الأثير، المصدر السَّابق، مج3، ص451؛ الدبَّاغ، المصدر السَّابق، ج1، ص49.

2- عن خط سير حملة عقبة على منطقة الأوراس والمغرب الأوسط. (انظر: الملحق رقم 1).

3- ابن الأثير، المصدر السَّابق، مج3، ص451؛ ابن عذارى، المصدر السَّابق، ج1، ص25 وما بعدها؛ ابن خلدون، المصدر السَّابق، ج4، ص237.

4- عن كيفية استشهاد عقبة ورفاقه. (انظر: المالكي، المصدر السَّابق، ج1، ص39 وما بعدها؛ ابن الأثير، المصدر السَّابق، مج3، ص451-452؛ ابن عذارى، المصدر السَّابق، ج1، ص28 وما بعدها؛ الدبَّاغ، المصدر السَّابق، ج1، ص51 وما بعدها؛ ابن خلدون، المصدر السَّابق، ج4، ص237-238).

5- نشير إلى أنَّ قيادة جيش المغرب بعد استشهاد عقبة بن نافع سنة 64هـ/684م كانت بيد زهير بن قيس البلوي، ولم نذكر فتوحاته بالمغرب الأوسط لأنَّه لم يدخل هذه البلاد فاتحًا واكتفى في ولايته بمحاربة زعيم البربر كسيلة الأوربي بالقيروان، ومحاربة البيزنطيِّين، وقد تخلص من كسيلة في معركة ممس، لكن البيزنطيِّين كمنوا له، فاستشهد بالقرب من برقة سنة 69هـ/688م. (انظر: ابن عبد الحكم، المصدر السَّابق، ج1، ص269 ؛ المالكي، المصدر السَّابق، ج1،

من الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في حدود سنة 73هـ/692م، ويختلف المؤرخون كثيرًا في تاريخ تعيِّينه هذا[1].

كما يختلفون في تاريخ بداية حملته العسكريَّة ضدَّ البيزنطيِّين بقرطاجنة والكاهنة[2] بمنطقة الأوراس في المغرب الأوسط، والأرجح أنَّه بدأ يحارب البيزنطيِّين بقرطاجنة منذ وصوله لبلاد المغرب أي سنة 73هـ/692م[3] حيث

ص44 وما بعدها ؛ ابن الأثير، المصدر السَّابق، مج4، ص135 ؛ موسى لقبال: المرجع السَّابق، ص49 وما بعدها).

1- اختلف المؤرخون في تاريخ تعيِّين حسان بن النعمان واليًا على بلاد المغرب، حيث يرى المالكي أنَّه كان سنة 69هـ/688م، بينما يرى ابن عبد الحكم وابن خلدون أنَّه كان سنة 73هـ/692م، في حين يرى ابن الأثير أنَّه كان سنة 74هـ/693م، ويذكر ابن عذارى أنَّه كان سنة 78هـ/697م. والأرجح هو رأي ابن عبد الحكم وابن خلدون، لأنَّ التَّاريخ الذي يذكره المالكي مستبعد كون الأوضاع في بلاد المشرق كانت آنذاك مضطربة جدًا، حيث استفحل أمر الخوارج، وكذلك ثورة عبد الله بن الزبير (رضي الله عنهما) فبعد قضاء الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان على ثورة ابن الزبير في حدود سنة 73هـ/692م واستتب له الأمر، بعث حسان لمواصلة الفتح في بلاد المغرب في نفس السنة. (أنظر: ابن عبد الحكم، المصدر السَّابق، ج1، ص269؛ المالكي، المصدر السَّابق، ج1، ص48؛ ابن الأثير، المصدر السَّابق، مج4، ص135؛ ابن عذارى، المصدر السَّابق، ج1، ص34؛ ابن خلدون، المصدر السَّابق، ج4، ص238).

2- هي زعيمة البربر بعد كسيلة بن لمزم الأوروبي، تدعى دهيا بنت ماتيه بن تيفان وهي من قبيلة جراوة البترية، كانت تقيم بعاصمتها بغاية قرب مدينة خنشلة، قيل بأنَّها كانت تخبر قومها بأشياء من الغيب لهذا سميت الكاهنة، وكان جميع من بإفريقية من البيزنطيِّين منها خائفون، وجميع البربر لها مطيعون. (انظر: الرقيق القيرواني، المصدر السَّابق، ص46؛ ابن الأثير، المصدر السَّابق، مج4، ص135؛ ابن عذارى، المصدر السَّابق، ج1، ص35؛ السيد عبد العزيز سالم: المرجع السَّابق، ص158؛ عبد الرَّحمان الجيلالي، المرجع السَّابق، ج1، ص148).

3- لم يذكر المؤرخون بالتَّحديد تاريخ بداية حملة حسان بن النعمان العسكريَّة الأولى ضدَّ البيزنطيِّين بقرطاجنة والأرجح أنَّه بدأ يحاربهم في سنة 73هـ/692م، أي بعد تعيِّينه واليًا على بلاد المغرب مباشرة وهذا حسب ابن عبد الحكم وابن الأثير وابن خلدون. في حين يرى المالكي والدَّباغ

قدم إليهم بجيش ضخم قوامه أربعين ألف جندي[1]، فتمكن من القضاء عليهم وتبديد شملهم، وتخريب مدينتهم، ففروا ناحية مدينة باجة، وفرَّ بربر تلك المنطقة إلى ناحية بونة[2].

وفيما يخص مقاومته لزعيمة البربر بعد كسيلة، الكاهنة رئيسة قبيلة جراوة بناحية الأوراس في المغرب الأوسط فقد كان في حدود سنة 74هـ/693م[3]، حيث عاد حسَّان بجيشه إلى القيروان بعد هزيمته للبيزنطيِّين بقرطاجنة لإعادة تنظيم صفوفه، ولمَّا جهز جيشه من جديد قال لأهل القيروان: "**دلوني على أعظم من بقي من ملوك إفريقيَّة**"، فدلوه على امرأة من البربر

أنَّ هذه الحملة حدثت بعد سنة 69هـ/688م، وابن عذارى يقول بعد سنة 78هـ/697م. (انظر: ابن عبد الحكم، المصدر السَّابق، ج1، ص269-270؛ المالكي، المصدر السَّابق، ج1، ص48-49؛ ابن الأثير، المصدر السَّابق، مج4، ص135؛ الدبَّاغ، المصدر السَّابق، ج1، ص60؛ ابن عذارى، المصدر السَّابق، ج1، ص34-35؛ ابن خلدون المصدر السَّابق، ج4، ص238).

1- ابن عذارى، المصدر السَّابق، ج1، ص34. (ويذكر ابن الأثير أنَّه لم يدخل افريقيَّة قط جيش مثله). (انظر: ابن الأثير، المصدر السَّابق، مج4، ص135).

2- ابن الأثير، المصدر السَّابق، مج4، ص135.

3- اختلف المؤرخون كثيرًا في تاريخ بداية حملة حسان الأولى على الكاهنة، ولم يذكروا التاريخ بدقة، حيث قال جميعهم أنَّها كانت بعد حملته الأولى على الرُّوم البيزنطيِّين بقرطاجنة سنة 73هـ/692م، والأرجح حسب اعتقادي أنَّها كانت في أواخر سنة 73هـ/692م أو بداية سنة 74هـ/693م، حيث عاد للقيروان واستراح بها أيامًا حسب ما يذكر ابن عذارى، أو ربما استراح شهورًا، ثمَّ بدأ حملته على الكاهنة. (انظر: ابن عبد الحكم، المصدر السَّابق، ج1، ص269-270؛ المالكي، المالكي، المصدر السَّابق، ج1، ص48-49؛ ابن الأثير، المصدر السَّابق، مج4، ص135-136 ابن عذارى: المصدر السَّابق، ج1، ص34 وما بعدها؛ ابن خلدون، المصدر السَّابق، ج4، ص239).

تدعى الكاهنة[1]، فتجهز لحربها بجيش جرار، وكانت أوَّل حملة عسكرية لحسَّان على منطقة الأوراس وبلاد المغرب الأوسط. ولمَّا سمعت الكاهنة بمقدمه جمعت جيش ضخم وعسكرت بمدينة باغاية، وأخرجت منها البيزنطيِّين ثمَّ هدمتها، ضنًا منها أنَّه يريد التَّحصن بها[2]، أمَّا حسَّان فقد أكمل طريقه وتوغل في منطقة الأوراس وعسكر بوادي مسكيانة[3]، فقيل له أنَّ الكاهنة قد أقبلت في عدد لا يحصيه إلَّا الله تعالى، فقال: "**دلوني على ماء يسع العسكر الذي أنا فيه**" [4]، فدلوه على نهر أو واد نيني[5]، فزحفت إليه الكاهنة بجيوشها حتَّى أتت أسفل النهر، وحسَّان كان في أعلاه، وفي صباح الغد حدثت معركة مهولة بين الجيشين، حيث عظم البلاء وظنَّ المسلمون أنَّه الفناء، وانهزم حسَّان وجنده، في ضفاف هذا النهر الذي أصبح يدعى بنهر البلاء[6]، كما سُمي وادي

1- المالكي، المصدر السَّابق، ج1، ص49-50؛ ابن الأثير، المصدر السَّابق، مج4، ص135؛ ابن عذارى، المصدر السَّابق، ج1، ص35.

2- المالكي، المصدر السَّابق، ج1، ص50.

3- مسكيانة هي قرية عامرة قديمة، قريبة من مدينة باغاية، بها زروع ومساكن وعيون، ولها سوق ممتدة كالسماط، وهي أكبر من مدينة مرماجنة القريبة منها. واليوم هي دائرة تابعة لولاية أم البواقي، تقع في أقصى الجنوب الشرقي منها. (انظر: الإدريسي، المصدر السَّابق، ص195). (انظر أيضًا: **الملحق رقم 2**).

4- المالكي، المصدر السَّابق، ج1، ص50.

5- ابن الأثير، المصدر السَّابق، مج4، ص136. (ويذكر الرقيق القيرواني أنَّ هذا النهر يسمى بلسان البربر "بلى"). (انظر: الرقيق القيرواني، المصدر السَّابق، ص46-47). (وتوجد اليوم في جنوب شرق ولاية أم البواقي بلدية تدعى واد نيني، وهي قريبة من دائرة مسكيانة). (انظر أيضًا: الملحق رقم 2).

6- ابن عبد الحكم، المصدر السَّابق، ج1، ص270؛ المالكي، المصدر السَّابق، ج1، ص51.

العَذَارَى[1]، وانسحب ناحية القيروان وطاردته الكاهنة حتَّى خرج من مدينة قابس بالمغرب الأدنى، فالتجأ حسَّان إلى برقة، وبقي بها خمس سنين[2] ينتظر المدَّد من الخلافة الأمويَّة بالمشرق، وخلالها بنا قصورًا سميت بقصور حسَّان[3].وقد أسِرت الكاهنة في هذه المعركة ثمانين رجلًا من المسلمين، أطلقت سراحهم جميعًا ما عدا خالد بن يزيد العبسي[4] الذي اتخذته والدًا لها. وملكت بذلك الكاهنة بلاد المغرب مدَّة خمس سنين، وقد ارتكبت خلال هذه المدَّة خطأً كبيرًا حيث قامت بتحطيم وتخريب بلاد المغرب، ظنًا منها أنَّ المسلمين قدموا للاستيلاء على خيرات هذه البلاد، ويذكر ابن عذارى أنَّها قالت لقومها: "**إنَّ العرب (يُقصد هنا الفاتحين المسلمين) إنَّما يطلبون من إفريقيَّة المدائن**

1- الرقيق القيرواني، المصدر السَّابق، ص47؛ ابن عذارى، المصدر السَّابق، ج1، ص36. (عن خط سير حملة حسَّان الأولى على منطقة الأوراس في المغرب الأوسط). (انظر: الملحق رقم 2).

2- الرقيق القيرواني، المصدر السَّابق، ص47؛ ابن عذارى، المصدر السَّابق، ج1، ص36؛ ابن الأثير، المصدر السَّابق، مج4، ص136. (غير أنَّ المالكي يقول أنَّ حسَّان عسكر بناحية برقة ينتظر المدد مدَّة ثلاث سنين فقط، والأرجَّح ما أثبتناه في المتن). (انظر: المالكي، المصدر السَّابق، ج1، ص51).

3- ابن الأثير، المصدر السَّابق، مج4، ص136؛ السلاوي، المرجع السَّابق، ج1، ص43.

4- اختلف المؤرخون في نسبه بين العبسي والقيسي، وبين اسمه واسم أبيه فهل هو خالد بن يزيد أو يزيد بن خالد. أعجبت الكاهنة بجماله وشجاعته، فتبنته والدًا لها، حيث عمدت إلى دقيق الشعير فلتَّته بزيت، وجعلته على ثديها ودعت ولديها وقالت كلا معه على ثدييَّ ففعلا، فقالت قد صرتم إخوة. (انظر: ابن عبد الحكم، المصدر السَّابق، ج1، ص270؛ الرقيق القيرواني، المصدر السَّابق، ص47؛ المالكي، المصدر السَّابق، ج1، ص51؛ ابن الأثير، المصدر السَّابق، مج4، ص136؛ ابن عذارى، المصدر السَّابق، ج1، ص37؛ ابن خلدون، المصدر السَّابق، ج4، ص239).

والذهب والفضَّة، ونحن إنَّما نريد منها المزارع والمراعي، فلا نرى لكم إلَّا خراب بلاد إفريقية كلها، حتَّى ييئس منها العرب (يُقصد هنا الفاتحين المسلمين) فلا يكون لهم رجوع إليها إلى آخر الدَّهر"[1].

فتضرَّر البربر من سياستها هذه، وسخطوا عليها، وبدأوا في تغيِّير ولائهم لحسَّان والتَّخلي عن نصرتها، ويذكر الرقيق القيرواني أنَّه لجأ أهل مدن قفصة وقسطيلية ونفزاوة وحوالي ثلاثمائة رجل من النَّصارى يستغيثون إليه من الكاهنة فيما نزل بهم من خراب[2]، كما يذكر ابن عذارى أنَّه خرج يومئذٍ من المغرب خلق كثير من النَّصارى والأفارقة مستغيثين ممَّا نزل بهم من الكاهنة، فتفرقوا على الأندلس وسائر جزر البحر الرومي[3].

وفي تلك الأثناء كان حسَّان مرابطًا بمدينة برقة، ويعد العدة للزحف على منطقة الأوراس والمغرب الأوسط من جديد والقضاء على الكاهنة، وقد عمد إلى إرسال رجل يثق به إلى خالد بن يزيد العبسي أسير الكاهنة، لكي يتقصى له أمرها وأحوال بلادها ورعيتها، وقد تمكن من الحصول على معلومات مهمَّة تتمثل بالخصوص في سخط الرعية من سياسة الكاهنة التي أثقلت كاهلهم[4].

1- ابن عذارى، المصدر السَّابق، ج1، ص36.

2- الرقيق القيرواني، المصدر السَّابق، ص48-49.

3- ابن عذارى، المصدر السَّابق، ج1، ص36-37.

4- عن كيفية نقل خالد بن يزيد العبسي، المعلومات العسكريَّة حول الكاهنة وقومها إلى حسَّان. (أنظر: ابن عبد الحكم، المصدر السَّابق، ج1، ص270؛ المالكي، المصدر السَّابق، ج1، ص51-52؛ ابن الأثير، المصدر السَّابق، مج4، ص136؛ ابن عذارى، المصدر السَّابق، ج1، ص37).

ولمَّا وصله المدد من المشرق في حدود سنة 79هـ/698م[1] وأصبحت الظروف كلها في صالحه وضدَّ الكاهنة[2]، انطلق في حملة ثانية على منطقة الأوراس بالمغرب الأوسط بجيش جرار مصمِّمًا القضاء عليها، وعندما علمت الكاهنة بمقدمه رحلت من جبل أوراس في خلق عظيم، وأوصت خالد بن يزيد العبسي أن يستأمن لولديها عند حسَّان وأن يُقبلا عليه، وتنبأت بمقتلها، ولكن قررت المقاومة حتَّى الموت[3]. ويذكر المالكي أنَّ الجمعان التقيا ناحية مدينة قابس، فانهزمت الكاهنة، وفرت مع من بقي من جندها إلى قلعة بُسْر لكي تتحصن بها ولكنها وجدتها مخربة، فانتقلت ناحية جبال الأوراس[4]، ومعها صنم عظيم من خشب كانت تعبده، يحمل بين يديها على جمل، ولحقها جند حسان، فاقتتلا الجمعان وانهزمت الكاهنة وقتلت عند بئر سماها المسلمون "**بئر الكاهنة**"[5].

أمَّا البربر فقد طلبوا الأمان من حسَّان، فأمنهم واشترط عليهم أن يعطوه من جميع قبائلهم اثنا عشر ألف فارس يكونون مع المسلمين مجاهدين، فأجابوه وأسلموا، فعقد لولدي الكاهنة بعد إسلامهما لكل واحد منهما على ستة آلاف

1- بما أنَّ حسان مكث في برقة بعد نهاية حملته الأولى على الكاهنة في حدود سنة 74هـ/693م، خمس سنوات، فالأرجح أنَّ حملته الثانية عليها كانت سنة 79هـ/698م. (انظر: ابن الأثير، المصدر السَّابق، مج4، ص136).

2- يحيى بوعزيز، المرجع السَّابق، ج1، ص90.

3- ابن الأثير، المصدر السَّابق، مج4، ص136؛ ابن عذارى، المصدر السَّابق، ج1، ص37-38.

4- عن خط سير حملة حسان الثَّانيَّة على منطقة الأوراس في المغرب الأوسط. (أنظر: الملحق رقم 2).

5- المالكي، المصدر السَّابق، ج1، ص54 وما بعدها.

فارس من البربر، وانضموا للمجاهدين لاستكمال فتح بلاد المغرب، فانصرف حسَّان إلى القيروان بعدما تأكد من أنَّ البربر بناحية الأوراس حسن إسلامهم وذلك في شهر رمضان سنة 82هـ/أكتوبر 701م[1]. تمثل نهاية مقاومة الكاهنة بمنطقة الأوراس، منعرجًا حاسمًا في عملية الفتح الإسلامي للمغرب الأوسط، فقد دخل غالبية سكان هذه المنطقة في الإسلام، حتَّى أصبح أكثر جيش حسَّان من البربر، وقد عمد هذا الأخير بعد أن استقامت له بلاد المغرب الأدنى وأجزاء كبيرة من المغرب الأوسط إلى تدوين الدواوين، وتنظيم الخراج، ووضع النظم الإداريَّة[2].

رابعا/ الفتح الإسلامي في عهد موسى بن نصير

عزل الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، حسان بن النعمان عن ولاية المغرب، وعيَّن موسى بن نصير بدلًا عنه في حدود سنة 86هـ/705م[3]، فقدم

1- اختلف المؤرخون في تاريخ عودة حسان إلى القيروان بعد قضاءه على الكاهنة، حيث يرى الرقيق القيرواني أنَّه كان سنة 74هـ/693م، بينما يرى ابن عبد الحكم أنَّه كان سنة 76هـ/695م ويذكر في رواية أخرى أنَّه كان سنة 78هـ/697م، في حين يرى المالكي أنَّه كان سنة 84هـ/703م. والأرجح بالنظر لصيرورة الأحداث التَّاريخيَّة هو ما أثبتناه في المتن وهو رأي ابن عذارى). (انظر: الرقيق القيرواني، المصدر السَّابق، ص50؛ ابن عبد الحكم، المصدر السَّابق، ج1، ص271-272؛ المالكي، المصدر السَّابق، ج1، ص56؛ ابن عذارى، المصدر السَّابق، ج1، ص38).

2- المالكي، المصدر السَّابق، ج1، ص56؛ السيد عبد العزيز سالم: المرجع السَّابق، ص164.

3- اختلفت المصادر التاريخيَّة حول تاريخ تعيِّين موسى بن نصير واليًا على المغرب ومن قام بتعيِّينه، فيرى ابن عبد الحكم أنَّه عُيِّن سنة 79هـ/698م من قبل والي مصر عبد العزيز بن مروان، وذكر ابن الأثير تاريخين دون تحديد أيُّها أصح حيث قال عيَّنه عبد العزيز بن مروان سنة 78هـ/697م، وفي موضع آخر قال عُيِّن سنة 89هـ/708م من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك، وقال ابن عذارى أنَّه عُيِّن من قبل عبد العزيز بن مروان دون علم أخيه عبد الملك، ولم يحدِّد التَّاريخ بدقة، ولكنه أشار في موضع آخر أنَّه وليَّ سنة 83هـ/702م، ويقول في موضع آخر أنَّ

إفريقية وعزل خليفة حسان عليها أبا صالح أو صالح في بعض الروايات[1]، ورأى البربر قد طمعوا في الاستيلاء على البلاد فوجه البعوث في النواحي[2]. وأوَّل فتوحات موسى بن نصير في المغرب الأدنى هي قلعة زغوان ونواحيها، ثمَّ وجه ولديه عبد الله ومروان وافتتحوا بعض نواحي إفريقية وعادوا بسبي كثير بلغ مائتي ألف رأس، كما فتح مدينة سجومة[3].

وفيما يخص فتوحاته في المغرب الأوسط وهو ما يهمنا في موضوع بحثنا هذا، فلم تذكر المصادر التَّاريخية معلومات كثيرة عنها، وهناك إشارات قليلة جدًا، منها تلك التي ذكرها ابن عذارى بأنَّ موسى بن نصير فتح قبائل هوَّارة وزناتة وكتامة حيث أغار عليهم وقتلهم وسباهم، فبلغ سبيه خمسة آلاف رأس[4]. ومعلوم بالضرورة أنَّ مضارب قبائل كتامة وزناتة كثيرة جدًا في المغرب الأوسط فكتامة تتمركز في شرقه، أمَّا زناتة فتقع أكثر مضاربها في غربه ولها بطون أخرى في وسطه وشرقه. وفيما يخص قبيلة هوارة فيذكر الإدريسي أنَّها

الوليد هو من أمر عمه عبد الله بن مروان والي مصر بعد عبد العزيز بن مروان بتعيِّينه واليًا على المغرب سنة 86هـ/705م، وقال ابن خلدون أنَّه تولى حينما ولي الوليد بن عبد الملك وبعهد منه دون تحديد التَّاريخ. وقد وجدت صعوبة كبيرة جدًا في الترجيح بين الروايات، وبالنظر لصيرورة الأحداث التَّاريخية فالأرجح أنَّه عُيِّن من قبل الوليد بن عبد الملك سنة 86هـ/705م وهو تاريخ توليه الخلافة الأموية. (أنظر: ابن عبد الحكم، المصدر السَّابق، ج1، ص274؛ ابن الأثير، المصدر السَّابق، مج4، ص252؛ ابن عذارى، المصدر السَّابق، ج1، ص39 وما بعدها؛ ابن خلدون، المصدر السَّابق، ج4، ص239).

1- ابن عبد الحكم، المصدر السَّابق، ج1، ص274؛ ابن الأثير، المصدر السَّابق، مج4، ص252.

2- ابن الأثير، المصدر السَّابق، مج4، ص252؛ ابن خلدون، المصدر السَّابق، ج4، ص239.

3- ابن عذارى: المصدر السَّابق، ج1، ص40-41.

4- المصدر نفسه، ص41.

تسكن مع الكثير من قبائل البربر جبل الونشريس الذي يقع جنوب مدينة مليانة ويبعد عنها مسيرة ثلاثة أيام وينتهي طرفه بالقرب من تاهرت[1]. ثمَّ نظَّم موسى بن نصير حملة عسكرية ناحية طنجة في المغرب الأقصى، وفتحها مع الكثير من مدنه حتىَّ وصل السوس الأدنى[2]، ودون أدنى شك فقد مرَّ موسى خلال حملته هذه على بلاد المغرب الأوسط وفتح فيه العديد من المدن والقرى. ولم تذكر المصادر التَّاريخية بعد ذلك أي معركة لهذا الفاتح في بلاد المغرب الأوسط وهو دليل قطعي على فتح جميع هذه البلاد في عهده.

خاتمة

يعد الوالي أبو المهاجر دينار أوَّل القادة الفاتحين الذين دخلوا بجندهم منطقة الأوراس وبلاد المغرب الأوسط في حدود سنة 59هـ/679م، ثمَّ جاء الدور على عقبة بن نافع في ولايته الثانية حيث فتح العديد من مدن وقرى منطقة الأوراس والمغرب الأوسط، ثمَّ جاء حسان بن النعمان وقاد حملتين هُزم في الأولى سنة 74هـ/693م وانتصر بعد حوالي خمس سنوات في الثانية على زعيمة قبيلة جراوة في الأوراس الكاهنة. واستكمل الوالي موسى بن نصير بعد تعيِّينه واليًا على المغرب في حدود سنة 86هـ/705م فتح ما تبقى من مدن وقرى بلاد المغرب الأوسط.

أسلم الكثير من السكان الأصليِّين لمنطقة الأوراس وبلاد المغرب الأوسط البربر، منهم زعيم القوم كسيلة بن لمزم الأوربي بفضل جهود الفاتح

1- القارَّة الإفريقيَّة وجزيرة الأندلس، ص154-155.

2- ابن الأثير، المصدر السَّابق، مج4، ص252؛ ابن عذارى: المصدر السَّابق، ج1، ص42؛ ابن خلدون، المصدر السَّابق، ج4، ص239.

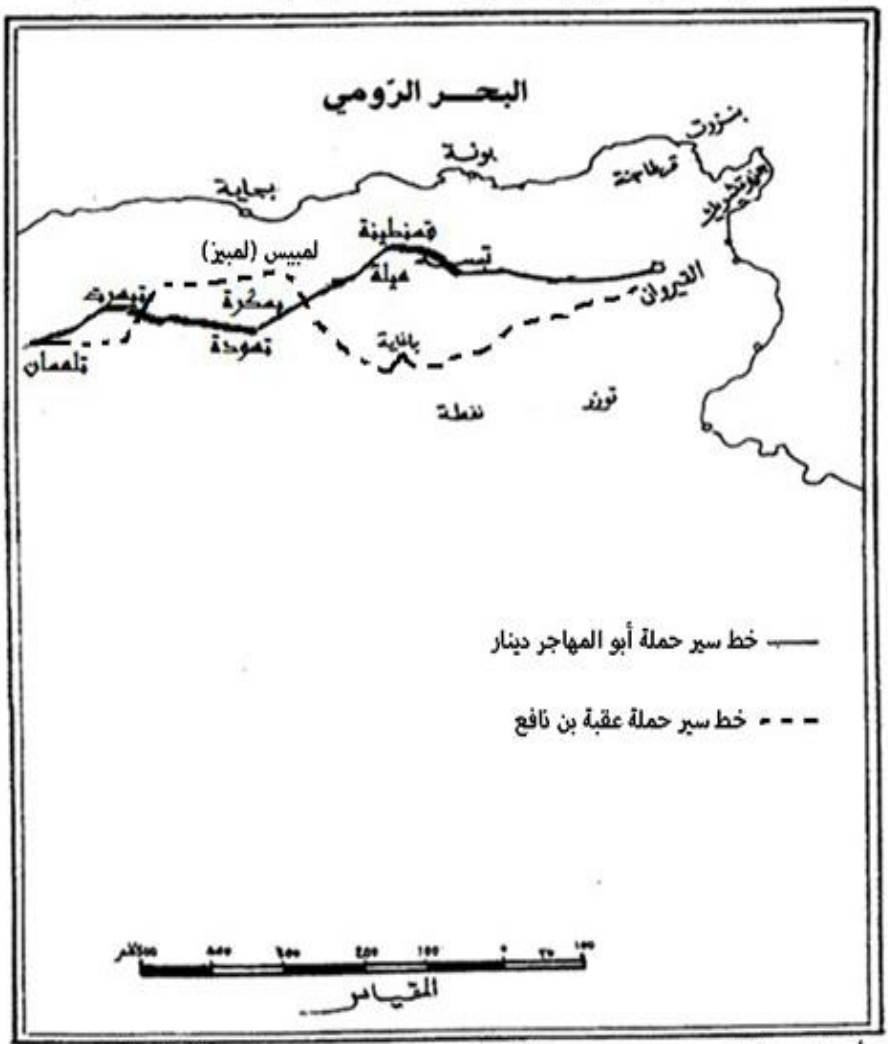
أبي المهاجر دينار الذي عاملهم معاملة حسنة، كما دخل في الإسلام عدد كثير منهم في ولايتي عقبة الثانية وكذلك في عهد حسان بن النعمان خاصةً لما قضى على مقاومة الكاهنة، وكذلك في زمن موسى بن نصير وقد ساهم هؤلاء بعد انضمامهم للجيش الإسلامي مساهمة فعالة في فتح منطقة الأوراس وبلاد المغرب الأوسط وكافة بلاد المغرب الإسلامي.

في عهد الفاتح حسان بن النعمان الغساني تمَّ فتح منطقة الأوراس تقريبًا بصفة نهائية، لأنَّه تمكن من القضاء على أعظم وأعتا مقاومة واجهت المسلمين من قبل السكان الأصليِّين البربر، ألَّا وهي مقاومة الكاهنة.

فتح منطقة الأوراس وبلاد المغرب الأوسط جميعًا من قِبل موسى بن نصير، مهد لفتح المغرب الأقصى ثمَّ الأندلس بعد ذلك بقيادة والي طنجة طارق بن زياد سنة 92هـ/711م.

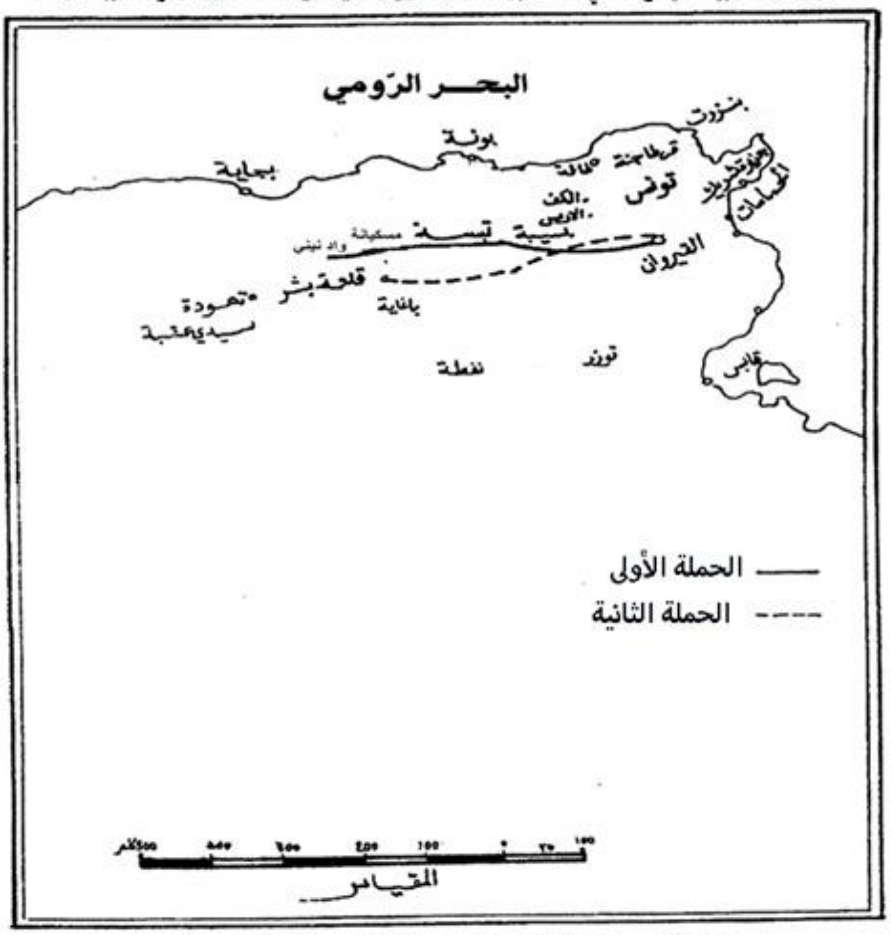
الملاحق:

الملحق رقم 1: خريطة توضح حملتي أبو المهاجر دينار وعقبة بن نافع على منطقة الأوراس والمغرب الأوسط



مأخوذة من (الرقيق، 1994م، ص42-43) (المالكي، 1994م، ج1 ص33 وما بعدها) (الدباغ، 1968م، ج1ص46 وما بعدها) (الجيلالي، 1980م، ج1، ص127 وما بعدها) - بتصرف

الملحق رقم 2: خريطة توضح حملتي حسان بن النعمان الأولى والثانية على منطقة الأوراس و المغرب الأوسط



مأخوذة من: (بن قربة و اخرون، 2007م، ص104) - بتصرف

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

– الإدريسي، أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني (ت 560هـ/1064م): **القارَّة الإفريقيَّة وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، تحقيق وتقديم وتعليق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، 1983م.

– ابن الأثير، عز الدِّين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمَّد بن محمَّد بن عبد الكريم الشيباني (ت630هـ/1232م): **الكامل في التَّاريخ**، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، ط1، دار الكتب العلميَّة، بيروت، مج3، مج4، 1987م.

– ابن خلدون، عبد الرَّحمان بن محمَّد (ت 808هـ/1406م): **تاريخ ابن خلدون، المُسمَّى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، ج4، 2000م.

– الدبَّاغ، عبد الرحمان بن محمد الأنصاري (ت 696هـ/1296م): **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، أكمله وعلَّق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن تاجي التنوخي، تصحيح وتعليق إبراهيم شبُّوح، ط1، مكتبة الخانجي، مطبعة السنة المحمديَّة، مصر، ج1، 1968م.

– الرَّقيق القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (توفي بعد سنة 425هـ/1033م): **تاريخ أفريقية والمغرب**، تقديم وتحقيق وتعليق، محمَّد زينهم محمَّد عزب، ط1، دار الفرجاني للنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، 1994م.

– ابن عبد الحكم، عبد الرَّحمان بن عبد الله (ت 257هـ/871م): **فُتُوح مصر والمغرب**، تحقيق عبد المنعم عامر، شركة الأمل للطِّباعة والنَّشر، مصر، ج1، د.ت.

– ابن عذارى المراكشي (كان حيًا سنة 712هـ/1312م): **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، ج1، 1983م.

– المالكي، أبي بكر عبد الله بن محمَّد (توفي بعد سنة 460هـ/1068م): **رياض النُّفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسَّاكهم وسيرٌ من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، حقَّقه بشير البكوش، راجعه محمَّد العروسي المطوي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، 1994م.

المراجع

- بوعزيز يحي: **الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر القديمة والوسيطة**، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، ج1، 2007م.
- الجيلالي عبد الرَّحمان بن محمَّد: **تاريخ الجزائر العام**، ط4، دار الثقافة، بيروت، ج1، 1980م.
- زيتون محمَّد محمَّد: **المسلمون في المغرب والأندلس**، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر، 1990م.
- السلاوي، أحمد بن خالد النَّاصري: **الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى**، تحقيق وتعليق جعفر النَّاصري، محمَّد النَّاصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ج1، 1954م.
- السيد عبد العزيز سالم: **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، مؤسَّسة شباب الجامعة، الإسكندريَّة، 2008م.
- لقبال موسى: **المغرب الإسلامي**، ط2، الشركة الوطنيَّة للنَّشر والتَّوزيع، الجزائر، 1981م.

التكامل الاقتصادي بين المغرب الأوسط والمغربين الأدنى والأقصى من القرن 3هـ/9م إلى القرن 6هـ/12م

Economic integration between the Central Maghreb and the Lower and Far Maghreb From the 3rd century AH / 9 AD to the 6th century AH / 12 AD

د/ كمال خلفات
جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة

مقدمة

كان من تجليات جهود الاستكشاف الجغرافي العربي في عصر الخلافة العباسية والعبيدية أن أضحى المغرب الإسلامي ومنذ القرنين 4و5 الهجريين/ 10 و11 الميلاديين من الأقاليم الجغرافية الواضحة المعالم من الناحية السياسية والطرق والمسالك التجارية يعكس ذلك جملة المشاهدات والروايات التي نقلها الرحالة المشارقة والمغاربة والأندلسيون، أمثال: ابن حوقل النصيبي (ت367هـ/977م)، ومحمد بن أحمد المقدسي (ت388هـ/998م)، وأبو عبد الله محمد الادريسي (ت560هـ/1164م) وأبو عبيد الله البكري (ت483هـ/1091م) والتي اتسمت مشاهداتهم وكتابتهم حول المرحلة الممتدة من القرن الرابع الهجري/10م إلى القرن السادس الهجري/12م حول التجارة ومسالكها من حيث المواد والمصنوعات والطرق والمسالك الرئيسية والثانوية، والتي تعكس صفات الاستمرار في الظواهر وتحمل من المتغيرات التي طرأت عليها بسبب الظروف السياسية والعسكرية وكذلك صفة المظاهر المتتالية وهذا ما جعل نصوصها تكتسي المصداقية قياسا بكتب الرحلة المغربية والأندلسية بعد القرن السابع الهجري/13م حيث ساد نصوصها المبالغة والخيال والشطط.

ومن خلال هذه النّصوص يظهر لنا موضوع دراستنا الموسوم المبادلات التجارية بين المغرب الأوسط والمغربين الأدنى والأقصى من القرن 3هـ/9م إلى القرن 6هـ/12م كموضوع مهم وحيوي تتجلى من خلاله تجربة التكامل الاقتصادي المبكر خلال العصر الوسيط، وتظهر فيها كذلك مظاهر المبادلات بين الحواضر والمدن عبر مسالك برية وبحرية فرضها الامتداد الطبيعي والتواصل البشري فضلا على ما يتجلى فيها من نشاط تجاري تكفلت به قبائل ودول المغرب الإسلامي بين القرنين 4 و6 الهجريين/10-12 الميلاديين بوظيفة المحافظة على ديمومة النشاط والتبادل التجاري، وعلاقته بمصادر تمويل الدولة، والذي يعكس بدوره مظاهر احتكار الدولة والسلطان للتجارة، كما هو الشأن في الدولة العبيدية خلال القرن 4هـ/10م. ولا يتجاوز مسار البحث المساءلة حول دور السلطة في توجيه الاقتصاد المغربي من حيث أنواع الإنتاج وبالتالي أنواع المبادلات والاحتكار وسُبل الهيمنة الاقتصادية والتطلع كذلك إلى ربط المدن الداخلية بمسالك تجارة الذهب والرقيق في الجنوب وتجارة البحر المتوسط في الشمال عبر المدن الساحلية. **ثمّ يأتي دور البحث والتقصي في أثر المبادلات التجارية كعامل مهم في نشوء المدن وازدهار عمرانها تناسبا مع قاعدة طبيعية العمران وما تقابله من حجم الصنائع والحرف. وما يحصل من ذلك من علاقات اقتصادية وتطور ثقافي وحضاري مهم؟**

أولا/ مظاهر المبادلات بين دول المغرب الإسلامي قبل القرن الرابع الهجري/10م

ظهرت العلاقات التجارية بين الدول المستقلة بالمغرب الإسلامي خلال القرن الثالث الهجري/9م مع تأسيس المدن المذهبية، في كلّ من رقادة وتيهرت وسجلماسة، واتضح ذلك جليا بعد استتباب الأمن والاستقرار في المغرب

الإسلامي بعد أن اتجهت هذه الدول إلى اعتماد سياسية التعايش بين هذه الحواضر وتمثل ذلك في الاتفاق التاريخي بين الدولة الرستمية والأغالبة والصفرية في سياسية التعايش السياسي والمذهبي الّذي كان من ثماره بروز ظاهرتي السكون القبلي، والتعاون الاقتصادي[1]، دليلنا على ذلك مصاهرة اليسع بن أبي القاسم الملقب بالمنصور لعبد الرحمن بن رستم صاحب تاهرت، حرصا على تحقيق التضامن والوئام بين الخوارج في الدولتين الرستمية والصفرية ولأهميتها اعتبرها عبد الله الباروني سببا في حالة السلم" **لولا هذه المصاهرة لكانت الحروب بين الدولتين متوالية والفتن متتابعة**"[2]. ورغم ذلك فإنّ هذه المصاهرة لم تدفع الطرفين إلى التحالف أو التعاون المشترك وذلك بسبب الخلاف المذهبي بين الرستميين وبني مدرار [3].

كما تم الصلح بين عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب (196-201هـ/812-817م) وعبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (172-208هـ-788-817م) أمام أبواب طرابلس سنة 196هـ/811م على أن يكون البلد والبحر لعبد الله، وأعمالها لعبد الوهاب [4]وقد استمر هذا الاستقرار إلى نهاية القرن الثالث

---

(1) عبد الواحد ذنون طه: **دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي**، ط1، دار المدار الإسلامي، 2004، ص80.

(2) عبد الله الباروني: **الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية**، القسم الثاني، (د.ت)، ص 94، صفي الدين محي الدين: **حرفة التجارة في تاهرت الرستمية**، مجلة الناصرية، عدد خاص، جامعة معسكر، 2012، ص390-391.

(3) محمود إسماعيل عبد الرزاق: **الخوارج في بلاد المغرب حتّى منتصف القرن الرابع الهجري**، ط2، دار الثقافة، 1406هـ، ص ص103-104.

(4) وقبل ذلك صالح الوالي العباسي روح بن حاتم عبد والوهاب بن رستم سنة 171هـ/787م. ابن خلدون عبد الرحمن أبو زيد: **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من**

الهجري/9م [1]. في حين لم تعرف دولة الأدارسة منذ قيامها بالمغرب الإسلامي 172هـ/788م الاستقرار السياسي على حد قول ابن خلدون إلا في عهد يحيى بن إدريس بن عمر (ت332هـ/943م) [2]، ولم يبلغ أحد من الأدارسة مبلغه في الدولة والسلطان إلى أن طما على ملكه عباب العبيديين القائمين بإفريقية فأغرقه [3].

على أن العداء السياسي بين الأدارسة والدولة الرستمية لم يحل دون استمرار العلاقات التجارية بينهما فقد حرصت هذه الدول على التبادل التجاري بينهما خصوصا وأنهما محوران نحو طرق تجارة الذهب والرقيق، والتي كانت كبديل للصراع المذهبي [4].

ذوي الشأن الأكبر، وضع حواشيه: خليل شحادة، ج4، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1421هـ/2000م، ص247، 251.

(1) محمد الطالبي: **الدولة الأغلبية التاريخ السياسي**، تعريب: المنجي الصيادي، ط2، دار الغرب الإسلامي، 1415هـ/1995م، ص407-408.

(2) ابن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار مُلوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والنشر، 1972م، ص80-81.

(3) ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص 21، السلاوي أحمد بن خالد الناصري: **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج1، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1954م، ص 79.

(4) عبد القادر مباركية: **التجار والتجارة المغربية إلى إفريقيا جنوب الصحراء من خلال المصادر الاباضية من القرن الثالث إلى القرن 10 الهجري**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، 2011-2012، ص30.، محمود اسماعيل عبد الرزاق: **الخوارج في بلاد المغرب حتّى منتصف القرن الرابع الهجري**، ط2، دار الثقافة، 1406هـ، ص278، جميلة بن موسى: **تجارة الذهب بين المغرب الاسلامي والسودان** الغربي، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2000-2001، ص113-114.

كما ينهض دليل آخر على حقيقة التواصل بين الدول المستقلة بالمغرب تلك الطرق التجارية الرابطة بين القيروان وسجلماسة وتاهرت، والتي رصدتها لنا كتب الرحلة والجغرافيا فقد كانت القوافل تخرج من سجلماسة إلى تاهرت [1] ومنها إلى القيروان، والمسافة بين سجلماسة وتاهرت تقرب من خمسين مرحلة، وبينها وبين القيروان تبلغ نحوا من ثمانين مرحلة في البرية و120 مرحلة في العمارة [2]، في حين حدد البكري مسافة الطريق الرابط بين سجلماسة إلى مدينة القيروان ست وأربعين مرحلة [3]. وهذا ما سمح بتوافر بضائع هذه الحواضر بعضها عند بعض رغم اختلافها المذهبي دليلنا في ذلك أن فستق قفصة كان يباع في أسواق سجلماسة [4]، وبضائع سجلماسة– من السكر والكمون والكروية والأحذية–متوفرة في أسواق القيروان [5].

ناهيك على السلع السودانية التي كانت تصل مدن الدولة الأغلبية عن طريق تاهرت وسجلماسة، كما حظيت تاهرت بوفود تجار القيروان نظرا لما

---

(1) يذكر محمود إسماعيل أن طريق لقوافل التجارية كان يخرج من تاهرت إلى القيروان مارة بهاز والمسيلة وأدنة وطبنة وباغية ومجانة ومرماجنة وسبية غير أن هذه الطريق لم تظهر إلا في القرن الرابع الهجري/10م، محمود إسماعيل في كتابه، **الخوارج**، المرجع السابق، ص 277.

(2) الاصطخري: المسالك والممالك، ص46.

(3) البكري أبو عبيد: **المسالك والممالك**، تحقيق: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، جزءان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م.، ص 830.833.

(4) البكري: المصدر السابق، ص707.

(5)الادريسي أبو عبد الله محمد: **المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق**، تحقيق وترجمة: محمد حاج صادق، مطبعة O.P.U، 1983، ص 77، العيفة شنايت: **دولة بني مدرار بسجلماسة ودور تجارة القوافل في ازدهارها الحضاري بين القرنين الثاني والرابع الهجريين/8-10 الميلاديين**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1411هـ/1991م، ص 130.

كانوا يلقونه من حرية وعدالة في الدولة الرستمية [1] والتي كان أئمتها يرحبون بالتجار مما زاد في شهرة تاهرت التجارية وحبب إلى كثير من التجار الإقامة بها [2].

ثم إن الجغرافيا الطبيعية بين الدول سجلماسة وتاهرت وفاس، قد سمحت بالتواصل التجاري بين تاهرت وفاس [3] وبين سجلماسة وفاس حيث كانت تسير بانتظام فالطريق كان ممهدا بين هذه المدن، بحيث يبدأ من فاس إلى سفروي مرحلة [4]، وهي مدينة مسورة ذات أنهار وأشجار، ومنها إلى الأصنام مرحلة ومنها إلى موضع يقال له المزي مرحلة وهو بلد مكلاتة، ومنها إلى تاسغمرت مرحلة، وهي قرية على نهر، ومنها إلى موضع يقال له أمغاك مرحلة كبيرة نحو الستين ميلا، ومنها تدخل في عمل سجلماسة بين أنهار وثمار ثلاث مراحل إلى مدينة سجلماسة [5].

---

(1) ابن الصغير المالكي: **أخبار الأئمة الرستمين**، تحقيق: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1986، 1405هـ/1985م، ص 32.

(2) الشماخي أحمد بن سعيد بن عبد الواحد: **السير**، تحقيق: أحمد بن سعود الشيباني، ج1، مطابع النهضة، سلطنة عمان، 1407هـ/1987م، ص139-140.

(3) ابن حوقل أبو القاسم محمد: **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1996م، ص 99.

(4) صَفْرُوي مدينة صغيرة متحضرة، بها أسواق قليلة، وأكثر أهلها فلاحون، وزروعهم كثيرة. الإدريسي: المصدر السابق، ص 95.

(5) ويذكر البكري طريقا آخر نقلا عن محمد بن يوسف الوراق من مدينة سجلماسة إلى موضع يقال له أرفود جبل موت لا عمارة حوله فيه حمة مرحلة، ومنه إلى موضع يقال له الأحساء رمل، في بلد زناتة مرحلة، ومنه إلى حصن برارة مرحلة، ومنه إلى جبل درن، ومنه إلى مطماطة أمسكور مرحلة، ومنها إلى مغيلة ابن تجامان مرحلة-قرار لقوم من الصفرية لهم ربض كبير-إلى حصن مغيلة القاط كثير الأنهار والثمار، معظم شجره التين، ومنه يحمل زبيبا إلى فاس مرحلتان، إلى

ومن هنا تظهر سجلماسة باب الولوج لتجارة الذهب والرقيق [1] في عهد المدراريين الذين عملوا على ترقيتها إلى مدينة تجارية وحرفية وزراعية وحسبنا من القرائن أن اليسع بن مدرار عمل على التنمية الاقتصادية فأختط المصانع والقصور، ودوخ بلاد الصحراء، وأخذ الخمس من معادن درعة [2]. وكل ذلك من أجل رعاية تجارة الذهب والرقيق كما قام حكام تيهرت بتعمير صحراء الرمل بالساكنة وتأسيس المدن لانطلاق القوافل التجارية، كمدينة ووراجلان [3]

لواتة مدين مرحلة ثم إلى فاس. وهذا المواضع تم ذكرها عامرة حسب محمد بن يوسف الوراق ومتصلة فيما بينها، والشاهد هنا العلاقات التجارية بين هاته الدول. البكري: المصدر السابق، ص834-835.

(1) الاصطخري: المسالك والممالك، ص39.

(2) إنّ السيطرة على معدن درعة فتح له آفاقا حضارية راقية فعرفت الدولة تطورا صناعيا، توفر له بذلك النحاس في تيجمامين الواقعة على الطريق بين سجلماسة واغمات، وكذلك جلب الذهب من السودان مما أتاح للدولة صناعة الحلي والأسورة والخواتيم والحلق النحاسية والودع، وهذا ما سنعالجه في موضعه. البكري: المصدر السابق، ص 838. لسان الدين بن الخطيب: **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط**، تحقيق: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء المغرب، 1964، ص 142-143. أبو هريرة عبد الله: **مظاهر الحضارة في سجلماسة في عهد امامة بني واسول الصفرية**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والحضارة الاسلامية، جامعة أم درمان الاسلامية، 1414هـ/1994م، ص 124-125. العيفة شنايت: المرجع السابق، ص 102، 103-104. عبد الله الباروني: المصدر السابق، القسم الثاني، ص 94.

(3) عمار غرايسة: **المدينة الدولة في المغرب الأوسط وارجلان أنموذجا**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 1428-1429هـ/2007-2008م، ص146-147، 155، 156، دعاء ادريسي: **المدينة الدولة في المغرب الأوسط الاسلامي بسكرة نموذجا**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، 1431-1432هـ/2010-2011م، ص57، الطاهر الطويل: **التطور التاريخي المدينة بالمغرب الأوسط**

وأوجلة[1]وغدامس[2] وزويلة [3]، نحو بلاد السودان الغربي. ومن هذه المدن كانت تحمل القوافل التجارية جميع البضائع إلى بلاد السودان الغربي، وتعود مُحملة بالذهب والرقيق. ولا غرابة إذا ما أدركنا تسامح الخوارج مع أعدائهم في السياسة والمذهب، وترحيبهم بالغرباء في بلادهم، وليس أدل على ذلك من وجود طوائف اليهود في فاس حتى قيل فاس بلا ناس [4] وفي تاهرت عاش الرهادنة في أحيائهم الخاصة [5] ويدل على ذلك شهادة ابن الصغير حول مدينتي تاهرت وسجلماسة اللتين كانتا تحتضنان جموع التجار من سائر أرجاء العالم الإسلامي على اختلاف مللهم ونحلهم [6].

مما كان لذلك انعكاسه على الازدهار والرخاء إلى ما بعد القرن 3هـ/9م وحسبنا شهادة ابن حوقل الداخل إلى بلاد المغرب خلال القرن 4هـ/10م وشهادته حول أهل سجلماسة الذين حققوا ثراء عريضا حيث أنهم نافسوا فيه

من النصف الثاني من القرن الأول الهجري إلى القرن الخامس الهجري، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية قسنطينة، 1429هـ/2008م، ص237. تاديوز ليفيتسكي: **دور الصحراء الكبرى وأهل الصحراء في العلاقات بين الشمال والجنوب، (مقال ضمن كتاب تاريخ إفريقيا العام من القرن السابع إلى القرن العاشر)**، إشراف: محمد الفاسي وايفان هربك، ط2، مج3، اليونسكو، 1997، ص334.

(1) وهي مدينة عامرة كثيرة النخيل والقرى، وبها فواكه ومساجد وأسواق. البكري، ص651، 660.

(2) وهي مدينة لطيفة كثيرة النخل والمياه وبين غدامس وجبل نفوسة سبعة أيام في الصحراء. البكري: المصدر السابق، ص881.

(3) وهي مدينة كثيرة الأسواق أهلها تجار ويجلب من زويلة الرقيق إلى إفريقية. البكري: المصدر السابق، ص658؛ الإدريسي: المصدر السابق، ص144-145.

(4) البكري: المصدر السابق، ص 795.

(5) ابن الصغير: المصدر السابق، ص 31، 32.

(6) المصدر نفسه، ص84.

تجار المغرب والمشرق الإسلامي، نظرا لمعاملاتهم التجارية التي كانت تتم بالمبالغ الضخمة [1].

وكذلك نجحت الجماعات الاباضية بالدولة بتيهرت بعد الإعانة– الأولى– من المشرق في العمارة والبناء وإحياء الأموات وغرس البساتين وإجراء الأنهر واتخاذ الأرحاء والمستغلات، واتسعوا في البلد وتفسحوا فيها وأتتهم الوفود والرفاق من كل الأمصار وأقاصي الأقطار، وليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة إمامه وعدله في رعيته، بالإضافة إلى ما شاهدته الوفود القادمة من المشرق الإسلامي محملة بالمعونات –الثانية– فوجدوا الأمور قد تبدلت وأحوال المدينة والأشياء قد حالت وذلك أنهم نظروا إلى قصور قد بنيت والى بساتين قد غرست وإلى أرحاء قد نصبت والى خيول قد ركبت والى حفدة قد اتخذت السور والعبيد والخدام قد كثرت [2].

ويحسن التنبيه إلى أن هذا الازدهار والتطور الاقتصادي والاجتماعي، قد تم في ظرف عشر سنوات أي منذ بدأ تأسيس الدولة سنة 160هـ/776م إلى غاية وفاة الإمام عبد الرحمن بن رستم 172هـ/788م، مما مكنها منالانفتاح على العالم الخارجي نحو السودان الغربي حيث توجد تجارة الذهب والرقيق. كما أعادت الدول المستقلة بالمغرب الإسلامي بناء النسيج القبلي الاجتماعي وبعث الاستقرار والأمن في البلاد، بعدما مزقته الحروب؛ فأمنت السبل وازدهرت التجارة، وتراجع الصراع المذهبي. لقد انتصرت وتفوقت الفرص

(1) وحسبنا أن ابن حوقل رأى صكا كتب بدين على محمد بن أبي سعدون بأدوغشت، وشهد عليه العدول باثنين وأربعين ألف دينار. ابن حوقل: المصدر السابق، ص65.

(2) ابن الصغير: المصدر السابق، ص31، 32، 33.

الاقتصادية المناسبة ومشروع التاجرة على التطاحن المذهبي، غير أن ذلك لم يستمر؛ فمع نهاية القرن الثالث الهجري/9م ظهرت الدولة العبيدية، والتي أتت على هذا التطور الاقتصادي والاجتماعي، نتيجة الحروب التي قامت بها لإسقاط هذه الدويلات ففككت النسيج القبلي والاجتماعي [1].

ثانيا: التبادل التجاري بالمغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/10م

تعد تجارب توحيد المغرب الإسلامي في عهد العبيديين (297-362هـ/909-972م) ثمّ عصر الموحدين (542-668هـ/1147-1269م) من أهم الظواهر السياسية والمذهبية التي كانت تجلياتها كبيرة على حركة التبادل التجاري بين المغرب الأوسط والمغربين الأدنى والأقصى، بصرف النظر عن الطابع الدموي للحركتين.

فهل معنى ذلك أن حركة التبادل التجاري لا بد لها من تجارب في الوحدة السياسية والقبضة المذهبية والعسكرية-المتفردة- أم أن حتمية التاريخ واندماج المغاربة وغزارة الإنتاج وامتداد الأقاليم بعضها في بعض وشبكة الطرق التجارية المشتركة هي من أعطت هذا التبادل حيويته؟

إن الوحدة السياسية الذي عرفها المغرب الإسلامي خلال القرن 4هـ/10م تحت ظل الدولة العبيدية جعلت منه يحقق وحدة اقتصادية ذات قطبية أحادية وموجه تتزعمه الحاضرة العبيدية المهدية؛ حافظت المدن التجارية التي كانت تحت سلطة الدويلات على نشاطها الاقتصادي؛ بينما اختفت مدن أخرى بسبب عراقيل سياسية وعسكرية؛ وظهرت مدن تجارية وسياسية جديدة بالمغرب الإسلامي كمدينة المسيلة والمنصورية وصبرة والمهدية. إن المميزات الزراعية

(1) النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (733هـ/1333م): **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، ج24، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ص117.

والصناعية التي تميزت بها هاته المدن خلال القرن 4هـ/10م، شكلت تكاملا اقتصاديا؛ رغم احتكار الحاضرة الإسماعيلية-المهدية- لبعض الثروات الزراعية والصناعية التي تميزت بها مدن المغرب الإسلامي عن غيرها من المدن؛ كما أشرنا سابقا إلى احتكار السلطة الإسماعيلية التسيير الإداري لبعض المدن عن غيرها لأهميتها الاقتصادية كمدينة باجة [1]، كما احتكروا من مدينة بسكرة الملح والجيد من التمر (الكمبا والصيحاني، الليلري) فكانوا يأمرون عمالهم بحظره ومنعه من التداول بين التجار [2].

إن هذه الإشارات خير دليل على التواصل التجاري بين مدن المغرب الإسلامي في ظل الدولة الإسماعيلية. غير أن وضع الطرق التجارية الداخلية والخارجية، برية أو بحرية من حيث كثافتها وتنظيمها، على تسهيل حركة السلع الصادرة والواردة في مغرب القرن 4هـ/10م.

كما أن غزارة الإنتاج الزراعي والحيواني وتنوعه في مدن المغرب المختلفة أغنى قائمة الصادرات الإقليمية والخارجية للمغرب، يضاف إلى ذلك ما وفرته الطبيعة من ثروة معدنية وغير معدنية في أرض المغرب ومياهه، قد ساهم هو الآخر في حركة السلع الصادرة والواردة، كما استفاد المغرب من المواد الخام المتوفرة أو المنتجة فيه ليس للتصدير فقط بل في تصنيع سلع على درجة كبيرة من الجودة وتصديرها إلى جهات تطلبها.

كما يحسن التنبيه إلى أن مؤرخي هذه الفترة؛ لم يذكروا مراكز التبادل التجاري في بعض الأحيان واكتفوا بذكر أن الإنتاج كان يسوق بصفة عامة

---

(1) وذلك حسب ما أورده البكري لأربعة أشياء: "**قمح عندة وسفرجل زانة وعنب وحوت درنة**". المصدر السابق، ص720.

(2) نفسه، ص677.

إلى كافة مدن المغرب الإسلامي مثال ذلك "**ويُحمل منه إلى الأقطار الغزير الكثير**"[1]، "**وبها جلود تدبغ بالقرظ وتعم أكثر المغرب**"[2].

كما عبروا عن الفائض من الإنتاج ولكن لم يذكروا كيف يسوق هذا الفائض مثلا: "**ولهم من الزرع والحنطة والشعير ما يزيد عن حاجتهم**"[3] "**وفاكهتها تسدّ حاجة أهلها**"[4] دون ذكر الأماكن التي يسوق إليها هذا الفائض.

لذا سنعتمد في دراسة التبادل التجاري بين المغرب الأوسط والمغربين الأدنى والأقصى على ذكر ما خصصه مؤرخو هذه المرحلة من الدراسة بذكر المراكز التجارية التي كانت تسوق إليها المنتجات الزراعية والصناعية، أما اللفظ العام فنذكره في كل المراكز التجارية بالمغرب الإسلامي.

على الرغم من أن مظاهر التبادل التجاري بين مدن المغرب الأوسط والمغرب الأدنى والأقصى، لا تتوفر على وثائق وسجلات وعقود، وحتّى أن تعرض كتب النوازل لهذه المظاهر مغيبا كذلك، إلا أن نص الرحلة المشرقية إلى بلاد إلى بلاد المغرب الإسلامي يُجلي شيئا من هذا الغموض من خلال ما تضمنته من مشاهدات الرحالة المشارقة لنشاط المبادلات بالمراسي وحيوية تنقل التجار وانتقال البضائع بينهم، ويمكن تصنيفها إلى: مظاهر للمبادلات تمت بين المراسي البحرية وأخرى للمبادلات كانت بين المدن الداخلية للمغرب الإسلامي.

---

(1) ابن حوقل: المصدر السابق، ص77.

(2) المصدر نفسه، ص72.

(3) المصدر نفسه، ص78.

(4) المصدر نفسه، ص73.

1-مظاهر المبادلات بين مراسي المغربين الأوسط والأدنى والأقصى خلال القرن4هـ/10م:

ومن بين مراسي المغرب الأوسط **مرسى الخرز** الّذي اشتهر بمعدن المرجان والذي احتكرت تجارته من طرف الحكام العبيديين، وكان يسوق إلى جميع نواحي مدن المغرب الإسلامي [1]. كما اشتهرت **مدينة بونة** بتجارة الغنم والصوف والماشية من الدواب وسائر الكُراع [2]، والذي كان يحمل إلى سائر الأقطار، وبالأخص إلى الأسواق الأكثر شهرة. كما صدرت الفائض من الفواكه والقمح والشعير [3]. وبالصناعة المعدنية حيثأشار ابن حوقل أن: "**بها معادن الحديد كثيرة ويحمل منه إلى الأقطار الغزير الكثير**" [4].

ذكر البكري أنه كان يجلب من **مرسى جيجل** معدن النحاس، حيث كان يحمل إلى إفريقية وغيرها [5]. بينما تميز **مرسى الدجاج** بالثروة الزراعية والحيوانية كالقمح والشعير والتين والألبان والمواشي ما يُغرق غيرهم ممن يجاورهم، وكان يحمل من هذا الفائض إلى البلاد النائية عنه [6]. اشتهرت **مدينة جزائر بني مزغنة** بثروة حيوانية وزراعية كبيرة من البقر والغنم، وكذلك العسل والسمن والتين الّذي كان يصدر إلى **مدينة القيروان** وغيرها من مدن

(1) ابن حوقل: المصدر السابق، ص76.

(2) المصدر نفسه، ص77.

(3) ابن حوقل: المصدر السابق، ص77. فاطمة بهواري: **التكامل الاقتصادي والمبادلات التجارية بين المدن المغاربية خلال العصر الوسيط**، مطبعة النجاح الجديدة-الدار البيضاء، 2010، ص121.

(4) ابن حوقل: المصدر السابق، ص77.

(5) البكري: المصدر السابق، ص757.

(6) ابن حوقل: المصدر السابق، ص77.

المغرب الأدنى [1]. كما صدرت **مدينة برشك** الفائض من الإنتاج من الزرع والحنطة والشعير إلى غيرها من المدن [2].

تعتبر **مدينة تنس** أكبر المدن التي ينزل بها التجار الأندلسيون بمراكبهم ويقصدونها بمتاجرهم وينهضون منها إلى ما سواها؛ فكانت أهم صادراتها السفرجل المعنق الّذي يحمل إلى القيروان [3]، كما ذكر صاحب الاستبصار أن مدينة تنس كان يحمل منها الكثير من الطعام إلى سائر مدن المغرب وإفريقية [4]، غير أنه لم يصرح بنوعية هذا الطعام.

أما عن **مراسي المغرب الأدنى** فيما يتعلق بالمواد الأولية للثروة الحيوانية فنلتمس تبادلا قويا جرى خلال القرن 4هـ/10م في بلاد المغرب بين مختلف المدن والأقاليم، فقد صدرت **مدينة قابس** الصوف الكثير، والجلود المدبوغة التي كانت تعم أكثر بلاد المغرب [5]، لقد كانت مدن إفريقية بصورة عامة تصدر جلود الفنك والصوف إلى المدن المغربية الأوسط والأقصى [6].

في حين نجد الزيتون من منتوجات المناطق الساحلية الغربية **لتونس وصفاقس**، حيث شكل سلعة مربحة في الأسواق، وفي هذا السياق أشار البكري إلى أن زيت هذه الأخيرة، كان يمتار به أهل المغرب ومصر وصقلية والروم

(1) (1) ابن حوقل: المصدر السابق، ص78. الإدريسي: المصدر السابق، ص114.
(2) ابن حوقل: المصدر السابق، ص78.الإدريسي: المصدر السابق، ص112.
(3) ابن حوقل: المصدر السابق، ص78. الإدريسي: المصدر السابق، ص104-105.
(4) مجهول: الاستبصار، ص133.
(5) ابن حوقل: المصدر السابق، ص72.
(6) مجهول: الاستبصار، ص153.

[1]، وقد أكد جغرافيو[2] الحقب اللاحقة ذات الحقيقة مما يدل على غزارة إنتاج الزيتون وتحويله إلى مادة الزيت، هذا وقد كان للقيروان بحكم مركزها الاقتصادي الهام جدا دور في استيراد زيت **طرابلس** وإعادة تسويقه إلى جهات مختلفة[3]، بينما يرجع موريس لومبار هذه الثروة أي أشجار الزيتون إلى العصر الروماني وخربت في القرن 5هـ/11م إثر الهجرة الهلالية [4]، وكان يصدر كذلك إلى مدن المغرب الأوسط [5]. ومن مراسي المغرب الأقصى، مرسى **مدينة سبتة** الغني بمعدن المرجان الّذي يصنع منه قوبريات [6]، خصص لهذه الصناعة سوق خاص لتفصيله وحكه وصنعه خرزا وثقبه وتنظيمه، ومنه يتجهز به إلى سائر البلاد [7].

وتجدر الإشارة إلى أن مرسى مدينة طنجة اشتهر بصناعة المراكب، وبتصدير الفائض من الإنتاج الزراعي والحيواني إلى سائر البلاد [8].

---

(1) البكري: المصدر السابق، ص669.

(2) مجهول: (القرن السادس الهجري/12م): **الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون للثقافة العامة، مصر، 1976، ص116-117.

(3) أرشيبالد.ر. لويس: **القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (500-1100م)**، ترجمة: أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1951م، ص253.

(4) موريس لومبار: الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي، ص216. هناك عنوانان مختلفين لنفس الكتاب لموريس لومبار؛ أحدهما قام بترجمته (سنة 1990) إسماعيل العربي بعنوان: الإسلام في مجده الأول، والآخر بترجمة (سنة 1998) عبد الرحمن حميدة بعنوان: الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي، يحملان نفس المواضيع لكنهما يختلفان في الترجمة.

(5) موريس لومبار: الإسلام في مجده الأول، ص243.

(6) ابن حوقل: المصدر السابق، ص79.

(7) الإدريسي: المصدر السابق، ص183.

(8) ابن حوقل: المصدر السابق، ص80.الإدريسي: المصدر السابق، ص183.

2-مظاهر المبادلات بين المدن الداخلية للمغربين الأوسط والأدنى والأقصى خلال القرن4هـ/10م:

إنّ الثروات الطبيعية والبشرية التي تمتعت بها **مدينة تيهرت**؛ فضلا على أنّها كانت حاضرة للدولة الرستمية -كما أشرنا سابقا- اشتهرت بثروة زراعية أغنت أسواقها بمختلف الغلات [1] فتأتي في المرتبة الأولى الثروة الحيوانية، فهي أحد معادن الدواب كالأغنام التي كانت تجلب منها إلى سائر مدن المغرب وذلك لرخصها وطيب لحومها[2]، وكان ينقل منها إلى **مدينة القيروان** حيث أشار البكري إلى أعداد كبيرة من الحيوانات كانت ترد إلى القيروان، وقد نوه هذا الجغرافي عند وصفه لهذه المدينة في قوله: "ويرد القيروان كلّ يوم من الدواب والإبل العدد العظيم الألف والأكثر"[3]. لذا عرفت هذه المدينة نوعين من التجارة داخل أسواقها: تجارة محلية، وتجارة كبرى تقوم أولا وبالذات على نشاط قوافل توريد البضاعة إلى المدينة، وتصديرها منها، وهي التي أكسبت أسواقها رواجا اقتصاديا ذات شأن، ونشاطا تجاريا دائبا [4].

كما تأتي مدينة المسيلة في المرتبة الثانية من ناحية توفر الثروة الزراعية والحيوانية، لقد عرفت هذه المدينة بكثرة أجنتها وكرومها ما يزيد عن حاجاتهم

---

(1) ابن حوقل: المصدر السابق، ص86. المقدسي محمد بن أحمد (ت388هـ/998م): رحلة المقدسي، حررها: شاكر لعيبي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003، ص214.

(2) مجهول: **الاستبصار**، ص179.

(3) البكري: المصدر السابق، ص719.

(4)الحبيب الجنحاني: **المجتمع العربي الاسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية**، عالم المعرفة الكويت، 2005م، ص96.

وكان أهم فواكهها السفرجل المعنق الذي كانت تصدره إلى **مدينة القيروان** [1]، كما كانت تمتع بثروة حيوانية هامة كالأغنام والدواب والبقر [2].

تجدر الإشارة إلى أن **مدينة المسيلة** كانت تنتج مادة تستعمل للصباغة بالأزرق في صناعة الحرير، وهي تستخرج من شجرة النيل والتي تزرع في المناطق الحارة المنخفضة (شط الحضنة) [3].

ومن الفواكه كان يحمل الجوز من **مدينة سطيف** إلى سائر المدن المجاورة [4]. هذا فضلا على ما كانت تصدره المدن الداخلية للمغرب الأدنى، فقد كانت **مدينة جلولاء** من المناطق المشهورة بإفريقية في تصدير قصب السكر، حيث كانت تجهز **القيروان** بكميات كثيرة منه [5]؛ ثم يتم تصديره إلى جميع المراكز التجارية التي هي بحاجة إلى هذه المادة.

وتعد **مدينة قفصة** من أكثر بلاد إفريقية فستقا وكان يحمل منها إلى المغرب الأقصى وخاصة إلى سجلماسة [6]. مارا بمختلف مدن المغرب الأوسط.

وكانت حجارة المطاحن التي اشتهرت بها **مدينةمجانة** تصدر إلى مختلف مدن المغرب لاستعمالها في صناعة الرحى [7].

---

(1) مجهول: **الاستبصار**، ص85.

(2) المصدر نفسه، ص85.

(3) موريس لومبار: الإسلام في مجده الأول، ص273.

(4) الإدريسي: المصدر السابق، ص126.

(5) البكري: المصدر السابق، ص 686.

(6) البكري: المصدر السابق، ص707.ياقوت الحموي شهاب الدين أبي عبد الله: **مُعجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م، ج4، ص382.

(7) ابن حوقل: المصدر السابق، ص84.

كما صدرت **مدينة قسطيلية** جهاز الصوف في جميع جهاته من الشقة والكسى والحنبل إلى سائر ما يعمل منه يحمل منها إلى جميع الأقطار [1].

أما عن التبادل التجاري بين المدن الداخلية للمغرب الأقصى مع مدن المغرب الأوسط، ازدهرت **مدينة البصرة** بالقطن والذي كان يحمل إلى إفريقية وغيرها، وكذلك كانت تصدر الحبوب القمح والشعير والقطاني [2]، ومما شك أن هذه القوافل التجارية كانت تمر على المراكز التجارية بالمغرب الأوسط لتسويق منتجاتها.

كما كان يجلب إلى **مدينة فاس** التين المزبب من مدينة مغيلة [3]، وصدرت **مدينة سجلماسة** الفائض من الثروة الزراعيةالقمح والشعير، والثروة الحيوانية الإبل والغنم والبقر إلى نواحي إفريقية وفاس [4]، ومن الفواكه التمور، مما لا يستبعد أن الفائض منه كان يصدر إلى باقي المدن المجاورة [5].

وكذا الفائض من إنتاج القطن والكمون والكروياء والحناء إلى سائر مدن المغرب الإسلامي [6]، بالإضافة إلى الأحذية التي كانت رائجة في أسواق القيروان؛ ودون شك أن هذه السلع كذلك كانت تدخل المراكز التجارية بالمغرب الأوسط أو تمر عبر المحور التجاري أي المدن التجارية التي تتوسط بين المغربين الأدنى والأقصى [7].

---

(1) ابن حوقل: المصدر السابق، ص92.

(2) المصدر نفسه، ص81.

(3) مجهول: **الاستبصار**، ص193.

(4) ابن حوقل: المصدر السابق، ص، 90، 97.

(5) الحموي: المعجم، ج3، ص192. فاطمة بلهواري: المرجع السابق، ص314.

(6) الإدريسي: المصدر السابق، ص77-78.

(7) محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص277.

ومن **منطقة السوس الأقصى** كان التمر يجلب منها إلى سائر بلاد المغرب [1]، كما صدرت السكر السوسي الّذي تميز بنوعيته وبكمياته الوفيرة، وكان يتجر منه إلى سائر المدن [2]، ومن **مدينة درعة** صدرت الحناء إلى مدن المغرب المختلفة [3].

كما كان يجلب من **مدينة السوس** بالمغرب الأقصى معدن النيل الدرعي والنحاس المصبوغ إلى سائر إفريقية وبلاد المغرب [4].

ثالثا: التبادل التجاري بين الدولة الحمادية والدولة الزيرية:

كانت التجارة أبرز الأنشطة الاقتصادية في الدولة الحمادية على الإطلاق، ولقد ساعدت ظروف سياسية وجغرافية واقتصادية على أن تزدهر التجارة الحمادية، فالظروف السياسية المحيطة بالدول المجاورة للحماديين كالزيريين والمرابطين، وسياستهم في المسالمة مع العرب الهلالية أو المسيحيين والموقع الّذي يتمتعون به والمراسي البحرية المتميزة، وكذا تأمين الطرق التجارية وتنظيم الأسواق كلّ هذه العوامل مكنتهم من مزاولة تجارة ناجحة، سواء في داخل المغرب أو خارجه[5]؛ دعمت هاته المعطيات النّصوص

---

(1) الزهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر: **الجغرافية**، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت)، ص117.

(2) البكري: المصدر السابق، ص 853.مجهول: الاستبصار، ص210-211.موريس لومبار: الإسلام في مجده الأول، ص246.

(3) الإدريسي: المصدر السابق، ص77.

(4) الزهري: المصدر السابق، ص117.

(5) إسماعيل العربي: **العمران والنشاط الاقتصادي في الجزائر**، مجلة الأصالة، المجلد 19، جمادى الأولى 1398هـ/ أفريل 1978م، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 2012، ص344.

التاريخية لكتب الرحلة والجغرافيا والتاريخ. استمرت مدن المغرب الأوسط في تصدير الفائض من منتوجاتها منذ القرن الثالث والرابع الهجريين/9-10 الميلاديين إلى غاية القرنين الخامس والسادس الهجريين/11-12 الميلاديين؛ رغم العراقيل الطبيعة والسياسية التي عرفها المغرب الأدنى والأوسط -خاصة- لكن مع نهاية المنتصف الأول من القرن الخامس الهجري/11م، تراجعت بعض المراكز التجارية التي كانت بين المغربين الأدنى والأوسط، كما تعطلت الأسواق داخل هذه المدن، فظهرت الأسواق داخل الحصون كما ازدهرت بعض المدن الساحلية بعد غياب الأمن وقطع الطرق الداخلية [1].

كما عرفت قلعة بني حماد ازدهارا تجاريا خاصة بعد هجرة العرب الهلالية إلى المغرب الأدنى ثمّ الأوسط وهو ما عبر عنه البكري "**فلما كان خراب القيروان انتقل إليها أكثر أهل إفريقية، وهي اليوم مقصد التجار وبها تحل الرجال من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب**"[2]، وهو عين ما أكده الإدريسي: "**والقلعة كانت في وقتها وقبل عمارة بجاية دار الملك لبني حماد، وفيها كانت ذخائرهم مُدّخرة، وجميع أموالهم مختزنة...وبلادها وجميع ما ينضاف إليها تصلح فيها السوائم والدواب لأنها بلاد زرع وخصب، وفلاحتهم إذا كثرت أغنت وإذا قلت كفت**"[3].

فمن خلال النصين يمكن لنا أن نستنتج أن مدن وقرى المغرب الأوسط قد عرفت تجارة مزدهرة إلى غاية تأسيس عاصمة جديدة للحماديين -بجاية-،

---

(1) البشير بوقاعدة: **خراب المدن بالمغرب الأوسط والأدنى بين 296-547هـ/909-1152م**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة بوزريعة، الجزائر، 2013/2012، ص191-192.

(2) البكري: المصدر السابق، ص710.

(3) الإدريسي: المصدر السابق، ص117.

لكن هذا لم يمنع من استمرار التواصل التجاري بين المدن الحمادية والعاصمة الجديدة بجاية هذا ما أثبته الإدريسي في النص التالي: "**ومدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد والسفن إليها مقلعة، وبها القوافل منحطة والأمتعة إليها برا وبحرا والسلع إليها مجلوبة والبضائع بها نافقة...وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء**"[1] ويضيف كذلك عن هذه العلاقة والتواصل التجاري قائلا: "**ومدينة بجاية قطب لكثير من البلاد**"[2]، غير أننا ما نلاحظه كالتالي: أن أسواق الدولة الحمادية أصبحت تمارس داخل الأسوار أي الحصون، كما شاركت العرب الهلالية هذه التجارة في المدن والأرياف المغربين الأوسط والأدنى.

ويحسن التنبيه إلى أن ازدهار التجارة البحرية خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/11-12 الميلاديين لم يعرف الاستقرار كثيرا فسقوط صقلية على يد النورمان جعل المدن الساحلية مهددة من طرفهم بعد تحرير الموحدين لسواحل المغرب الأدنى وطرد النورمان وكذا حروب بني غانية وإخماد ثورات الجماعات المعارضة لها.

وهُناك عوامل عديدة جعلت التجارة في المغرب الإسلامي داخل مدن الدولة الحمادية داخل الحصون وهذا ما سنبينه في موضعه.

تعتبر السلع والمنتوجات الزراعية والحيوانية التي أشرنا إليها سابقا؛ والتي تمتعت بها مدن وأرياف المغرب الأوسط هي الممول الرئيسي للحركة التجارية الداخلية والخارجية، كما ساهمت كثرة الطرق التجارية في دعم هذه التجارة؛ فمن مدينة المسيلة التي تعتبر محور التجارة الحمادية تخرج القوافل التجارية

(1) الإدريسي: المصدر السابق، ص116.

(2) المصدر نفسه، ص116.

محملة بالمنتوجات الزراعية والحيوانية نحو المراكز التجارية للمغرب الاسلامي [1].

وكان لانتقال العاصمة من القلعة إلى مدينة بجاية تطورا وازدهارا تجاريا آخر عرفته الدولة الحمادية رصد لنا هذا التطور التجاري الإدريسي في قوله: "ومدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد والسفن إليها مقلعة، وبها القوافل منحطة والأمتعة إليها برا وبحرا والسلع إليها مجلوبة والبضائع بها نافقة، وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء"[2]، كما قامت أسواق بجاية بتصدير الفائض من الانتاج كالحنطة والشعير والتين وسائر الفواكه إلى مختلف المراكز التجارية بالمغربين الأدنى والأقصى، فأصبحت بذلك بجاية قطبا لكثير من البلاد[3].

كما يشير الونشريسي إلى أن تجار النسيج في قيسارية بجاية ربطتهم صلات تجارية مع تجار من مازونة في شراء وبيع الحرير والمنسوجات خاصة الحنابل[4].

---

(1) ابن حوقل: المصدر السابق، ص85. البكري: المصدر السابق، ص723. الإدريسي: المصدر السابق، ص108.

(2) الإدريسي: المصدر السابق، ص116.

(3) المصدر نفسه، ص116.

(4) الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى: **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، خرجه: مجموعة من الفقهاء، ج5، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية، 1401هـ/1981م، ص107-108. محمود هدية: **اقتصاد النسيج في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط**، مؤسسة هنداوي سي آي سي للنشر، المملكة المتحدة، 2019، ص231.

ويحسن التنبيه إلى أن المدن الحمادية استمرت في فعالية الحركة التجارية في الداخل والخارج، شاركتها العرب الهلالية في التجارة عكس ما روجت له النصوص المعادية لهذه الهجرة [1].

فمدينة سطيف صدرت الفائض من إنتاج الجوز إلى سائر الأقطار [2]، كما صدرت مدينة قسنطينة العسل والسمن إلى سائر البلاد وكانت لهم معاملات مع العرب الهلالية [3].

كما كان الفائض من الفواكه يصدر إلى المدن الزيرية فمحصول التين الذي كان من المنتوجات الشهيرة لمدن المغرب الأوسط كمدينة جزائر بني مزغنا ومرسى الدجاج الذي كان يحمل منها على شكل شرائح طوب ومنشور إلى سائر الأقطار وأقاصي المدائن والأمصار [4].

كما اشتهرت كذلك مدينة جزائر بني مزغنة بالعسل والسمن فصدر الفائض من الإنتاج إلى سائر البلاد والأقطار المجاورة [5]. كما كانت تمور بسكرة تُسوّق لبجاية وتونس [6].

---

(1) علاوة عمارة: **دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الاسلامي**، سلسلة الكتب الأساسية في العلوم الانسانية والاجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2008، ص7-36.

(2) الإدريسي: المصدر السابق، ص ص125-126.

(3) المصدر نفسه، ص121.

(4) ابن حوقل: المصدر السابق، ص77-78. الإدريسي: المصدر السابق، ص115.

(5) الإدريسي: المصدر السابق، ص114.

(6) عمير سكينة: **ريف المغرب الأوسط في القرنين 5 و6هـ/11 و12م، دراسة اقتصادية واجتماعية**، رسالة ماجستير، مرقونة، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة2، 1433-1434هـ/2012-2013م، ص186. دعاء ادريسي: **المدينة الدولة في المغرب الأوسط الإسلامي بسكرة نموذجا،**

بالإضافة إلى خشب جبل الرحمن الذي صدرته مدينة بونة إلى المدن الزيرية[1]، كما كانت حجارة المطاحن التي اشتهرت بها مجانة تصدر إلى مختلف مدن المغرب الإسلامي لاستعمالها في صناعة الرحى[2].

أما عن الواردات فصدرت المدن الزيرية قبل الهجرة الهلالية إلى مدن المغرب الأوسط الفائض من الإنتاج؛ فمدينة قابس قامت بتصدير الصوف والجلود المدبوغة والتي كانت تعم أكثر بلاد المغرب [3].

كما صدرت مدينة تونس وصفاقس الفائض من انتاج الزيتون إلى سائر مدن المغرب الإسلامي ومصر وصقلية والروم [4]. كما استوردت مدن المغرب الأوسط مختلف السلع من القيروان بصفتها مجمع الأسواق بالمغرب الأدنى وتسويقه إلى مختلف المراكز التجارية بالمغربين الأوسط والأقصى [5].

فالحرير القابسي كان من بين المنتجات التي صدرت للعديد من البلدان إبان القرن 5هـ/11م فقد ذكر التاجر بارهون بن موسى التاهرتي الحرير

رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، 1431-1432هـ/2010-2011م، ص94.

(1) رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص150.

(2) ابن حوقل: المصدر السابق، ص84. البكري: المصدر السابق، ص710. الإدريسي: المصدر السابق، ص156.

(3) ابن حوقل: المرجع السابق، ص72. الإدريسي: المصدر السابق، ص141.إلهام حسين دحروج: **مدينة قابس منذ الغزوة الهلالية حتى قيام الدولة الحفصية 442-665هـ/1051-1247م**، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، 1421هـ/2000م، ص144.

(4) البكري: المصدر السابق، ص669.

(5) ابن حوقل: المصدر السابق، ص75. البكري: المصدر السابق، ص686.لويس أرشيبالد: المرجع السابق، ص253.

القابسي في خطاب مؤرخ عام 444هـ/1052م وذكر التاجر سلامة بن موسى في عام 454هـ/1062م يشتكي من قلة الكميات المتوافرة منه [1]. واشتهرت سوسة بأنواع من الثياب والعمائم النفيسة، فكان المسافرون إليها قاصدون، وعنها صادرون بالمتاع [2].

ومن مدينة تونس حملت الثياب الكتانية إلى مدينة تلمسان فقد أورد ابن مرزوق: "أن قافلة وردت من تونس وكانوا يجلبون ثياب الكتان ويحملون ثياب الصوف"[3].

كما سجلنا تراجع بعض المراكز التجارية كالقيروان [4] بعد الهجرة الهلالية مما أدى إلى ظهور مراكز تجارية بحرية كالمهدية وسفاقس؛ غير أن الغزو النورماني قضى على المراكز التجارية الساحلية كالمهدية وسفاقس واحتلت مكانتهما تونس وسوسة [5].

رابعا: التبادل التجاري بين الدولة الحمادية والدولة المرابطية:

رسم لنا ابن خلدون العلاقات السياسية المتوترة بين الحماديين والمرابطين [6] لكن هذا لم يمنع من وجود علاقات تجارية بينهما خلال هذه الفترة، رصد

---

(1) محمود هدية: المرجع السابق، ص229.

(2) الإدريسي: المصدر السابق، ص 168–169.التجاني: الرحلة، ص26.

(3) أبو عبد الله محمد بن مرزوق: **المناقب المرزوقية**، تح: سَلوى الزاهري، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية–المملكة المغربية، 1429هـ/2008م، ص190.

(4) المراكشي عبد الواحد بن علي (ت647هـ/1249م): **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، القاهرة، 1449م، ص294.

(5) موسى عز الدين: **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري**، ط1، دار الشروق، 1403هـ/1983م، ص319.

(6) ابن خلدون: العبر، ج6، ص227 وما بعدها.

لنا الإدريسي هذه الظاهرة ببجاية حاضرة الحماديين بقوله: "**وأهلها يُجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء**" [1].

إذن حاولت الدولتان التوجه نحو التكامل الاقتصادي؛ بتصدير الفائض من الإنتاج التي تمتعت به مدن المغربين وتسويقه فيما بينها أو تصديره خارج مجالها الجغرافي. واستيراد المنتوجات التي تفتقرها أو تعاني من نقصهما.

غير أن ما نلاحظه كون المنتوجات سواء الزراعية أو الحيوانية أو المعدنية التي كانت تتم في عملية التبادل بين المغربين خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين/9-10 الميلاديين، هي نفس المنتوجات في القرنين الخامس والسادس الهجريين/11-12 الميلاديين.

لكن نُسجل تغيرا في بعض المراكز التجارية واختفاءها خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/11-12 الميلاديين لعوامل سياسية أشرنا إليها سابقا. كما نشطت التجارة بالمدن الساحلية ومراسيها.

رصدت لنا نصوص كتب الرحلة والجغرافيا طبيعة التبادل التجاري خلال هذه الفترة التي تميزت بتصدير الفائض من الانتاج الزراعي والحيواني عن طريق المراسي البحرية مباشرة [2].

فصدرت مدينة بجاية الفائض من إنتاج الفواكه إلى سائر بلاد المغرب [3]. كما كان يجهز من مدينة قسنطينة السمن والعسل إلى سائر بلاد المغرب [4]. كما كان يحمل الفائض من العسل والسمن والتين من مدينة جزائر بن

(1) الإدريسي: المصدر السابق، ص116.

(2) البكري: المصدر السابق، ص853. الإدريسي: المصدر السابق، ص ص90-92.

(3) الإدريسي: المصدر السابق، ص116.

(4) المصدر نفسه، ص121.

مزغناي إلى مدن المغرب [1] كما صدرت مدينة مرسى الدجاج فاكهة التين الذي كان يحمل منها على شكل شرائح طوب ومنشور إلى سائر الأقطار وأقاصي المدائن والأمصار [2].

أما مدينة تيهرت فكانت تحمل منها الأغنام والماشية إلى سائر بلاد المغرب [3] كما اشتهرت مدينة بونة أيضا بتجارة الغنم والصوف والماشية من الدواب [4]. بالإضافة إلى تصديرها معدن الحديد إلى سائر بلاد المغرب [5]لكن يشير الإدريسي إلى أن مدينة بونة تراجعت تجارتها بعد احتلالها من طرف رجار سنة 540هـ/1145م[6]. كما صدرت مدينة تنس الفائض من ثروتها الزراعية، فكان الطعام يحمل منها إلى بلاد المغرب [7].

ومن مرسى هنين صدرت مدينة تلمسان مدن المغرب الأقصى أنواع الثياب الصوفية المفضلة على جنسها المصنوع بالمدن المغربية [8]. كما تميزت

---

(1) ابن حوقل: المصدر السابق، ص78. غير أن الإدريسي لم يسجل لنا فاكهة التين ضمن صادرات هذه المدينة. المصدر السابق، ص114.

(2) الإدريسي: المصدر السابق، ص ص114-115.

(3) مجهول: الاستبصار، ص179. بان علي: المرجع السابق، ص82-83.

(4) ابن حوقل: المصدر السابق، ص77.

(5) المصدر نفسه، ص77.

(6) الإدريسي: المصدر السابق، ص154.

(7) مجهول: الاستبصار، ص133. بان علي: المرجع السابق، ص83.

(8)ابن سعيد أبي الحسن علي بن سعيد المغربي (ت685هـ/1286م): **كتاب الجغرافيا**، تحقيق: إسماعيل العربي، ط1، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، 1970م، ص140. الزهري: المصدر السابق، ص ص113-114. غير أننا ما نلاحظه أن مدينة تلمسان كانت تابعة للمغرب الأقصى. ابن عذارى المراكشي (كان حيا سنة 712هـ/ 1312م): **البيان المغرب في اختصار ملوك الأندلس والمغرب**، تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار معروف، دار الغرب

مدينة تابحريت محط السفن ومقصد التجار لقوافل سجلماسة وغيرها [1]. ومن مدن المغرب الأقصى التي صدرت الفائض من الانتاج الزراعي والحيواني، مدينة سبتة كان يحمل منها الفواكه قصب السكر وأترج إلى ما جاور سبتة من البلاد، وكذا معدن المرجان الذي كان يتجهز به إلى سائر البلاد بعد تفصيله وحكه وصنعه وتنظيمه [2].

ومن بين المنتجات الحرفية التي دارت في فلك المبادلات التجارية للنسيج بين مدن المغرب الإسلامي؛ القطن والكتان [3] الّذي كان يحمل من مدينة البصرة "ولها غلات كثيرة من القطن المحمول إلى إفريقية وغيرها"[4].

استمرت خلال هذه الفترة مدينة سجلماسة بتصدير الفائض من إنتاجها كالقطن والكمون والكروياء والحناء، والتي كانت تصدر إلى سائر بلاد المغرب وغيرها [5]. كما صدرت مدينة إيجلي قاعدة السوس الفائض من قصب السكر وكان يحمل إلى جميع بلاد المغرب [6].

الاسلامي، تونس، ط1، ج3، 1434هـ/2013م، ص ص23-24. ابن خلدون: العبر، ج6، ص234. الطاهر بونابي: **مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط**، سلسلة الكتب الأكاديمية لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، 2017، ص8.

(1) البكري: المصدر السابق، ص751. الإدريسي: المصدر السابق، ص190.

(2) الإدريسي: المصدر السابق، ص182-183.

(3) مجهول: الاستبصار، ص189.

(4) ابن حوقل: المصدر السابق، ص81.الإدريسي: المصدر السابق، ص186.

(5) الإدريسي: المصدر السابق، ص77.

(6) البكري: المصدر السابق، ص854.عز الدين أحمد موسى: المرجع السابق، ص324. حماد فضل الله: المرجع السابق، ص69.

ومن مدينة داي حمل النُّحاس إلى سائر البلاد ويتصرف به كثير من الأعمال، ويحسن التنبيه إلى أن الإدريسي نفى أن يكون هذا النحاس من بلاد السوس كما يذهب إليه الكثير من العوام [1].

كما اشتهرت مدينة تادلة بزراعة القطن والذي كانت تصدره إلى جميع الجهات، ومنه كل ما يعمل من الثياب القطنية ببلاد المغرب الأقصى [2].

وكان يجلب من مدينة السوس كذلك معدن النيل الدرعي والنحاس المصبوغ والشب إلى سائر إفريقية وبلاد المغرب [3].

خاتمة

يتضح من خلال محاور الدراسة أن ركائز التكامل الاقتصادي بين المغرب الأوسط والمغربين الأدنى والأقصى من القرن 4-6 الهجريين/10-23 الميلاديين قام على:

أولا: التنوع الزراعي والصناعي والحرفي بالمغرب الإسلامي.

ثانيا: أن العلاقات الاقتصادية سارت بوتيرة بطئية نتيجة التغيرات السياسية والصراع من أجل السيطرة على المجال.

ثالثا: ساهمت الطرق البرية والبحرية في التكامل الاقتصادي المبكر؛ بين مدن ودول المغرب الإسلامي في العصر الوسيط.

---

(1) الإدريسي: المصدر السابق، ص93. فالزهري يذكر بأن معدن النحاس كانت تصدره بلاد السوس.الزهري: المصدر السابق، ص117.

(2)الإدريسي: المصدر السابق، ص93. محمود هدية: المرجع السابق، ص228.

(3) الزهري: المصدر السابق، ص117.الإدريسي: المصدر السابق، ص 93. عز الدين أحمد موسى: المرجع السابق، ص324. حماد فضل الله الصالحين صالح: تاريخ المغرب الأقصى الاقتصادي والاجتماعي في عصر المرابطين 448-541هـ/ 1056-1146م، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة بنغازي، ليبيا، 2012، ص70.

رابعا: ساهم التطور التجاري في زيادة الحركة العمرانية والحرفية مما أدى إلى زيادة المبادلات التجارية.

خامسا: كان للسلطان الأثر الواضح في توجيه الاقتصادي المغربي خاصة في عهد الدولة العبيدية (361-297هـ/909-971م). مما ولد انعكاس على المساواة الاقتصادية وإحداث فجوة بين القمة والقاعدة وانكماش الطبقة الوسطى. كما أدى كذلك إلى ظلم وجور أثرت بشكل كبير على الانهيار العمراني وحتى الاقتصادي.

سادسا: امتازت التنظيمات التجارية وصيغ التعامل بالانضباط نتيجة توجيه النخب الفقهية خاصة المالكية.

سابعا: توجيه السلطان للتجارة المغربية نحو المدن الساحلية بداية من القرن 5هـ/11م نتيجة غياب الأمن في المسالك والطرق التجارية في بعض الفترات.

تاسعا: كما أدى ربط تجارة الذهب والرقيق –الصحراوية– بالمدن الساحلية إلى تأسيس مدن جديدة على الساحل وربط تجارتها بالغرب المسيحي.

الثاني عشر: اكتفاء بعض الدول بالإنتاج الزراعي داخل الحصون والمدن المسورة بدل السهول من القرن 5 إلى القرن 7 الهجريين/11-13 الميلاديين، نتيجة عدم الاستقرار السياسي؛ لذا نرى الظاهرة السياسية مرتبطة بالظاهرة الاقتصادية ارتباطا وثيقا.

ويحسن التنبيه أن المبادلات التجارية بين بلدان المغرب الإسلامي خلال فترة الدراسة، حققت تكاملا اقتصاديا رغم العراقيل السياسية والعسكرية، وفي ظل ضياع الوثائق والسجلات والعقود لم تأثر كثيرا على هذه الدراسة خاصة في معرفة المقومات الطبيعية والبشرية والحيوانية؛ لكن مقارنة مع المبادلات

التجارية الخارجية مع المشرق الإسلامي والغرب المسيحي حافظت عليها دور الأرشيف، ومراكز المخطوطات.

وفي الأخير تعد تجربة التكامل الاقتصادي بالمغرب الإسلامي من القرن 4-6هـ/ 10-12م، تجربة يمكن الاستفادة من عناصرها وتحسينها وتطويرها وتقديمها كنموذج مغر للعمل الاقتصادي المغربي المشترك اليوم، الّذي هو صمام الأمان للمنطقة العربية كبديل اقتصادي حضاري يمكن أن يؤسس دعائم مستقبل عربي في عصر ما بعد الفضاءات الاقتصادية العملاقة، بعيدا عن التأثيرات السياسية ورجال السلطة.

نبوغ علماء الجزائر في خطتي الكتابة الديوانية والكتابة القضائية خلال عصر الموحدين

The genius of Algerian Scientists in the functions of Diwaniyah writing and judicial writing In the era of the Almohads

أ/الخضر يولطيف
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

مقدمة

تعدّ الدّولة الموحّديّة من بين الدّول المغاربيّة الوسيطيّة التّي لم تشذ عن مثيلاتها في استنادها حين قيامها ومدّة بقائها إلى العصبيّة القبليّة، وإذا كان للدّعوة الموحّديّة النّصيب الأوفر على عهد المؤسّس الرّوحي للدّولة المهديّ بن تومرت، فإنّ الرّجل واراه الثّرى قبل أن يتهيّأ لأتباعه أن يُمسكوا بزمام سلطة سياسيّة، بل لقد مُنوا بهزيمة قاسية [1]، كادت أن تُجهض مشروعهم السّيّاسي، وتضع حدّا لتطلّعاتهم وطموحهم.

ولئن تمكّن أصحاب ابن تومرت من أن يجتمعوا على إسناد الأمر بعده إلى تلميذه الأثير عبد المؤمن بن علي الكوميّ التّلمساني، دَرْءا لنزاع محتمل بين ذوي العصبيّات المصموديّة الكبرى، بالنظر إلى أنّه لا يعتضد بعصبيّة نافذة، فإنّ عبد المؤمن ما لبث أن سعى إلى التّمكين لعَقِبِه، ولو على حساب بعض مبادئ الدّعوة الموحّديّة، إذ بادر إلى استدعاء قبيلته "**كُومْية**" من المغرب الأوسط، وسرعان ما أضحت القبيلة الوافدة صاحبة الحلّ والعقد [2].

---

(1) حول هزيمة الجيش الموحّدي في معركة "البَحيرة" عند أسوار العاصمة المرابطيّة، سنة 524هـ/ 1130م، يراجع ابن اليَسع: **المُغرب في محاسن المَغرب**، تحقيق: عبد السّلام الجعماطي، الرّباط: دار الأمان، 2015، ص175-177.

(2) ابن خلدون: **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم**

وخلافا لما قد يتبادر إلى الأذهان من كون دولة الموحّدين وليدة المغرب الأقصى، فإن الوقائع والأحداث تثبت أنها وليدة المغرب الأوسط، فقد عمد عبد المؤمن إلى حيازة وَهْران وتِلِمْسان قبل أن يفكّر في مهاجمة فاس ومَرَّاكُش. وليس من قبيل الصّدفة أن حظي الكثيرون من أبناء الحاضرتين الجزائريّتين بأرفع المناصب السّياسيّة والقضائيّة والعلميّة، بل إن هذه الحُظوة سرعان ما تمتدّ لتشمل أبناء سائر الحواضر الجزائريّة الأخرى.

ولعل من بين أهم المجالات المؤثّرة التي سجّل فيها علماء الجزائر – عصرئذ– قصب السّبق، خطّتا الكتابة الدّيوانيّة، والكتابة القضائيّة.

01- خطة الكتابة الدّيوانيّة

على ما كان لرسالة الجاحظ (ت 255هـ/869م) في ذمّ أخلاق الكتّاب [1] من صدى في عصره، فإنّها لم تنل من منزلة الكتّاب، إذ ظلّوا محلّ تقدير وإشادة، وما فتئت المصنّفات تقدّمهم على أنّهم "**تراجمة الملوك**"[2]، و"**مَقاول الدّول**"[3]، وتنعتهم بـ "**ساسة المُلك وعِماد المملكة**"[4].

والواقع، أنّ الكتّاب الذين دُبّجت بأقلامهم أكثر تلك المصنّفات، حرصوا

من ذوي السّلطان الأكبر، بيروت: دار الكتب العلميّة، 1992، 151/6.

(1) **رسائل الجاحظ السّياسيّة**، نشرها: علي أبو ملحم، بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ت.، ص603-618.

(2) الجِهشياري: **كتاب الوزراء والكتّاب**، نشره: عبد الله الصّاوي، القاهرة: مكتبة المشهد الحسيني، 1938، ص02.

(3) ابن الأبّار: **إعتاب الكتّاب**، تحقيق: صالح الأشتر، دمشق: منشورات مجمع اللّغة العربيّة، 1961، ص43-44.

(4) الثّعالبي: **آداب الملوك**، تحقيق: جليل العطيّة، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990، ص141.

على أن يقدّموا أنفسهم على أنّهم "**ليسوا بيروقراطيّة فنّيّة أو تقنيّة محايدة تعمل مع كلّ العهود والدّول، بل جزء من المشروع السّلطوي المسيطر، يرتفعون بارتفاعه، وينقضون بانقضائه**"[1]. وحتّى ولو بدا الخطاب الذي يمليه كاتب السّلطان لا يمثّله بالضّرورة، إلاّ أنّ "**القراءة الخلفيّة لهذا الخطاب تكشف عن الدّور غير المباشر والحاسم الذي لعبه الكاتب؛ ليس بصفته ناصحا للسّلطان فحسب، ولكن من خلال مشاركته في مشروع السّلطة، أو من خلال صياغته لهذا المشروع**"[2].

ولمّا لم يكن مستبعدا في عدد من الحالات أن تكون "**الكتابة**" مدخلا "**للوزارة**"[3]؛ فيُجمع لصاحبها بين خطّتي "**السّيف والقلم**"، فقد أتيح لكاتب البَلاط –على الدّوام– أن يتمتّع بمكانة مرموقة؛ فكان له –حسب ابن سعيد (ت 685هـ/1286م) – "**حظّ في القلوب والعيون**"[4].

وليس غريبا أن حظيت خطّة "**الإنشاء**" بعناية الموحّدين الذين اعتمدوا الرّسائل كوسيلة دعائيّة لسياساتهم ومنجزاتهم، فكانوا يبثّونها إلى مختلف أقطار دولتهم، حاثّين ولاتهم وعمّالهم على إذاعتها، والتّرويج لها بين النّاس؛ باديهم وحاضرهم [5]. ولئن استعمل حكّام الموحّدين في بداياتهم الأولى –وفق ما

---

(1) رضوان السّيّد: "**الكاتب والسّلطان –دراسة في ظهور كاتب الدّيوان في الدّولة الإسلاميّة–**"، **مجلّة الاجتهاد**، (بيروت)، ع1989/04، ص15.

(2) خالد زيادة: **كاتب السّلطان حرفة الفقهاء والمثقّفين**، لندن–قبرص: رياض الرّيس، 1991، ص10.

(3) رضوان السّيّد: "**الوزير المغربي ومصائر علاقات الثّقافة بالسّلطة في القرنين الرّابع والخامس للهجرة**"، **مجلّة الاجتهاد**، (بيروت)، ع1989/04، ص256.

(4) نقله المقّري في **نفح الطّيب**، تحقيق: إحسان عبّاس، بيروت: دار صادر، 1968، 217/1.

(5) ينظر: **مجموع رسائل موحّديّة**، نشر: ليفي بروفنسال، الرّباط: المطبعة الاقتصاديّة، 1941،

يقتضيه الحال– كتّابا خدموا الدّولة البائدة، إلاّ أنّ حاجتهم إلى كتّاب جدد كانت أكثر إلحاحا مع تمهّد الدّولة، واتّساع رقعتها، وتشعّب مصالحها [1].

ومع أنّ التّرسّم بالفقه لم يكن شرطا أساسيّا فيمن يتصدّى للكتابة في ديوان الإنشاء [2]، إلاّ أنّ عددا ملحوظا من كتّاب الموحّدين اختيروا من أوساط فقهيّة، وكان من بينهم عدد من فقهاء الجزائر.

ومن أبرز فقهاء الجزائر الذين أُنيطت بهم مهمّة صياغة "**الخطاب السّياسي**" للبلاط الموحّدي الفقيهان: **أبو محمّد بن جبل الوهراني** [3] (ت 557هـ/1162م)، و**أبو محمّد بن الأشيري** [4] (ت 561هـ/1165م)، وكلاهما كتب لأوّل خلفاء الموحّدين عبد المؤمن بن علي (541–558هـ/1156–1163م) [5].

ص34، 112، 120، 157، 167، 179–180، 191، 199، 218، 227.

(1) يقرّر ابن خلدون أنّ حاجة الحاكم تشتدّ إلى أرباب الأقلام بعد تمهّد الدّولة وقبل هرمها؛ لأنّهم حينئذ "آلته التي بها يستظهر على تحصيل ثمرات ملكه، والنّظر في أعطافه، وتثقيف أطرافه، والمباهاة بأحواله". تراجع: **المقدّمة**، تحقيق: درويش الجويدي، بيروت: المكتبة العصريّة، 1995، ص236.

(2) يراجع الجهشياري: الوزراء والكتّاب، ص48.

(3) هو عبد الله بن محمّد بن جبل الهمداني، من أهل وهران. كان فقيها متمكّنا، تقلّب بين وظائف عدّة في البلاط الموحّدي؛ بين كاتب وقاض وخطيب. ترجم له: ابن الأبّار في التّكملة لكتاب الصّلة، تحقيق: عزّت العطّار الحسيني، القاهرة: مكتبة الخانجي، بغداد: مكتبة المثنّى، 1956–55، 917/2.

(4) هو عبد الله بن محمّد بن عبد الله الصّنهاجي، من أهل أشير –بليدة بالمغرب الأوسط–. كان فقيها حافظا، ومحدّثا راويا، وأديبا نحويّا. رحل إلى المشرق، فنزل الشّام، وأقام بدمشق. ترجم له: ابن الأبّار في التكملة، 917/2–918.

(5) ابن القطّان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزّمان، تحقيق: محمود علي مكي،

بينما لمع في عهد خلفائه نجم الفقيه **أبي الفضل بن مَحْشَرة البجائي**[1] (ت 598هـ/1201م)؛ فإنّه كتب ليوسف بن عبد المؤمن (558-580هـ/1163-1184م)[2]، ومن بعده ليعقوب المنصور (580-595هـ/1184-1198م)[3]، فللنّاصر (595-610هـ/1198-1213م)[4]. ولقد حظي بمكانة رفيعة لديهم، حتّى لكان يُدِلّ بفضله على أبي يعقوب يوسف [5]. وكما أنّ عليه وقع اختيار أبي يوسف يعقوب لتحرير كتاب "**مأثرة الأَرَك**"[6].

وإلى جانب ابن محشرة، كان الفقيهان الأخوان: **أبو عبد الله** [7] (ت

بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990، ص210.

(1) هو جعفر بن محمّد بن علي القيسي، من أهل بجاية؛ من بيت علم وجلالة. كان فقيها عالما، ومحدّثا حافظا، وكاتبا بليغا، ذاع صيته، ونبه شأنه. ترجم له: الغبريني في **عنوان الدّراية فيمن عرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية**، تحقيق: رابح بونار، الجزائر: الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، 1981، ص83-85.

(2) المرّاكشي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق: محمّد زينهم محمّد عزب، (القاهرة: دار الفرجاني، 1994)، ص204.

(3) ابن عذاري: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب -القسم الخاص بالموحّدين-**، تحقيق: محمّد إبراهيم الكتّاني وآخرون، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1985، ص170.

(4) ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تحقيق: عبد الوهّاب بن منصور، الرّباط: دار المنصور، 1973، ص207.

(5) الغبريني: عنوان الدّراية، ص84.

(6) مؤلّف مجهول: **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق: سهيل زكّار وعبد القادر زمامة، الدّار البيضاء: دار الرّشاد الحديثة، 1979، ص159. **والأَرَك** هي محلّة صغيرة من أعمال قلعة رباح؛ غرب الأندلس، جرت فيها المعركة الشّهيرة سنة 591هـ/1195م التي انتصر فيها الموحّدون بقيادة يعقوب المنصور على جيش قشتالة الذي كان يقوده ألفونسو الثّامن.

(7) هو محمّد بن يخلفتن بن أحمد اليَجَفْشي الفازازي، من أهل تلمسان؛ من بيت علم ونباهة. كان فقيها متفنّنا في جمّ من العلوم والمعارف، متقدّما في الكتابة والشّعر. ترجم له: ابن عبد الملك

621هـ/ 1224م)، و**أبو زيد** [1] (ت 627هـ/1230م) **ابنا يَخْلَفْتَن التّلمسانيان**. كتب أوّلهما للنّاصر، ثمّ لابنه المستنصر (610-620هـ/1213-1223م) [2]، وكتب ثانيهما للمأمون (624-630هـ/1227-1232م) [3]؛ مميّزا عن غيره بلقب "كاتب الخلافة المأمونيّة"[4].

أمّا المتأخّرون من خلفاء بني عبد المؤمن، فقد استقطب بلاطهم -إلى جانب الفقهاء الكتّاب من الجزائريين- فقهاء كتّابا من الأندلس؛ من أحفلهم ذكرا **الفقيه أبو الحسن بن الفخّار الإشبيلي** [5] (ت 666هـ/1267م)، الذي استقلّ بالإنشاء بعد شيخه أبي زيد التلمساني [6].

في **الذّيل والتّكملة لكتابي الموصول والصّلة**، السّفر الثّامن، تحقيق: محمّد بن شريفة، الرّباط: منشورات أكاديميّة المملكة المغربيّة، 1984، ص362-364.

(1) هو عبد الرّحمن -أخو المتقدّم- تلمساني الأصل، قرطبي المولد. كان فقيها أصوليّا، محدّثا راويا، متكلّما نظّارا، كاتبا بليغا، شاعرا مجوّدا، مال إلى التّصوّف وشهر به. ترجم له: ابن الأبّار في **التّكملة لكتاب الصّلة**، نشر: فرانسيسكو قوديرا، مدريد: مطبعة روخس، 86-1889، 2/585-586.

(2) ابن الزّبير: **صلة الصّلة**، تحقيق: عبد السّلام الهرّاس وسعيد أعراب، الرّباط: منشورات وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، 1993، 3/27.

(3) مجهول: الحلل الموشية، ص165.

(4) مؤلّف مجهول: **مفاخر البربر**، تحقيق: محمّد يعلى، مدريد: منشورات المجلس الأعلى للأبحاث العلميّة والوكالة الإسبانيّة للتّعاون الدّولي، 1996، ص211.

(5) هو علي بن محمّد بن علي الرّعيني، من أهل إشبيلية. تفقّه بكبار علماء الأندلس، وروى عن مشاهير محدّثيهم. غلبت عليه الكتابة السّلطانيّة واعتمدها صناعة. خصّه تلميذه ابن عبد الملك بترجمة مستفيضة في **كتابه الذّيل والتّكملة**، السّفر الخامس، تحقيق: إحسان عبّاس، بيروت: دار الثّقافة، 1965، ص323-369.

(6) ابن الخطيب: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق: محمّد عبد الله عنان، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1978-74، 4/163.

وعلى غرار الفقهاء كَتَبَة الخلفاء، انتظم في عداد كتبة الولاة والأمراء عدد آخر من الفقهاء، الذين وإن كانوا يُضاهون مَن قبلهم في التّمرّس بأصناف العلوم والمعارف، إلاّ أنّهم –ولا شكّ– دونهم في فنّ الكتابة والتّرسيل.

02– خطة الكتابة القضائيّة

وهي معدودة من الوظائف التّابعة للقضاء، المندرجة ضمن "**موادّ تصريفه**"[1]. وحقيقتها "**القيام عن إذن القاضي بالشّهادة بين النّاس فيما لهم وعليهم؛ تحمّلا عند الإشهاد؛ وأداء عند التّنازع؛ وكتبا في السّجلاّت، تحفظ به حقوق النّاس وأملاكهم وديونهم وسائر معاملاتهم**"[2].

ولمّا كان من شرط هذه الوظيفة "**القيام بكتب السّجلاّت والعقود من جهة عبارتها وانتظام فصولها، ومن جهة إحكام شروطها الشّرعيّة وعقودها**"[3]، وكان ذلك يحتاج إلى مِران وفقه، فقد خُصّ بها صنف من الفقهاء قاموا عليها، فكانوا يُعرفون بذلك في كلّ عصر ومصر؛ "لهم دكاكين ومصاطب يختصّون بالجلوس عليها، فيتعاهدهم أصحاب المعاملات للإشهاد وتقييده بالكتاب"[4].

وقد نوّه ابن فرحون (ت 799هـ/1397م) بأهمّيّة هذه الخطّة في قوله: "**هي صناعة جليلة شريفة، وبضاعة عالية منيفة، تحتوي على ضبط أمور النّاس على القوانين الشّرعيّة، وحفظ دماء المسلمين وأموالهم، والاطّلاع على أسرارهم وأحوالهم، ومجالسة الملوك والاطّلاع على أمورهم وعيالهم**"[5]. وهو

(1) ابن خلدون: المقدّمة، ص207.

(2) المصدر نفسه، ص207.

(3) المصدر نفسه، ص207.

(4) المصدر نفسه، ص208.

(5) ابن فرحون: **تبصرة الحكّام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام**، نشر: طه عبد الرّؤوف

لا يبعد عمّا عبّر به الونشريسي (ت 914هـ/1508م) في قوله: "**علم الوثائق من أجلّ ما سُطّر في قرطاس، وأنفس ما وُزن في قِسطاس، وأشرف ما به الأموال والأعراض والدّماء والفروج تُستباح وتُحمى، وأكبر زكاة للأعمال وأقرب رُحما، وأقطع ما به تُنبذ دعاوى الفجور وتُرمى، وتُطمس مسالكها الذّميمة وتعمى**"[1]، أو ما قرّره –قبلهما– ابن مُغيث الطّليطلي (ت 459هـ/1067م) إذ يقول: "علم رسوم الوثائق علم شريف، يلجأ إليه في ذلك الملوك [والفقهاء]، وأهل الظّرف والشّرف، والسّوقة والسّواد، كلّهم يمشون إليه، ويتحاكمون بين يديه، [ويرضون بقوله، ويرجعون إلى فعله]، فيُتنزّل كلّ طبقة منهم على مرتبتها، [ولا يخلّ بها عن منزلتها]"[2].

ولذلك كان من بين أهمّ ما يشترط في المرتسم بالعدالة –بشقّيها: الشّهادة والتّوثيق– أن يكون جامعا بين العلم والورع، ليطمئنّ القاضي عند معاينة خطّه ولفظه إلى براءتهما من شبهة –تدليس أو تلبيس– [3]. وفي ذلك يقول ابن المُناصِف (ت 620هـ/1223م): "**لا ينبغي أن يُنصّب [لكتابة] الوثائق إلاّ العلماء بها، العدول فيها... فأمّا من لا يُحسن وجوه الكتابة، ولا يقف على فقه الوثيقة، فلا ينبغي أن [يُمكّن من] الانتصاب [لذلك]، لئلا يُفسد على**

سعد، القاهرة: مكتبة الكلّيّات الأزهريّة، 1986، 282/1.

(1) الونشريسي: **المنهج الفائق والمنهل الرّائق والمعنى اللاّئق بآداب الموثّق وأحكام الوثائق**، تحقيق: لطيفة الحسني، الرّباط: منشورات وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، 1997، ص193.

(2) ابن مغيث: **المُقنع في علم الشّروط**، نشر: ضُحى الخطيب، بيروت: دار الكتب العلميّة، 2000، ص11؛ والاستدراكات على نص المقنع من نقول الونشريسي عنه في المنهج الفائق، ص211.

(3) ابن عبدون: **رسالة في القضاء والحسبة**، نشر: ليفي بروفنسال، باريس: المطبعة الوطنيّة، 1934، ص11.

الناس كثيرا من معاملاتهم، وتضيع جملة من حقوقهم... وكذلك إن كان عالما بوجوه الكتابة، إلاّ أنّه متّهم في دينه، فلا ينبغي [تمكينه من] ذلك"[1].

وكان ممّا أنكره القاضي الشّافعي ابن أبي الدّم (ت 642هـ/1244م) على كتَبة الشّروط –لعهده– تصدّيهم "**لتأليف هذه الحُجج التي يكتبونها في مجالس الحكّام وعلى أبواب المساجد [مع خلوّهم] عن معرفة الفقه وعلم الفتوى**"[2]. بل ولقد أنكر معاصره الفقيه المالكي أبو الحسن بن تمسرين الرّجراجي [3] (حيّ سنة 633هـ/1235م) على موثّقي عصره، جمعهم بين الشّهادة والكتابة؛ فإنّهم يتقاضون عنهما الأجرة، وهذه إن جازت عن الكتابة، لم تجز عن الشّهادة [4].

ومع كلّ ما ظلّ يُحاط بهذه الوظيفة من تحرّزات، عبّر عنها –في وقت لاحق– ابن الخطيب (ت 776هـ/1375م) في رسالته "مُثلى الطّريقة في ذمّ الوثيقة"، إلاّ أنّ ما يدعو للانتباه هو أنّ العصر الموحّدي –بشكل خاصّ–

---

(1) ابن المناصف: **تنبيه الحكّام على مأخذ الأحكام**، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، تونس: دار التّركي للنّشر، 1988، ص141–142؛ وفي نص التّنبيه اختلالات تُلوفيت مما نقله عنه ابن فرحون في تبصرته، 282/1.

(2) ابن أبي الدّم: **الدّرر المنظومات في الأقضية والحكومات**، تحقيق: محمّد مصطفى الزّحيلي، دمشق: دار الفكر، 1982، ص494.

(3) هو علي بن سعيد الرّجراجي، كان فقيها فروعيّا حافظا للمسائل، ماهرا في الأصلين، وضع على المدوّنة شرحا سمّاه: "مناهج أدلّة التّحصيل ونتائج لطائف التّأويل في شرح مشكلات المدوّنة"، اعتمد فيه كلام القاضي ابن رشد، والقاضي عيّاض، وتخريجات أبي الحسن اللّخمي. يراجع التّنبكتي: **نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج**؛ مطبوع بهامش الدّيباج لابن فرحون، القاهرة: مطبعة الفحّامين، 1932، ص200.

(4) ابن الخطيب: **مثلى الطّريقة في ذمّ الوثيقة**، تحقيق: عبد المجيد التّركي، الجزائر: المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، 1983، ص85، 86–87.

عرف طائفة كبيرة ممّن ترسّم بالعدالة –شهادة وتوثيقا– بين صفوف فقهاء الجزائر؛ بل ولقد تصدّى لذلك كبراؤهم ونبهاؤهم.

فقد ذاع ببجاية صيت الفقيه **أبي عبد الله بن الحسين البجائي** [1] (حيّ سنة 603هـ/1206م)؛ فإنّه "**كان في صناعة التّوثيق إماما، وكان عليه أكثر الاعتماد ببجاية في وقته**"[2]. ومن بعده سَميّه الفقيه **ابن المنصور القلعي** [3] (ت 660هـ؟ /1262م؟) الذي يقول عنه الغبريني (ت 704هـ/1305م): "**كان عالما بأحكام الوثائق والشّروط، وكان موثّق الوقت**"[4]، ويصف وثيقته بكونها "**محكمة مطوّلة، لا يقصد فيها الإيجاز، بل يقصد فيها الإتقان والإحكام**"[5]، ويضيف أنّ القاضي ابن سكاتو [6] كان له به اعتناء، وكان يتحرّى مشورته [7].

---

(1) هو محمّد بن محمّد بن الحسين الخشني، من أهل بجاية. كان فقيها مشاورا، عاقدا للشّروط، مشاركا في علوم، له رواية ومقروءات. ترجم له: الحفناوي في **تعريف الخلف برجال السّلف**، تحقيق: محمّد أبو الأجفان وعثمان بطّيخ، بيروت: مؤسّسة الرّسالة – تونس: المكتبة العتيقة، 1982، 2/496–497.

(2) الغبريني: عنوان الدّراية، ص219.

(3) هو محمّد بن محمّد بن منصور، من قلعة بني حمّاد. كان فقيها مشاورا، عدلا مرضيّا، ضليعا في الفقه والفرائض والحساب. ترجم له: القرافي في **توشيح الدّيباج وحلية الابتهاج**، تحقيق: أحمد الشّتيوي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983، ص251.

(4) الغبريني: عنوان الدّراية، ص227.

(5) المصدر نفسه، ص227.

(6) هو عبد الله بن حجّاج بن يوسف، من أهل الجزائر، وسكن بجاية. كان فقيها فاضلا، شُهر بالعدل والنّزاهة في قضائه وسائر أحواله. ترجم له: ابن الأبّار في التّكملة (ط. القاهرة)، 2/–924 925.

(7) الغبريني: عنوان الدّراية، ص227.

وممّن تخطّط بالعدالة ببجاية –أيضا– الفقيه **أبو زيد بن السّطّاح الجزائري** [1] (ت 629هـ/1232م) "فإنّه كان معنيّا بعقد الشّروط، مقدّما في معرفته بها"[2].

خاتمة

يتيح العرض السابق –ولو أنّه لم ينح منحى الاستقراء– الوقوف على مدى الحضور الذي سجّله علماء الجزائر في العصر الوسيط، على مستوى خطّتين من أهمّ الخطط الحكوميّة، التي حظيت بعناية دولة الموحّدين، وهو ما يكشف عن مدى اهتمام علماء الجزائر بالثّقافتين الفقهيّة والسّلطانيّة، في عصر لم تكن فيه صلة الدّين بالسّياسة موضوعا مطروحا للنّقاش.

(1) هو عبد الرّحمن بن محمّد بن أبي بكر، أصله من الجزائر، واستوطن بجاية. كان فقيها نحويّا، فاضلا خيّرا مرضيّا. ترجم له الغبريني في عنوان الدّراية، ص225.

(2) ابن الأبّار: التّكملة (ط. مدريد)، 593/2.

شرفاء المغرب الأوسط وتراتبيتهم الاجتماعية (ق7-9هـ/ 13- 15م)

Honorable people of Central Morocci and their social hierarchies (7_9H/13_15 AD)

✍د/ إلهام قاتل
جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي

الملخص

قد يكون من المفيد في هذا المقام الإشارة إلى وجود نخب في كل تركيبة اجتماعية تعبر عنها وترسم حركتها وتحدد مسارها، وتشكل هذه النخب مجتمعة ما يمكن أن نسميه مجتمع النخبة حيث تتضافر جهود هذه النخب في تحقيق التوازن الاجتماعي والحضاري في المجتمع وتعمل على تجديد حركته ونشاطه في أفضل الأحوال ولا يمكن لدراسة واحدة أن تشمل مجتمع النخبة بمختلف تجلياته، ذلك أن دراسة البناء الاجتماعي بالمغرب الأوسط من القرن السابع حتى القرن التاسع للهجرة/ 13-15م تتطلب البحث في المقاييس المتحكمة في تقسيم المجتمع آنذاك. ولعل أهم هذه المقاييس معايير: السلطة والنسب والدين والعلم والمال.

فلطالما اعتبر النسب الشريف من بين أهم المعايير المتحكمة في التراتبية الاجتماعية للمغرب الأوسط ذلك أنه من المظاهر الدينية والسياسية والاجتماعية البارزة التي فرضت نفسها في الساحة السياسية والاجتماعية والدينية بقوة كبيرة، وفرضت وجودها داخل التراتب الاجتماعي وفعاليته، فاحتل بذلك أصحاب النسب الشريف مكانة مرموقة داخل مجتمع المغرب الإسلامي بشكل عام والمغرب الأوسط بشكل خاص.

الكلمات المفتاحية: الشرف، المغرب الأوسط، التراتبية الاجتماعية، النسب الشريف.

Abstract

It would be beneficial in this regard to mention that every social structure has an elite that expresses it, draws its movement and defines its paths. This elite as a whole entity forms what might be called the elite society that unites its efforts to achieve a kind of social and civil balance in society as it works on renewing its social activities in its greatest forms. No single study would claim to cover the elite society with its various manifestations. Studying the social structure in the middle Maghreb from the seventh century until the ninth century AH/ 13-15AD requires searching for the criteria that govern the division of society at that time. Perhaps the most important models or criteria are: power, lineage, religion, science and money.

The honorable lineage has always been considered as one of the most important criteria that controls the social hierarchy of the Central Maghreb , as it is one of the prominent religious, political and social manifestations that have imposed themselves in the political, social and religious arena with great effect as it imposed its self within the social hierarchy. Thus, the honorable lineage occupied a prominent position in general within the Islamic Maghreb society and within the Middle Maghreb in particular.

مقدمة

تجدر الإشارة بادئ الأمر إلى أن المغرب الإسلامي عرف عدة هجرات لمختلف فروع الشرفاء، كانت ظروف حدوثها كثيرة وأماكن انطلاقها متنوعة، وفتراتها الزمنية مختلفة، استقر أصحابها وأغلبهم حسنيون أو حسينيون في المدن المغاربية ذات القرار السياسي، ومن بين هذه الهجرات يمكننا الإشارة إلى هجرة إدريس الأول في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة إلى المغرب الأقصى (فاس)، وهو بدوره قام بغزو تلمسان وبنا فيها مسجدا، ونصب فيه منبرا ونقش عليه نسبه الشريف إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ونشير أيضا إلى حملة إدريس بن إدريس الأكبر (ت213هـ) سنة 197هـ/795م والتي دامت ثلاث سنين شملت تلمسان وأحوازها قصد تأديب قبائل نفزة وبقايا المذهب الخارجي، وهذا ما جعل حدود دولة السليمانيين تتسع

شرقا إلى الشلف. وتأكيد على شرعية الحكم العلوي من خلال قيام إدريس بن إدريس الأكبر (ت213هـ) بوضع منبر بمسجد تلمسان ونقش اسمه ونسبه الشريف عليه.

ولما آل حكم تلمسان إلى محمد بن سليمان قسم حكم مدن المغرب الأوسط، أرشكولو جراوة وتنس وسوق إبراهيم بالشلف وسوق حمزة (البويرة) بين إخوته، يحكمها الأشراف السليمانيون وقد شكل ذلك انتشارا أساسيا لفكرة الشرف حيث انضمت فروع من صنهاجه بنواحي بجاية وسوق حمزة إلى الزناتة في الإقرار بشرعية حكم الفرع السليماني الحسني السني على حساب الفرع الحسيني الشيعي الإسماعيلي، غير أنه سرعان ما تقلص نفوذ الفرع الحسني السني من المغرب الأوسط بفعل الفرع الحسيني الشيعي بعدما آل الحكم للدولة الفاطمية (296-362هـ/909-993م). والظاهر أن فكرة الشرف لم تجد الصدى الواسع خلال القرن الخامس الهجري/11م ومطلع القرن السادس/12م، خصوصا وإن كنا نعرف ارتكاز دولة صنهاجة على عصبيتها ومذهبها المالكي وإدرارات تجارة الذهب والرقيق.

وعلى عكس الدويلات الصنهاجية نجد الخلافة الموحدية تستثمر في خطاب الشرف من أجل خدمة مشروعها الدعوي والسياسي فربطوا نسب المهدي بن تومرت بفاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم والخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، غير أن ذلك اقترن بمرحلة التأسيس ولم يعد بعدها اعتبار كبير للشرف في الحياة السياسية للخلفاء الموحدين الذين حصروا ظاهرة الشرف في دائرة التذكير بنسب المهدي بن تومرت الهاشمي الحسني الفاطمي المحمدي أثناء خطبة الجمعة وكذلك في تبجيل الشرفاء

بالامتيازات والظهائر في حدود ضيقة [1].ويشير الأستاذ الدكتور الطاهر بونابي إلى أهمية ظاهرة الشرف في المغرب الأوسط [2]. فقد حرص أفراد المجتمع المغربي منذ فترات مبكرة على ضبط أنسابهم والتفاخر بها، حيث كان النسب المشهور معيارا للتصنيف الاجتماعي[3] . واستمر المعيار نفسه قائما خلال القرون السابع والثامن والتاسع للهجرة/ 13-14-15م، فقد أكد أبو العباس

---

1 - **فيما يخص تموقع الشرفاء بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة/ 8و9م يرجى مراجعة:** علي ابن أبي زرع الفاسي (ت بعد 726هـ/ 1326م): **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، ط2، الرباط: المطبعة الملكية، 1420هـ-1999م، ص 19 وما بعدها؛ وابن عذاري المراكشي (ت بعد 712هـ / 1312م): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق: إليفي بروفنسال، ط3، بيروت: الدار العربية للكتاب، 1983، ج1، ص 210-211؛ والطاهر بونابي: "**خطاب الشرف في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط -مقاربة في مستوياته ضمن نص النوازل والمناقب والتاريخ-**"؛ ضمن كتاب: **المغرب الأوسط في العصر الوسيط من خلال كتب النوازل**، تنسيق: بوية مجاني، الجزائر: بهاء الدين للنشر والتوزيع، 2011، ص 145-147؛ وفيما يتعلق بانتشار فكرة الشرف في المغرب الأوسط خلال القرن الخامس ومطلع السادس ينظر: أبو بكر بن علي الصنهاجي البيذق (ت 555هـ/ 1160م): **المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب**، تحقيق: عبد الوهاب بن المنصور، ط1، الرباط: دار المنصور للطباعة والنشر، 1971، ص 12 وما بعدها؛ وعبد الواحد المراكشي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ/ 1998م، ص 246-247؛ والطاهر بونابي: **المرجع السابق**، ص 148-149.

2- الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 144.

3- محمد ياسر الهلالي: "**مجتمع المغرب الأقصى خلال القرنين الثامن والتاسع للهجرة/ 14-15م- مساهمة في دراسة بعض مصطلحات التراتب الاجتماعي: العامة -الخاصة/الطبقة-المرتبة-**"، أطروحة دكتوراه في التاريخ، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1421هـ/2000م، ص 169.

أحمد الماجري أن معرفة النسب: "**فيه شرف الدنيا... وبه تحفظ مراتب الكرام... فلولا معرفة النسب لما عرف شريف ولا مشروف ولا فاضل ولا مفضول، ولا تزال الناس بخير ما تباينوا بالأنساب، فإذا تساووا هلكوا وصارت الأشراف في درجة الأخيار...**" [1]. كما حث أبو حمو موسى الزياني (ت 791هـ / 1388م) ابنه على ضرورة ترتيب الشرفاء ضمن الأوائل في الدخول على السلطان لأنهم: "**أرفع الناس في الرتب لشرفهم في الحسب وأعلاهم في النسب**" [2]. أما أبو عبد الله الشريف العلوني التلمساني (ت771هـ/ 1369م) فقد عرف الشرف بأنه: "**من الأسماء الإضافية التي لا يعقل معانيها، إلا بالإضافة إلى ما يقابلها كالعلو في مقابل السفل والأمان مقابل الخوف ومقابل الشرف المشروف**"[3]. إلى أن يؤكد بأن: "**الشرف هو الفضيلة على الغير**"[4].

ونظرا لأهمية موضوع الشرفاء في المغرب الأوسط سنحاول في هذه الورقة التعرض لشرفاء المغرب الأوسط، معالجين الإشكالية التالية: **ما موقع الشرفاء في المغرب الأوسط خلال الفترة الممتدة من القرن السابع إلى التاسع للهجرة/ 13- 15م، وماهي أسس ومظاهر تراتبيتهم الاجتماعية؟**

1- أبو العباس سيدي أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن أبي محمد صالح بن ينصارن الماجري (ت ق8هـ/ 14م): **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح**، ط1، مصر: المطبعة المصرية، 1352هـ/1933م، ص 131-133.

2- **واسطة السلوك في سياسة الملوك**، تحقيق: عبد الرحمان عون، تونس: دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، 1982م، ص 111.

3- أبو العباس أحمد بن الونشريسي: **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب**، إشراف: محمد حجي، الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1401هـ-1981م، 12/ 211.

4- المصدر نفسه، 211/12.

1- أسس المرتبة الاجتماعية للشرفاء

من المهم بمكان التأكيد على أنه إذا كان تأصيل النسب عموما منح صاحبه "مرتبة" اجتماعية متميزة، فإن النسب لأهل البيت كانت له الخصوصية عن باقي الأنساب، **فما هي العوامل التي أهلت الشرفاء[1] لتبوء مكانة اجتماعية مرموقة في المغرب الأوسط خلال القرون السابع والثامن والتاسع للهجرة/13-14-15م؟**

من غير الخفي، في بداية الإجابة عن السؤال المطروح أن الذهنية الإسلامية تشبعت منذ فجر الإسلام باحترام وتقدير لآل البيت، وقد انتقل معهم هذا الاحترام إلى كافة المناطق التي حلوا فيها ومنها المغرب الأوسط وذلك منذ بناء إدريس الأول مسجدا في تلمسان، ونصب فيه منبرا الذي نقش عليه نسبه الشريف إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما[2] .

والظاهر أن هذا الاحترام الذي حظي به الشرفاء لم يشمل فئة دون الأخرى، فقد تساوى في ذلك الحكام والرعية على حد سواء[3] ، فقد ارتبط اعتناء

1- مصطلح الشريف من الناحية اللغوية، جمع شرفاء، يطلق على الرجل الماجد أو من كان كريم الآباء، والشرف معناه العلو والمجد والرفعة والفضيلة على الغير، لكن بعد ظهور الإسلام حدث تغير في مدلول في هذا المصطلح، حيث أصبح لقب الشرف يطلق على من كان من آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، بمعنى ذرية الرسول بواسطة ابنته فاطمة الزهراء وابن عمه علي بن أبي طالب عن طريق ابنيه الحسن والحسين، وهؤلاء تم بشأنها إجماع الفقهاء. الونشريسي: المصدر السابق، 549/2.

2- ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص 25.

3- الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 151-153؛ ومحمد فتحة: **النوازل الفقهية والمجتمع - أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن 6 إلى 9هـ/12-15م)** -، المغرب: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية (جامعة الحسن الثاني - عين الشوح)، 1999، ص 237.

الحفصيين بالشرفاء بسيرورة الدولة الحفصية وطموحاتها إلى الحكم الشامل، واستحقاق لقب الخلافة[1] .

أما الدولة الزيانية فقد حاولت ربط نسب الأسر الحاكمة بآل البيت وذلك من أجل كبح التطلعات التوسعية لخصومهم المرينيين والحفصيين، فكلفوا نخبهم الكاتبة بالترويج لذلك في أدبياتهم التاريخية والمناقبية[2] ، ويمكن أن نلمس ذلك في كتابات يحيى بن خلدون (ت 780هـ/ 1378م)[3] ، وأبو عبد الله التنسي (899هـ/ 1494م) [4]، ومحمد بن صعد التلمساني (ت 901هـ / 1496م) [5]، التي حاولت التأصيل للنسب الزياني وربطه بآل البيت.

غير أن عناية الفئات الاجتماعية البسيطة أو العامة (على حد تعبير الاستغرافيا التاريخية للمغرب الأوسط) بالشرفاء كانت لأسباب وجدانية روحية أكثر منها مادية، استمدت مقوماتها من عمق المحبة التي يكنها هؤلاء لشخص الرسول ﷺ، بالإضافة إلى موقع الشرفاء في نفوس المتصوفة، واتصال سند أتباع أبي مدين بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه [6]، ناهيك على أن هذه الفئات نظرت إلى النسب الشريف على أنه مصدر للبركة مرتبط بالإرث السلالي

1- محمد فتحة: المرجع السابق، ص 237.

2- الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 155.

3- في كتابه **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، الجزائر: منشورات المكتبة الوطنية، 1980، جزءان.

4- في كتابه **نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، تحقيق: محمود بوعياد، الجزائر: منشورات المكتبة الوطنية، 1985.

5- في كتابه **النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب**، دراسة وتحقيق للجزء الثامن: الطاهر منزل، رسالة ماجيستر، جامعة قسنطينة 2، 2012م.

6- محمد فتحة: المرجع السابق، ص 238.

وكامن في الشريف الورع التقي الصالح الخير وهي صفات من عطايا الرسول ﷺ التي أودعها في ذريته، والتي كانت تمثل بالنسبة لمجتمع المغرب الأوسط دليل القدرة على تحقيق حاجات الفرد، فيلتمسون فعاليتها في أزمات الجفاف وعلاج الأمراض وتأمين المسافرين، ويعتبرونها سلاحا بيد الشريف يشهره في حالة هتك حرمته المقدسة[1].

وبعد تطرقنا إلى أهم العوامل التي كانت وراء الحظوة التي مني بها الشرفاء **حق لنا التساؤل عن مظاهر المرتبة الاجتماعية التي تبوؤها في المغرب الأوسط خلال القرون السابع والثامن والتاسع للهجرة/ 13-14-15م؟**

2- مظاهر المرتبة الاجتماعية للشرفاء

في هذا السياق يمكن الإشارة إلى العديد من المظاهر المختلفة والمتعددة التي برزت من خلالها المرتبة الاجتماعية المتميزة للأشراف نذكر من ذلك أنهم كانوا في مقدمة المخاطبين في الرسائل الرسمية فنعتوا بعبارات التبجيل والتقدير من قبيل "**الشرفاء المعظمين الأجلاء**" أو "**الشرفاء المعظمين الأصلاء**" أو "**الشرفاء المأثورين المرعيين الملحوظين المحترمين**"، ومن ذلك ما خاطب به أبو الحاج النميري (ت بعد 774هـ/ 1372م) أهالي قسنطينة لما غزاها أبو عنان المريني (759-729هـ/1328- 1357م) ما نصه: "**من عبد الله المتوكل على الله فارس أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين ابن مولانا أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي الحسن ...إلى الشرفاء المعظمين الأجلاء والفقهاء المكرمين الأسنياء والوجوه والأعيان**

1- الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 152.

والأمناء المرعيين الأثراء، والخاصة والعامة من أهل فلانة على الولاء. يسرهم الله لليسرى، وأطلع عليهم من سماء القراطيس نجوم البشرى، وجعلهم ممن ذكروا بشكر النعم، وتوالي الخير العمم فنفعتهم الذكرى..."[1].

وفي السياق نفسه يمكننا الإشارة إلى الرسالة التي بعث بها أبو عنان المريني إلى أهالي المسيلة من إنشاء ابن الحاج النميري: "**من عبد الله المتوكل على الله فارس أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي الحسن... إلى الشرفاء المعظمين الأصلاء والفقهاء الأجلاء والأشياخ والصلحاء المباركين والأتقياء والوجوه والأعيان المكرمين الأثراء، والأمناء المرعيين النصحاء والخاصة من أهل بلد كذا والعامة على الولاء ...**"[2].

كما نسجل عناية الحفصيين بالشرفاء في بجاية وقسنطينة فخصوهم بالأعطيات وأقطعوهم الأراضي، فها هو السلطان الحفصي أبا بكر بن أبي زكريا بن إسحاق (718هـ-747هـ/1318-1346م) الذي حكم بجاية وقسنطينة يقطع الشرفاء الرباع ويملكهم إياها[3] ، ونفس الشيء نجده عند السلطان أبو عثمان (894-839هـ/1435-1488م) الذي كان أيضا يكرم أهل البيت النبوي القاطنين بحضرته والوافدين عليها من جميع الأقطار يكسوهم

1- ابن الحاج النميري: **فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة من قسنطينة إلى الزاب**، تحقيق: محمد بن شقرون، الطبعة الأولى، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990م، ص 315.

2- المصدر نفسه، ص 480-481.

3- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشماع (ت بعد 861هـ/ 1457م): **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تحقيق وتقديم: الطاهر بن محمد المعموري، طرابلس: الدار العربية للكتاب، 1984، ص 89؛ والطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 155.

ويحسن إليهم ويعولهم [1]. وقد كان ولاة بجاية يعرفون الشرفاء بمدينتهم وحتى فقهاؤهم يعظمون آل البيت، ويجدر التنويه إلى فضل أبو العباس الغبريني (704هـ/1304م) في نقل بعض الملامح التي تصور لنا مكانة الشرفاء في بجاية ومظاهر تبجيل الناس لهم، فيذكر الغبريني قصة أبو الطاهر عمارة بن يحيي بن عمارة الشريف الحسني (ت بعد 575هـ/ بعد 1189م) الذي جمع بين شرف العلم وشرف النسب الذي أسر على أيدي الموحدين[2] ، فتشفع بنسبه الشريف ضمن قصيدة، ومنها نذكر:

سلام كعرف المندل الرطب في الجمر وإلا كما هب النسيم على الزهر
فلله در مقلتين بعبرة تعبر فوق الخد عن كامن السر
وقد راعني إيماض برق بذي الغضا كما ابتسم الزنجي عن بهج الثغر
بدا لي أن الليل أورى زناده ولا نار إلا نور برق له يسري
ونار بأكبادي أكابد حرها وقلب سليم قلب في لظى جمر
وما طائر فوق الغصون مسرح كمن بات مقصوص الجناحين في وكر
فلم أنس توديع البنين مصفدا وأصغرهم يجري وأدمعي تجري
أبا زيد إني بالحسين وسيلتي وجدي شفيع الناس في موقف الحشر[3]

1- ابن الشماع: **الأدلة البينة**، ص 129-131.

2- الغبريني: **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق: عادل نويهض، الطبعة الثانية، بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة، 1979، ص 45-46.

3- الغبريني: المصدر السابق، ص 47.

وتجدر الإشارة أن لأبي الطاهر عمارة بن يحيى (ت بعد 575هـ/1189م) ابنة تدعى عائشة بدورها جمعت بين العلم والشرف فكانت "**أديبة أريبة، فصيحة لبيبة**" حظيت بتقدير نخب عصرها، وأعجب الغبريني بخطها[1] . ويترجم صاحب "**عنوان الدراية** " لشريف من شرفاء القرن السابع الهجري / ق 13م ببجاية يدعى أبو محمد عبد الله الشريف، "**شريف بنسبه ومنصبه، فقيه معتبر المتعبد المتزهد المتكلم ... كان له بأصول الدين معرفة، وكان يقوم على "الإرشاد" لأبي المعالي قياما حسنا وله في علم العقائد باع وساع وفكر مطاع...وكان يحضر له خواص من الطلبة يلتمسون بركته، فيجدون منفعته..**" اشتغل بالخياطة وتجارة الصوف، ومراعاة لعلمه ودينه ونسبه استثناه أهل حرفته من أداء المكس، إلا أنه رفض هذا الاستثناء وأصر على أن يعامل مثل ما يعامل أصحاب حرفته[2] .

وعلى حسب ما يتراءى لنا فإن أبو محمد عبد الله الشريف نموذج نادر للشرفاء الذين رفضوا استغلال انتماءهم الأسري من أجل تحقيق أغراضهم الشخصية.

وما يجب أن يقال في هذا المقام أنه في حين أننا نجد نماذج مشرفة ذات نسب شريف ترفض العطايا والهبات والاستثناءات التي تميزهم عن باقي الفئات الاجتماعية، نجد صورة مشرفة لفقهاء رفعوا قبعة الاحترام لشرفاء مدينتهم، فها هو الفقيه أبو الحسن الحرالي (ت637هـ/1238م) ما إن يتعرف في مجلسه إلى شريف قيل له أنه مراكشي حتى "**عظمه واحترامه، وكان عليه**

1- الغبريني: المصدر السابق، ص 47-48.

2- المصدر نفسه، ص 195-196.

طيلسان مليح يساوي جملة كبيرة من الدراهم فنزعه ودفعه للرجل"[1]، وهو شأن كل المغاربة الذين كانوا يكنون المحبة والتقدير لآل بيت رسول ﷺ.

والظاهر أن الحظوة الاجتماعية لم تكن السبب الوحيد في جذب الشرفاء إلى مدينة بجاية فهناك اعتبارات أخرى منها الطموح السياسي، فقد دخلها أبو العباس الشريف الأصبهاني (ق7هـ/13م) بحثا عن الإمامة على حسب رواية الغبريني، والمقصود بها السلطة متخذا من التقية أسلوبا في رده على السلطان المستنصر الحفصي، ذلك أن هذا الأخير سأله عن مبتغاه، فأجاب أنه يبحث عن أخ له ببلاد المغرب ويبدو أن الأخ المقصود هو الإمام المهدي[2] .

وفي هذا السياق يجدر بنا التنويه على أهمية كتب الرحلة في تبيان مكانة الشرفاء في المغرب الأوسط، فحظوا بحظوة لا مثيل لها، ومن ذلك ما ذكره لنا أبو عبد الله محمد ابن بطوطة (ت 779هـ / 1377م) سنة 725هـ/1324م عن الشريف الذي حكم مدينة قسنطينة المدعو أبو الحسن[3] ، ومن شرفاء مدينة قسنطينة أيضا أسرة المقراني الأدارسة، وجد عبد الكريم الفوكون من أمه أبو عبد الله محمد بن قاسم الشريف الحسني الذي جمع بين الشرفين، شرف العلم وشرف النسب[4] . ومن الأشراف بمدينة قسنطينة الإمام عبد القادر بن

1- الغبريني: المصدر السابق، ص 147.

2- المصدر نفسه، ص183-184.

3- **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، اعتنى به وراجعه: درويش الجويدي، بيروت: منشورات شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، 1435هـ/2014م، ج1، ص22.

4- محمد قويسم: "**مدينة قسنطينة ما بين القرنين 07-10هـ/13-16م -دراسة سياسية، وعمرانية، واجتماعية، وثقافية-**"، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر2، 1436هـ-2015م، ص 175.

أحمد الإدريسي الجد الذي أخذ عن أبرز شيوخ قسنطينة، ثم انتقل إلى تلمسان وأخذ عن أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ / 1489م) وصار شيخ العلماء بقسنطينة [1].

وتجدر الإشارة إلى أن ندرومة بدورها قد احتوت على فئة الشرفاء، ومن الأشراف الساكنين بلد ندرومة فرقة من نسل سيدي عبد الوهاب من نسل موسى بن عبد الله الكامل بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، قيل إنهم نزحوا من بغداد بعد أن غزاها التتار وتفوقوا في الأوطان[2] ، كما حظي شرفاء مدينة مازونة برفعة المكانة والحضور الاجتماعي والسياسي[3] .

وبالرغم من أن بني عبد الواد لم يعطوا لموضوع الشرف أبعادا مماثلة لما كان عليه الأمر عند المرينيين في المغرب الأقصى والحفصيين في المغرب الأدنى، إلا أنهم أدركوا أهمية الشرف كدعامة أساسية في استمرار دولتهم، فقربوا إليهم الشرفاء وأوكلوهم مهام سياسية، فجعلوا منهم جلساءهم وسفراءهم إلى الملوك[4] ، فقد جعلهم السلطان أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ/1359-1388م) في المرتبة الأولى حيث يقول: "**يكون الشرفاء عندك أرفع الناس في الرتب لأنهم أشرفهم في الحسب وأعلاهم في النسب**"[5]. كما

1- محمد قويسم: المرجع السابق، ص175-176.

2- أبو العباس أحمد النويري (ت 732هـ / 1332م): **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: مصطفى أبو ضيف، الدار البيضاء- المغرب: دار النشر المغربية، 1984م، ص 175-200.

3- فريد قموح: **مقدمة تحقيق "الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبي زكريا يحيى بن موسى بن عيسى المازوني (ت883هـ/1478م) - دراسة وتحقيق لمسائل الجهاد والإيمان والنذور"**، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري-قسنطينة، 1432هـ/2011م، ص52.

4- الطاهر بونابي: **المرجع السابق**، ص 154.

5- **واسطة السلوك**، ص 111.

أوكل السلطان أبو تاشفين الأول (718-737هـ/1318-1337م) أبا علي حسين بن يحيى الحسني في سفارة إلى السلطان المريني أبي الحسن[1] . ولم يتوان السلطان أبو عبد الله المتوكل على الله (873-866هـ/1462-1488م) في عزل عامله على وطن مغراوة من بلاد الشلف لإهانته الشرفاء، ليعين مكانه عاملا آخر أوصاه بتعظيمهم واحترامهم[2] .

ويعد أبو عبد الله الشريف التلمساني (ت 771هـ/ 1369م)[3] من أكثر الشرفاء الذين لقوا خطوة في البلاط الزياني، وقد بلغت هذه الحظوة أن السلطان أبو حمو موسى الثاني (ت791هـ / 1388م) أصهر الشريف في ابنته، بمعنى أن الشريف التلمساني تزوج من ابنة السلطان، ناهيك عن أنه بنا له مدرسة سنة765هـ/1364م عرفت بالمدرسة اليعقوبية، وبقي يدرس فيها إلى أن توفي في 4 ذي الحجة 771هـ/1369م، ودفن عند قبر أبي يعقوب والد السلطان أبي حمو موسى الثاني وذلك بأمر من عنده تبركا له بجواره[4] . ورغم سكوت

1- يحيى بن خلدون: **بغية الرواد**، المصدر السابق، 1/ 180؛ والطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 154.

2- الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 154.

3- ابن مريم: **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية، الطبعة الأولى، الجزائر: مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، 1432هـ/2011م، ص 284؛ وابن خلدون: التعريف **بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا**، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، 2004، ص 70-71.

4- هو محمد بن أحمد بن علي بن يحيى بن علي بن محمد القاسم بن محمود ابن ميمون بن علي بن عبد الله بن عمر بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن ابن علي ابن أبي طالب، يكنى بأبي عبد الله الحسني ويعرف بالعلوي، ولد سنة 710هـ/1310م ببلدة العلويين عين الحوت حاليا، نشأ بها وبتلمسان نظرا لقرب المسافة بينهما، أخذ القرآن الكريم عن الشيخ أبي زيد بن يعقوب بن علي الصنهاجي وتتلمذ على يد محمد بن هدية القرشي، والولي الصالح عبد الله

المصادر عن إشارات تتعلق بموقع الشرفاء كهيئة عند سلاطين بني عبد الواد، فإننا نجد بعضها يؤكد طموحات الشرف والخلافة لدى بني عبد الواد، فالموقف الرسمي للسلاطين الزيانيين كان صامتا أحيانا، ومؤيدا لنسبهم من الأدارسة أحيانا أخرى، فالسلطان يغمراسن بن زيان (681-633هـ/1235-1282م) عندما سئل عن انتمائه لأل البيت كان جوابه: "**إن كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله وأما الدنيا فإنما نلناها بسيوفنا**"[1].

فصحيح أن بني زيان لم يدلوا بانتسابهم لآل البيت صراحة، ولم يستظهروا رسوم الآيات التي كان يتعامل لها في مثل هذه المسائل إلا أن عدم نفيهم له وظهور كتابات بلاطية تروج لشرفهم وتسعى لترسيخه في المخيال الشعبي يزيد من فرضية تشجيع السلاطين الزيانيين لها، ومن بين هذه الكتابات يمكننا الإشارة إلى عمل يحيى بن خلدون (780هـ/1378م) "**بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد** " الذي عبر عن موقفه المخالف لشقيقه عبد الرحمن حينما اعتبر أن الزيانيين وأجدادهم من بني القاسم يعودون في نسبهم وأصلهم إلى الأدارسة قائلا: "**بنو القاسم من ولد إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب**".

المجاصي وأبو عبد الله محمد بن أحمد التميمي فقيه وقاضي تلمسان وأبو موسى عمران المشذالي وعن الشيخ ابن النجار، كما انتقل إلى مجلس ابني الإمام عبد الرحمان أبو زيد وعيسى أبو موسى للتفقه في أصول الفقه وعلم الكلام، ثم لزم حلقة شيخ العلوم العقلية الشيخ الآبلي ... ا بن خلدون: **التعريف بابن خلدون**، المصدر السابق، ص 69-71؛ وابن مريم: المصدر السابق، ص 281-287.

1- ابن خلدون: **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، مراجعة: خليل شحاتة، بيروت: دار الفكر، 2000م، 97/7.

والظاهر أن محمد بن عبد الله التنسي (899هـ/ 1494م) من خلال كتابه "**نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**" قد شارك يحيى بن خلدون في موقفه من شرف بني زيان، فربط نسب سلطانه أبو عبد الله محمد المتوكل (866-873هـ/1462-1468م) بآل البيت، فهو: "**أبو عبد الله محمد بن محمد، بن أبي ثابت بن أبي تاشفين عبد الرحمن أبي حمو موسى بن يوسف بن الأحمر، بن يحيى بن يغمراسن، بن زيان بن ثابت بن محمد بن زيان، بن ثابت، بن محمد بن بن زيدان بن يندوكس بن طاع الله علي بن يسل بن برجي بن القاسم... والقاسم جد أمير المؤمنين، اتفق النساب على أنه من ولد عبد الله الكامل، بن الحسن المثني بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، لكن اختلفوا في طريق اتصاله به، فقيل أنه القاسم بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل، وقيل أنه ابن محمد ابن إدريس ابن إدريس بن عبد الله...**"[1].

ومن الغريب جدا أن ينظم مؤرخ بحجم لسان الدين ابن الخطيب (ت776هـ/ 1374م) إلى كل من يحيى ابن خلدون ومحمد بن عبد الله التنسي في تأكيد نسب بني زيان إلى آل البيت وذلك من خلال قصيدة رفعها إلى أبي حمو الثاني (ت 791هـ / 1388م) فيقول[2] :

1- **نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، ص 109-110.

2- أحمد بن محمد المقري: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، د.ت، 198/6؛ و**أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، تحقيق: مصطفى السقا وآخران، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1939م،1/ 253-254.

من أنكر الفضل الذي أوتيته جحد العيان وأنكر المحسوسا
من دان بالإخلاص فيك فعقده لا يقبل التمويه والتلبيسا
والمنتمي العلوي عيصك لم تكن لترى دخيلا في بنيه دسيسا
بيت البتول ومنبت الشرف الذي تحمي الملائك دوحه المغروسا

فما هو سر إقرار لسان الدين ابن الخطيب بشرف بني زيان يا ترى؟!!

ومن جهة أخرى بإمكاننا الإشارة إلى موقف عبد الرحمن بن خلدون الرافض لانتساب بني زيان إلى آل البيت، والمفند لطرح كل من أخيه يحيى وصديقه لسان الدين ابن الخطيب ومحمد بن عبد الله التنسي في كتابه "**العبر**" تحت عنوان: "**الخبر عن بني عبد الواد من هذه الطبقة الثانية وما كان لهم بتلمسان وبلاد المغرب الأوسط من الملك والسلطان وكيف كان مبدأ أمرهم ومصائر أحوالهم**"[1]، فاستعرض فيه مختلف بطون قبيلة بني عبد الواد[2]،

1- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، 97/7.

2- وفيهم يقول عبد الرحمن بن خلدون: "**وقد تقدم لنا في أول هذه الطبقة الثانية من زناتة ذكر بني عبد الواد هؤلاء، وأنهم من ولد يادين بن محمد إخوة توجين ومصاب وزردال وبني راشد، وأن نسبهم يرتفع إلى رزجيك بن واسين بن ورسيك بن جانا، وذكرنا كيف كانت حالهم قبل الملك في مواطنهم تلك، وكان إخوانهم بمصاب وجبل راشد وفيكيك وملوية، ووصفنا من حال فتنتهم مع بني مرين إخوانهم المجتمعين معهم بالنسب في رزجيك بن واسين، ولم يزل بنو عبد الواد هؤلاء بمواطنهم تلك وبنو راشد وبنو زردال ومصاب منجدين إليهم بالنسب والحلف، وبنو توجين منابذين لهم أكثر أزمانهم، ولم يزالوا جميعا متغلبين على ضاحية المغرب الأوسط عامة الأزمان، وكانوا تبعا فيه لبني ومانوا وبني يلومي حين كان لهم التغلب فيهم، وربما يقال: كان شيخهم لذلك العهد يعرف بيوسف بن تكفا، حتى إذا نزل عبد المؤمن والموحدون نواحي تلمسان،**

وأشار إلى زعم بنو القاسم بأنهم من أولاد القاسم بن إدريس فيقول: "**ويزعم بنو القاسم هؤلاء أنهم من أولاد القاسم بن إدريس، وربما قالوا في هذا القاسم إنه ابن محمد بن إدريس، أو ابن محمد ابن عبد الله، أو ابن محمد ابن القاسم وكلهم من أعقاب إدريس، زعما لا مستند له إلا اتفاق بني القاسم هؤلاء عليه، مع أن البادية بعداه عن معرفة هذه الأنساب والله أعلم بصحة ذلك**"[1].

فعبد الرحمن بن خلدون لم يتردد في نسب مجموع زناته إلى الأمازيغ، فقد أكد على قدم وجودهم بأرض المغرب وذلك قبل أن يدخله عربي شريف النسب أو غير شريف، فقال: "**أما أولية هذا الجيل الزناتي بافريقية والمغرب فهي مساوقة لأولية البربر منذ أحقاب متطاولة لا يعلم مبدأها إلا الله تعالى، ولهم شعوب أكثر من أن تحصى مثل مغراوة وبني يفرن وجراوة وبني يرنيان ووجديجن وغمرة وبني ويجفش و واسين وبني تيغرست وبني مرين وتوجين وبني عبد الواد وبني راشد وبني برزال وبني ورنيد وبني زنداك وغيرهم، وفي كل واحد من هذه الشعوب بطون متعددة، وكانت مواطن هذا الجيل من لدن جهات طرابلس إلى جبل أوراس والزاب إلى قبلة تلمسان ثم إلى وادي ملوية...**"[2].

وسارت عساكرهم إلى بلاد زناتة تحت راية الشيخ أبي حفص، فأوقعوا بهم كما ذكرناه، وحسنت بعد ذلك طاعة بني عبد الواد وانحياشهم إلى الموحدين، وكانت بطونهم وشعوبهم كثيرة أظهرها فيما يذكرون ستة: بنو ياتكين وبنو وللوا وبنو ورصطفومصوصة وبنو تومرت وبنو القاسم، ويقولون بلسانهم آيت القاسم وآيت حرف الإضافة النسبية عندهم...". ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، 97/7..

1- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، 97/7..

2- المصدر نفسه، 11/7.

من خلال ما سبق ذكره تتوضح لنا مظاهر المكانة الاجتماعية التي حظي بها الأشراف من قبل أفراد المجتمع، حيث كان يتم التمييز دوما بين الشريف والدنيء رجالا ونساء في المعاملات المختلفة وشؤون الحياة الدنيوية، سواء على مستوى تعليم الأطفال، فمن خلال بعض النصوص المبثوثة في كتب التراجم يتضح لنا بأنه كانت هناك طبقية وتمييز في التعليم، فقد لقي أولاد الشرفاء والعظماء عناية فائقة وتعليم خاص على يد أكبر المشايخ، وحسبنا في ذلك الأستاذ النحوي أبو عبد الله بن زيد شيخ عبد الله بن محمد بن أحمد الشريف التلمساني الحسيني (ت792هـ/ 1389م) الذي كان ينتقي طلبته من الشرفاء والعظماء لعلو قدره في النحو والقراءة[1].

أو تقديم الموثق في كتابته للوثائق "**اسم الشريف على المشروف**"، وفي باقي مناحي الحياة اليومية، كما عومل الشريف معاملة خاصة تختلف عن معاملة باقي الناس، فانضاف إلى اسمه الشخصي كلمة "**سيدي**" أو "**سيدي بن سيدي**"، وقبلت يده، كما جُعل من مناسبة الاحتفال بعيد المولد النبوي مناسبة لختان الأطفال، ناهيك عن تقديم الهدايا والعطايا له إن كان من قبل السلطة أو أثرياء المنطقة، ضف إلى ذلك محاولة البعض التصاهر مع الشرفاء كوسيلة للرقي الاجتماعي، ولعل مصاهرة أبو حمو موسى الزياني الثاني لأبي عبد الله الشريف التلمساني (زوج ابنته) أكبر دليل على المكانة التي تبوأها شرفاء المغرب الأوسط[2].

1- أحمد بابا التمبكتي: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، الطبعة الأولى، طرابلس-ليبيا: منشورات كلية الدعوة الإسلامية، 1989م، ج1-2، ص 225-226.

2- ابن مريم: المصدر السابق، ص 284.

إن مكانة الشرفاء في المجتمع ظهرت أيضا عبر علامات النفوذ الاجتماعي كالمسكن والأعراس، وممارسة الرماية وكثرة الأملاك وغيرها. لكن هذا لا يعني أن جميع الأشراف كانوا من الشريحة الميسورة[1] ، فالاستغرافيا التاريخية للمغرب الأوسط تسعفنا بالعديد من الإشارات إلى شرفاء فقراء عرف عنهم العوز، هذا العوز قد يكون بسبب خيارات شخصية لبعض الشرفاء الذين مالوا إلى الزهد والتقشف، أو بسبب تعفف من البعض وترفع عن أموال السلطة لما في ذلك من شبهات، أو بسبب تهميش ذلك أن عطايا وهبات السلطة لم تشمل جميع شرفاء المغرب الأوسط.

خاتمة

قصارى القول إن الشرفاء احتلوا موقعا اجتماعيا متميزا ظهر عبر أغلب العلاقات التي جمعت السلطة بالمجتمع، إلا أنه وبالرغم من أن نظرة السلطة والمجتمع لهم كانت إيجابية في معظم الأحيان وبالرغم من سعي بعض النخب العالمة من اجل تكريس المشروعية لهذه الشريحة الاجتماعية (بطلب من السلطة)، والعمل على الاستثمار في ذهنية إنسان المغرب الأوسط من أجل إبراز الشرف السلالي كأرفع أنواع الشرف بوصفه القالب السياسي الذي اختارته السلطة لشرعيتها وإخضاع طبقة العامة لخدمة أصحاب الحق السلالي و الديني، وبالرغم من محاولات النخب العالمة المتكررة من أجل دحض هذا الحق المزعوم وتغيير هذا الوضع الاجتماعي والسياسي، وأن هذه المحاولات قد باءت بالفشل وذلك بسبب عجز النخب العالمة من الوصول إلى ذهنية العامة والتأثير فيها وتجدر فكرة الحق السلالي في هذه الذهنية[2].

1- محمد ياسر الهلالي: المرجع السابق، ص 190.

2- الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 180-181.

وبالرغم من كل ما سبق إلا أننا نجد في طيات كتب الاستغرافيا التاريخية لعلماء المغرب الأوسط صيحات من أصحابها ترفض "استمرار نجاعة فكرة الشرف في عصرهم، محيلين إلى مرحلة سياسية واجتماعية كان من المفروض أن يعيشها المغرب الإسلامي برمته والمغرب الأوسط بصفة خاصة، وفق تصوراتهم كبعث الخلافة وإصلاح السلطة عند المقري، وتجديد دورة العصبية وما يتمخض عنها لدى ابن خلدون، وإصلاح الفرد والمجتمع وفق منظور ابن القنفذ، واشتراكهم في الدفع بعجلة انهيار التراتب الاجتماعي ومن بين فصوله إنهاء فكرة الشرف من قاموس المشروعية السياسية والوسطية وإبعاد شريحة الشرفاء من دائرة الفعاليات الصانعة لمسار نظام الحكم والذهنية الاجتماعية، وليس كما تصورهما بعض الدراسات مجرد صراع بين فئتين اجتماعيتين –النخبة والشرفاء– تنتزعان القرب من مقعد السلطان"[1].

1– الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص180.

التعليم العالي في مدينة قسنطينة بالمغرب الأوسط (الجزائر) نهاية العصر الوسيط

High Teaching In Quarantine City in Middle Maghreb(Algeria) At the End of Medieval

د/ محمد قويسم
جامعة 20 أوت 1955- سكيكدة

الملخص

عرف المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط تطور في كل المجالات السياسية والعسكرية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، منها التعليم بكل أركانه، من مدارس، ومقررات دراسية، مناهج وطرائق التدريس، معلمين وعلماء، تلاميذ وطلبة، وورقات ومكتبات، وتعليم عالي من خلال الإجازات(بكالوريوس/ليسانس) العلمية والرحلات العلمية. تهدف هذه الورقة البحثية إلى دراسة التعليم العالي بمدينة قسنطينة نهاية العصر الوسيط، من حيث العلماء والمؤسسات وهي المساجد الجامعة والزوايا الكبرى، والإجازات.

الكلمات المفتاحية: المغرب الأوسط، التعليم، المناهج، البرامج، إجازة.

Abstract

During the Middle Ages, the Islamic Maghreb has developed in all political, military, administrative, economic, social and cultural fields, including education in all its pillars, from schools, curricula, curricula and teaching methods, teachers and scholars, students and students, papers and libraries .This research paper aims to study high teaching in the city of Constantine, during the end of the middle age of the 7-10 centuries AH corresponding to the ages 13-16 AD,scholars,institutions(Great Mosques and Zawaya).

Key words: Middle Maghreb,teaching , methods, programs, bacalaurius .

مقدمة

التعليم هو عملية تدريس العلم والمعرفة بداية بالكتابة والقراءة حتى الإنتاج المعرفي والعلمي، مرحلة الإنتاج المعرفي والعلمي يسمى بالتعليم العالي يكون على يد علماء بارعين في تخصصاتهم العلمية والمعرفية. تمثلت الحركة العلمية والفكرية في مدينة قسنطينة أولا من الحركة التعليمية وعوامل تطورها من حيث التعليم والرحلات والإجازات العلمية...، والسؤال المطروح: **كيف كان التعليم العالي في مدينة قسنطينة بين القرنين07-10هـ/ 13-16م؟ وماهي مؤسساته؟ وكيف كانت تقدم إجازته؟**

أولا/ مؤسسات التعليم العالي في مدينة قسنطينة نهاية العصر الوسيط

كان التعليم العالي يتم في أهم مساجد قسنطينة الأربع عشر وهو جامع القصبة والجامع الكبير ومن أهم مدارسها ثلاث مدارس هي: مدرسة آفوناس، ومدرسة آل الفكون، ومدرسة عمر الوزا [1].

وكانت الزوايا هي الأخرى تلقى فيها الدروس وتقام فيها الصلوات الخمس مثل زاوية الملاري الصوفي جد المؤرخ العالم القسنطيني أحمد بن قنفذ من أمه المتوفى سنة 764هـ/ 1362م، وازدادت منافسة الزاوية للمسجد والمدرسة في نشر التعليم مند القرن التاسع الهجري الموافق للسادس عشر الميلادي حيث زاد الاعتقاد بالشيخ والالتفاف حول الزاوية والضريح، في ظل

(1) الغبريني: **عنوان الدراية فيمن عرف من علماء المائة السابعة ببجاية**، تحقيق، نشر، محمد أبو شنب الجزائر1910، ص280، عبد العزيز فيلالي: **جوانب من الحياة الثقافية والفكرية لمدينة قسنطينة في العهد الحفصي**، مجلة سيرتا، عدد 10، معهد العلوم الاجتماعية جامعة قسنطينة 1408 هـ/ 1988م، ص ص73، 75، أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر**، ج1 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الجزائر1981، ص185.

تطور التصوف من العلمي العملي الزهدي الفردي إلى تصوف شعبي فيه كثير من الأباطيل والخرافات، وبلغ عدد الزوايا بمدينة قسنطينة أكثر من ثمان زوايا [1].

ورغم ذلك زادت أهمية المسجد إذ تحول إلى جامعة أو معهد عال بالإضافة إلى كونه مؤسسة للعبادة، كانت تلقى فيه حلقات البحث، وتنظم فيه المحاورات الفقهية والمناظرات العلمية، والمطارحات الأدبية واللغوية ودروس الوعظ والإرشاد والإفتاء خاصة بالجامع الأعظم بالقصبة والجامع الكبير [2].

ومن يريد مواصلة دراسة هذه العلوم والإجازة فيها ينتقل إلى جامع الزيتونة في مدينة تونس وجامع القرويين في مدينة فاس والجامع الأزهر بمدينة القاهرة، والرحلة إلى البلدان العربية الإسلامية، دون أية عراقيل سياسية وإدارية حيث كانت الرحلة في طلب العلم من التقاليد الراسخة والمحمودة، مما يعني أن المغرب الأوسط بجزئه الحفصي أو جزءه الزياني كان يفتقر إلى جامع للإجازة في العلوم خاصة الطبيعية والتجريبية منها رغم وجود العلماء من أبنائه الذين يجيزون الطلاب في كل حواضر العالم الإسلامي [3].

---

(1) الزركشي: **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق، محمد منصور المكتبة العتيقة، تونس، 1289 هـ/ 1966م، ص 60، عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص74، أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، ص38.

(2) الغبريني: المصدر السابق، ص91، 94، عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص75، محمد المهدي بن علي شغيب: **أم الحواضر في الماضي والحاضر**، تاريخ مدينة قسنطينة مطبعة البعث للنشر والتوزيع قسنطينة الجزائر 1980، ص232.

(3) الغبريني: المصدر السابق، ص ص28-29، 214، عبد الحميد حاجيات: **الحياة الفكرية بالجزائر، في عهد بني زيان، الجزائر في التاريخ**، ج 3، وزارة السياحة والثقافة، المؤسسة الوطنية

ثانيا/ الإجازة العلمية في مدينة قسنطينة نهاية العصر الوسيط

الإجازة العلمية يتحصل عليها طلبة العلم من مشايخهم فقط تتويجا لمجهودهم العلمي، شهادة تثبت رسوخ أقدامهم في علم من العلوم أو تضلعه في كتاب من الكتب، وهي بذلك إذن شخصي من طرف الشيخ وتفويض منه إلى الطالب بممارسة التدريس أو الفتيا، والإجازة نوعين عامة وخاصة، وقد شاعت العامة (لكل ما درسه الشيخ من العلوم المختلفة) حتى غلب ذكرها على الإجازة الخاصة (في كتاب أو فن من فنون العلم)، وكانت الإجازة تعطى على شكل وثيقة أو شهادة مكتوبة من طرف الشيخ إلى الطالب أو عن طريق المشافهة التي يفضي بها الشيخ إلى الطالب بعد أن التمس منه التمكن فيما أخذه من العلوم، وتتضمن بعد البسملة والحمد لله والصلاة والسلام على ﷺ والتعريف بالمجاز والمجيز، ثم أنواع العلوم المجاز فيها فدعاء الختم وتاريخ تسليمها واسم مسلمها [1].

ولقد برز من اهتمام علماء المغرب الأوسط عامة وعلماء مدينة قسنطينة بها أن هاجروا إلى جل الأقطار الإسلامية مشرقا ومغربا للاستجازة (لنيل الإجازة) وهم أبو العباس أحمد بن الخطيب ابن قنفذ الذي أجازه ابن عرفة التونسي في جامع الزيتونة سنة 777هـ/ 1375م، قاسم بن عبد الله بن منصور

للكتاب، الجزائر1984، ص438، عبد العزيز فيلالي: **مدينة قسنطينة في العصر الوسيط، دراسة سياسية عمرانية ثقافية**، دار البعث، قسنطينة، 2002، ص109.

(1) الشمني، محمد بن محمد بن حسن: **إجازة الشمني لأبي سعيد السلاوي وولده**، دراسة، تحقيق، الحسين بن محمد الحدادي، ط1، دار البشائر الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية 2005، ص ص15-16، مصطفى عبد الكريم الخطيب: **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان1996، ص ص1819.

بن عيسى الهلالي القسنطيني (ت849هـ/ 1445م) الذي درس في قسنطينة ثم هاجر إلى مدينة تونس لطلب العلم ثم حج في السنة التي توفي فيها ولقي شمس السخاوي الذي ذكره بقوله: "**وقدم لنا حاجا في سنة 849هـ/ 1445م) فلقيه بالميدان في جماعة وأجاز لنا**" [1]، أي أجاز للمؤرخ السخاوي شمس الدين وجماعة أخرى من شيوخ بلاد المشرق.

وكان حسن بن خلف الله بن حسن بن باديس القسنطيني (كان حيا سنة764هـ/ 1362م) ذا سمت حسن، وحال مستحسن، له اعتناء بالعلوم ومشاركة فيها، ولقي في رحلته إلى الحجاز أعلاما كثيرة وأخذ عنهم وأجازوا له إجازة عامة، وأجاز له من المغاربة المتأخرين جماعة هم الشيخ الخطيب أبي عبد الله محمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولي، والشيخ الخطيب البليغ المحدث الرواية أبي محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني، والشيخ الخطيب القاضي الأعدل المحدث المسند الرواية أبي البركات محمد بن أبي بكر محمد بن إبراهيم بن الحاج السلمي البلفيفي، والشيخ الفقيه الصالح أبي عبد الله محمد بن سعيد الرعيني، والشيخ الفقيه الحاج الخطيب المقرئ أبي علي عمر بن محمد البطوي الشهير بابن بحر، وقال السراج وهؤلاء الثلاثة الأخيرين شاركته فيهم قرأت عليه وسمعت، وأجاز لي الإجازة العامة، في جميع

(1) السخاوي، شمس الدين: **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، ج8، القاهرة، مصر (د ت)، ص36، عبد العزيز فيلالي: **مدينة قسنطينة في العصر الوسيط**، المرجع السابق، ص156، محمد بن عزوز: **ضوء السراج في ترجمة أبي السراج**، ط1، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء المغرب، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان ،2009، ص ص244، 245.

ما يصح عندي من روايته، وأطلق لي في ذلك بشرطه، وكتب لي خطه في مرات آخرها في شهر رجب الفرد عام أربعة وستين وسبعماية [1].

من هؤلاء في القرن السابع الهجري القاضي أبو العباس أحمد بن الغماز البلنسي الذي ولي القضاء في الأندلس نائبا، ثم ولي قضاء قسنطينة وبجاية وعملهما والخطابة فيها، ثم بعد ذلك قضاء الجماعة ببلد تونس وأعمالها لخمسة من ملوكها، وتوفي قاضيا سنة693هـ/ 1293م، والذي أجاز محمد بن جابر الوادي آشي صاحب كتاب البرنامج في كل ما تصح له روايته بشروطها، ولازمه حتى وفاته ليلة يوم الخميس العاشر محرم عام693هـ/ 1264م [2].

---

(1) ابن قنفذ أحمد القسنطيني: **أنس الفقير وعز الحقير** ،نشر، محمد الفاسي وأدولف فور، الرباط، المغرب، 1965، ص 92، ابن الحاج، النميري: **فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب**، تحقيق، محمد شقرون دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان،1990، ص329، أحمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، طبع على هامش كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان (د ت)، ص108، محمد بن عزوز: المرجع السابق، ص ص201، 202، عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى الوقت الحاضر**، مؤسسة نويهض الثقافية بيروت لبنان 1983، ص61.

(2) ابن قنفذ أحمد القسنطيني: **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، نشر، محمد الشاذلي وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس1968، ص ص138، 141، 151، الوفيات، تحقيق، عادل نويهض منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان 1971، ص 52، الوادي آشي، محمد بن جابر: **البرنامج**، تحقيق محمد محفوظ، ط3، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان 1982، ص37-40، المراكشي، بن عبد الملك: **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، ج1، تحقيق، إحسان عباس دار الثقافة بيروت، لبنان (د ت)، ص ص409، 413، السراج، محمد بن محمد الوزير: **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**،ج1، تحقيق، تقديم، محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1985 ، ص66، العبدري: **الرحلة المسماة الرحلة المغربية**، تحقيق، محمد الفاسي جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب 1387هـ/

ولما دخل الفقيه العالم أبي حفص عمر الأنصاري القسنطيني المشهور بالوزان إلى مصر بعد دراسته في مدينة قسنطينة وفي تونس، أخذ عن الأخوين الفقيهين الإمام شهاب الدين والإمام ناصر الدين اللقانيين، وأكثر عن ناصر الدين وأجازه في صحيحي البخاري ومسلم، والموطأ، ودلائل النبوة للبيهقي، وتذكرة القرطبي، وفرعي ابن الحاجب، ومختصر خليل، ومختصر مطول لسعد التفتازاني، وشرح العضد لأصلي ابن الحاجب، وشرح التفتازاني لعقائد النسفي، وشرح بدر الدين ابن مالك لألفية أبيه، وشرحها المسمى بأوضح المسالك لابن هشام المصري وغيرهما، وكتب ناصر الدين لشيخنا الوزان إجازتين بخط يده وأشهد على كل منهما جماعة من أصحابه، وتوفي عمر الوزان سنة 960هـ/ 1552م أو ما قبلها [1].

1968م، ص ص240، 243، ابن الأحمر : **مستودع العلامة ومستبدع العلامة**، تحقيق، محمد التريكي التونسي، مراجعة محمد بن تاويت الطنجي، منشورات جامعة محمد الخامس الرباط، المغرب1964،ص32، الذهبي أبو عبد الله محمد: **المشتبه في الرجال أسماؤهم وأنسابهم**، ج2، تحقيق علي محمد البجاوي، ط2، الدار العلمية، دلهي الهند1987، ص ص471، 473، عبد الحي الكتاني: **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمسلسلات**.، ج2، تحقيق احسان عباس، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان1982،ص258، محمد العنابي: **بين المعالم والآثار**، مجلة الفكر، السنة 19، العدد8، ماي 1974، ص ص91، 95.

(1) عبد الكريم الفكون: **منشور الهداية**، تحقيق، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان2005، ص ص35، 38، المنجور ،أحمد: **الفهرس**، تحقيق، محمد حجي، مطبوعات دار الغرب للتأليف والترجمة الرباط، المغرب 1976، ص32، أحمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج**، المصدر السابق، ص197، ابن القاضي، أحمد: **درة الحجال في أسماء الرجال**، المطبعة الجديدة، الرباط، المغرب 1936،ص418، عمر رضا كحالة: **المؤلفين وتراجم مصنفي الكتب العربية**، ج7، مكتب المثنى، بغداد، العراق، ودار إحياء التراث العربي بيروت ،لبنان(د ت)، ص21، عبد الرحمن الجيلالي: **تاريخ الجزائر**، ج3، دار الثقافة للطباعة والنشر بيروت، لبنان 1983،

وأبو شامل كمال الدين محمد بن حسن الشمني التميمي الإسكندراني المالكي (ت821هـ/ 1418م) الذي أستجازه أبو سعيد البلوي وابنه ووضع في ذلك كتاب يوثق لذلك أو ما يسمى بفهرسة مروياته في القراءات والحديث (الصحاح، والسنن، والمسانيد والأجزاء)، وعلوم الحديث، مع ذكر أسانيده لكل كتاب أو جزء فيها ثم ذكر نص السماع والإجازة لهما [1].

ومن الذين نالوا الإجازة من عدة علماء أثناء رحلته الدينية (الحج) والعلمية إلى المشرق أبو علي حسن بن خلف الله بن حسن بن أبي القاسم بن ميمون ابن باديس القسنطيني، لقى في رحلته للحجاز أعلاما كثيرة وأخذ عنهم وأجازوه وهم أثير الدين أبي حيان، والراوية الرحالة بن جابر القيسي الوادآشي، وابن غريون البجائي، ومن المغاربة القاضي الخطيب بن عبد الرزاق الجزولي، والقاضي البليغ المحدث محمد بن أحمد بن مرزوق، والخطيب القاضي الأعدل الراوية أبو البركات بن الحاج البلقيني، والفقيه الحاج الصالح أبو عبد الله بن

ص106، عادل نويهض: المرجع السابق، ص342، محمد المهدي بن علي شغيب: **أم الحواضر في الماضي والحاضر**، تاريخ مدينة قسنطينة مطبعة البعث للنشر والتوزيع قسنطينة الجزائر 1980، ص ص140، 145، علي علواش: **عمر بن الوزان، معجم مشاهير المغاربة**، تنسيق أبو عمران الشيخ وتقرير ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، 1995، ص ص 482، 484، عبد المنعم القاسمي: **أعلام التصوف في الجزائر، مند ظهورها إلى غاية الحرب العالمية الأولى دراسة إحصائية تحليلية**، دار الخليل للنشر والتوزيع، بوسعادة المسيلة الجزائر، 2005، ص ص255، 258، أبو القاسم الحفناوي: **تعريف الخلف برجال السلف**، ج1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1906، ص81، محمد بن محمد مخلوف: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ج1، خرج حواشيه وعلق عليه عبد المجيد خيالي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان 2002، ص283.

(1) الشمني، محمد بن محمد بن حسن: المصدر السابق، ص14، السخاوي، شمس الدين: **الضوء اللامع**، المصدر السابق، ج05، ص ص 74-75.

سعيد الرعيني، والفقيه الحاج الخطيب أبو علي عمر بن محمد المعروف بن البحر [1].

ومما جاء عن الشيخ عمر بن محمد الكماد الأنصاري القسنطيني أن الشيخ اليسيتني أخذ عنه الأصلين والبيان وغيرهما، وقرأ عليه معالم الفخر قراءة بحث وتحقيق، ويفهم من قراءة بحث وتحقيق ما يشبه اليوم دراسات معمقة أو عليا ما بعد الإجازة [2].

وقام العالم القسنطيني محمد بن عبد الرحمان الفاسي القسنطيني بإجازة أحمد بن مخلوف الشابي مع الرصاع صاحب الفهرست، وأبو عبد الله محمد البيدموري الخطيب بجامع أبي محمد المرجاني والمدرس بالمنتصرية، وكانت الإجازة لمنح المشروعية ترفع عنه تهمة الخروج عن السنة، حيث جاء في إجازة محمد بن عبد الرحمان القسنطيني: "**جالسته مرارا وباحثته أطوارا وخبرته اختبار مثله من الأفاضل وتداولت الكلام معه في كثير من المسائل، فما رأيت إلا أجوبة فاضلة تشهد بحسن نيته، وطريقة صالحة تدل على جميل طويته**" [3]. وأحمد النقاوسي المتوفى 810هـ/ 1407م أخذ عن الشيخ عيسى بن أحمد

---

(1) أحمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج**، المصدر السابق، ص40، 146، محمد المهدي بن علي شغيب: المرجع السابق، ص85.

(2) عبد الكريم الفكون: م**نشور الهداية**، المصدر السابق، ص ص44، 77، 78، أبو القاسم الحفناوي: المرجع السابق، ج1، ص ص88، 89، محمد المهدي بن علي شغيب: المرجع السابق، ص85.

(3) أحمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج**، المصدر السابق، ص 310، السراج، محمد بن محمد الوزير: المصدر السابق، ج1، ص612، نللي سلامة العامري: **الولاية والمجتمع، مساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي لافريقية في العهد الحفصي**، تق، هشام جعيط، جامعة منوبة تونس2001، ص ص465-466.

الغبريني التونسي المتوفى سنة 813هـ/ 1410م أو815هـ/ 1412م أخذ عنه الإجازة في القصيدة الشهيرة بالمنفرجة لناظمها يوسف بن محمد المعروف بابن النحوي التوزري القلعي الحمادي [1].

خاتمة

خلاصة القول أن مدينة قسنطينة في نهاية العصر الوسيط كان بها تعليم عالي بعد التعليم الابتدائي والإعدادي(المتوسط) والثانوي من خلال إعطاء الإجازات العلمية من طرف علماء مشهود لهم بالكفاءة العلمية، أي أساتذة تمنحون شهادة الإجازة (بكالوريوس/ ليسانس) لطلابهم في المساجد والزوايا الكبرى مثل الجامع الكبير وجامع القصبة.

وكانت الإجازة نوعان عامة وخاصة، العامة في علوم مثل علوم القرآن وعلوم الحديث، والفقه وأصوله...وإجازة خاصة في مادة أو كتاب معين مثل الإجازة في قصيدة المنفرجة، والإجازة في البيان وفي الأصلين وفي معالم الفخر... والإجازة وثيقة مكتوبة يذكر فيها المجاز والمجيز وأنواع العلوم المجاز فيها وتاريخها... وكان بعد الإجازة الأخذ قراءة بحث وتحقيق وهو الدراسات العليا مثل الدراسات المعمقة، والماجستير والدكتوراه.

(1) أحمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج**، المصدر السابق، ص76، أبو القاسم الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص96، باشا البغدادي: **هدية العارفين لأسماء المؤلفين والمصنفين** تحقيق، آغا برزك الطهراني دار الفكر القاهرة، مصر 1982، ص118، عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج2، ص320، أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1ص ص80-82، عادل نويهض: المرجع السابق، ص ص331-332، علي علواش: **أحمد النقاوسي، معجم مشاهير المغاربة**، ص ص473-474.

القسم الرابع

بحوث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر

القادرية الكنتية في الجزائر وموريتانيا وغرب إفريقيا

Kantian Qadiriya in Algeria, Mauritania and West Africa

✍ د/ آدب ولد سيد امحمد
جامعة العيون - موريتانيا

مقدمة

انتشر التصوف في المغرب الإسلامي مع نهاية حكم الموحدين، وعرف توسعا وانتشاراً في بلاد السودان في العصور التالية، وقد عزز ذلك التبادل التجاري والاحتكاك الثقافي بين حواضر المغرب، وخاصة تلمسان وفاس وحوض نهر النيجر في عهد الزيانيين والمرينيين والسعديين، وحكام الجزائر في العهد العثماني، وقد سار في الصحراء بين الكنتيين فتأثروا بحركة التصوف الآتية من الشمال[1]، وترى جل الدراسات أن الكنتيين هم أول من أدخل الطريقة القادرية إلى أقاليم المغرب الصحراوية وأجزاء كبيرة من شمال إفريقيا، وغربها[2]، ومما لاشك فيه أن الكنتيين هم أول من أدخل الطريقة القادرية إلى الصحراء وغرب إفريقيا ، ولهذا السبب عرفت الطريقة القادرية في غرب إفريقيا والصحراء بالطريقة القادرية الكنتية، ولم يدعِ الكنتيون أنهم مبشرون لطريقة جديدة بل كانوا يقولون: إن طريقتهم هي الطريقة القادرية التي تلقوها بكل صفائها ونقائها

1- محمّد الصّالح حوتيّة، **آل كنتة دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة**، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2008م، ص236.

2- أجه ولد محمد، "**دور القادرية الكنتية فيا لتبادل الثقافي بين بلاد شنقيط والمغرب خلال القرنين 18-19م**"، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد الثامن، جامعة نواكشوط، 2015م، ص7ومابعدها.

من مؤسسها الأول عبد القادر الجيلاني المتوفى ببغداد سنة 1166م[1]، وفي هذا المقال نحاول التعرف على مراحل انتشار القادرية الكنتية في الجزائر وموريتانيا والسودان الغربي.

أولا/ نشأة الفكر الصوفي الكنتي

لقد انتقلت الطريقة القادرية إلى الصحراء والسودان الغربي عبر الشيخ سيد أحمد البكاي الكنتي الذي عمل على نشرها في الجزء الغربي من الصحراء الكبرى أي في جنوب المغرب الأقصى، وامتد نفوذه في اتجاه الجنوب الجزائري ؛ ليشمل واحات توات، والهقار، ومنه إلى أطراف السودان الغربي[2]،كما أدخلها إلى السنغال[3]،حيث أرسل أحد أبناءه الحاج بوبكر، ومن نافلة القول أن نعتبر أن الشيخ سيد أحمد البكاي هو أول من حمل هذا الورد في القرن 16م، ولكن لا يبدو أنه عمل على نشره[4]، لكن ابنه الشيخ سيدي أعمر الشيخ الذي أخذها عن المغيلي التلمساني التواتي وجال معه في كبريات مدن السودان الغربي ... كان له دور في إكمال رسالة شيخه في نشر القادرية ببلاد التكرور والتي كانت

1- عزيز بطران، "**الشيخ المختار الكنتي الكبير ودوره في نشر الإسلام والطريقة القادرية في الصحراء وغرب إفريقيا**"، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني، طرابلس، ليبيا ،1981م، ص317.

2- بوسليم صالح، "**جهود الشيخ سيد المختار الكبير الكنتي**"، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، المجلد5، العدد2، جامعة، 2014م، ص140.

3- عامر صمبا، **الأدب السنغالي العربي**، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978م، ص33.

4- بول مارتي، **كنتة الشرقيون**، تعريب محمد محمود ولد ودادي، مطبعة زيد ابن ثابت، دمشق، 1985م، ص141.

ترمى إلى الإصلاح، ويعتبر سيد اعمر الشيخ أحد أهم أقطاب التصوف الذين ساعدوا في انتشاره في السودان الغربي[1]، كما قام إخوته وأبناؤه من بعده بنشر الطريقة في مختلف الأصقاع الإفريقية[2]. وستظل حركة التصوف القادري في تصاعد مستمر مع الدعاة الكنتيين خاصة فرع الركاكدة الذين اطلعوا بأدوار تربوية واجتماعية وثقافية غاية في الأهمية، إن الدور الريادي الذي اطلعت به الطريقة القادرية في غرب الصحراء من إصلاح للمجتمع وتخريج للقيادات وحماس في الدعوة هو في الحقيقة غير جديد على طبيعة هذه الحركة الصوفية والتي كان لها الدور الحاسم في حياة الأمة. فقد استطاعت زوايا هذا الفكر الصوفي أن تخرّج أجيالا من المصلحين المتجردين الذين قدموا بلاءات عظيمة في سبل الارتقاء بمجتمعاتهم على جميع الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية، ويجب بنا بعد هذا أن نبين **كيف كانت القادرية الكنتية؟**

ثانيا/ القادرية الكنتية

لقد عرفت القادرية على أيدى الكنتيين عبر امتدادات موريتانيا والصحراء الكبرى وبلاد السودان وشمال إفريقيا ليشمل بقية الأمكنة الأخرى "**بالبكائية**"، أو "**المختارية**"، "**فالبكائية**" نسبة للشيخ سيد أحمد البكاي الجد الجامع لقبيلة كنتة والذي لم يقم بنشرها بصفة أكثر واكتفى بالجزء الغربي من الصحراء كما

1- أحمد مطير، **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي**، ط1، الدار المدار الإسلامي، ليبيا، 2005م، صص272-246.

2- محمد الظريف، **الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربية من (1800-1956م)**، جامعة الحسن الثاني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، الدار البيضاء، المغرب، 2002م، ص87.

قلنا سابقا، أما خليفته وابنه سيد أعمر الشيخ فقد قام بنشرها في السودان الغربي والصحراء وتمتد هذه الفترة من القرن 15م –وحتى نصف الأول من القرن 18م، أما "**المختارية**" فتسميتها فتقترن بظهور المجدد الشيخ سيد المختار الكنتي في منتصف القرن 18م، يقول الأستاذ أبو القاسم سعد الله: "... **والبكائيون ينتمون إلى الفاتح عقبة بن نافع، ولعبوا دورا رئيسيا في أحداث غرب إفريقية بين السكان والمحتلين الفرنسيين والطامعين من الانكّليز والألمان .... وقد ذكر دوفيرييه...وقال إن البكائية هي مفتاح الطريق من الجزائر إلى توات إلى تمبكتو...وقال إنك لا تكاد تعرف هل البكائيون من تمبكتو أو من توات لكثرة أملاكهم وترددهم هنا وهناك، حتى أن الشيخ البكاي في الواقع هو المالك الفعلي لأقبلي وزاوية كنتة والجديدْ في تيديكلت ... وتسمى البكائية هناك بالمختارية نسبة إلى الشيخ سيدي المختار الكبير الذي جدد الطريقة في آخر القرن 18م وأوائل القرن 19م...**" [1].

كما يصعد السند القادري للشيخ سيد محمد الكنتي الكبير إلى أبي العباس السّاوري[2] والذي لم يقم بنشره، وورّثه الشيخ لابنه الشيخ سيد أحمد

1- أبو القاسم سعد الله، **التاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص277 وما بعدها.

2- اجتهد عدد من الباحثين في تصويب نص الغلاوية، ليلائم الواقع التاريخي حيث اعتبر نص الغلاوية أن سيد امحمد الكنتي الكبير أخذ الورد عن أبو العباس السبتي ، وهذا لا يمكن أن يستقيم لأن بين السبتي والكنتي قرنين من الزمن، ومنهم الدكتور حماه الله ولد السالم الذي طرح عدة أسماء قد تكون المعنية، وقبل الأخير منها أبو العباس الساوري، نسبة إلى وادي الساورة قرب توات، وهو أيضا استخلاص الحسين ولد محنض الذي قال أن المعني كان شيخا قادريا مشهورا، مستشهدا بكتاب المعسول للمختار السوسي ، وبذلك يكون الاسم صُحِف من الساوري إلى السبتي،

البكاي بودمعة كما ورثه السند البيعة المتصل عن آبائه إلى عقبة بن نافع الفهري، وقد ازدهرت البكائية مدة طويلة–على الأقل إلى عام 1850م[1]، وقد تسلسل ورد التلقين في أبناء الشيخ سيد محمد الكنتي الصغير بن الشيخ سيد أحمد البكاي بودمعة (كنتة الغربيون) وظل متداولا بينهم. لقد كان التصوف ثم أصبح (...)، كان خبيئة بين العبد وربه يبيت يناجيه، ثم يصبح على حرفته، لا يثير انتباها، ولا يطلب جاها ...كان الجنيد يتكلم مع الرجل والرجلين، فإذا زادوا على العشرة أمسك. لقد ازدهر التصوف وعرف ذيوعا وتجديدا غير مسبوق مع الكنتيين وتلامذتهم في المنطقة كلها، ولقد تزّعم الكنتيين الطريقة القادرية منذ وصولها إلى شمال إفريقيا.

إن **كنتة** هم المؤمنون بالطريقة القادرية وناشروها أي ناشرو السلسلة، ولقد تقمص كنتة القادرية، مثلما تقمصتهم، وأصبح اسمهم مرادفا لها، وغالبا ما تكنى القادرية السودانية بالبكائية نسبة إلى الجد الكنتي الشيخ سيدي عمر الشيخ ولد الشيخ سيد أحمد البكاي الذي كان ناشرا الورد في القرن السادس عشر ميلادي...، أو المختارية نسبة إلى الشيخ سيد المختار الكبير، الذي كان المصلح الديني في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر[2].

كان سيدي عمر الشيخ تلميذا وفيا لسيدي محمد عبد الكريم المغيلي، حيث تأثر به ولازمه ولم يفارقه حتى وفاته، ويعتبر الوارث الأول لعلمه وهو

الحسين ولد محنض، **تاريخ موريتانيا القديم والوسيط**، ط1، دار الفكر، نواكشوط، موريتانيا، 2010م، ص218.

1- عبد الرحمن زكي، **الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا**، مطبعة يوسف، مصر، 1967م، ص111.

2- بول مارتي، المرجع السابق، ص141.

الذي انتهت إليه رئاسة الطريقة القادرية في بلاد التكرور[1]، ونعثر على اسمه في سلسلة القادرية الصوفية مباشرة بعد المغيلي الذي كان نفسه تلميذ السيوطي[2]، وقد استطرد الشيخ سيد المختار الكنتي أخبار رحلة المغيلي وسيدي أعمر الشيخ ومرورهما ببرقة وصراعهما مع أعرابها، ثم ما كان من صلتهما بالسيوطي في حديث مسهب في رواية مناقبية مستفيضة[3]، وعن طريق هذه الأسماء ينتسب فرع البكائية للسلسلة الكبيرة والمشتركة لقادرية المشرق والمغرب، يصف الباحث عبدالودود ولد عبد الله(ددود)، الدور الرسالي الذي قام به سيدي اعمر الشيخ بعد وفاة شيخه بـ "**امتصاص ثمرة المغيلي**"؛ وذلك تعليقا على رواية تاريخية تقول أنه لما أدرك المغيلي الموت قال لبنيه ومريديه قولته المشهورة، وهي إحدى علامات الاستخلاف عند المتصوفة: "**من كان منكم ملتمسًا منيّ نفعا ،فليلتمسه من هذا، فإنه احتوى على جميع ما عندي، وامتصني كما يمتص الآكلُ التمرة ويلقي بالنواة**"[4].

1- أحمد الحمدي، **محمد بن عبد الكريم المغيلي رائدا لحركة الفكرية بتوات عصره وآثاره**، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2000م، ص31.

2- بول مارتي، المرجع السابق، ص142.

3- حماه الله ولد السّالم، **موريتانيا في الذاكرة العربية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005م، ص166 وما بعدها.

4-ددود ولد عبد الله، "**تحولات التصوف عبر الصحراء من الزاوية الرقادية إلى المدرسة المختارية**"، "**الأدب المقاوم في القارة الإفريقية**"، أعمال ملتقى عيون الأدب العربي، النسخة التاسعة، دورة الشيخ سيدي المختار الكنتي، منشورات جمعية النجاح للتنمية الاجتماعية، المغرب، ط1، أبريل2018 ، ص326 .

وأعطاه عكازه وقلنسوته وسجادته وسبحته، ووصى ابنه عبد الله بخدمته والأخذ عنه، وبعدها توفي في غرة رمضان من عام 909هـ... ويعود المجد التاريخي إلى الشيخ سيدي عمر الشيخ بداية القرن السادس عشر الذي من خلاله عمّت الطريقة القادرية الصحراء وغرب إفريقيا من ذلك العهد حتى اليوم[1]، وقد تسلسل الورد القادري الكنتي في ذريته، دون أن يعرف انتشارا خارج المحيط العائلي، وقد خلف الشيخ سيدي عمر الشيخ على البكائية ابنه البكر أحمد الفيرم **(الأثرم)** المتوفى 1553م، حتى وصل إلى سيدي أحمد بن محمد الرقاد بن أحمد الأثرم بن عمر الشيخ الذي أسس زاوية كنتة في توات، التي مازالت إحدى بلديات الجزائر تحمل اسمها إلى اليوم، ومن هذه الزاوية انطلق في اتجاه الصحراء، عدد من المتصوفة والعلماء الجزائريين، وعملت جماعة كنتة على تأسيس مدارس تابعة للزوايا الكنتية الرئيسية بتوات: ...[2]، فكان بذلك الواضع الحقيقي للأسس التنظيمية للقادرية الكنتية، وأخذ عنه أحمد بن محمد الرقاد(ت1063هـ)وعن عم أبيه سيد المختار الشيخ بن عمر الشيخ ولم يقتصر أحمد بن محمد الرقاد على أسانيد أسرته وعلومها، بل رحل للأخذ عن كبار المتصوفة في عصره مثل محمد بن أحمد أذفال الدرعي السوساني[3]، وأحمد بن

1- عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،2014م، ص373.

2- خديجة عنشيل،"**التراث الكـتتي المخطوط قراءة في الدور الحضاري لزاوية كنتة، وأهم أعلام التراث الكنتي المخطوط**"، مجلة الذاكرة، العدد5، جامعة ورقلة، 2015م، ص104.

3- أحمد بن محمد أذفال السوساني الدرعي (ت1028هـ) : الفقيه الصوفي المحدث، راجع ترجمته في :محمد بن أحمد الحضيكي، **طبقات الحضيكي**، تحقيق أحمد بومزكو، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2006م، ج1 ، ص41.

موسى الكرزازي[1] المولود بكرزاز بالمغرب وسمي بمكان مولده، وهو تلميذ لمحمد السهيلي الآخذ عن أحمد الراشدي عن زروق[2]، وأحمد بن موسى الكرزازي هو الذي أشار إلى أحمد بن محمد الرقاد بالتوجه إلى توات وسبب تلقيبه بالرقاد أنه أتاه قوم يختصمون في معضلة فوجدوه نائما فقضى بينهم وهو نائم فجاء تلاميذه ففسر لهم وهو نائم أيضا فلذلك لقب بالرقاد[3]، وهو الذي تواصلت في أبنائه سلسلة السند القادري وقد شاع بيته بالعلم والصلاح، ويقال أن أحمد بن الرقاد كان كثيرا ما يقول في سجوده "**رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء**"، فأجاب الله دعوته فانتشرت ذريته فكانوا سبعة بنين أولياء علماء نجباء قد انتشر عنهم من العلم والحكمة مالم ينتشر عن بيت من بيوت الولاية مثله إلا أن يكون بيت على بن أبي طالب[4]، والكلام للشيخ سيد المختار مازال: "**روي أن ثلاثة من البيوت لم ينتشر عن بيت من البيوت ما انتشر عنهم من الخير، بيت يعقوب بن إسحاق، وبيت علي بن أبي طالب**

1- **أحمد بن موسى الكرزازي (ت1013هـ)** : أخذ عن شيوخ من أهمهم ابن آذفالو السهلي، من كبار متصوفي القرن الحادي عشر الهجري، إليه ينتسب أتباع الطريقة الكرزازية التي هي فرع من الشاذلية، وسندها عن السهلي عن الملياني عن زروق.

2- حماه الله ولد السّالم، **الإسلام والثقافة العربية في الصحراء الكبرى**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م، ص55.

3- الشيخ سيدي المختار الكنتي، **المنة أو الارشاد**، مخطوط، زاوية الشيخ سيد المختار الكنتي، نواكشوط، ص186.

4- يحيى ولد سيدي أحمد، **ديوان الصحراء الكبرى. المدرسة الكنتية. القصائد النيرات**، منشورات وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر، 2010م، ص69.

وكانت منه سلسلة الذهب، وبيت سيدي أحمد الرقاد وكانت منه سلسلة الذهب أيضا"[1].

فكان من بيت علي، النفس الرضية ولي عالم وأبوه عبد الله كذلك ولي عالم، وأبوه موسى الكاظم كذلك ولي عالم، وأبوه جعفر الصادق كذلك ولي عالم وأبوه محمد الباقر كذلك ولي عالم وأبوه زين العابدين ولي عالم، وأبوه الحسين سبط رسول الله ﷺ سيد شباب أهل الجنة[2]. وسلسلة الذهب من بني الرقاد "**سيدي المختار**" وكان عالما عابدا شاعرا مفوها، وأبوه سيدي محمد الأمين كان وليا عالما، وأبوه المختار المدعو عنترة كان عابدا متفننا متمكنا كثير الخوارق وأبوه سيدي عمر بلغ الغاية القصوى علما وعبادة وزهدا، وأبوه سيدي أحمد كذلك وهو الذي بنى زاوية كنتة بمدد الله وخوارق العادات، وأبوه سيدي محمد الرقاد كذلك، وأبوه سيد أحمد الأثرم كذلك، وأبوه سيدي أعمر الشيخ وأبوه الشيخ سيد أحمد البكاي كذلك[3].

وقد واصل الركاكدة في تزعم الطريقة القادرية من خلال زاويتهم في توات في الجنوب الغربي من الجزائر، هذه الزاوية التي صنفها الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله من بين عدد من الزوايا التي كان لها صيت وتأثير واصفا إياها بقوله: "**زاوية كنتة العريقة التي حافظت على القرآن الكريم ودراسة الفقه**"[4]، فكانت هذه الزاوية مركزا نيّراً لتدريس القرآن وعلومه والفقه وأصوله،

1- الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي، **الطرائف والتلائد**، الجزء الأول، تحقيق يحيى ولد سيد أحمد، دار المعرفة، الجزائر ،2011م، ص274.

2- الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي، المصدر السابق، الجزء الأول، ص275.

3- يحيى ولد سيدي أحمد، المرجع السابق، ص275.

4- نقلا عن يحيى ولد سيدي أحمد، المرجع السابق، ص64.

وقبلة لطلبة العلم والوافدين من كل حدب وصوب، فمن خلالها انتشر الإسلام والورد القادري في ربوع الصحراء إلى بلاد السودان الغربي وهي من أغنى الزوايا التواتية[1].

استمر نشاط هذه الزاوية بعد وفاة مؤسسها الشيخ سيدي أحمد الرقادي، والفضل في ذلك يعود إلى الشيوخ الرقاديين الذين تمسكوا بالحفاظ عليها، فقد تعاقب عليها شيوخ أجلاء كرسوا أوقاتهم لخدمة الطلبة والوافدين وكانت قلعة لنشر الطريقة القادرية في إفريقيا وبلاد السودان الغربي وخير دليل على ذلك ما ذكره عبد المالك بن سيدي إغم الركادي في كتابه كشف النقاب عن أخبار عقبة المستجاب وبعض أحفاده الأقطاب "**من أن قِربة العلم دبغت وطهرت في زاوية كنتة بتوات وملئت بتنبكتو وشربت بولاته**". وهو مثل تكروري قديم[2]، فمن خلال هذه المقولة يمكن القول بأن هذه الزاوية كانت مركزا حيا لنشر الإسلام في هذه الربوع، وقد كانت هذه الزاوية على صلة وثيقة بمنبعها الحضاري والفكري في الشرق الموريتاني حيث كان لأعيانها جانبا مهما في تيسير ركب الحجِّي الولاتي السنوي الضخم، حيث كان الركب الحاجَّ الولاتي يخرج من ولاتة في تاريخ معلوم يقوده الحاجَّ الأمين الولاتي حتى يصل إلى واحات توات "**في الجزائر**"، ثم يقوده عبد الرحمن أبو نعامة الملقب البكاي الكنتي حتى تخوم فزان في "**ليبيا**" ومنها يتسلم رئاسة الركب الشيخ المختار بن

1- فرج محمود فرج، **إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص127.

2- يحيى ولد سيدي أحمد، المرجع السابق، ص65.

طالب أعمر بن نوح البصادي...[1]، وهذه الصلة ليست غريبة لأن مؤسسي هذه الزاوية لهم امتدادات حضارية وفكرية هناك.

ظلت الزاوية الكنتية بـ "**توات**" متألقة فكريا ودينيا منذ تأسيسها في القرن 11هـ/ 17م، لكن القرن الثاني عشر الهجري وبداية القرن الثامن عشر الميلادي (12هـ/18م) كان عصرها الذهبي الذي أشعّت فيه على غرب الصحراء والمشرق العربي، وقد وصف كبولاني هذه الزاوية في نهاية القرن التاسع عشر بأنها لاتزال لعهده "**من أغنى الزوايا التواتية**"، تجاوز إشعاع زاوية كنتة منطقة "**توات**" ليصل إلى بلاد أزواد، فإرسال سيدي أحمد الخليفة بن اعمر المتوفي 1092هـ، من قبل الشيخ سيدي علي المتوفي 1119هـ وهو خليفة آنذاك لزاوية كنتة بـ "**توات**" ليكون خليفة له في أزواد لهو دليل قاطع على استمرار عطاء زاوية كنتة خارج "**توات**".

إلا أن الكتاب والباحثين المعاصرين لم يستطيعوا فكَّ هذا الإشكال المتعلق بهذه الخلافة، فالبعض يعتقد أن سيدي أحمد الخليفة بن أعمر هو خليفة لـ سيدي علي بعد وفاته، وهذه الرواية خاطئة، لأن سيدي أحمد بن أعمر توفي قبل سيدي علي بكثير فكيف يكون خليفة له بعد مماته! ولذلك يمكننا أن نطلق على هذا النوع من الخلافة "**خلافة جغرافية**" فيتأكد لدينا أنها خلافة في الحياة فقط وليست بعد الممات كما يتصور بعض الباحثين.

فمن خلال سيدي أحمد الخليفة هذا انتشرت الطريقة القادرية في أزواد، فعنه أخذها سيدي الأمين ذو النقاب الذي بدوره أعطاها لسيدي علي بن النجيب وهو شريف كان يسكن في أحواز تنبكتو وقد حمل هذا الشيخ السند القادري

1- حماه الله ولد السّالم، **تاريخ موريتانيا قبل الاحتلال الفرنسي**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2017م، ص ص219-220.

حتى تولاه منه فيما بعد تلميذه الشيخ المختار الكنتي الكبير، وهذا دليل على أن الشيخ علي بن النجيب قد عاش في أواخر القرن الحادي عشر للهجرة/السابع عشر للميلاد والنصف الأول من القرن الثاني عشر للهجرة / الثامن عشر للميلاد، وتجدر الإشارة إلى أن السند القادري قد استمر طوال القرنين العاشر والحادي عشر للهجري/السادس عشر والسابع عشر للميلاد، بأيدي فقهاء من قبيلة كنتة الشهيرة ولم يخرج السند القادري عن نطاق هذه القبيلة إلا في الفترة المحدودة التي تولاه فيها الشيخ علي بن النجيب كما سلفت الإشارة، غير أنه سرعان ما عاد السند القادري إلى هذه القبيلة على يد الشيخ المختار الكنتي الكبير[1]، هذا الشيخ الذي من خلاله انتشر الورد القادري في بلاد الصحراء والسودان الغربي ولكن ليس في بطن الركاكدة بل في بطن أولاد الوافي، ومن هنا نلاحظ أن الفرع سيطر على الأصل، أي أن السند المختاري الأزوادي سيطر على الفرع الأصلي وهو الفرع الرقادي التواتي المنبع، وذلك بفعل جاذبية حركة الشيخ سيدي المختار الكنتي، بل يمكن أن يقال أنه هو المؤسس الحقيقي والفعلي للتصوف الطرقي، وكانت الحياة الروحية قبله قائمة على نوع من التصوف النظري "**التأملي** "أو ما يقوم مقامه من مختصرات "**الرقائق**" والمديح النبوي، ويرجع ذلك إلى أن الخطاب الفقهي كان مسيطرا في الحياة الفكرية والدينية في حواضر الساحل خلال عهد مملكة السّنغاي الإسلامية بفعل تعاظم نفوذ الفقهاء ...، وقد كان مدار الصلة بين أهالي الإقليم ورموز المشايخ في المشرق قائما على "**التبرك**"، لذلك لم يؤثر عن أولئك الذين اتصلوا بأبي المكارم البكري القرن (16م) أنهم تلقوا عنه أورادا أو وظائف صوفية محددة[2]، وبظهور

1- مطير سعد غيث أحمد، المرجع السابق، ص211.

2- حماه الله ولد السّالم، **تاريخ موريتانيا قبل الاحتلال الفرنسي**، المرجع السابق، ص247.

الشيخ سيد المختار استطاع أن يوفق بين الاتجاهات الفقهية والباطنية وذلك بمؤسسة التصوف الطرقي "**ذي التبحر العلمي**" وأصبحت له السيطرة على الخطاب الفكري في المنطقة، وكان المنهج التجديدي الذي يدعوا إليه عبارة عن مزج توفيقي بين أصول الثقافة الاسلامية وفروعها، مع تغليب جانب الرياضة الصوفية المتقيدة بأحكام الشريعة، وتحبيذ الابتعاد عن بعض المباحث، مثل المنطق وعلم الكلام أو عدم التعمق فيهما[1]، "**فالمعتقد أن تأثير النموذج الطرقي الذي استقرت معالمه في عهد الشيخ سيدي المختار الكنتي، قد تجاوز مريدي هذه الطريقة ليشمل أغلب التنظيمات الطرقية التي انتشرت في الصحراء والسودان الغربي في أواخر القرن الثاني عشر للهجرة القرن 18م**"[2].

على أن الإحياء الكبير للقادرية في القرن الثالث عشر وفي أواخر القرن الثاني عشر الهجري كان على يد مجددها الشهير الشيخ مختار الكنتي الكبير (ت: 1226هـ/1811م) ...وبعد تمكنه في العلوم وفي الطريقة أصبح سنة 1756م كبير شيوخها، وامتدت للدول السودان الغربي، ثم تواصل امتدادها مع أبنائه وأحفاده[3].

1- ددود ولد عبْد الله، **الحركة الفكرية في بلاد شنقيط خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر 17م-18م**، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس، السنة الجامعية، 1992م-1993م، ص163.

2- ددود ولد عبْد الله، **تحولات التصوف عبر الصحراء من الزاوية الرقادية إلى المدرسة المختارية**، المرجع السابق، ص32 .

3- عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص395.

لقد أثمرت جهود القادرية الكنتية في كثرة انتشار الزوايا الكنتية في إفريقيا والقطر المغربي كله...[1]،وبعد الشيخ سيدي المختار جاء ابنه الشيخ سيدي محمد الخليفة الذي كان يعتبر زعيما روحيا لعدد من الدول الإسلامية الإفريقية من ماسنه إلى سوكوتو، وابنه الشيخ سيدي المختار الصغير الذي حافظ إلى الإشعاع الكنتي كبقية إخوته، والشيخ سيد أحمد البكاي بن الشيخ سيد محمد الخليفة الذي يعتبر من أشهر دعاة القادرية في السودان الغربي[2]، الذي حارب المد التيجاني وذلك بانتصاره على الدولة الفوتية وقضاءه على زعيمها الحاج عمر، وحفيده الشيخ عابدين بن الشيخ سيدي أحمد البكاي بن الشيخ سيدي محمد الخليفة، الذي دانت له عموم بلاد أزواد ولم يكن يصدر أمر في تنبكتو ولا في دولة أحمدو لبو الماسني إلا عن رأيه، وحفيده الشيخ سيدي امحمد بن الشيخ سيدي محمد الخليفة الذي حاول تأسيس إمارة إسلامية في الشمال، حينما جاء من منطقة أزواد سنة 1856م (1272هـ) في وفادة إلى قبيلة الركّيبات بالصحراء، ثم بنى دارا ببئر أم اكّرين واتخذها موطنا له، وامتد نفوذه إلى أدرار والساحل، وبايعته قبائل كثيرة، وزاره محمد بن أحمد ابن عيده في مقره ببئر أم اكّرين، واعترف بإمامته[3]، وكانت لهما أيام مشتركة،

1- الحسين ولد محنض، **مدرسة الشيخ سيدي محمد الكنتي ودورها في التاريخ الموريتاني**، موقع مركز الصحراء للدراسات والاستشارات،2013م، بدون ترقيم، الرابط: **https://bit.ly/2YCoTdu**.

2- يحيى بوعزيز، **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر،2009م، ص16.

3- بيير بونت، **إمارة أدرار الموريتانية**، ترجمة: محمد بن بوعليبه، دار النشر جسور، نواكشوط، 2012م، ص60.

ودخلا أدرار ظافرين، وظل نفوذه يتعاظم إلى أن قتل عند تورين بـ "**گور اگنيفيده**" من طرف تحالف أولاد أبي السباع وأركّيبات سنة 1281هـ/ 1865م.

ولا يزال الإشعاع الكنتي في هذه البلاد يمد إفريقيا والمغرب العربي والمشرق الإسلامي حتى يومنا هذا[1]، وقد امتلكوا أهم مصادر الثروة فيها من مناجم وواحات[2]، حيث امتلكوا أكبر مناجم الممالح مثل "**تغازة ومملحة أجل**"[3]، ونشروا العلم والتصوف، وإليهم تعود أعلى السلاسل القادرية، وقد بلغوا من الصيت والرفعة والانتشار في الأرض وكثرة العظماء مبلغا كبيرا[4]، في وقت ما زالت فيه النهضة العلمية لعلماء بلاد شنقيط في بواكيرها[5].

استمر الكنتيون يغذون المجتمعات بالأفكار والثقافة الإسلامية ...، مما أسهم في نشر تعاليم الطريقة بسرعة كبيرة[6]، ولقد أمكن لهذه الطريقة في مدة وجيزة أن تنتشر في عدة أنحاء من القارة وأن توجد لها زوايا في غدامس

1- الحسين ولد محنض، **مدرسة الشيخ سيدي محمد الكنتي ودورها في التاريخ الموريتاني**، المرجع السابق، بدون ترقيم.

2- امتلكت **كنتة** الواحات الكثيرة، كواحة المبروك القديمة وواحة "**الميمون**" المندثرتان "**واحة تاوجافت**"،"**وواحات الواد الابيض بنكّانت**" "**وواحات تامورت النعاج في تكانت بموريتانيا** "، "**وواحات في آدرار الموريتاني**"، بالإضافة إلى واحتها في "**زاوية كنتة بتوات وأقبلي بالجزائر**".

3- حماه الله ولد السّالم، **تاريخ شنكيطي موريتانيا**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م، ص234.

4- الحسين ولد محنض، **تاريخ موريتانيا القديم والوسيط**، المرجع السابق، ص259.

5- الحسين ولد محنض، **مدرسة الشيخ سيدي محمد الكنتي ودورها في التاريخ الموريتاني**، المرجع السابق، بدون ترقيم.

6- نقلا عن يحيى ولد سيدي أحمد، المرجع السابق، ص56.

وغات وتوات ومرزوق في قلب الصحراء[1]، وينبئنا تاريخ كنتة أن أسفارها في سبيل الدعوة إلى الإسلام دفعت بها إلى سائر أنحاء الصحراء فوصلوا شمالا حتى "**السوس**" و"**تافيلالت**" و"**توات**"، وجنوبا في اتجاه "**تنبكتو**" والسودان حتى "**كاتسينا**" و"**كوبير**" في شمال نيجريا[2]، وقد يكون نفوذ هذه الطريقة وصل إلى أبعد مما أشار إليه صاحب الطرائف والتلائد إما لعدم علمه به أو لأن الطريقة لم تصل إلى أبعد من ذلك في حياته، وما هو مؤكد أن الطريقة وصلت إلى أهم المدن المغربية، وكان يتردد على مضارب **كنتة** أشخاص من المغرب الأقصى راغبين في أخذ الورد القادري، وقد كانوا كثيري العدد، من بينهم عبد الخالق بن أحمد الدباغ كان من أفراد الطريقة المختارية بمراكش، وكان فقيها مدرسا نبيلا ...والزاوية المختارية بمراكش كانت مدرسة تُنسب **لحمٌ يحّه** مضافة للأحباس الكبرى، ثم حولها السلطان سيدي محمد عبد الرحمن وجعلها **زاوية للكنتيين**... كما أخذ العالم يحيى بن مسعود البكري المتوفي سنة 1844م القادرية الكنتية[3]، إضافة إلى أن للسلاطين المغاربة علاقات تتلمذة مع الطريقة القادرية الكنتية العمرية[4]، خصوصا السلطان سيد محمد بن عبد الله، والسلطان

1- التليلي العجيلي، **التنفذ الطرقي والحملات الاستكشافية للصحراء الإفريقية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر**، أوراق المؤتمر العلمي "التداخل والتواصل في إفريقيا"، منشورات جامعة الخرطوم، الخرطوم، يناير 2006م، ص ص5 -45.

2- يحيى ولد سيدي أحمد، المرجع السابق، ص55.

3- العباس بن إبراهيم السّمّلالي، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، راجعه عبد الوهاب ابن منصور، ج8، المطبعة الملكية، الرباط، 1993م، ص ص53-56.

4- الحسين المعماري، "**الزوايا كقناة للتواصل التجاري والثقافي والروحي بين المغرب الاسلامي وبلاد السودان خلال العصر الحديث والمعاصر**"، مجلة المناهل. عدد 80، 81، فبراير 2007م، ص283.

سليمان، وكذلك عبد الرحمن بن هشام والسلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن وبعض خاصته... وأخذها كذلك عبد الله بن أحمد البخاري... ولاه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن وزارة الحرب وتنظيم العسكر...وغيرهم كثير[1].

ومن أشهر الذين أخذوها من المغرب الفقيه محمد بن أحمد الأزموري الذي وصفه صاحب الإعلام بأنه آية في الحديث والفقه وطريق القوم، ...، فانتشر صيته في البلاد والأقطار يُلقن الناس الأوراد المختارية ... وقد شدت له الرحال من أقطار المغرب، وشيد بها الزاوية المختارية ...ومن أشهر الآخذين عليه عالم الرباط سيدي إبراهيم التادلي ...ومنهم سيدي عبد الكبير الفاسي...الخ[2]. وقد اندفع الدعاة الكنتيين أبعد من ذلك إلى قلب إفريقيا وانتشر تأثيرهم الديني جنوبا في عمومها حتى ناهز الكاميرون، مما جعل إشعاعهم في إفريقيا يغطي مساحات أكبر من مساحة الأندلس ولا يزال إشعاعهم ممتدا فيها حتى الآن[3].

إن المكانة الاجتماعية والدينية والعلمية السامقة التي حظي بها رجالات القادرية الكنتية في الوسطين البيضاني والسوداني، تعد وحدها مجالا خصبا للبحث والمعرفة ، إذ كيف تمكن هؤلاء من الاستئثار بتلك الرتبة المشرفة "**ولم نجد اليوم طائفة على نهج السنة المحمدية إلا طريقتين، طريقة شيخنا سيدي**

1- يمكن الرجوع إلى: العباس بن إبراهيم السّمّلالي، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، ج8، المصدر السابق، ص ص54/338/77.

2- العباس بن إبراهيم السّمّلالي، المصدر السابق، ج6، ص317ومابعدها.

3- الحسين ولد محنض، **مدرسة الشيخ سيدي محمد الكنتي ودورها في التاريخ الموريتاني**، المرجع السابق، بدون ترقيم.

المختار الكنتي، وطريقة شيخنا سيدي أحمد بن ناصر"[1]، شهادة لأحد معاصري الشيخ سيدي المختار الكنتي، تبرز مكانة الطريقة القادرية بين الطرق المعاصرة لها، وهذا الشخص هو محمد الأمين الصحراوي، لاشك أنها شهادة حية لمكانة الطريقة بين باقي الطرق اكتسبتها بسمعة رجالها الذين أفنوا حياتهم في سبيل نشر مبادئها والتقيد قدر الإمكان بضوابط شرعية تلزمهم إتباع المرونة وعدم المغالاة. لقد تناول الكنتيون الطريقة القادرية في العديد من مخطوطاتهم، لهذا ظهر منهم مشائخ اتصفوا بالكمال من الناحية الدينية والروحية، فحازوا أعلى المراتب واستطاعوا أن يدخلوا الطريقة القادرية إلى العديد من الأقطار... ولقد انقسم شيوخ كنتة إلى قسمين:

-**القسم الأول:** وقد جمع أصحاب هذا الصنف بين التصوف والتأليف والتعليم والفتوى، ولهذا نجدهم قدموا اعمال جديدة في الدعوة للطريقة القادرية.

-**القسم الثاني:** من شيوخ كنتة[2] يضم الصلحاء من الشيوخ الذين اشتهروا بالزهد في الحياة وكثرة الأذكار، ...[3].

1- محمد المنوني، **المدرسة الكنتية كأبرز قناة للتواصل بين الإفريقيتين في العصر الحديث، العلاقات بين المغرب وإفريقيا الغربية**، منشورات جمعية موظفي كلية الآداب، الرباط، 1992م، ص63 نقلا عن: محمد الأمين الصحراوي، **المجد الطارف والتالد**، مخطوط، الخزانة العامة، الرباط، ك 588.

2- وهذا القسم من شيوخ كنتة خلدت أسماءهم في الذاكرة الشعبية نظرا لما اشتهروا به من أعمال الخير التي قاموا بها لصالح العام، وأفنوا حياتهم في الزهد وضحوا بأموالهم وأعمارهم في إصلاح ذات البين وإغاثة اللهفان والفقير والمحتاج في الزوايا التي أسسوها وساهموا في تسييرها لتؤدي دورها الخيري لكل المسلمين وأبناء السبيل، وبعد وفاتهم خلدت قبورهم بأضرحة وزيارات سنوية يتوافد عليها الناس قاسيهم ودانيهم، يمكن الرجوع إلى: محمّد الصّالح حوتّية، المرجع السابق.

3- محمّد الصّالح حوتّية، المرجع السابق، ص ص237-241.

وترجع أهمية الطرق الصوفية أنها سهلت انتشار الاسلام بين الأقوام السودانية وجعلتهم يتعلقون به ذلك أن التصوف يقود أهله إلى الزهد في متاع الدنيا، ولجماعاته مبادئ تسير على هداها، وقوانين تنظم علاقات أفرادها بعضهم ببعض، ولهم أهداف يسعون إلى تحقيقها ، والطريقة الصوفية روحها الحب وأساسها التفاني في حب الله (سبحانه وتعالى)، وتقوم بالرياضة التي تسموا بها النفس إلى درجة الاتصال الروحي بالملأ الأعلى، فيصير كل ماعدا الله باطلاً حقيرًا[1]، وتطهير النفس من أغراضها الدنيئة لتتغذى بالحب الصافي النابع من عيون نورانية وقلب ملائكي يحمل من المعاني ما تعجز الألفاظ عن ترجمتها، ومن الأوروبيين من أرجع سهولة انتشار الاسلام بين السودانيين إلى الطبيعة النفسية لهؤلاء وأن هناك صلة للإسلام وثيقة بنفسية الإفريقي... ذلك أن تقاربا عظيما قد ربط بين العقلية الأفريقية والتقاليد الإسلامية ...إننا نجد الدعاة المسلمين ينفذون إلى قلوب الإفريقيين الوثنيين، ويحولونهم إلى الإسلام ...فأصبح الزنوج ينظرون إلى الإسلام على أنه دين السود[2].

يرى القادريون سبب انتشار طريقتهم في الآفاق إلى مبادئ الطريقة نفسها، فهي تنبني على أسس أخلاقية راقية تدعوا السالك أولا إلى التمسك بقواعد الإسلام والمحافظة على السنة مثلما تحث المريدين على الرأفة والتسامح[3]. ولما جاء القرن التاسع عشر، كانت السيطرة الروحية والفكرية تامة لجماعات القادرية

1- آدم عبد الله الآلوري، **الإسلام في نيجيريا**، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 2014م، ص ص62-63.

2- نعيم قداح، **إفريقيا الغربية في ظل الإسلام**، مراجعة عمر الحكيم، كوناكري، 1960م، ص135.

3- أبو بكر القادري، **الشيخ عبد القادر الجيلاني ودوره في الدعوة الإسلامية في أنحاء العالمين الأسيوي والإفريقي**، الدار البيضاء، 1999م، ص263.

في أكثر من نواحي إفريقية الغربية، وعلى يد رجال القادرية تحول الدخول للإسلام من حالات فردية إلى حالات جماعية[1]. وعلى كل حال فإننا سنجد أنفسنا إذا ما حاولنا، وبناء على كل ما سبق رسم خارطة لمدى نفوذ الطريقة القادرية الكنتية، أمام ما يمكن أن نسميه مجازا "**إمبراطورية صوفية**" متربعة على مساحة تمتد من مشارف الصحراء شمالا، إلى أواسط القارة الإفريقية في عمق بلاد السافانا، ومن المحيط الأطلسي غربا إلى بحيرة تشاد شرقا ودارفور، ضامة بذلك السودان الغربي ككل، والسودان الأوسط إضافة إلى أهم أجزاء الصحراء الكبرى خصوصا صحراء الممتدة من شمال تشاد شرقا حتى الحافات الغربية للصحراء على المحيط الأطلسي، ليصل نفوذها إلى الواحات الشمالية كتوات واقليم السّاورة وورقلة وأرض الطاسيلي وواحات درعة وواد نون والساقية الحمراء، وباقي المدن المغربية المغرب.

فما إن جاء القرن التاسع عشر الميلادي، حتى كانت الطريقة القادرية الكنتية البكائية قد تمددت عبر الغرب الإفريقي منتشرة من المحيط الأطلسي غرباً حتى بحيرة تشاد شرقاً[2]. إن الخريطة الجغرافية لنفوذ كنتة قد أخذت شكلها الحالي تحت وطأة الاستعمار، الذي دخلت القبيلة في مواجهة معه منذ القرن التاسع عشر الميلادي ثم نتيجة لعامل التصحر، فشرعت كنتة في ارتياد أطراف بقاع نفوذها قصد الاستقرار، علما أن كنتة المجتمع البدوي كانت تخضع لقانون

1- أحمد شلبي، **موسوعة التاريخ الإسلامي، الجزء السادس، الإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء إفريقية من دخلها الإسلام حتى الآن**، ط5، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1990م، ص212.

2- عمر عبد الماجد، "**التنافس الطائفي والسياسي على مدينة تمبكتو في القرن التاسع عشر**"، مجلة دراسات افريقية، العدد48، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، ديسمبر 2012م، ص168.

تحرك البداة من المحيط الاطلسي غربا إلى منطقة إهير شمالي النيجر حاليا ومن تخوم بلاد السودان الغربي جنوبا إلى أطراف الصحراء الكبرى شمالا كل هذا يقوي الاعتقاد بكون الطريقة القادرية الكنتية حافظت من خلال تسربها في أوساط هذه المجتمعات، على قدر معين من التهدئة، وكالاحترام والتبجيل الكبيرين الذي حظي به رجالاتها في أوساط العامة والخاصة، فقد تحقق للزوايا بالطرق الصوفية من السلطة مالم يكن ليتحقق لهم بقوة السلاح، وقد استطاعت الطرق أن تقيم "**دولا**" وأشباه دول غير معلنة أساسها شعبية عارمة تدعمها دبلوماسية حصيفة وروح سلمية تتحلل في مواجهتها قوة الرجال المسلحين، وبذلك أسسوا دولة في القلوب إذ كانوا أهل سلطة ونفوذ بين الناس مسموعي الكلمة[1].

هذا وحتى نتعرف على مساهمة الكنتيين في حركة التصوف من خلال نشاط الطريقة القادرية يجدر بنا أن نشير إلى ما كان يتوجب توفيره في المريد والطريقة والورد القادري الذي أخذ به شيوخ كنتة، فالمريد القادري حسب ما سجله شيوخ كنتة عليه أن يتحلى بسلوك وآداب الطريقة ...[2]. ويستظهر أتباع القادرية العمرية الكنتية أذكارا وأورادا وهي مزيج من أذكار وأدعية وأحزاب تنسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني والشيخ المختار الكنتي الكبير، ويصفها الشيخ المختار الكنتي بأنها:(عقود وعهود أخذها الله على عباده بواسطة المشائخ) ويعتقد المريدون في غرب إفريقيا والصحراء بأن هذه الأوراد جمعت بركة الشيخين الجيلاني والكنتي، وتقام في كتمان وسرّية...[3]، وهذه الأوراد

1- الخليل النحوي، **المنارة والرباط**، تونس، 1987م، ص313.

2- للاطلاع أكثر يمكن الرجوع إلى: محمّد الصّالح حوتّية، المرجع السابق، ص ص241-242.

3- عزيز بطران، المرجع السابق، ص205.

تختلف نوعا ما عن أوراد من نفس الشيء لدى فروع القادرية ومن ضمن هذه الأوراد:

200 مرة حسبنا الله ونعم الوكيل.

200 مرة استغفر الله العظيم.

100 مرة لا إله إلا الله الملك العظيم الحق المبين.

100 مرة اللهم صل على محمد وآله[1].

وفضلا عن هذا الذكر الذي يعتبر التزاما دقيقا، هناك عدد من الأدعية الطوعية التي تؤلف (الوظيفة)، والتي تقرأ في الاجتماعات التعبّدية التي يعقدها الإخوان في ليلة الخميس أو الجمعة، ولنذكر تلك التي تقال في آن واحد عقب صلاة العشاء وقبل صلاة الفجر: "**اللهم أغفر للذى كان ملاذ الإنس والجن سيدي وشيخي عبد القادر الجيلاني، وكذلك لكل أشياخنا من الأول إلى الأخير**" (3مرات)[2]. وعندما ينتهي الورد وأما كيفية آدائه فإنهم يقرؤون في الركعة الاولى سورة الكوثر ستا وفي الثانية سورة الكافرون ستا، وفي الثالثة سورة الإخلاص ستا وفي الرابعة سورتي المعوذتين، وفي الخامسة آية الكرسي مرة، وفي السادسة ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ﴾ مرة، ويذكرون في السجود قوله تعالى ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾[3].

ويورد كتاب الطرائف والتلائد خصائص الطريقة التي تميزها عن باقي الطرق الأخرى ومن هذه الخصائص خلوها عما في غيرها من الطرق من

1- بول مارتى، المرجع السابق، ص 151.

2- المرجع نفسه، ص 152.

3- محمّد الصّالح حوتّية، **توات والأزواد**، الجزائر، دار الكتاب العربي، الجزائر، ج1، 2007م، ص184.

الشطح والتماوت والتغاشي والرقص ورفع الصوت بأذكار المستغرقين كهو هو، وياهو، وياه وياه، والله الله، ونحو ذلك من الانشادات والسماع، وإن كان كثير من مشاييخ السلسلة لا يأبى السماع ولا ينكره، إلا أنه لا يتعاطاه ولا يأخذ عنه طريقا، وليس فيها لباس الخرقة والدلف، وإن صح عن الشاذلي والحسن البصري، بل المعهود المتعارف بين مشاييخ طريقتنا وأعيان طائفتنا مناولة الشيخ لخليفته عندما يعهد إليه بسبحته أو سجادته أو عكازه أو نحو ذلك مما يختص به[1].

فقد كان مشائخ الطريقة القادرية الكنتية قد عرفوا بتضلعهم من معارف المحضرة(الكتاتيب) قبل تزعم للمشيخة والدعوة إلى الله، وكانوا يربطون تربية المريد ما لم يكن قد أخذ بنصيب وافر من علوم الشريعة واللغة، وقد أثرى هؤلاء المشائخ المحضرة بأنفسهم[2]. ويكفيهم أن هذه البلاد لم تعرف سلالة تسلسل فيها العلم والولاية لعشرة أجيال متتالية الا في **قبيلة كنتة** وقد نقل لنا الشيخ سيدي المختار الكنتي هذه السلسلة التي أطلق عليها العلماء اسم **سلسلة الذهب الكنتية** ...[3].

خاتمة

من خلال دراستنا لدور القادرية الكنتية في افريقيا نخلص إلى ما يلي:

1- بول مارتى، المرجع السابق، ص153.

2- محمد الصوفي بن محمد الأمين، **المحاضر وآثارها التربوية في المجتمع الموريتاني**، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد بن سعود، الرياض، 1406 هـ، مرقونة، ص146.

3- الشيخ سيد المختار الكبير، المصدر السابق، ص34 وما بعدها.

انتشرت الطريقة الكنتية في مناطق واسعة من موريتانيا، ومنها إلى السودان الغربي وخاصة السنغال.

لقد كان للكنتيين حضور قوي في الجنوب الجزائري وخاصة توات، والتي نقلت الطريقة إلى عمق السودان الغربي إلى تمبكتو والسنغال ومالي.

لقد اسهمت القادرية الكنتية في الحضور السياسي والاجتماعي والثقافي في إفريقيا، وخاصة في مقاومة المستعمر الفرنسي وتأطير مختلف شرائح المجتمع.

أضواء تاريخية على جوانب من النشاط البحري الجزائري خلال العهد العثماني

Historical lights on aspects of maritime activity in Algeria during the Ottoman era

✍أ/ نادية مباركي
جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله

الملخص

تستهدف هذه الدراسة كما يتبين لنا من عنوانها تسليط الأضواء على جوانب هامة ارتبطت ارتباطا حيويا بالنشاط البحري الجزائري خلال العهد العثماني، وهي قضايا لتزال محل خلاف بين المؤرخين والباحثين المتخصصين بهذا الموضوع وفي مقدمتها إشكالية ضبط المصطلحات المناسبة والملائمة لوصف طبيعة هذا النشاط، وكذا ضرورة مناقشة الأطروحات الغربية وبخاصة أطروحات المؤرخين خلال مرحلة الاحتلال الفرنسي فيما يتصل بكل من ظاهرة الأعلاج وحقيقة الصراع بين طائفة رياس البحر والجيش الإنكشاري.

Abstract

This study aims, as we can see from its title, to shed light on important aspects that were vitally linked to the Algerian maritime activity,during the Ottoman era which are issues that remain in dispute between historians and researchers specializing in this topic, foremost of which is the problem of controlling appropriate terminology to describe the nature of this activity, as well as the need to discuss Western theses, especially those of historians of the French occupation, regarding both the renégats phenomenon and the reality of the conflict betweenthe Rias al-Bahr sect together with the Janissary army.

مقدمة

أبرز ما ميز تاريخ الجزائر الحديث في ظل العهد العثماني؛ هو نشاطها البحري الذي عزز مكانتها السياسية والعسكرية في حوض البحر الأبيض المتوسط وأثر أثرا ملموسا على واقعها الاقتصادي والاجتماعي والحضاري بصفة عامة؛ ولتزال عدة جوانب من هذا النشاط الذي كان محل العديد من الدراسات والمؤلفات التاريخية كغيره من المواضيع الهامة موضوع نقاش وبحاجة إلى تسليط أضواء الدراسة عليها مما يسمح بإعادة النظر في الأحكام المسبقة التي كرستها الدراسات التاريخية؛ التي كتبت خلال مرحلة الاحتلال الفرنسي عن طبيعة هذا النشاط البحري وبمسائل جوهرية ارتبطت به ارتباطا وثيقا وهي أحكام كانت تستهدف خدمة إيديولوجية الاحتلال الهادفة لطمس الهوية التاريخية للمجتمع الجزائري. وهذا انطلاقا مما دعا إليه الأستاذ الباحث والمؤرخ يحي بوعزيز في دراسته القيمة المعنونة بعلاقات الجزائر مع دول وممالك أوروبا فيما بين القرن 16م ومطلع 19ممداخلة ألقيت في ملتقى الفكر الإسلامي بمدينة باتنة أواخر شهر سبتمبر1987؛ حيث أورد الدعوة الآتية:

" **... لقد آن الأوان لكشف مخازي الاستعمار الأوروبي وجرائمه ضد الشعوب التي استعبدها، وأذلها ومنها بلادنا الجزائر وآن الأوان لغربلة تاريخنا وإزالة الزيف، والتدليس اللذين ألصقا به عن قصد ودحض الأقاويل والأباطيل التي ابتدعت فيه، وإبراز الحقائق الناصعة عن كفاح الأجداد البطولي ومنجزاتهم الحضارية الخلاقة عبر مسيرة التاريخ الطويلة. ورغم أن مثل هذا العمل شاق وطويل إلا أنه ضروري بل واجب مقدس، حتى يعود للجزائر وجهها الحقيقي الأصيل، والناصع، ويتوازن عمل البناء الذي نقوم به اليوم وننجزه، وتخرس**

إلى الأبد، أشداق المتقولين، وهي مهمة الباحثين الجزائريين في جامعات الجزائر الناشئة "[1].

وانطلاقا مما سبق ذكره ستتمحور إشكالية موضوعنا في محاولة ضبط بعض المصطلحات والمفاهيم التي ارتبطت بالنشاط البحري بداية بماهية النشاط البحري الجزائر ثم الانتقال للحديث عن ظاهرة الأعلاج وأخيرا واقع الصراع بين طائفة رياس البحر والجيش الإنكشاري من خلال طرح التساؤلات الآتية:

-ما هو المصطلح الأنسب لوصف النشاط البحري الجزائري في ظل الحكم العثماني؟

-ما هي حقيقة ظاهرة الأعلاج في الجزائر خلال العهد العثماني؟

-ما هو واقع الصراع بين جناحي المؤسسة العسكرية طائفة رياس البحر والجيش الإنكشاري في الجزائر إبان الحكم العثماني؟

أولا/ ماهية النشاط البحري الجزائري "ضبط المصطلح"

إن المطلع على المصادر الغربية التي اهتمت بتاريخ الجزائر الحديث في ظل الحكم العثماني يلاحظ أنها تطلق على نشاط بحارة الجزائر **لصوصية البحر(pirateriе)**، وحتى عند اعتماد مصطلح القرصنة[2] فقد كان هناك

1- يحيى بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1999، ص57.

2 – وهو ما أبرزه الأستاذ الباحث يحيى بوعزيز في إطار تعرضه لموضوع" **التفسيرات الأوروبية المغرضة لأعمال البحرية الجزائرية** " بقوله :"**لقد دأب الأوربيون على نعت نشاط البحرية الجزائرية في العصر الحديث بالقرصنة ووصف رجالها بالقراصنة، وهو ادعاء مغرض بعيد عن الحقيقة والواقع .لأن أول من مارس أعمال القرصنة وتوسع في تطبيقها بكل وحشية ،وشراسة هم الأوروبيون أنفسهم في أعقاب الحروب الصليبية ،وبداية التراجع الإسلامي بالأندلس وذلك**

اختلاف في معناها بحسب من كان يمارسها؛ فإذ كان المعني بممارستها من المسلمين فهي بمعنى اللصوصية، والنهب والسلب وعمل غير مشروع أما إذا مورست من طرف المسحيين؛ فهي عمل مشروع هدفه حسب ما ذكره الأب دان(**R.Père François Pierre Dan**) , في القرن 11هـ (17م) الدفاع والحماية، وجعل التجارة البحرية أكثر حرية مما كانت عليه وكان القراصنة المسيحيون يضحون بحياتهم من أجل تطهير البحر من أمثال هؤلاء اللصوص الذين يتمرسون يوميا على تعكير السكينة العامة وباللصوص يقصد دان البرابرة "**سكان بلاد المغرب الإسلامي** "، والأتراك –على حد وصفه– وغيرهم من الكفار أعداء المسيحيين بمعنى كل المسلمين على حد قوله مضيفا أن المسيحيين الذين كانوا يمتهنون القرصنة لا يجب مطلقا إدراجهم مع أمثالهم من المسلمين لأنهم كانوا يمارسون القرصنة للمصلحة العامة، وليس على أساس النهب، والسلب[1].

مع العلم أنه بالعودة إلى القاموس باللغة الأجنبية نجد أن كلمة **قرصنة(Course)** ليست مرادف الكلمة لصوصية بحر؛ على أساس أن الأولى عبارة عن نظام مقنن؛ حيث يخضع القراصنة لسلطة دولة معينة ويمارسون نشاطهم تحت رايتها، ولخزينة الدولة التي يتبعون لها حصة من الغنائم التي

بدافع من الحقد الديني، وروح الانتقام ،والرغبة في الغنم البحري المادي .والدليل على ذلك هو مباركة الحكومات الأوروبية لأعمال قراصنتها ،وتقديم الحماية والعون المادي لهم ،كما فعلت انجلترا، وفرنسا، والنمسا ،والإمارات الإيطالية، والألمانية بل وحتى بعض دول شمال أوروبا مثل الدانمارك ...". أنظر: المرجع السابق، ص55.

1Dan (R.Père François Pierre **)**, **Histoire de Barbarie et de ses Corsaires2emeédition,Pierre Ricolet**, imprimeur et librairie du Roy, Paris, 1637, pp.9-10.

يحصلونها كما أن القراصنة لا يهاجمون إلا السفن التي تكون في حالة حرب مع دولتهم، وبالمقابل هم ملزمون باحترام سفن البلدان التي لها اتفاقيات ومعاهدات سلم مع دولتهم؛ وإلا تعرضوا للعقوبات وهذا ما حرص السلاطين العثمانيين على التأكيد عليه من خلال مراسلاتهم إلى حكام الجزائر، وكمثال على ذلك نورد ما ورد في إحدى مراسلاتهم المنتمية إلى الرصيد الأرشيفي المعروف بدفاتر مهمة والمتواجد بمركز الأرشيف الوطني الجزائري: "... **وبناء عليه فقد أمرنا بالتنبيه والتأكيد على الرؤساء في تلك الديار بعدم التعرض لسفن الكفار الذين يحملون أوراق الأمان القادمين بقصد التجارة وفيما إذ لم يراع الرؤساء ما نص عليه الأمر الشريف واستمروا بمصادرة سفن الكفار واسر رجالهم وإحضارهم إلى الجزائر فيجب إطلاق سراحهم وإعادتهم مع سفنهم ومتعاهم حتى يمارسوا نشاطهم التجاري ويجب حبس الرؤساء المخالفين وعرضهم علينا ...**"[1].

وفي حكم آخر ورد من السلطان سليمان القانوني إلى أمير أمراء جزائر الغرب حسن بن خير الدين أمر يقضي بالتحقيق في قضية استيلاء رياس البحر على سفينة فرنسية والتأكد من هوية السفينة؛ فإذا كانت غير حربية وتم أخدها أثناء قيامها بأسفارها التجارية كالمعتاد سلميا وبطريقة لا تتنافى مع روابط الصداقة والعهد الهمايوني والأمان القائم بين الدولة العثمانية وفرنسا فينبغي تخليص كل رجالها من الأسر والمتاع دون تسجيل أي نقص وإعادتهم للفرنسيين وينطبق ذلك أيضا على حمولة السفينة من متاع وسلع بمقتضى

1- مهمة دفتري 30 صحيفة 182 حكم 427 تاريخها 985/3/5هـ.

المعاهدة الهمايونية وتأديب من خالف العهد والأمان[1]. في حين أن لصوص البحر لا يخضعون لأي سلطة غير سلطة زعيمهم ولا هم لهم إلا مصلحتهم الخاصة والنهب والسلب دون أي تمييز ومن تم نستخلص ضرورة مراجعة استعمال العديد من المصطلحات للتخلص من مدلولاتها المغلوطة التي اقتبست من الدراسات الغربية التي أصبغت عليها مفاهيم تخدم توجهاتها الإيديولوجية وتعكس وجهة نظرها[2].

في حين نجد أن المصطلح المعتمد في المصادر المحلية هو مصطلح الجهاد البحري؛ حيث أن سكان مدينة الجزائر كانوا يطلقون على ممارسي الغزو البحري في ظل الحكم العثماني مصطلح المجاهدين، وهذا ما يثبته ما جاء في أحد عقود التحبيس: " ...

1- أنظر: مهمة دفتري 6 صحيفة 618 حكم 1361 تاريخها 972/12/9هـ أنظر أيضا في الموضوع ذاته مهمة دفتري7صحيفة 138 حكم355 تاريخها975/4/17هـ ومهمة دفتري12 حكم579تاريخها 979 هـ في الأرشيف الوطني الجزائري، وأنظر أيضا:

Relation succinete de ce qui s'est passe en la rade de la ville d'Alger en Afrique depuis de l'arrivée du sieur Marquis Martel lieutenant Générale armée Navales de sa Majesté avec l'escadre des Vaisseaux qu'il commandait,Sébastien Mabre-Cramoisy,Imprimeurdu Roy,A Paris,1670,pp3-8 Voire aussi:

جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500 -1830، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، ص ص119 - 122.

2- من الدراسات القيمة، والهامة التي نبهت لهذا الموضوع أنظر أرزقي شويتام، **المصطلحات، والمفاهيم الواردة في المصادر الغربية حول تاريخ الجزائر الفترة العثمانية 1519-1830**، مداخلة غير منشورة نسخة مخطوطة، ألقيت في إطار الملتقى الدولي **الأواصر الثقافية بين الجزائر وتركيا في الفترة الحديثة – مقاربة في التراث المادي واللامادي** -، جامعة الدكتور يحيى فارس بالمدية يومي10-11نوفمبر 2015، وأنظر حول موضوع القرصنة الأوروبية ابراهيم سعيود، **القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة القرصنة الإيطالية نموذجا**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 11 ، الصادرة عن المركز الجامعي غرداية، الجزائر،2011. حيث عاد الأستاذ الباحث في دراسته إلى الأصول الأولى للقرصنة الأوروبية وقارنها مع النشاط البحري الذي كان يقوم به بحارة الجزائر خاصة وبلاد المغرب الإسلامي عامة.

جميع الكوشة التي أحدث بناءها بعلها المرحوم بكرم الله المجاهد في سبيل الله محمد جلبي بن الصاير إلى الله يوسف كتخية..."[1].

وفي الأخير ومن منطلق ما عرضناه سابقا؛ فإن المصطلح الأصح لوصف نشاط الجزائر البحري في ظل الحكم العثماني من وجهة نظرنا هو مصطلح "**الجهاد البحري**" [2] لأنه بالأساس تم تبنى هذا النشاط في المنطلق كدرع واقي من الاعتداءات والهجمات

1- أنظر الوثيقة رقم69 "**رسم تحبيس كوشة من طرف إحدى نساء مدينة الجزائر**"، بإشراف القاضي بالجزائر "في العلبة 141تاريخها1073 هـ (16م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر.

2- وهو ما ذهب إليه الأستاذ الباحث يحيى بوعزيز حيث اعتبر نشاط البحارة الجزائريين في ظل الحكم العثماني جهادا بحريا ورد فعل مشروع من خلال عقده مقارنة بين النشاط البحري لبحارة الجزائر والنشاط البحري للأساطيل الأوروبية:

"...**وكانت خطة الجزائر في البداية هي الدفاع ضد الاعتداءات والتحرشات وضد إرادة التنصير والتمسيح ثم لما أخذت هذه الاعتداءات، والتحرشات، صبغة الحمالات الصليبية وتحولت إلى أحلاف كبيرة تشارك فيها بلدان كثيرة انتقلت الجزائر من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم والتتبع، وأخذت قواته تضرب أوكار القراصنة الأوروبيين في عقر ديارهم وعلى شواطئ بلدانهم، ولقنتهم دروس لا تنسى حتى اضطرت حكوماتهم أن تشتري السلام والأمن لها، ولمراكبها البحرية بالمال والمعاهدات، وتبادل الأسرى ومن هذا المنطلق كان عمل البحرية الجزائرية مقاومة ضد العدوان، وجهادا ضد إرادة التنصير والتمسيح، وليس قرصنة كما ادعى وزعم الأوروبيين وحتى مع التسليم أنه قرصنة في بعض الحالات والفترات فإن الأوروبيون هم الذين سبقوا إليه ومارسوه كحركة للغنم، والسلب، والنهب، وهم الذين أرغموا الجزائريين على عمل المثل في إطار رد الفعل. ويحفظ التاريخ لنا في سجلاته، بأمثلة كثيرة، عما ارتكبه الأوروبيون من مجازر، وأهوال، وما اقترفوه من جرم ،ضد الشعب الجزائري، وبلدان المغرب الأخرى خلال ممارستهم لأعمال القرصنة أواخر العصر الوسيط وطوال العصر الحديث؛ بل إن الأوروبيين مارسوا مع القرصنة حرفة تجارة الرقيق، في شواطئ إفريقيا إحياء لما كان يقوم به أجدادهم الرومان في العصور القديمة...ونحن عندما قام أجددنا الجزائريين بالدفاع عن أنفسهم وحماية شعوبهم (كذا) ،وأوطانهم ،ومقدساتهم وردوا العدوان بمثله ،وصموا بالقرصنة والقراصنة ...**".أنظر: يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص ص56 -57.

التي كانت تشنها أساطيل القوى الأوروبية المسيحية على سواحل بلاد المغرب الاسلامي، وكرد فعل دفاعي مشروع ؛ وبالتالي فالغنائم المحققة من جراء هذا النشاط لا تعنى في أي حال من الأحوال استبعاد الدافع الديني كمحرك قوي[1]، وأساسي لهذا

وختم تحليله بإسقاط تاريخي عن ممارسات وادعاءات الغرب وتحديدا أوروبا في الفترة المشار إليها آنفا وممارستهم وادعاءاتهم في الفترة المعاصرة وتوصل لنتيجة أن أوروبا ماتزال اليوم تطبق نفس الأساليب وتقوم بنفس الأعمال حيث تؤيد الجرائم والتجاوزات المرتكبة ضد غيرها من الشعوب مادام الهدف تحقيق مكاسب استراتيجية سياسة واقتصادية بل وتعتبر رد الفعل المشروع لهذه الشعوب إرهابا وتخريبا؛ ولكن بالمقابل عندما يتعرض مواطن أو مجموعة مواطنين من أبناء جنسها أو بعض مصالحها الاقتصادية ،للخطر الشديد تحشد جيوشها وأساطيلها وترتكب أبشع الجرائم، وأشنعها وأخسها بدعوى حماية رعاياها أي تطبيق سياسية الكيل بمكيلين. أنظر: يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص ص56 –57.

1– وهنا لابد من الإشارة إلى ما ذكره الضابط الفرنسي بليسيدو ريزنو (Pellissier de Reynaud) في كتابه" **حوليات الجزائر**" الجزء الأول حول استقرار العثمانيين في الجزائر عامة ،ومدينة الجزائر خاصة وحقيقة تبنيهم النشاط البحري كرد فعل على مأساة المسلمين الأندلسيين هذا على رغم أنه أطلق على هذا النشاط مصطلح لصوصية البحر : " **السهولة التي استقر بها العثمانيون في شمال إفريقيا لا ينبغي أن تدهشنا في شيء إذ ما عدنا إلى العهد الذي تمت فيه فقد كان زمنا أوصلت فيه مآسي مسلمي الأندلس1 الضغينة ضد المسيحيين إلى ذروتها؛ فتقدم الأتراك العثمانيين كمنتقمين للإسلام، وهذا الشيء مضافا للمجد الذي كان يضئ إمبراطورية العصمانيين {العثمانيين} جعل استقبالهم والترحيب بهم من طرف أهالي البلاد يتم بصفتهم حماة بدل صفة أسياد غير مرغوب فيهم وانتصاراتهم الأولى ضد المسيحيين، ونظام لصوصية البحر–piraterie الذي قاموا بتنظيمه مع قدر من الجرأة والنجاح يبرر الرأي الإيجابي الذي شكله الأهالي عنهم وتأسس حكمهم واستقر على أساس القاعدة المزدوجة المتمثلة في الاعتراف بالجميل والتقدير، وتصرفاتهم الشريفة واستقامة سلوكهم طبعت في كل العقول إحساسا بتفوقهم والمدى الكبير لعمق هذا الإحساس هو الذي دفع الجميع ليعتبروا أن الأتراك العثمانيين ولدوا ليحكموا**". أنظر:

Pellissier (de Reynaud) **, Annales Algériennes, Nouvelle édition**, revue corrigée et continuée jusqu'à la chute D'Abd-el-Kader, en 3Tome Librairie

النشاط ؛فالغنائم البحرية لا تعدو أن تكون إلا نتيجة حتمية له وليست دافعه الجوهري، والدليل على ذلك أن هذا النشاط لم يكن يوجه بالأساس إلا اتجاه القوى المعادية للجزائر ولنصرة المسلمين المستنجدين بها كما كان شأن الأندلسيين؛ ومع العلم أن هذه القوى المعادية لم تكن تتوانى عن جعل حمالاتها ضد الجزائر تحت رعاية، ومباركة البابا و بالتالي صبغ حمالاتها البحرية بالصبغة الدينية الصليبية المعادية للإسلام والمسلمين، فلابد حينها أن يكون رد فعل بحارة الجزائر؛ أي نشاطهم البحري بهدف نصرة الإسلام والدفاع عن المسلمين، وضمان أمنهم وسلامتهم وحماية عقيدتهم؛ فيكون بالتالي جهادا بحريا.

ثانيا/ ظاهرة الأعلاج

تعتبر ظاهرة الأعلاج من الظواهر التاريخية الهامة التي نجمت عن النشاط البحري الجزائري في ظل الحكم العثماني وعن طبيعةعلاقات الجزائر مع دول وممالك أوروبا لما كان لها من انعكاسات على مختلف الميادين السياسية، والعسكرية، والاقتصادية، والاجتماعية، وحتى الثقافية وقد ركزت جل المصادر الغربية على إعطاء نظرة سلبية عن هذه الظاهرة واعتبار الأعلاج مجرد مرتزقة، وصائدي ثروات والتأكيد على أن إسلامهم كان شكليا؛ حيث كانوا به إلى تحقيق مكاسب مادية وسياسية ليس إلا، أو تفسيرها من منطلق أنها ظاهرة نجمت عن التعصب والاضطهاد الديني لأهالي الجزائر تجاه الأسرى المسيحيين بإجبارهم على اعتناق الإسلام؛ ومن هذا المنطلق سنحاول من خلال ما سيتم استعراضه ومناقشته من معلومات استكشاف حقيقة ظاهرة الأعلاج .

---

militaire J.Dumaine, Libraire-éditeur de L'Empereur, Paris / Libraire Bastide, Alger, Octobre1854, premier tome, p.12

2-التعريف بالأعلاج وأسباب اعتناقهم الإسلام

وجد إلى جانب الأتراك العثمانيين الأصليين، أو أتراك الأصالة بالمولد عنصر بشري آخر عرف بالأتراك العثمانيين بالمهنة(turcs de) profession[1] كما يطلق عليهم مؤلفي ذلك العصر، وكان المقصود بهم الأعلاج، أو المهتدون من وجهة نظر المسلمين، والمرتدون(Lesrenégats)من منظور المسيحيين وبمعنى أولئك الذين تنكروا لدينهم؛ أي لأنهم تخلو عن المسيحية ليعتنقوا الإسلام إذ يعرفهم **هايدو (Haedo)** في القرن 10هـ(16م) بأنهم الأسرى العبيد المسيحيين بالدم، والأصل، والذين جعلوا من أنفسهم عثمانيين بإرادتهم محتقرين بذلك دينهم[2]، وحسب غرماي(**GramayJean-Baptiste)** فيالقرن11هـ(17م) هم الذين لم يصبحوا عثمانيين إلا بعد أن اعتنقوا الإسلام[3]. وقد ذكرت في المصادر جملة من الأسباب، والعوامل التي كانت تؤدي إلى اعتناق الأسرى المسيحيين للإسلام، وجعل أنفسهم أتراكا عثمانيين، وتتلخص هذه الأخيرة فيما يلي:

– فقدانهم الأمل في أن تدفع فديتهم يوما، وفرارا من الأعمال الشاقة التي كلفوا بها وأساليب التعذيب والتنكيل التي كانوا عرضة لها[4].

1– في حين نميل إلى أن نطلق عليهم إلى جانب تسميتهم بالأعلاج، أو المهتدين اسم الأتراك العثمانيين بالدين والولاء.

2-Haedo(leBénédictin Fray Diégo de), to**pographie et Histoire Générale d'Alger, traduit de l'Espagnol par MM. Le Dr Monnereau et A**. Berbrugger, In:Revue Africaine,Tome 14,1870,p.496

3-Gramaye(Jean-Baptiste), Journal de Jean-Baptiste Gramaye, Traduit et commenté par Abdel HadiBen Mansour dans « Alger 16-17 siècles » les éditions du cerf, Paris, 1998.p.102

4-Monlau(Jean), **Les Etats Barbaresques, Imprimerie des Presses Universitaires de France**, Paris, 1964.,p.100

كما أن عدد آخر من الأسرى العبيد الأوروبيين أصبحوا أعلاجا بسبب الضغوط المسلطة عليهم من طرف ملاكهم الذين كانوا يستغلون أقل حجة، وتبرير لجعلهم مسلمين؛ ومن تلك التبريرات التي أوردها مؤلفو تلك الفترة نجد أن دخول الأسير العبد المسيحي إلى المسجد كان سببا في دخوله إلى الإسلام؛ فقد كان يتم إجباره على الإسلام بإخضاعه لعملية الختان بالقوة، وإن رفض الأمر، فقد كان يحرق حيا[1]، وغيرها من التبريرات التي لا تخرج عن هذا الإطار.

وهنا نشير إلى أن **لوجي دوتاسي(Laugier de Tassy)** في القرن 12هـ(18م) قدم صورة مغايرة لهذا حيث قال: "**إننا نصف الجزائريين بسوء المعاملة، والإساءة لعبيدهم، وباستعمال كل الضغوطات لجعلهم يعتنقون الإسلام ولكن في هذا خطأ شائع بكثرة[2]؛ ففي ما يتعلق بالدين الأكثر حماسة، وغيرة في جماعة المسلمين لا يستعملون إلا اللين، والإقناع لإدخال الناس في دينهم؛ ولكن هذا الحماس جد نادر فيما بينهم، وينحصر أو يتلخص عادة في التربية الإسلامية لأولئك الذين يصبحون عبيدا منذ نعومة أظافرهم؛ حيث أن النظام العام للبلاد هو التسامح، وهو مؤسس على عدة مقاطع –والمقصود آيات وسور كريمة –من القرآن التي تقول أن كل شخص يهودي كان، أو مسيحي يعبد الله الحق ،ويعيش حياة طاهرة سيكون بالتأكيد مباركا من الله**".

1- ولابد هنا من مناقشة مدى صحة هذا المبرر من منطلق أن الدخول في الإسلام كما هو معلوم يكون أساسا بنطق الشهادتين، وليس بالقيام بعملية الختان والتي لاينفرد بها أهل الإسلام ؛فهي عملية تتم لدى اليهود أيضا.

2-Laugier (de Tassy**)** , **Histoire des Etats Barbaresques qui Exercent la Piraterie contenant l'origine,** les révolutions et l'état présent des royaumes d'Alger, de Tunis, de Tripoli et de Maroc, avec leurs forces, leurs revenus, leur politique et leur commerce ,par un auteur qui va résidé plusieurs années avec caractère public; traduite de l'anglais (par P. Boyer de Prébandier) ,en deux Tomes, Chez Chaubert, Quai des Augustins, Herissant, Imprimeur rue N. Dame, Paris, 1757, tome 2, p.97- 98.

بل ويضيف ملاحظة هامة ألا وهي أن كل المجهودات التي قام بها المسيحيون للقضاء على الإسلام لم تجر المسلمين، أو تدفعهم مطلقا للتخلي عن تسامحهم؛ فهم كانوا يعتقدون أنه من المستحيل لمسيحي أجبر على اعتناق الإسلام أن يصبح مسلما صالحا[1].

وهذا ما يدل على أن التسامح، وانعدام التعصب لدى سكان مدينة الجزائر والمسلمين عامة في ظل الحكم العثماني لم يكن أمرا شكليا يهتز أمام ظروف، وأوضاع معينة، ولكن ثقافة راسخة مصدرها الأول والأخير الإسلام خاتم الأديان السماوية من خلال القرآن الكريم، والسنة النبوية الموافقان للفطرة الإنسانية.

ومن الأسباب الأخرى المذكورة حول ظهور جماعة الأعلاج الرغبة في التمتع بالامتيازات التي كان يحظى بها الإنكشارية، وتشريفات الجنود، والثروات، والأرباح المحققة في عمليات الجهاد البحري[2]أي أن الكثير من المسيحيين من مختلف الأمم كانوا يتخلون عن ديانتهم ويحضرون إلى مدينة الجزائر لتحسين مستواهم الاقتصادي، والاجتماعي؛ حيث لم تكن تتواجد بها تلك العراقيل، والحواجز الاجتماعية المتواجدة في بلادهم، ولعدم تواجد الإقصاء، والامتياز الاجتماعي تبعا للأصل النبيل؛ فقد كان إسلامهم –إلى جانب الكفاءات، والمعارف، والخبرات التي تمتعوا بها –يتيح لهم فرصة الارتقاء في

1-Ibid., tome 2, p.102 voir aussi HEBNSTREIT (J.E.), **Voyage à Alger** ; Tunis et Tripoli entrepris aux frais et par ordre de Frédéric Auguste ,roi de Pologne ,etc.,en 1732 ,in Nouvelle Annales des voyages et des sciences géographique,publiés par MM.Eyrlés,de Larenaudiére et Klaproth, tome second ,de l'année 1830,Librairie de Gide fils ,paris 1830
., p.24.
2-Gramaye (J.B), Op.cit., p.103.

الميدان الاجتماعي، وحتى السياسي، وتبوء مناصب المسؤولية العليا. وهذه حقيقة مرادها الدين الإسلامي الذي يجعل من التقوى، والعمل الصالح معيارين أساسيين لتقييم المرء.

وكان من بين هؤلاء حسب المصادر الغربية دائما أيضا بعض الأوروبيين ممن كانت لديهم مشاكل قضائية في بلادهم؛ فكان ذلك بمثابة فرصة لبدء صفحة جديدة في سجل حياتهم، فاعتناقهم للإسلام كان يسمح لهم بتبني شخصية جديدة كانوا يطمحون بفضلها إلى بلوغ مكانة مرموقة، ومن بينهم أيضا من جعلهم حب المغامرة يأتون إلى مدينة الجزائر، ويسلمون[1].

وكان من بين الأعلاج مسيحيون اعتنقوا الإسلام بإرادتهم، ولكنهم كانوا قلة حسب ما ذكرته المصادر الغربية؛ التي وصفتهم بالأناس البسطاء، والجهلاء حتى لا يقال عنهم حمقى إضافة إلى عدد من الأطفال الذين كانوا يأسرون في الغارات؛ التي كان يقوم بها البحارة الجزائريون على الشواطئ المسيحية[2]؛ والذين بيعوا في الغالب إلى أحد السادة؛ فكان يربيهم في منزله الخاص كما لو كانوا من أولاده[3]، و كان من السهل عليهم التخلي عن دين

1-Albertni(E.), .**marcais(G), Yever(G.), L'Afrique du nord Française dans l'histoire**, Edition Archat, Lyon- paris, 1955, p.217

2-Gramaye (J.B), Op.cit.,p.104

3 ومنهم من وجدوا العناية، والاهتمام من طرف أسيادهم مما أهلهم في المستقبل لتبوء أعلى المناصب ومن أمثلتهم نذكر رمضان باشا الذي تم القبض عليه وهو صغير السن في إحدى الغارات على سواحل جزيرة سردينيا حيث كان يرعى قطيع صغير من الماعز يملكه والده، ونقل إلى مدينة الجزائر ؛حيث اشتراه تاجر تركي عثماني ،وقد تنبه هذا التاجر إلى أن الطفل الذي اشتراه جد موهوب، وذكي فأرسله للمدرسة ؛حيث تعلم اللغتين التركية، والعربية، والقراءة والكتابة بهاتين اللغتين وقد عاش طويلا مع سيده، وعندما كبر تزوج بعلجية كورسكية ،واشتغل بالتجارة وبعدها ونظرا لكفاءته عين قائدا في عدة بلدان وخلال السنوات الطويلة التي شغل فيها هذه المهام

آبائهم، واعتناق الإسلام دين أسيادهم الذي كان يجعلهم في كثير من الأحيان ورثة له[1]ويذكر **هايدو** في هذا الصدد أنه وجد في مدينة الجزائر من العثمانيين من كان يمتلك حتى عشرين فردا من هؤلاء الأعلاج وأن الكثير منهم كانوا

كسب عدة ثروات، والمصداقية والسمعة الذائعة الصيت، وعرف لدى الجميع بكونه رجلا عادلا، ومستقيما، وعطوفا ،ومباركا وهو ما كان عليه فعلا على حد وصف هايدو له وهذه هي الصفات التي حملت البايلرباي علج علي ليأخذه معه سنة 1596معندما قام بحملته على تونس وتنصيبه كحاكم عليها معتقدا أن صفاته من حلم وعدالة، وعطف، وحكم صائب ستمكنه من التحكم زمام الأمور، وهذا ما تم إلى غاية حملة دون خوان النمساوي على تونس سنة 1573م، وبعدها عين رمضان باشا حاكما على الجزائر سنة 1574. أنظر:

Histoire des Rois d'**Alger,traduit de l'Espagnole Par H.D de Grammont, éditeur A. Jourdan,** Alger, 1881.pp.163-164.

وهذا ما ذهب إليه هايدو حول مزايا وخصال رمضان باشا يؤكده ما ورد أيضا في مراسلات سلسلة دفاتر مهمة ومن نماذج ذلك نورد حكم ورد إلى رمضان باشا من السلطان العثماني لتثبيته كقائم مقام –نائب–القبودان على باشا في ولاية تونس بناء على شهادة أعيانها وأهلها بخصاله وكفاءته ومما ورد في ذلك نذكر :"**لقد أرسل أعيان ولاية تونس وعلى رأسهم أبي الطيب برسائل أشادوا فيها بحسن استقامتك فيها وحسن معاشرتك لأهالي الولاية وشهدوا بقدراتك وكفاءتك وسعيك المشكور في سبيل كافة الخادمات الهمايونية وصيانة عرض الدين وبناء عليه فقد التمسوا الاحتفاظ بمنصبك كقائم مقام...**". أنظر: مهمة دفتري رقم 18 الحكم 287 بتاريخ 19 /10 /979 هـ ، وأنظر أيضا: مهمة دفتري رقم 25صحيفة97 الحكم 1071بتاريخ 4 /12 /981 هـ ومهمة دفتري رقم 23 صحيفة 294الحكم 634 بتاريخ 23 /10 /981 هـ وكذلك الحكم الوارد إليه لإعلامه بتعيينه حاكما على ولاية جزائر الغرب أنظر: مهمة دفتري رقم 24 صحيفة 24الحكم 199 بتاريخ 5 /2 /981 هـ ومهمة دفتري رقم 12 صحيفة 563لحكم 1074 بتاريخ 4 /11 /979 هـ ويمكن القول إذا أن ما حققه رمضان باشا كان بفضل الصفات التي تميز بها؛ ولكن أيضا بفضل الرعاية التي أولاها له سيده، وتقديره لمواهبه .

1– جون. ب. وولف، **الجزائر وأوروبا (1500–1830)**، ترجمة: أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر،2009، ص226.

ينادون أعلاجهم بأبنائي، ويعتبرونهم فعلا كذلك وأنهم بمجرد إسلامهم كانوا يحررون لهم مباشرة وثيقة عتقهم وكانوا يعطونهم عبيدا، وأموالا وقد كانوا يدعمونهم ويساعدونهم حتى فيما بعد إذ تطلب الأمر ذلك؛ أي إذا ما احتاجوا إلى الدعم[1].

وكل الأسباب [2]، والدوافع السابقة التي كانت وراء إسلام عدد معتبر من المسيحيين لاسيما الأسرى العبيد منهم في مدينة الجزائر تصب في مجملها كما رأينا في إطار أن الإسلام كان مفروضا على هؤلاء أو من منطلق تحقيق أهداف مادية عن طريق اعتناق هؤلاء للإسلام أما السبب المتمثل في أن عددا كبيرا منهم اعتنقوا الإسلام بكل إيمان ديني واقتناع، وباختيار حر، وبعد تفكير مطول حول حقيقة، وماهية الإسلام، وبناء على معرفة بنتائج قرارهم باعتناقه؛ فقد كان أمرا مستبعدا تماما من طرف أغلب من كتبوا عن هذا الموضوع خلال هذه الفترة، فلما لا تكون المعاملة الحسنة التي تلقاها معظم الأسرى العبيد في مدينة الجزائر من طرف سكانها من المسلمين، وإعجابهم بتمسك هؤلاء بدينهم، ومدى التزامهم بتعاليمه والتسامح السائد في أوساطهم، والذي كان مستمدا من الشريعة الإسلامية سببا في اعتناقهم الإسلام.

وقد يكون استبعاد هذا السبب، والدافع في اعتناق الإسلام من طرف من كتبوا عن الموضوع، وما أكثرهم هو الخلفيات التي كانت تتحكم فيهم؛ فقد كان

1-HAEDO "Topographie…".In:**R.A.**, T.14, 1870, p.497.

2-لمن يريد التوسع في الأسباب والدوافع التي أوردتها المصادر، والدراسات الغربية لتفسير ظاهرة الأعلاج العودة للقائمة المفصلة، والنموذجية التي وردت في المصدر الذي ألفه الأب دان خلال القرن 11هـ(17م) حيث قام بترقيم هذه الأسباب وترتيبها على شكل فقرات أرفقها بشروح، وتوضيحات، وتفسيرات وتضم القائمة8 دوافع ذكرنا بعضها آنفا في المتن أنظر:
DAN (R.Père François Pierre) ,Op.cit.,pp.341-344.

معظمهم رجال دين مسيحيين يمقتون الإسلام والمسلمين، والعدد الكبير من المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام في مدينة الجزائر خلال القرنين 10هـ(16م) و11هـ(17م)، وأصبحوا أعلاجا كان يجب تفسيره عند هؤلاء بما يتناسب، وموقفهم من الإسلام، والمسلمين، وما كان يمليه عليهم تعصبهم للمسيحية.

ولكن التاريخ يظهر لنا حقائق تغاظي هؤلاء عنها ،فالمتصفح لسجل تاريخ الجزائر خلال هذه الفترة يجد أن من بين أبرز رياس البحر، وحكام البلاد يرد ذكر الأعلاج الذين حققوا العديد من المكاسب والانتصارات باسم الإسلام مخطرين بحياتهم، ومتقدمين الصفوف من أمثال **البايلرباي علج علي**(1568-1587م)،وكذا **حسن آغا** (1535- 1543م) نائب **البايلرباي خير الدين** الذي أعطى مثالا للحاكم الواعي الذي يحتذى به عند مواجهته لحملة **شرلكان؛** حيث ذكر **هايدو** في القرن10هـ(16 م) عن ذلك :"**لم يظهر أبدا أي ملك في أي وضع من الأوضاع المماثلة لا شجاعة، ولاحذرا، ولا خبرة أكثر من التي أظهرها في هذا الظرف وهو[حسنآغا] يري نفسه محاصرا من طرف أمير قوي وجد محظوظ في حمالاته كما كان الإمبراطور شرلكان بأسطول مخيف وجيش كثير العدد، ومقدام مشكل من جنود من كل الأمم المسيحية في حين لم يكن له تحت إمرته إلا 3ألاف تركي بالكاد بل وفي واقع الأمر كانيتخلل هذا العدد عدد كبير من الأندلسيين؛ ولكن زيادة على أنه لم يرتعب، أو يخاف؛ فإنه الوحيد الذي شجع وطمأن سكان المدينة المرعوبة، وهو يمر عبر أزقتها على ظهر حصانه**"[1].

والأهم فيما ذكره **هايدو** عن **حسن آغا** هي رفضه القاطع لما اقترحه عليه **شرلكان** من تقديم مكافأة كبيرة له، ولمن معه من الأتراك العثمانيين مقابل

1-Haedo(F.D), Histoire des rois …, p.62.

تسليمه مدينة الجزائر، حيث أجاب بأسلوب ساخر على مبعوث الإمبراطور إليه بهذا الاقتراح المدعو دون **لورنزوا إمانويل** بقوله له أنه من قبل الغباء الكبير أخذ النصيحة من عدوه، وأنه يرجوا لله أن تعود عليه هذه القضية بسمعة ذائعة الصيت إلى الأبد[1].

وبصورة عامة يؤكد هايدو أنه خلال الست سنوات التي حكم فيها حسن آغا بالنيابة عن **البيلرباي خير الدين**– الذي كان قد غادر مدينة الجزائر سنة 1535م لتولى القيادة العليا للأسطول العثماني– حكم بسلام تام دون حدوث اضطرابات، وطبق العدالة على أكمل وجه والكثيرين ممن عرفوه وعاصروه يقولون إنه لم يعرفوا باشا آخر أكثر عدلا منه[2]. يضاف إلى ما ذكر آنفا أعمال البر، والإحسان، والخير؛ التي قام بها الأعلاج في مدينة الجزائر ولاسيما ما يتعلق منها ببناء المساجد، وتخصيص الأوقاف لها، وغيرها من الأعمال التي تصب في هذا الإطار، ولا تزال العديد من معالم مدينة الجزائر الدينية تشهد بذلك كمسجد **علي بتشين**، و**حسن ميزمورطو وصفر باشا**[3]وغيرهم.

كما أن دراسة الباحثان **برتولمي بن ناصر**، **ولوسيال بن ناصر** الإسبانيين ؛التي انطلاقا فيها من الوثائق الأرشيفية المتواجدة بالأرشيفات الأوروبية كأرشيف **سيموند كاسد**، بإسبانيا ،وبالضبط أرشيف محاكم التفتيش تشير إلى وثائق تحمل أحيانا إشارة "**هرب إراديا إلى الإسلام**"، وأعطيا عدة أمثلة عن ذلك

1- Haedo(F.D), Histoire des rois …,p.62.
2-Ibid.,pp.62-63.

3–حول هذه المساجد ارجع على سبيل المثال لا الحصر إلى:

Dokali (Rachid), **les mosquées de la période turque à Alger, Société Nationale d'Édition et Diffusion** (SNED) Alger ,1974 et Devoulx (Albert),"Les **Edifices Religieux de l'Ancien Alger**" , In: Revue Africaine**,** tome 13, 1869.

وعلى سبيل المثال نذكر نموذجان وهما: **الكلابري** المدعو **ماركوأنطونيو دو ستويسا** الذي فر إلى بربرية{بلاد المغرب الإسلامي} في سنة 1586م وهو يبلغ 35 سنة و**الفرنسي لويس كديار** الذي ذهب إلى مدينة الجزائر صغيرا في السن والدليل أنه عندما ألقي عليه القبض، وتم استرجاعه من طرف المسيحيين في خلال نشاط بحري سنة 1588م لم يكن إلا ابن 18 سنة[1].

ولعل ما تجدر الإشارة إليه أنه كان يوجد من بين الذين يعتنقون الإسلام رجال دين مسيحيين مما يدل على تأثرهم بالإسلام، واقتناعهم به، وهذا ما يجعلنا نعيد النظر في الأسباب التي تركز عليها المصادر الغربية لتعليل ظاهرة "**الأعلاج**" وفي مقدمتها الأسباب التي أوردها الأب دان، وغرماي المشار إليها أنفا فقد ورد في الدراسة –المشار إليها سابقا – مثال 3 رجال دين من عينة تضم 71 فردا من بين الذين افتدوا وحرروا من الأسر، وعادوا إراديا إلى مدينة الجزائر ليشهروا إسلامهم مما يدل على أن الأمر تم نتيجة قناعة، وحرية اختيار بعيدا عن أي ضغوطات.

كما أن مناسبات الفداء كانت تقدم فرص للفرار إلى رحاب الإسلام **فالأب الكتالوني مولقاني** شارك في إحداها في مدينة الجزائر؛ حيث راءه ستة من زملائه عند إرساء السفينة بكثير من الاستعجاب، وهو ينزع ملابسه المسيحية، ويلبس على الطريقة التركية وقد كان قراره نهائيا؛ حيث أصدرت محكمة تفتيش برشلونة (Barcelone) حكما غيابيا على هذا العلج سنة 1602م[2]. ومن العينة السابق ذكرها وجد أيضا راهبين أغسطيين هما **الأخ كسبار فيسكو**،

1-Bartholome Bennassar et Lucile Bennassar, **Les Chrétiens D'Allah"l'histoiredes renégatsXVI et XVII siècles**, Perrin, Paris 1989, p.254.

2- Ibid.,p.255.

والأخ جون دو بيفا اللذان عادا إلى مدينة الجزائر بعد أن قضيا مدة فيها كأسيرين؛ حيث أعلن إسلامهما وتزوج **الأخ كسبار** بنت مالكه القديم، وتحصل على وظيفة إنكشاري، وذكر الشهود الذين سئلوا عنه من طرف محكمة تفتيش جزر الكناري سنة 1671 مأنهم رأوا **المدفعي مصطفي –كسبار** سابقا – مرتديا ملابس خضراء، وسوداء وعلى رأسه عمامة، ومسيحيو مدينة الجزائر كانوا يتدافعون بمرافقهم وهم يضحكون عليه قائلين بسخرية: " **أنظروا ها هو الراهب الصغير الذي ارتد**"، وقد توفي خلال صراع أو مواجهة بحرية بين المسلمين والمسيحيين[1].

وما يشير إلى الاقتناع الذي كان يسبق عملية اعتناق الإسلام قصة **الراهب نيكولاي بوتان** التي جاء فيها: "كل أسري مدينة الجزائر الذين حضروا إشهاره للإسلام في 13 ديسمبر1657م يوم سانت لوسي {من القديسات المسيحيات} احتفظوا بالمشهد في ذاكراتهم؛ فقد رأوه يدخل إلى دار المفتي بملابس راهب أغسطيني في يوم أحد بعد أن سمعوا القداس، ويخرج منها بعد يومين لابسا على الطريقة التركية وهو يمتطي حصانا أبيض، ويضع عمامة مستعدا وجاهزا لمراسيم الاحتفالات بمناسبة اعتناقه للإسلام[2].

ويبدو أنه يمكن أن نعتبر مكوث **الراهب نيكولاي** في دار المفتي يومين قبل اعتناقه الإسلام دليلا على أن اعتناقه لهذا الدين لم يكن أمرا سطحيا، أو شكليا بل كان يتم بناء على معرفة مسبقة وقناعة.

وما يزيد من تأكيد استخلاصنا السابق أن أصدقاء الراهب من الأسرى قد حاولوا إقناعه بالعدول عن الردة –في منظورهم –وهم يسألونه ألا يجبأن يكون

1- Bartholome Bennassar et Lucile Bennassar Op.cit, p.262.
2-Ibid., p.262.

رجل الدين المثال والنموذج الذي يحتذي به فكيف يعقل أن يتصرف هكذا ؟وذكر الشهود أن أب من أباء الفداء من تنظيم التثليث أرسل إليه أحد الشهود ليعده بفداء قريب، ولكن بلا جدوى؛ فقد أعلن **الأخ نيكولاس** على الجميع أنه كان يريد أن يكون حرا وقانون محمد، والمقصود به الإسلام قد أصبح في منظوره أفضل من ذلك الخاص بالمسيحيين وبعد أن أصبح تركيا عثمانيا تزوج ببنت أحد الأعلاج، وأصبح جنديا في جهاز الصبايحية[1] .

ومما سبق ذكره نلاحظ أن اعتناق الإسلام لم يكن يقتصر كما تؤكد المصادر على كون كلمن أصبحوا أعلاجا كانوا مغامرين، وباحثين عن الثراء، وتحسين مستوي معيشتهم والفرار من مشاكل قضائية، ولعل أصدق دليل على ذلك اعتناق رجال دين مسيحيين للإسلام.

ومن تم فانجذاب العديد من المسيحيين تجاه نمط المعيشة الإسلامية أمر لا مفر منه ولا يمكن تجاهله، ولعل أبرز حجة على ذلك أن العديد من الذين أسلموا، وقبض عليهم من طرف المسيحيين كانوا يحاولون ويجربون العودة، والمرور مجددا إلى حاضرة الإسلام مهما كلفهم الثمن من بين هؤلاء نماذج استقيناها من العينات التي ورد ذكرها في الدارسة المذكورة آنفا كقصة **الفرنسيبيار فبريل (Pierre Fabriel)** الذي كان أصيلا من منطقة سانت جوندونجيلي–**(Saint–Jean d'Angély)** والذي فرمن السجن الذي حكم عليه به من طرف محكمة إشبيلية–سيفيل–(**Séville**)؛ ولكن أعيد القبض عليه في ألكانت)(**Alicante**وقدم للمحاكمة سنة 1654 م أمام قضاة محكمة تفتيش جزيرة موريس **(Maurice)**، فادعى في البداية أنه كان يستعد للإبحار للالتحاق بوالديه، ثم اعترف بأنه أراد

1- Bartholome Bennassar et Lucile Bennassar Op.cit.,p.262.

الذهابإلى مدينة الجزائر حتى يعيش فيها كعلج بحرية ، وفي نسيان للديانة المسيحية[1].

ومن بين هؤلاء من لم يكونوا يترددون في إعلان قناعتهم بالإسلام بعد إلقاء القبض عليهم من طرف البحارة المسيحيين ومن الأمثلة على ذلك المدعو **قيومال مونتوبرليان (GuillaumeVergnes Montpelliérain)** والذي بقي في مدينة الجزائر بعد خصام شب بين بحارة وأصبح بعد إسلامه قائد سفينة "**قرصنة**"– حسبما ورد بنص وثيقة محاكمته –، والتي أسرت من طرف البحرية الجنوية وخلال مجريات محاكمته وصفه الشهود بالقرصان الكبير، واعتبروه من أشد أعداء المسيحيين وقد تمكن من كسر باب زنزانته في برشلونة في ماي 1613م بعد خمسة عشر يوما من الحبس وفر عند الفجر؛ ولكن عثر عليه في المساء متخفيا بالمدينة، وقد اعترف تحت التعذيب أنه يعتبر الدين الإسلامي دينا جيدا. وكمثال آخر **الجنوي جان بتيست** الذي أصبح بعد إسلامه يعرف **ببيرام**، والذي أسر في طفولته خلال غارة بحرية على الشواطئ الجنوية التي مست قريته **بورتو مورسو**، ووجد نفسه في سوق العبيد بمدينة الجزائر، وبعد إسلامه صار بحارا، وألقي القبض عليه سنة1579 م من طرف الإسبان الذين استعملوه كمجدف، ولكنه تمكن من الفرار؛ فخطط للعودة مجددا إلى مدينة الجزائر، ولنشاطه السابق[2].

2-بعض الإحصاءات عن الأعلاج

كان عدد الأعلاج كبيرا في مدينة الجزائر، إلى درجة أن قدرهم هايدو في أواخر القرن 10هـ (16م) بأكثر من نصف سكان مدينة الجزائر هم،

1- Bartholome Bennassar et Lucile Bennassar Op.cit. ,p.258.
2-Ibid.,p.259.

وأبناؤهم[1]فقدر عدد المنازل المسكونة من طرفهم بحوالي 5000 منزلا، وقد يكون عددا مبالغ فيه؛ ولكنه من ناحية أخرى يبرز مدى ازدهار نشاط البحرية الجزائرية خلال هذه الفترة على اعتبار أن بروز فئة الأعلاج في المجتمع الجزائري من أبرز الآثار المترتبة عن هذا النشاط في حين قدرهم غرماي في أوائل القرن 17م(11هـ) في العشرينات منه بـ 6000 عائلة، وهذا ما كان يعطي مجموع حوالي 18.000 شخص، و قد قدر عدد الأعلاج في مطلع القرن 17 بـ 8000 وعدد نسائهم بـ 1.200فرد في حين لم يبلغ عددهم سنة 1580 إلا حوالي 5000 شخص بعضهم كانوا برفقة عائلتهم؛ ونستخلص إذا مما سبق أن عدد الأعلاج خلال هذان القرنين كان في تزايد مستمر ؛حيث قدرت نسبة زيادتهم ما بين عامي 1580م و1600م بحوالي 80%[2].

وهذا ما كان يثير حقد المسيحيين ولاسيما رجال الدين منهم، وكان الأعلاج من جنسيات مختلفة ولاسيما

الكورسيكين، والصقليين، والايطاليين، وحتى الإسبانيين، والإنجليزيين، والألمانيين، والهولنديين والفرنسيين، وغيرهم من الجنسيات وكانت مدينة الجزائر تمتلك الأعلاج الأكثر شهرة، وتدينا، وهم الذين كانوا يقومون بتنفيذ غارات بحرية على السواحل المسيحية[3].

3-طريقة اعتناقهم للإسلام ومدى اندماجهم في المجتمع

كانت تقام بمناسبة اعتناق المسيحيين للإسلام في مدينة الجزائر احتفالات يلبس العلج خلالها أبهي حلة، وكانت توضع على رأسه عصابة

1-HAEDO, (F.D), « Topographie….. »,In:**R.A.**, T.14, 1870,p 499.
2-Gramaye (J.B), Op.cit.,pp104-105.
3- Achille RIGGIO, Esclaves et missionnaires en barbarie (1672-1682), In:**R.A.**, T.93 , 1943, p.40 .

جميلة، ويطاف به عبر أرجاء المدينة وهو يمتطي حصانا، ويحمل بين إصبعيه سهاما ليدرك أنه يجب عليه الجهاد في سبيل الإسلام منذ لحظة إسلامه وكان يرافقه خلال جولته كل حراس، وشاوش الباشا ،وكان يوجد من بين هؤلاء من يحمل أطباقا كبيرة يقربونها من الحاضرين طالبين منهم الصدقات لهذا المسلم الجديد عندما يكون فقيرا، وكانت الأموال المجمعة بهذه الطريقة معتبرة؛ لأن كل سكان مدينة الجزائر من المسلمين كانوا يقدمون الصدقات تطوعا، وبرحابة صدر لاسيما في مسألة كهذه[1]. وإلى جانب الأموال كانت تقدم إليه أشياء متنوعة؛ فكل شخص حاضر في ذلك الاحتفال كان يقدم ما يريده حسب ذوقه، ومن بين هذه الأشياء نذكر أغطية رأس عمامات، وقلنسوات، وأحذية أو جزم، وخناجر، وعمائم، وقمصان، ومناديل صغيرة للجيب، والبعض الآخر كان يقدم شموعا خضراء ... إلخ،[2]وكان يقدم له الباشا بدوره قفطانا[3]. وقد ذكر هايدو في القرن 10هـ(16م) أن الطواف بالأعلاج كان يتم فقط بالنسبة للمسيحيين المهمين الذين أسلموا كقبطان سفينة، وكانت تنظم أيضا مأدبات في الليلة التي كانت تتم فيها عملية الختان، ومباشرة بعد إسلامهم كانت تحرر لهم وثيقة العتق[4].

وكان من بين الأعلاج نساء مسيحيات أسلمن، وكانت عملية إسلامهن تتم كالآتي: جعل المرأة تغتسل في البداية ثم جعلها تصلي في غرفة، وبعدها كانت تقص بعض الخصلات من شعرها من الناصية، وكان يعطى لها فيما بعد اسم عربي، أو تركي وهذه هي كل المراسيم التي كانت متبعة عند إشهار

1-DAN (R.Père François Pierre) ,Op.cit., p.352.
2-Haedo(F.D), Topographie….. »,In:**R.A.**, T.14,1870, p.498.
3-DAN (R.Père François Pierre), Op.cit., p.352.
4-Haedo(F.D) ,« Topographie….. »,In:**R.A.**, T.14,1870, p.498.

بعض النساء المسيحيات لإسلامهن[1]. وتشير إحدى وثائق المحاكم الشرعية إلى إحدى النساء العلجيات جاء فيها: "...**بعد أن تصدقت الزهرا بنت عبد الله عتيقة مصطفي بن قارا علي على بعلها مامي بلك باشي بن عبد الله...**"[2]. وهنا نلاحظ أن المعنية أصبح اسمها بعد إسلامها الزهرا بنت عبد الله، ونفس ما يقال عنها يقال عن زوجها مامي بلك باشي، وتفسير ذلك كما يبدو أن أباء هؤلاء الأعلاج لم يكونوا من المسلمين؛ فكان يقال لهم فلان أو فلانة ابن، أو بنت عبد الله.

واندمجت النساء العلجيات في المجتمع عن طريق إسلامهن أولا، وزاوجهن ثانيا وتشكيل أسر لهن كما نستدل عليه من وثائق المحاكم الشرعية وبخاصة ما يتعلق منها بتقسيم التركات ومن نماذجها نذكر: "**بعد أن صار إلى عفو الله وغفرانه الحاج عبدي آغا بن {كذا} التركي عن زوجه الولية صفية بنت عبد الله وولديه منها محمد وصالحة...**"[3].وفي رسم عقد وقف ذري: "...**أشهد الأن السيد الدولاتلي {السيد الحاج محمد التريكي} أنه حبس جميع الدار والعلوي...ثم بعد وفاته على زوجه الحرة خديجة بنت عبد الله معتقته ....**"[4]. وورد

1-Ibid., p.499.

2- الوثيقة رقم70 "**رسم بيان صدقة وهي دار مع بيان مواصفتها لمستحق بإشراف القاضي الموثق**"، في العلبة 76 -1 تاريخها 1013 هـ (1605 م) من سلسلة المحاكم الشرعية، في الأرشيف الوطني الجزائر.

3-الوثيقة رقم35 "**رسم بيان تقسيم تركة ورسم وقف بإشراف القاضي الموثق**"، في العلبة 27-2تاريخها أوائل حجة الحرام 1067 هـ(1657 م) سلسلة المحاكم الشرعية ،في الأرشيف الوطني الجزائر.

4-الوثيقة رقم60 "**رسم وقف ذري** "، في العلبة 119-120 تاريخها أوائل حجة الحرام 1088 هـ (1677 م) سلسلة المحاكم الشرعية، في الأرشيف الوطني الجزائر.

في أحد المصادر الغربية أنه وبحسب العادات، والتقاليد المتبعة في مدينة الجزائر فإن العلاقة كانت تبقى قائمة بين الأعلاج، وأسيادهم رغم إسلامهم، وعتقهم أي تحررهم ولاسيما من ناحية الوراثة فالعلج الذي يتوفى دون أبناء، وورثة كانت أملاكه تعود للمالك الأول له بالرغم من منحه الحرية من طرف هذا الأخير، وإن لم يكن حيا، فإنه كان من حق ابنه أو حفيده أن يرث أملاك علج أبيه أو جده[1] و هذا ما يعرف بالوراثة بالولاء[2] وهو ما تأكده بعض عقود تأكيد الملكية، وتقسيم التركات التي تعود لسلسلة المحاكم الشرعية ومن نماذجها نذكر: "... **الصاير إلى عفو الله وغفرانه الحاج جعفر بن عبد الله عتيق المرحوم بكرم الله السيد فتح الله بن خوجة بيري...إلى أن توفي في السالف عن التاريخ بأعوام وورثه بالولاء ولدا ابن أخ معتقه المذكور وهما المعظمان الخيران السيد حمودة والسيد علي ولدا المرحوم بكرم الله السيد محمد ابن**

1-HAEDO, (F.D), « Topographie… », In : **R.A.,** T.14, 1870, p. 497voir aussi Cornelis Pijnacker, Description historique des villes de Tunis d'Alger et d'autres se trouvant en Barbarie 1626, introduction et annotation Gérard Van krieken, Entreprise Nationale d'ART graphique (ENAG Editions**)**, Alger 2015, p.113.

2–ويذكر الأستاذ الباحث خليفة حماش عن هذا الموضوع انطلاقا من وثائق المحاكم الشرعية أن علاقة الولاء التي كانت تبقى قائمة بين السيد، ومعتقه بعد عتقه ينص عليها في رسم العتق الذي يحرر بالمحكمة الشرعية، ويسلم للعبد دليلا على عتقه، وتأتي تلك الصيغة بأسلوب يفيد بأن السيد قد رفع يد الملكية على عبده في كل جزء من شخصه، وملكه إلا الحق المترتب له عليه بالعتق وهو الولاء .

أنظر: خليفة حماش، **الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني**، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، إشراف: فاطمة الزهراء قشي، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة 1427هـ/2006 م ص 824.

خوجا بيري"[1]. كما نسجل بنفس الوثيقة وما يلي: "الحمد لله بعد أن استقر على ملك جعفر ابن عبد الله معتق خوجة بيري المذكور مالكا في الرسم...جميع الحانوت الكاينة في الباديستان ...وانتقلت الحانوت المذكورة لورثة خوجا بيري المذكور وهم فرحات وحمودة ومحمد وعبد الرحمن ويوسف واللونة وأمهم الحرة نفسه بنت فرحات للإحاطة والدهم السيد أحمد بن خوجة بيري بإرثه لجعفر المذكور بالولاء لا غير في علم..."[2].

وفي المقابل كان يوجد من الملاك من يقسم ميراثه من ثروات، وأملاك بين من أعتقهم من الأعلاج إن لم يكن له ورثته[3]. ومن الأعلاج من كان يستمر في العيش في بيت سيده السابق بعد عتقه للسهر على خدمته، ومرافقته؛ حيث كان يحظى العلج هناك بحسن الاستقبال، والمعاملة عند عودته من مهامه العسكرية، وفي أوقات راحته عندما كان ينتمي لطائفة الرياس –كما كان عليه الحال في أغلب الأحيان –أو إلى الجيش الإنكشاري[4]. وأصبح هؤلاء المسيحيين بإسلامهم أتراكا عثمانيين؛ فكانوا يزودون البحرية بالمهندسين والعمال البناءين للسفن، ومعلمي النجارة، والسباكين، وقادة السفن، والمهندسين، والحرفين من كل الاختصاصات[5]. وشكلوا غالبية عناصر طائفة الرياس، وهذا ما ذهب إليه **هايدو** عند ذكره للتركيبة البشرية لطائفة رياس البحر؛ فذكر

1–الوثيقة رقم49 "**رسم إقرار بملكية وتقسيم تركة** "، في العلبة 23تاريخها اواسط ربيع الثاني عام1080هـ (1669م).

2– المصدر نفسه.

3-HAEDO, (F.D), « Topographie….. »,In :**R.A.**, T.14, 1870,p.497.

4-Ibid., p.513.

5-Ibid.,T15, p.42voir aussi Corinne **Chevalier (Corinne) ,**Les trente Premières Années de l'Etat d'Alger (1510-1541) Office des PublicationsUniversité(O.P.U), Alger, 1988., p.61.

الأتراك العثمانيين والمسلمين من غير الأتراك العثمانيين من العنصر المحلي، والأندلسيين في حين أن الأغلبية كانوا من الأعلاج [1]؛ فكل الأعلاج تقريبا كانوا يجيدون عملا في أوساط البحرية الجزائرية[2].

وكانوا يشكلون قوة فعالة لدورهم في عمليات الجهاد البحري[3]؛ فقد كانت عودة هؤلاء إلى المدينة بالنصر المعنوي، والمادي على أعداء الإسلام يستدعي

1-HAEDO, (F.D), « To**pographie**… »,In :**R.A.**, T.14, 1870, p.518.
2-E.Albertni et autres, Op.cit., p.217

3-كما شكل **رياس بحر** الجزائر دعما قويا للأسطول العثماني في عملياته الجهادية وهذا ما يتضح من خلال مراسلات سلاطين الدولة العثمانية إلى حكام الجزائر لطلب إرسال أسطول الجزائر :"**أن{كذا} الأسطول الشاهاني سوف يخرج بإذن الله تعالىإلى البحر في أوائل الربيع للتجول في مياه بحر الأبيض المتوسط قصد الأمن ،والحماية ،وقصد ملاقاة أسطول الكفار الذي يقال عنه بأنه سوف يخرج أيضا ولذا أمرت بمايلي عند الوصول بادروا إلى تجهيز وتهيئة السفن التي سوف تغادر ميناء الجزائر للالتحاق بالأسطول الشاهاني الذي سيخرج إلى البحر لتبقى معه حتى تقضى مهمته** " أنظر: مهمة دفتري 44حكم 112بتاريخ990 هـ وأنظر أيضا: مهمة دفتري 21حكم 503 بتاريخ 21 /11 /980 هـ، و مهمة دفتري 10صحيفة 14حكم 16 بتاريخ 2 /1 /979 هـ، ومهمة دفتري 24صحيفة 5حكم13بتاريخ 16 /11 /981 هـ وأنظر أيضا: مهمة دفتري24صحيفة 72حكم 198 بتاريخ5 /981/12 هـ، ونسجل أيضا من خلال هذه المراسلات طلب السلاطين العثمانيين من حكام الجزائر إيفاد أصحاب القدرات في مجال الإبحار من الجزائر للإفادة منهم في دار صناعة السفن بعاصمة الدولة العثمانية :" **...وإن كانت الفرصة مهيأة لإرسالهم فعليك بإرسال القدر الكافي من ذوي الكفاءات وأصحاب المهارات في علم البحار مع قائمة بأسمائهم كي يتم تسجيلهم في ترسخاتنا العامرة وإعطائهم علوفاتهم {رواتبهم} بمشيئة الله الأعز حال وصولهم...**". أنظر: مهمة دفتري رقم16 حكم رقم 150بتاريخ6/4 /979هفي الأرشيف الوطني الجزائري، وأنظر أيضا: مهمة دفتري رقم21 حكم رقم 526بتاريخ980/11/21هـ في الأرشيف الوطني الجزائري ومهمة دفتري رقم14صحيفة رقم 41حكم رقم 49بتاريخ غرة صفر979هـ في الأرشيف الوطني الجزائري علما أن هناك دراسات أكاديمية سعت لإبراز الدور الفعال لبحرية الجزائر في دعم الأسطول العثماني ومن أبرز الأمثلة:

ابتهاج كل السكان؛ فعودة السفن الجزائرية منتصرة، ومحملة بالغنائم كان السبب في إقامة الاحتفالات، والأفراح والولائم، وكانت مناسبة للتجار لشراء السلع، والأسرى الذين أحضروا ضمن الغنائم؛ فقد كان الجميع يحظى بحصته من الغنائم[1] والمكاسب من الحاكم، وإلى غاية عمال الميناء وفي نفس الوقت كانت فرصة لتجار مدينة الجزائر لبيع ما لديهم من سلع في متاجرهم من ملابس، وأطعمة للبحارة الذين يعودون من حملاتهم البحرية[2]. ولهذا نعم، وتمتع رياس البحر من الأعلاج، وأعضاء الطائفة عامة بمكانة اجتماعية معتبرة فقد كانوا محبوبين لدى سكان مدينة الجزائر[3]؛ إذ كان نشاطهم عاملا هاما من عوامل ازدهار الحياة الاجتماعية في المدينة، ومنهم من تبوء السلطة في إيالة الجزائر،

دراسة الأستاذة الباحثة نعيمة بوحمشوش؛ والتي تتميز باستنادها إلى المصادر الغربية، وكذا إلى وثائق الأرشيف العثماني مما سمح للباحثة بالوصول إلى نتائج هامة أنظر نعيمة بوحمشوش، **مساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية خلال القرن السادس عشر**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: ناصر الدين سعيدوني، معهد التاريخ جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1998-1999م.

1-حيث كان يقوم سكان مدينة الجزائر باستثمار أموالهم في عمليات الغزو البحري مقابل الحصول على أسهم من الغنائم المحصلة، وهذا ما نستخلصه مما ورد في العديد من عقود المحاكم الشرعية، ومن نماذج ذلك ما ورد في رسم تقسيم تركة: "... **وحظوظا بسفن سيأتي ذكرها... خروبتان اثنتان بسفينة محمد الصغير وخروبة واحدة بسفينة أوسطا يوسف...**". أنظر: الوثيقة رقم 5 "**تقسيم تركة الحاج قاسم عبيد الأندلسي من أثرياء مدينة الجزائر**"، في العلبة 18 -1 تاريخها 1073هـ(1663م)، من سلسلة المحاكم الشرعية بالأرشيف الوطني الجزائري.

2-HAEDO, (F.D), « **Topographie**… »,In :**R.A.,** T15,1871, p.49.

3-Mercier (Ernest), **Histoire de l'Afrique septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830)**, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1888,tome 3 ,p.135.

وبخاصة في فترة البايلربايات من أمثال علج علي (1568-1587م) [1]؛ وقد اعتبر **هايدو** الأعلاج في أواخر القرن 16(10هـ) أكبر الأعداء الذين يمكن أن تبلى بهم الأمم المسيحية وفيهم تكمن تقريبا كل السلطة، والتأثير في إدارة الدولة، وثروة مدينة الجزائر وكل إيالة الجزائر[2].

ثالثا/ واقع الصراع بين طائفة رياس البحر والجيش الإنكشاري في الجزائر

عند التطرق بالدراسة إلى جانب آخر من الجوانب المرتبطة بالنشاط البحري الجزائري خلال العهد العثماني الموضوع وهو صلة أو علاقة طائفة رياس البحر بالجيش الإنكشاري في الجزائر في ظل الحكم العثماني نجد أن المكانة المتميزة التي تمتعت بها طائفة رياس البحر[3]؛ أدت إلى بروز تنافس

1-والذي تمكن بفضل كفاءته، وقدراته وتميزه أن يصل لتولى القيادة العليا للأسطول العثماني بعد دوره البارز في معركة ليبانت 1571م وقد أشاد السلطان العثماني سليم الثاني (1566 - 1574) بجهوده، وكفاءته في حكم وجهه إلى إنكشارية جزائر الغرب، وقادتهم: "**بناء على شاهدتنا بما بذله قليج –علج علي لقب بالسيف علي–دام إقباله أمير أمراء جزائر الغرب السابق من بسالة ومشاركة حقة في أداء خدماتنا المبرورة في سبيل الغزو والجهاد في سبيل الله تعالى فقد استجلب بذلك مزيد من عنايتنا الملوكية واستحق بذلك تقليده قيادة الأسطول لدى بابنا المعلا إلى جانب إمرة ولاية الجزائر (البحر الأبيض المتوسط) كما فوضت إليه أيضا ولاية تونس....**". أنظر: مهمة دفتري رقم12 صحيفة رقم 571حكم رقم 1088بتاريخ 979/11/7هـ في الأرشيف الوطني الجزائري.

2-HAEDO, (F.D), « Topographie….. »,In :**R.A.**, T.14, 1870, p.499

3-حول طائفة رياس البحر، وتركيبتها البشرية، والعسكرية تنظيماتها أدوارها ومهامها، وحول النشاط البحري للجزائر بصفة عامة خلال المرحلة المعنية بالدراسة يمكن العودة إلى :أرزقي شويتام، **دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي الفترة العثمانية 1519 -1830**، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010، ص ص.41-62، وأيضا نعيمة بوحمشوش، **الجيش البحري، في الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها**، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، طبعة خاصة

بينها وبين الجيش البري؛ أي الإنكشارية هذا التنافس الذي عملت بعض الدراسات الغربية ولاسيما الدراسات التاريخية الفرنسية خلال مرحلة الاحتلال الفرنسي للجزائر على تهويله وجعله صراعا دمويا طاحنا دون إعطاءها، ولا مثال واحد عن مواجهة مباشرة، أو اشتباك مسلحبين الطرفين. حيث لا ننكر أن التنافس كان شديدا بين الطرفين، وهو تنافس على السلطة؛ ومن تم السعي للإبقاء على امتيازاتهم؛ ولكنه لم يرقى للصدام العسكري بينهما والدليل تداولهم على السلطة وأبرز مثال على ذلك أنه عندما حدث فراغ سياسي في الحكم في نهاية عهد الأغوات وعجز الإنكشارية عن إيجاد حل لذلك؛ فكل من رشحوه من صفوفهم لمنصب الآغا رفض خوفا من تعرضه للاغتيال[1]على غرار من سبقه تقدمت طائفة رياس البحر وحلت المشكلة بترشيح أحد رياس البحر من صفوفها ليتولى الحكم بلقب داي[2]؛ وهو أولمن دشن مرحلة الدايات وهو **الداي**

وزارة المجاهدين الجزائر2007م، ص ص.95-106. وأنظر أيضا الدراسة الأكاديمية الهامة الآتية:

Moulay Belhamissi,Marine et marins D'Alger (1518-1830), en trois tomes, Bibliothèque Nationale D'Alger, Alger 1996.

1-la révolution dite des Agas dans la régence d'Alger (1659-1671)**"**, In **:** Revue de l'occident musulman et de la Méditerranée, numéro 13-14 ,1973la révolution dite des Agas dans la régence d'Alger (1659-1671)**"**,In **:**Revue de l'occident musulman et de la Méditerranée, numéro 13-14 ,1973 p.68

2-في حين تذهب الأستاذة الباحثة عائشة غطاس في دراستها للنظم السياسية في ظل الحكم العثماني للجزائر إلى القول بأن ظروف انتقال السلطة من قادة الجيش البري إلى قادة الجيش البحري غير واضحة وأن تفسيرها محل خلاف بين المؤرخين حيث ذهب فريق منهم إلى القول أن قادة الجيش الإنكشاري حينما أدركوا خطورة تأزم الوضع السياسي انسحبوا من الحكم لصالح طائفة رياس البحر في حين يذهب الفريق الثاني للقول أن طائفة رياس البحر اغتنمت اضطراب الأوضاع واستولت على السلطة أنظر: عائشة غطاس، **النظم السياسية، في الدولة الجزائرية الحديثة**

الحاج محمد التريكي(1671-1681 م) وبعد تداول3 أو4 دايات من صفوف رياس البحر عاد الحاكم أي الداي ليختار من صفوف الجيش الإنكشاري مجددا ولم. يكن أيضا نتيجة لمواجهة بين الطرفين كما نستخلصه من دراسة الأستاذة الباحثة عائشة غطاس ولكن نتيجة الضغوط الخارجية التي واجهها الدايات الأوائل والتي أضعفت طائفة رياس البحر وسمحت للجند بالتدخل ثانية في الحياة السياسية[1]. ونستخلص من ذلك أن تداولهما على السلطة في واقع الأمر كان نتاج الظروف السائدة والوضعية الداخلية لكل منهما أكثر مما هو نتاج صراع، وتنافس بينهما على السلطة. وتجدر الإشارة إلى أن أمارات هذا التنافس على السلطة قد برزت بوادره منذ عهد البايلربايات وتجسد في عدة مسائل نذكر من بينها:

ومؤسساتها، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، طبعة خاصة وزارة المجاهدين الجزائر2007م،ص ص54-55. وأنظر أيضا: وليم سبنسر، **رياس البحر**، تعريب وتقديم: عبد القادر زبادية، دار قصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص89. ونعتقد أنه في كلا التفسيرين نتلمس الفراغ السياسي الذي حصل نتيجة اضطراب الوضع بعد اغتيال الحاج علي آغا آخر ممثلي حكم الأغوات فراغ شغله مرشحو طائفة رياس البحر؛ مما يمكن عده انتصارا لهم في إطار تنافسهم مع الجناح البري من الجيش وفي نفس الوقت دليلا على التكامل الذي كانا يشكلانه ولاسيما إذا أخذنا بما أورده الأستاذ الباحث محرز أمين في دراسته التي خصصها لمرحلة حكم الأغوات في الجزائر؛ حيث أبرز أن اختيار الحاج محمد التريكي كأول داي يحكم الجزائر؛ قد تم باتفاق بين طائفة رياس البحر والإنكشارية واستند في ذلك إلى ما ورد في وثيقة من وثائق المحاكم الشرعية وهو كالآتي: "**المنتصب بالبلد المذكور بأمر العسكر المنصور في مصالح البلاد والعباد وهو المعظم المرعي المفخم الناسك الآبر أبو عبد الله السيد الحاج محمد الدولاتلى بالبلد المسطور وقت التاريخ شهر التريكي**" الوثيقة رقم 14 في العلبة 45-1 انظر :**الجزائر في عهد الآغاوات(1659 - 1671)**، دار البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، 2013، ص136.

1- عائشة غطاس، المرجع السابق، ص54.

1-رغبة الإنكشارية في حصص من الغنائم البحرية على غرار طائفة رياس البحر فحاول البايلرباي **محمد بن صالح رايس** (1567-1568م) حل الإشكال بدمج فرق من الجيش الإنكشاري في النشاط البحري لكن هذا الحل لم يضع حد نهائيا للتنافس بينهما[1].

2-موقف الجيش الإنكشاري من بعض الحكام البايلر بايات الذين كانوا يختارون من صفوف طائفة الرياس وإثارتهم لمخاوف السلطان العثماني حول نوايا هؤلاء البايلربايات بالتمرد على سلطته ونخص بالذكر موقفهم من **البايلر باي حسن بن خير الدين** خلال عهدة حكمه الثانية (1557-1561م) والذي أرسلوه مكبلا بالأغلال إلى حضرة السلطان العثماني [2] وكذا موقفهم من البايلر باي علج علي[3].

3-محاولتهم الاستيلاء على مقاليد السلطة بعد وفاة البايلرباي **صالح رايس** سنة 963هـ/ 1556 م حيث قام الإنكشارية باختيار **حسن قورصو** خليفة له وعندما أرسل السلطان العثماني البيلرباي الجديد **محمد تاكرلي** (1556-1557م) الذي عين لخلافة صالح رايس لم يرغب **حسن قورصو** في استقباله ومنحه السلطة؛ ولكن تمكن **محمد تاكرلي** بالاستناد إلى طائفة رياس البحر من دخول مدينة الجزائر ،واستلام السلطة بعد قضاءه على **حسن قورصو** وأتباعه أو أنصاره، وقتلهم ولكن سرعان ما انتقم بقية أنصاره لمقتله؛ حيث تمكن المدعو يوسف قائد تلمسان من قتله، وأنتخب هذا الأخير حاكما من طرف الإنكشارية لكن سرعان ممات من جراء وباء الطاعون، وحينها اختير **القائد يحيى** ليخلفه،

1- HAEDO, (F.D), Historie des rois .., p.133-134.

2-Ibid., pp.122-123.

3-Ibid., p.145.

وليحاول إعادة الأمن للمدينة قبل أن يتدارك ال سلطان العثماني الأمر ويرسل الحسن بن خير الدين بيلرباي على الجزائر للمرة الثانية[1].

وسوف يستمر هذا التنافس خلال المراحل اللاحقة؛ ولكن لابد من أن نذكر أن هذا التنافس لم يمنع من وجود نوع من التكامل بين طائفة رياس البحر والجيش الإنكشاري[2]؛ ففي الوقت الذي كان دور الجيش البري يكمن في الدفاع عن البلاد، وتأمين حدوده والعمل على الحفاظ على الأمن، والاستقرار الداخلي من خلال إخماد التمردات، والمساهمة في جباية الضرائب؛ فإن طائفة رياس البحر كانت توفر جزءا من مرتبات الجنود بفضل مردود الغنائم البحرية التي كانت تساهم في تزويد خزينة الدولة بالأموال ونضيف مساهمتها الفعالة في توفير الحماية؛ وكذا الدفاع عن المناطق الساحلية، وعن فعالية الحمالات البحرية التي كانت تقوم بها طائفة رياس البحر في إطار الغزو البحري ذكر **هايدو** أنهم كانوا يبحرون خلال فصل الشتاء والربيع دون أي خوف؛ وكأنهم ذاهبون بكل بساطة لاصطياد الأرانب، وكانوا يقطعون المتوسط من شروق الشمس إلى غروبها وهم يسخرون من غيلوطتنا {سفننا} التي كان بحارتها في هذه الأثناء يمرحون ويلهون، ويتلهون بالطعام في الموانئ المسيحية[3].

1-Ibid.,pp.99 voir aussi :

عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي**، دار الأمل طبعة ثانية منقحة ومزيدة، الجزء الأول، الجزائر، 2016، ص122.

2-حول هذه الرأي أنظر: أرزقي شويتام، **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 926-1246 هـ/1519 -1830م**، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، الجزائر 2009، ص165، وأنظر أيضا محمد خير فارس، **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي**، مطابع ألف باء الأديب، دمشق، 1969، ص96.

3-HAEDO, (F.D), « Topgraphie….. »,In:**R.A.**, T.15, 1871,p.45

وهذا ما يؤكده مصدر آخر في القرن 11هـ (17 م) عند إحصاءه للقوات العسكرية وعدد المقاتلين الفعليين المتواجدين في مدينة الجزائر في إطار التحضير لمشروع يستهدف احتلالها؛ حيث ذكر أنه كان يوجد بالمدينة ضمن قواتها أربعة ألاف رياس بحر[1] والذين وصفهم بالرجال الشجعان ذوي البأس، والإقدام ومن القوات التي يعول عليها كثيرا للدفاع عن المدينة في حالة تعرضها للخطر[2].

خاتمة

مما سبق استعراضه يمكن أن نستخلص ما يلي:

المصطلح الأنسب إطلاقه على النشاط البحري الذي مارسه بحارة الجزائر في ظل الحكم العثماني هو مصطلح الجهاد البحري على اعتباره رد فعل شرعي على الهجمات والتحرشات الأوروبية والغربية بصفة عامة التي كانت توجه ضد الجزائر بصورة مستمرة تحت شعار الصليبية والدليل على شرعية هذا النشاط وكونه ضرورة تاريخية وليس اختيارا أنه لم يكن يوجه في الأساس إلا ضد الدول المعادية والتي كانت في حالة حرب مع الجزائر، وهو ما تؤكده المصادر المحلية.

يمكن من وجهة نظرنا استنادا طبعا إلى دراسة استقرائية، وتحليلية نقدية لما أوردته المصادر الغربية والمحلية تفسير ظاهرة الأعلاج التي تعد من أبرز الظواهر التاريخية التي أفرزها النشاط البحري الجزائري في ظل الحكم العثماني

1- المصدر ذكر مصطلح قرصان وقد سبق لنا مناقشة هذا المصطلح

2-Projet pour l'entreprise d'Alger, Recueil historique contenantdiverses pièces curieuses de ce temps, sur l'imprimé A Cologne,chez christophore VanDyck1666, p.2

بالتسامح الديني؛ الذي ميز مجتمع الجزائر عامة ومجتمع مدينة الجزائر خاصة وتقيدهم بتعاليم الإسلام وكذا بغياب العراقيل، والحواجز الاجتماعية؛ التي كانت متواجدة في أوروبا، ولعدم تواجد الإقصاء، والامتياز الاجتماعي تبعا للأصل النبيل؛ فإسلامهم كان يتيح لهم فرصة الارتقاء في الميدان السياسي– العسكري، والاجتماعي –الاقتصادي، مما سمح لمجتمع الجزائر، وبخاصة مدينة الجزائر من الإفادة من المؤثرات الغربية الأوروبية من خلال الأعلاج على وجه الخصوص الذين سعوا إلى توظيف أحسن ما حصلوه من انتماءهم السابق للعالم الأوروبي الغربي المسيحي في خدمة الإسلام الذي انضووا تحت ظلاله بمدينة الجزائر.

إن التنافس الذي كان قائما بين طائفة رياس البحر والجيش الإنكشاري أمر واقع تتفق فيه المصادر الغربية والمحلية ولكنه لم يرتقي إلى مصاف الصراع الدموي، بل كان تنافس على السلطة نجم عنه تداول على الحكم بين الطرفين المتنافسين؛ ويمكن القول إن تداولهما على السلطة في واقع الأمر كان نتاج الظروف السائدة والوضعية الداخلية لكل منهما أكثر مما هو نتاج صراع، وتنافس بينهما على السلطة–كما سبق ذكره–كما أن هذا التنافس الذي وصف بالصراع لم يلغى على الإطلاق دورهما التكاملي في الميدان العسكري وتأمين البلاد والسكان.

تجدر الإشارة في الأخير إلى أن ضرورة ضبط المفاهيم والمصطلحات بالنسبة لتاريخ الجزائر الحديث لا تقتصر على موضوع النشاط البحري وما يتصل به بل تتعداه إلى مواضيع أخرى ونعتقد أن التوصل إلى ضبط سليم لهذه المفاهيم والمصطلحات لن يتحقق إلا بالتحرر من الأحكام المسبقة ولاسيما تلك التي عملت الأعمال التاريخية؛ التي أنجزت خلال مرحلة الاحتلال الفرنسي

على تكريسها، وذلك بالعودة إلى المصادر المحلية والموازنة بين مضمونها ومضامين المصادر الغربية للتوصل إلى نتائج مقنعة ومنطقية تتماشى والحقيقة التاريخية–والتي تظل دوما نسبية مادامت ترتبط بالوثائق والمصادر المتنوعة وكذا باستقراء الباحث لهذه الأخيرة–.

الجزائر في أواخر القرن الثامن عشر من خلال مذكرات الأسير النرويجي نيلز موس 1769-1772

Algeria in the late eighteenth century through the memoirs of the Norwegian prisoner Nils Moss 1769-1772

✍د/ بوطبة لخضر
جامعة محمد لمين دباغين سطيف02

الملخص

عرضنا في هذا المقال كتاب أسير نرويجي في مدينة الجزائر 1769-1772 للبحار النرويجي نيلز موس، الذي أسره القراصنة الجزائريون قبالة السواحل البرتغالية سنة 1769 وبقي في الأسر حتى سنة 1772. ويعتبر أول مصدر نرويجي ينقل لنا أوضاع الجزائر خلال العهد العثماني في تلك الفترة. ونظرا لأهمية الكتاب قمنا بترجمته والتعليق عليه. فالكتاب مقسم إلى قسمين، تحدث في القسم الأول عن العلاقات الدانماركية- النرويجية مع إيالة الجزائر، والحرب التي دارت بينهما (1770) والتي انتهت بمعاهدة سلم. أما القسم الثاني فقد خصصته لسرد قصة أسر السفينة التي كان على متنها، واستعرض وصفا للحياة في الأسر، أين نقل لنا صورة عامة عن أوضاع الجزائر طوال مدة أسره.

Abstract

In this article we have presented a book written by a Norwegian Salor named Nils Moss, who was captured by Algerian pirates near the Portuguese coast in 1769, wher he stayed in captivity until 1772. The book is consedered as the first Norwegian source to give us a clear picture about Algeria during the Ottoman era. Due to the importance of this book we translated and commented on it. The book is divided into two sections; the first is about the Danish-Norwegian relations with Algeria and the war that took place between then in 1770 that ended whith the peace treaty. As the second section he tells us how the ship that he was on was captured, and

how life was in captivity. Through this description he gave us a full image about Algeria during the Ottoman era.

مقدمة

تعتبر كتابات الأسرى الأوروبيين الذين قادهم القدر للوقوع في الأسر على يد القراصنة الجزائريين خلال العهد العثماني، مصدرا مهما لا يمكن لأي دارس أو باحث في تاريخ هذه الفترة المهمة من تاريخ الجزائر، وذلك للمعلومات القيمة التي تتضمنها هذه الكتابات باعتبار أصحابها كانوا شهود عيان في الفترة التي أقاموا فيها كأسرى في مدينة الجزائر، فدفعهم الفضول إلى تسجيل ملاحظاتهم وانطباعاتهم ومشاهداتهم في جميع المجالات. يعتبر الأسير النرويجي نيلز موس أحد أبرز الأسرى الذين كتبوا عن الجزائر خلال مدة أسره التي استغرقت ثلاث سنوات مليئة بالمغامرات والمآسي والأوقات السعيدة، ويعتبر الكتاب المصدر الوحيد الذي تناول تاريخ الجزائر خلال هذه الفترة باللغة النرويجية.

التعريف بالكاتب

كاتب هذه المذكرات هو البحار نيلز نيلسون موس Niels Nielsen Moss من مواليد عام 1743م في تروندهايم[1] بالنرويج وتوفي سنة 1769م وقع أسيرا في أيدي قراصنة الجزائر حيث تمَّ بيعُه كعبد ومكث في الأسر سنتين وسبعة أشهر واثنتي عشرة يوما، وبعد عودته إلى بلدته بتروندهايم اجتاز امتحان

1 **تروندهايم**، بالنرويجية Trondheim، مدينة تقع إدارياً في مقاطعة سور تروندیلاغفي منطقة تروندیلاغفي النرويج، عدد سكانها حسب إحصائية شهر يناير سنة 2008 يبلغ 186.257 نسمة بعد مدينة أوسلوهي المدينة الثالثة بكبرها في بلد النرويجتقع على مصب نهر (نيديليف) في تروندهايم فيورد، حوالي السبعين كلم من البحر عدا عن ذلك فتروندهايم هو اسم المجمع السكني الذي يحيط بحدود المدينة وضواحيها. المرجع. https://ar.wikipedia.org/wiki

الضباط ثم تزوج. كتب مذكراته حول أسْره وتحريره ونشرها سنة 1773 حيث صور فيها مدينة القراصنة وسكانها وحياتهم اليومية، ثم أُعيد طبع الكتاب من طرف متحف تروندهايم البحري سنة 1936. وبعد ذلك قام النادي الأدبي بإعادة طبع هذا الكتاب في المدينة نفسها سنة 1970، وقام أحد الكتاب الفرنسيين بترجمته من اللغة النرويجية إلى الفرنسية مع الملاحظة أنه لم يرد ذكر اسم المترجِم في هذه النسخة.

مضمون الكتاب

يشتمل الكتاب على قسمين وملاحق، فالقسم الأول خصصه الكاتب للعلاقات الدبلوماسية بين إيالة الجزائر والمملكة المزدوجة الدانو–نرويجية خلال العهد العثماني الذي تميز بكون علاقات الجزائر عموما مع مختلف الدول والإمارات الأوروبية علاقات فريدة من نوعها، حيث كانت هذه الدول تعترف بهيمنة الجزائر على النشاط البحري في البحر المتوسط وترتبط بها بمعاهدات واتفاقيات وتدفع لها الرسوم و الإتاوات؛ وفي الوقت ذاته كانت لا تتوانى في شن الغارات البحرية والحملات العسكرية لغزوها والتخلص من تلك الأعباء المالية، وفي الوقت ذاته كذلك كانت تقدم لها وتبيع الأسلحة والعتاد الحربي. كما يفيدنا الكتاب بمعلومات دقيقة وقيمة عن تلك الحملة البحرية الدانو–نرويجية الشرسة التي تعرضت لها مدينة الجزائر سنة 1770، وكيف دافع الداي محمد عثمان باشا عن هذه المدينة بمساعدة السكان، وكيف رضخت الحكومة الدانو–نرويجية في النهاية للشروط التي وضعها هذا الداي لإبرام الصلح بين الدولتين، حيث مكن هذا الصلح كاتبنا من التحرر من أسره والعودة إلى بلده. وفي القسم الثاني يروي قصة مأساة وقوعه مع رفاقه في الأسر على يد القراصنة الجزائريين ويقدم لنا وصفا للحياة اليومية للأسرى

المسيحيين في مدينة الجزائر بأدق تفاصيلها. وتناول في الملاحق موضوعات متنوعة سياسية ودينية واجتماعية وحتى طبيعية، وذلك بشكل موجز يتناسب مع كونه أسيرا غريبا لا شك أن عامل اللغة قد لعب دورا كبيرا في كون معلوماته سطحية نوعا ما كما سيلاحظ القارئ ولكنه برهن على قوة ملاحظاته وانتباهه الشديد. حيث يزودنا بوصف لمدينة الجزائر والعادات الجنائزية للسكان، والداي وكيفية تعيينه، والعقوبات والمستشفى والحمامات والاحتفالات والبلاد والحيوانات والطيور والسكان وعباداتهم ولباسهم وأعيادهم ونسائهم، والأسرى والمرابطين والحرس الشخصيين للداي.

الاتحاد الدانماركي النرويجي والجزائر 1769-1772

يفيدنا هذا الأسير بمعلومات قيمة عن علاقات الجزائر مع مملكة الدانماركية النرويجية التي يذكر أن أول معاهدة بين البلدين كانت سنة 1746، حيث يقول: **"في صيف عام 1770م تحديدا يومي 6 و8 جويلية قام الأسطول الدانو – نرويجي بقنلبة مدينة الجزائر، لكن المدينة ترفض الاستسلام. لقد جاء المهاجمون من بعيد، من بلاد الشمال الأوروبي، كانوا يملكون عددا كبيرا من السفن الحربية تحمل على متنها ثلاثة آلاف (3000) جندي وبحارة، بعد ذلك عاد الأسطول خاوي الوفاض. وبعد هذا القصف بقليل أدرك أولئك الذين أرسلوا هذه القوة البحرية أن فشل الهجوم يعود إلى عدة أسباب. أحد تلك الأسباب كانت تافهة للغاية: إنها بكل بساطة سوء اختيار الوقت الملائم للحملة، حيث هبت الرياح قادمة من البحر منعت المهاجمين من تنصيب مدافعهم بدقة حتى يتمكنوا من قصف المدينة في المرحلة الأخيرة من هذه المعركة. كانت هذه إحدى أسباب الهزيمة، وفي نهاية المطاف عاد السلم بين البلدين وعاد النشاط البحري كما لو أنه لم**

يحدث أي شيء. لماذا يبحر أسطول من الشمال الأوروبي إلى البحر المتوسط من أجل مهاجمة حكومة في إفريقيا الشمالية؟".

هذا ملخص النزاع الذي نشب بين المملكة المزدوجة الدانو–نرويجية[1] وحكومة الباربرسك في مدينة الجزائر التي كانت تمثل القسم الغربي لممتلكات الإمبراطورية العثمانية. دامت هذه الحرب ثلاث سنوات من سنة 1769 إلى 1772. هي قصة قصيرة للعلاقات بين الإتحاد الدانو–نرويجي والجزائر خلال بضع عشرات من السنين من منتصف القرن الثامن عشر. حيث كان الإتحاد الدانو–نرويجي يعتبر الجزائر تارة بلد قرصنة منظمة، وتارة أخرى ذلك الخصم السلمي. فهي صداقة هشة لكنها صداقة لابد منها، ولكنها أكثر من ذلك فهي قصة البحار نيلز موس.

ومثلما ذكرنا من قبل كان الإتحاد الدانو – نرويجي يعتبر الجزائر بمثابة عش للقراصنة بداية من أواخر القرن السادس عشر الميلادي[2]– وهي الفترة التي بدأ هذا الاتحاد نشاطه التجاري في البحر المتوسط– حتى سنة 1746، حيث تم توقيع أول معاهدة للسلم مع حكومة الجزائر حملت عنوان **"معاهدة سلم بين ملك الدانمارك والنرويج وداي جمهورية الجزائر؛ تم توقيعها يوم 22 رجب 1159 هـ الموافق لـ 10 أوت 1746م".**[3]

---

1 كانت النرويج متحدة مع الدانمارك خلال الفترة الممتدة من سنة 1536 إلى غاية 1814.

2 أنظر وثائق أخرى في أرشيف الحكومة في أوسلو، المستشارية الدانماركية:

Cas envoyés par Apent lettre / missive. Messages et dossiers rejetés: Forfait 1 / 1582-1648 (ajouter 01.10.1634). Cas Licenciés Chronologiquement disposés: Pake 3, 1671- 1696, (ajouter le 7/3/1682 et le 17/3/1693).

3 أنظر الموقع الإلكتروني: http : //web. Sdu.dk.mrh/ treaty.htm.

وقد اكتست معاهدة السلم التي أبرمت سنة 1746 أهمية بالغة بالنسبة للبلدين،[1] فالسفن التجارية الدانو – نرويجية التي كانت غالبيتها تأتي محملة بالسمك المملح والأخشاب إلى دول أوروبا الجنوبية، وكانت تعود محملة بالملح إلى الاتحاد الدانو – النرويجي، كان بإمكانها التقاطع مع سفن القرصنة الجزائرية – شريطة أن يتلقى داي الجزائر الضريبة[2] بصفة منتظمة من طرف حكومة كوبنهاغن. لقد وضعت هذه المعاهدة الحد لاقتياد السفن الدانو– نرويجية كغنيمة في اتجاه الجزائر، كما أنهت معاناة آلاف البحارة الدانو – نرويجيين الذين كانوا يعانون الأسر منذ 150 سنة.

لكن الأيام الجميلة لا تدوم كما هو معروف. على أن الملاحة البحرية الدانو –نرويجية عرفت أوج نشاطها في البحر المتوسط– فالفترة هذه تمثل العصر الذهبي للملاحة في الاتحاد في النصف الأخير من القرن الثامن عشر–، ومع ذلك بقيت الهدايا والضريبة التي كانت تدفع للداي على حالها ولم تتغير، ولذلك أعطت هذه الظروف للداي محمد عثمان باشا المبرر لكي يظهر أكثر إصرارا وعدوانية اتجاه القنصل الدانو–نرويجي في أواخر سنوات 1760. كان رد الجزائريين القيام بالمزيد من الاستيلاء على الغنائم لرفع الضرائب الجمركية. وهذه الأموال في الواقع كانت تدفع من أجل توفير الحماية لسفن القوى الأوروبية ضد القراصنة الجزائريين.

---

1 يقصد الجزائر والاتحاد الدانو–نرويجي(المترجم).

2 بلغت قيمة الهدايا التي قدمت للداي بمناسبة توقيع المعاهدة 58000 ريكسدال أو ريشدال rixdale - richedalle (عملة نقدية هولندينة ثم شاع انتشارها في شمال أوروبا)، والمصاريف ارتفعت إلى 28000 ريكساد، وكانت الإتاوة السنوية تدفع على شكل مدافع وبارود والعتاد اللازم لصناعة السفن.

ومهما يكن من أمر فإن إعلان الداي الحرب على الاتحاد الدانو– نرويجي سنة 1769 قضى على علاقات السلم الطويلة الأمد. حيث غادر القنصل (الدانو– نرويجي) أندرياس أيروبي الجزائر واستقر في ميناء طولون Toulon[1] وكان من هناك يراقب السفنالدانو– نرويجية ضد خطر الوقوع كغنيمة في يد القراصنة الجزائريين. (يشكل كون المرء قنصلا أوروبيا في الجزائر في أوقات الحرب خطرا حقيقيا على حياته، حيث حدث مرتين خلال القرن الثامن عشر أين قامت السلطة في الجزائر بوضع الأغلال لقنصل فرنسي وآخر بندقي، ثم اقتيدا للعمل في مقالع الحجارة ودفع العربات المحملة بالحجارة لأن حكوماتهما لم تنصاعا لأوامر الداي.)

ولكننا لا بد لنا هنا من أن نضيف من أجل إنصاف الجزائر، أنه خلال فترة السلم التي امتدت من سنة 1746 إلى سنة 1769 كانت الجزائر تحترم بنود المعاهدة، رغم أنها كانت تميل بالتأكيد إلى أسر المزيد من السفن والعبيد. وقد حدث أن قام القراصنة الجزائريون بإطلاق سراح سفينة دانو–نرويجية سنة 1761 قبضوا عليها بينما كانت تبحر بين البرتغال وسيفيتا فاتشيا[2] وكانت تحمل على متنها 150 من الجزويت[3]، القوة الضاربة للبابوية التي

---

1 هو ميناء بحري فرنسي يقع على ساحل البحر المتوسط في الجهة الشرقية، يعرف بأن الحملة الفرنسية لاحتلال الجزائر انطلقت منه سنة 1830. (المترجم).

2 هي مدينة ساحلية إيطالية تقع شمال روما في الجهة الغربية وتبعد عنها بحوالي 80 كلم. (المترجِم).

3الجزويت هم اليسوعيون وهم رجال ينتمون لإحدى الطوائف الرهبانية التابعة للكنيسة الكاثوليكية، وقد أسس هذه الرهبانية، المعروفة باسم "جماعة يسوع Society of Jesus "القديس إغناطيوس لويولا (1591- 1656) Ignatius Loyola منذ أكثر من 450عاماً. وعادةً ما يُعرف الرُهبان

طالما مارست العنف على الأراضي الإسلامية، وقد كان الاعتقاد السائد أنهم سيستولون عليها ويقتادونها إلى الأسر، بعد ذلك واصلت رحلتها نحو إيطاليا. فالقراصنة الجزائريون في الواقع كانوا يحترمون المبدأ البحري القائل **"سفينة حرة –حمولة حرة"**، حتى ولو كان في ذلك مخاطرة حين تكون الحمولة تابعة لدولة عدوة لكن السفينة تابعة لدولة محايدة.

أسباب النزاع[1]

يقول الكاتب عن الأسباب الحقيقية للنزاع بين الجزائر والحكومة الدانماركية النرويجية:" **مثلما سنرى بدأ كل شيء عندما طلب الداي بابا**

المنتمون إلي هذه الجماعة باسم"اليسوعيين" وهم منتشرون في عدة بلدان من العالم. لمزيد من التفاصيل راجع:https://ar.wikipedia.org/wiki

1 **أورد دوغرامون الرواية التالية:** أعلن الداي محمد عثمان الحرب على الدانمارك بسبب تأخرها في حمل الهدايا والإتاوة التي اعتادت أن تدفعها لحكومة الجزائر، وكذا السماح لسفن الهامبورغ باستعمال العلم الدانماركي، وبعد عام أي في سنة 1770 رسا أسطول الدانمارك بقيادة دو كاس في ميناء مدينة الجزائر وكان يتألف من أربع سفن الصف ذات السبعين مدفعا، وفرقاطتين ذات الأربعين مدفعا، ووغليوطتين مقنبلتين، وأربع سفن للنقل، وكان يحمل العلم الأبيض. فبعث الداي قائد الميناء مع السيد فاليار " Vallière" ليساعده في الترجمة ليخبر الأميرال الدانماركي أنه إذا كان جاء لإعلان الحرب فإن الجزائريين مستعدون لاستقباله، وإن جاء يريد السلم فإنه ارتكب خطأ عندما اصطحب معه هذه البواخر الحربية، فرد عليه الأميرال أنه جاء للمطالبة بالغنائم التي تم الاستيلاء عليها تحت الراية الدانماركية، وأنه سيحاصر المدينة إن لم يحصل على هذه الغنائم. فشرعت الحصون الجزائرية في إطلاق النيران على السفن الدانماركية التي أمطرت هي الأخرى المدينة بالقنابل ودامت الحرب من يوم 5جويلية إلى العاشر من نفس الشهر، لكن القذائف الدانماركية لم تكن تصل إلى أهدافها مما جعل القوات الدانماركية محل سخرية الأتراك والجزائريين حيث أعلن الداي ساخرا أن الدانماركيين جاؤوا للقتال مع الأسماك. أنظر:

Henri Delma de Grammont: **Histoire d'Alger sous la domination Turque**, éd, Bouchène, Paris, 2002, pp 255-256.

محمد بن عثمان بإصرار بعد وقت قصير على تعيينه على رأس الإيالة[1] هدايا إضافية من حكومة الاتحاد الدانو–نرويجي، الأمر الذي اعتبرته الحكومة في كوبنهاغن خرقا لبنود المعاهدة المبرمة سنة 1746". وحسب المؤرخ الدانماركي دان أندرسون Dan Andersen كان تغيير الدايات في الإيالة خلال القرن الثامن عشر يحدث حالة من عدم الاستقرار بالنسبة للقناصل الأوروبيين، فكانوا ملزمين بالتعرف على الداي الجديد، وينبغي التعرف على مزاجه وشخصيته، علاوة على تقديم الهدايا له ولرجال حكمه. وكان الداي بابا محمد لا يتورع عن استغلال أية فرصة للمطالبة بمزيد من الهدايا من القناصل الأوروبيين.

أصدرت سلطات عاصمة المملكة الدانو–نرويجية الأمر إلى قنصلها في الجزائر السيد أيروبوي Æroboe بأن يبلغ الداي أن هدايا إضافية قيّمة ستصله في أقرب وقت، متمثلة في مقتنيات ثمينة بمناسبة تعيينه حاكما على الجزائر، وقد تبين بعد ذلك أن هذا الداي لم يكن راضيا عن حكومة الاتحاد، وبناء عليه فقد أبلغ القنصل السابق الذكر سلطات حكومته في شهر نوفمبر 1768 أن الداي يريد هدايا إضافية أخرى تبلغ قيمتها 3600 ريكسدال Rixdales، وأصرَّ على أنه يجب أن يصل المبلغ المحدد إلى مرسيليا قبل انقضاء مدة ثلاثة أشهر، وعلاوة على ذلك طلب الداي تقديم هدايا لحكومته مرة كل سنة. ذلك لأن العادة جرت أنه يتوجب على كل قنصل جديد أن يقدم الهدايا للداي، ففي حالة مكوث القنصل في منصبه مدة سنتين فإن الداي

1 تولى الداي محمد عثمان الحكم يوم الأحد 21 شعبان 1179هـ/الموافق ل 1 فيفري 1766 بناء على ما أورده أحمد الشريف الزهار في الصفحة 23، بعد وفاة الداي علي باشا المدعو بوصباع. (المترجم).

سيخسر الهدايا التي من المفروض أنه يقدمها كل سنة. ولهذا يتوجب على القنصل أن يدفع الهدايا حتى وإن لم يتغير كل سنة.

وبعد ذلك كتب القنصل أيروبوي إلى وزير الشؤون الخارجية الكونت جوهان هارتفيغ إرنست برنستورف" Johan Hartvig Ernst Bernstorff"(1712-1772) يُخبره أن حكومة الجزائر ترهق حكومة الاتحاد بهذه الهدايا الإضافية التي تتعارض مع معاهدة السلم بين البلدين. وأضاف له أن القضية تتعلق بشعب لا يعير للإنسانية أي اعتبار، وأجاب الداي القنصل عندما اشتكى له قائلا له بكل بساطة **"أن البحرية ترهق الداي والداي يرهق أيروبوي"**.

ومع أننا أمرنا بإرسال الهدايا الإضافية من مرسيليا، ولكن لما أوشك القنصل أيروبوي على إبلاغ الداي، كان هذا الأخير قد فقد صبره. فرفض استقبال القنصل أيروبوي الذي تم توقيفه أمام باب القصر ووجهت له ثلاث رسائل: الرسالة الأولى مفادها أن الجزائر أعلنت الحرب على الاتحاد الدانو- نرويجي، والرسالة الثانية جاء فيها أنه على القنصل مغادرة الجزائر في مدة لا تتجاوز الثلاثة أيام، فيما نصت الرسالة الثالثة والأخيرة على أنه في غضون أربعين يوما سيقوم القراصنة الجزائريون بالاستيلاء على السفن التجارية الدانو- نرويجية التي سيصادفونها في عرض مياه البحر. ولم يقدم الحارس إلى القنصل أي شروحات أخرى، وبعد ذلك غادر القنصل أيروبوي الجزائر بعد عدة أيام على متن سفينة إنجليزية كانت راسية في الميناء، وقد شعر بخوف شديد أثناء مغادرته مقر إقامته، عند مروره بالقرب من الثكنة ونزوله إلى الميناء: حيث كان من السهولة إطلاق النار عليه من الأعلى في حالات مماثلة.

ومن المؤكد أن القنصل أيروبوي كان يعرف أسباب إعلان الجزائر الحرب على الاتحاد الدانو– نرويجي، وبعض التهم لم يكن لها أساس من الصحة. في البداية كانت هناك مطالب لا متناهية، ثم كانت هناك تهم جارية على أن الاتحاد الدانو–نرويجي باع جوازات سفر لسفن قدمت من مدينة هومبورغ. وكانت هذه المدينة الهانزية[1] لم تكن بعد قد أمضت معاهدة سلم مع الجزائر. المشكلة التي كانت تقلق التجار الهومبرغيين حينما كانوا ينقلون بضائعهم على متن سفن قادمة من ميناء ألتونا Altona[2]، المدينة المجاورة التي كانت جزءا من مملكة الاتحاد الدانو– نرويجي. وأخيرا السبب الذي أغضب الداي كثيرا وهو قيام الاتحاد الدانو– نرويجي بعقد تحالف مع روسيا، لأن هذه الأخيرة كانت في حالة حرب مع تركيا منذ سنة 1768[3].

1الرابطة **الهانزية** "هانزه" (بالألمانية: die Hanse) هي رابطة ضمت العديد من المدن التجارية في منطقة بحر الشمال (شمال ألمانيا) والبلطيق، استمرت من القرن الـ12 حتى الـ17م.

2 هي مدينة تابعة لمملكة الهومبورغ (المُترجِم).

3 اندلعت هذه الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا سنة 1768 واستمرت حتى سنة 1774 انتصرت فيها روسيا التي كانت تقودها الملكة كاترين الثانية المعروفة بطموحها السياسي التوسعي، وكان يحكم الدولة العثمانية السلطان مصطفى الثالث (1757–1774) وانتهت هذه الحرب بتوقيع معاهدة كيتشوك كاينارجيفي بلغاريا، حيث كان للروس أطماع توسعية على حساب الأراضي العثمانية، كما كانوا يتطلعون إلى الوصول إلى المياه الدافئة (البحر الأبيض المتوسط)، وكان يتوجب سيطرتهم على البحر الأسود الذي كان بحيرة عثمانية وعلى مضيقي البوسفور والدردنيل الأمر الذي لا يمكن للعثمانيين أن يسمحوا به فكانت الحرب تنشب بين الدولتين من حين لآخر. لمزيد من التفاصيل يراجع. يلماز أوزتونا: **تاريخ الدولة العثمانية** (مُترجَم). خليل إينالجيك: **تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار (مُترجم)**. سيد محمد السيد: **تاريخ الدولة العثمانية (النشأة – الازدهار)**.

ثم يتساءل الكاتب عن المتسبب في نقض المعاهدة قائلا:" **من إذن الذي نقض المعاهدة؟ هل أساء الاتحاد الدانماركي النرويجي استعمال بنود المعاهدة؟ أم أن الداي فسر المعاهدة بكل صرامة حتى يتسنى له التفاوض لعقد معاهدة مربحة؟**".

ويجيب عن هذا السؤال في قوله: **"إنه من الصعب التأكيد على أن الداي تفاعَلَ حقيقة ضد تحالف الاتحاد الدانو- نرويجي مع روسيا التي كانت في حالة حرب مع تركيا بين سنتي 1768- 1774. ومن الممكن اعتبار إعلان هذه الحرب بمثابة وسيلة ومهلة لتوجيه انتباه حلفاء روسيا. رغم أن الإعلان الرسمي عن هذا التحالف لم يكن حتى سنة 1769، يعني بعد إعلان الجزائر الحرب، وذلك يعني أن التقارب بين الاتحاد الدانو – نرويجي وروسيا كان سابقا لهذه الفترة الزمنية**".

ردود الفعل في كوبنهاغن

بعد استعراضه لأسباب النزاع بين البلدين ينتقل غلى الحديث عن الموقف في كوبنهاغن إذ يقول بهذا الصدد:" كيف استُقبل خبر إعلان الداي الحرب في كوبنهاغن؟ أولا كان إعلان الداي الحرب على الاتحاد الدانو- نرويجي صدمة كبيرة في كوبنهاغن لأن الحكومة لم تبذل قصارى جهودها لمقاومة فكرة الحرب وإحلال السلم مع الجزائر: حيث قدمت هدايا ثمينة ومحاولات للتفاوض بواسطة السلطان[1]، وهناك عدد قليل من البيروقراطيين الذين أظهروا أدنى تردد في المخاطرة بإرسال قوة بحرية إلى إفريقيا الشمالية.

1 يقصد السلطان العثماني، حيث اعتادت بعض الدول الأوروبية ان تشتكي حكام الجزائر إلى السلطان العثماني لعله يتدخل لصالح هذه الدول عندما كانت مساعيهم تفشل في تحقيق الغرض من التفاوض مع هؤلاء الحكام.

لماذا إذن اختاروا مواجهة القوة بالقوة؟ ومن هو الشخص الذي قرر معاقبة الداي باستخدام المدافع؟ فالملك كريستيان السابع (1749–1808)، كان يبلغ من العمر عشرين سنة، استلم السلطة منذ سنة 1766. وكان يعاني من مرض عقلي، فمن المؤكد أنه لا علاقة له بإصدار هذا القرار.

في الواقع كانت المملكة حينئذ تقع تحت هيمنة الوزراء والموظفين. وكان برنستورف Bernstorff الذي شغل منصب وزير الشؤون الخارجية منذ سنة 1751 متحكما في قسم كبير من السلطة، وقد مكنته طول المدة التي قضاها كوزير من اكتساب نوع من الغطرسة، على الأقل وجها لوجه مع حكومة الباربرسك[1] في أول عرض مهم. فمن الراجح أنه لم يتلق المعلومات الكافية عن التقارير المقلقة التي كان القنصل الدانو–نرويجي يبعث بها سنوات 1760م إلى كومرسكولجيات (Kommercekollegiet) حيث كان وزيرا للتجارة خلال هذه الفترة– وليس إلى المستشارية الألمانية، بوزارة الشؤون الخارجية. فالوزير برنستورف لم يُقَدّرْ الموقف حق قدره بكل بساطة، ولم يكن يأخذ بعين الاعتبار إشعارات الخطر التي قد تُكبد البلد من وراء إعلان الحرب من طرف الداي. وعلى الرغم من أن أنباء إعلان الداي الحرب وصلت إلى كوبنهاغن يوم 23 سبتمبر 1769، فإنه لم يقترح إرسال حملة العقاب في اتجاه مدينة الجزائر حتى يوم 6 نوفمبر من العام ذاته. بالإضافة إلى أنه لا شيء يدل على أنه طلب نصيحة من أحسن ضباط البحرية، فمن المحتمل أن يكون قد اكتفى بإجراء مشاورات قصيرة مع وزير البحرية. وبكل بساطة

1 الباربرسك Barbaresques هي التسمية التي كانت تعرف بها حكومات إفريقيا الشمالية عند الاتحاد الدانو–نرويجي.

يمكن القول إن برنستورف كانت تنقصه المعرفة بالشؤون العسكرية، مما ترتب عنه اتخاذه قرارات مهمة دون أن تكون له معلومات كافية حولها.

في هذه الأثناء كان الداي يأخذ على محمل الجد تهديداته، فعقب إصداره قرار إعلان الحرب الذي كان خلال شهر سبتمبر قام القراصنة الجزائريون بالاستيلاء على سفن تجارية دانو- نرويجية غرب مضيق جبل طارق.

والإضافة إلى الحرب التقليدية فإنه كانت هناك كما سنرى لاحقا حرب قرصنة منظمة، كان المحيط الأطلنطي والبحر المتوسط مسرحا لها. حيث تم القبض تباعا على ثلاث سفن دانو- نرويجية، واقتيد 41 بحارا دانو- نرويجي إلى مدينة الجزائر كعبيد. هؤلاء الـ 41 أسيرا كانوا يُشكّلون طاقم ثلاث سفن: السفينة برانسيسن (Princessen) (أُسرت يوم 4 أكتوبر)[1]. وكانت قادمة من ألتونة (Altona)، يعني القسم الجرماني والجنوبي من المملكة،[2] والسفينة ريجرنس أونسكي (Rigernes ønske)[3]، التي (أسرت

1أنظر كذلك المذكرة القصيرة التي ظهرت في الجريدة الأسبوعية النرويجية، **Trondhiems Adresse-Contoirs Eftrretninger**، الصادرة يوم 29 ديسمبر 1769 جاء فيها: "**حسب معلوماتنا انطلق من ترونديهايم القبطان هانس ثود غرام السفينة جومفري كريستينا في اتجاه لشبونة وكانت تنقل على متنها حمولة من الخشب والزفت، وقعت في الأسر على يد شباك جزائري يوم 13 أكتوبر، على بعد حوالي 22 ميل بحري عن لشبونة. وتم الاستيلاء عليها وعلى طاقمها المتكون من 9 أشخاص وشاب تاجر، السيد جاكوب هيرمان كولان. ثم تم اقتياد السفينة وحمولتها نحو مدينة الجزائر**".

2 الاتحاد الدانو- نرويجي يمتد من ألب Elbe جنوبا إلى الحدود الروسية في الشمال.

3 السفينة ريجرنس أونسكي على أية حال لم تكن في منأى عن إزعاج الأتراك، لأن مالك السفينة لم يتم إخطاره بخرق معاهدة السلام قبل أن تنطلق هذه السفينة من كاغلياري.

يوم 9 أكتوبر) وفي الأخير السفينة جومفري كريستينا Jomfrue Christinaالتي وقعت في قبضة القراصنة الجزائريين يوم 13 أكتوبر كانت قادمة من توردهايم بالنرويج.

أحداث الحرب من 4 إلى 15 جويلية 1770[1]

تعرضت بعض المصادر المعاصرة للحرب الجزائرية الدانماركية لكن ليس بالطريقة التي تناولها بها هذا الأسير، حيث يذكر تفاصيل هذه الحرب ليس من الممكن العثور عليها في مصادر أخرى إذ يقول قامت القوات البحرية التي تم إرسالها من كوبنهاغن بغرض إبرام معاهدة السلم بقنبلة مدينة الجزائر – وهي سياسة اعتادت حكومات الدول الغربية على اتباعها ضد العرب ولا تزال مستمرة إلى يومنا هذا– هذه القوة كانت كبيرة في هذا العصر. وكانت تتألف من أربع سفن من أكبر سفن الأسطول: سفن الخط برانس فريدريك (سفينة أميرالية) (Prins Friedrich)، وسفينة الأميرة صوفيا ماجدالينا، (Prindsesse Sufia Magedalena) والسفينة مارس وسلاسفيغ (Slesvig et Mars) كانت تحمل كل منها ما بين 50 إلى 70 مدفعا. بالإضافة إلىالفرقاطتين كريستيانزو وهاففرون (Christiansø et Havfruen)، اللّتين كانتا مجهزتينب32 مدفعا، والغليوطتين المقنبلتين ستابرافت وباك آن (Staabravet et Pak An)، والسفينة المستشفى دوفير

1 للاطلاع على الرواية المحلية حول هذه الحرب أنظر محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن رقية التلمساني: **الزهرة النيرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة**، نشر مجلة تاريخ وحضارة المغرب، ع 3، يوليو 1967. وكذلك عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ج3، د.م.ج، الجزائر، ص ص 239–240.

وجون.ب. وولف: **الجزائر وأوروبا**، تر وتع أبو القاسم سعد الله، م.و.ك، الجزائر، 1986، ص 21 وما يليها.

سوستر (De Fire Søstre)، وعمارة النقل (Laurvig) وأخيرا سفينة من نوع البريك تدعى بوستيلجونن (Postiljonen) التي رافقت القوات نحو الجنوب. ولتجهيز هذه القوات تم تجنيد البحارة من كل أراضي المملكة؛ من النرويج شمالا حتى سلاسفيغ (Slesvig) جنوبا، وكان طاقم الأسطول يتكون إجمالا من 2451 شخصا. من بينهم 516 جنديا تحديدا؛ كان حوالي 3000 بحارا نرويجيا ودانماركيا أبحروا صوب مدينة الجزائر تحت قيادة سكوتبيناشت كريستيان كاس[1] Schoustbynacht Christian Fredik Kaas، (1725-1803)، وفي الطريق واجهت قوات هذا الأسطول الكبير مشاكل أثناء تسليح السفن خلال شتاء عام 1769-1770. حيث كان من المفترض أن تنطلق الغليوطتان اللتان سبق ذكرهما من قبل بأشهر عديدة من أجل حماية السفن التجارية الدانماركية- النرويجية في البحر الأبيض المتوسط. لكن ولأسباب موضوعية انطلقت الغليوطتان في الأخير مع بقية سفن الأسطول. علاوة على ذلك فإن تسليح هاتين الغليوطتين بالقنابل كان قيد التجربة. بحيث لم تكن البحرية الدانو- نرويجية تحتوي على أي من هذا النوع، لقد اضطرت إلى إعادة سفينتين مدنيتين لهذا الغرض، كما كانت تفتقر إلى طاقم ذي خبرة في صناعة الغليوطات المقنبلة، فكان يتوجب عليها العثور على الجنود المتخصصين في سلاح المدفعية والعمل على تدريبهم بأسرع ما يمكن – كما أنه لم تكن لديها سفينة مناسبة لهذا العمل.

وحتى قبل الانطلاق، كانت القوات البحرية تعاني من ضعف كبير. علاوة على أن إدارة الشؤون الخارجية لم تأخذ بعين الاعتبار أحد أقدم مبادئ

1رتبة أميرال.

الحرب البحرية المتمثل في: أن السفن لا يمكنها أن تستولي على المدينة أو القلعة لأن مدفعية المدينة دوما تكون الأكثر ارتفاعا. ولقنبلة مدينة مثل مدينة الجزائر بفعالية لا بد من أن تكون هناك زاوية معينة للإطلاق، لأننا لا نمتلك التقنية اللازمة لتغطية انسحابنا. حتى تلك السفن المصنوعة خصيصا للقنبلة فإنه كان علينا توقيفها وسحبها بعد عدد محدود من الطلقات من أجل إصلاحها. فتجمّع القوات البحرية مع القوات البرية وحده الكفيل بغزو مدينة مثل مدينة الجزائر. وكان عدد قوات الأسطول المقدر بحوالي 500 جندي وهو عدد قليل لا يمكنه بأي حال من الأحوال السيطرة على هذه المدينة.[1]

وفي الواقع كان الاتحاد الدانو– نرويجي قد أرسل قوة بحرية غير قادرة سوى على مراقبة تحركات الداي. فهذه السفن لا يمكنها على الإطلاق أن تشكل أي خطر حقيقي على مدينة الجزائر.

وعلى أية حال لا يمكننا أن نرتاب من أي شيء قبل الأوان، فالقوة البحرية غادرت كوبنهاغن يوم 2 ماي 1770. ومرت في اليوم السادس من نفس الشهر أمام ليندسن (Lindesnes) في النرويج. وقبل الوصول إلى مضيق جبل طارق واجهت هذه القوات أول عدو، هذا العدو لا يتمثل في

---

1 كانت مدينة الجزائر خلال العهد العثماني من أكثر مدن البحر المتوسط حصانة ومناعة، حيث كان الحكام حريصين على تحصين دفاعاتها، وكان لهزيمة الإمبراطور الإسباني شارلكان أثناء حملته الشهيرة على مدينة الجزائر وقع شديد في القارة الأوروبية بأسرها، حيث بات من المؤكد أن غزو هذه المدينة أمر في غاية الصعوبة، وبالنسبة للجزائريين فقد أحيطت هذه الهزيمة بالقصص الغريبة والأساطير وأصبحت منذئذ تعرف بالجزائر المحروسة والجزائر المحمية، وظل هذا الاعتقاد سائدا حتى الاحتلال االفرنسي سنة 1830 حيث ساعدت هذه الفكرة كثيرا الفرنسيين في احتلالهم للمدينة. لمزيد من التفاصيل حول دفاعات المدينة وتحصيناتها راجع:
Moulay Belhamissi : Alger aux mille canons, op, cit.

القراصنة الجزائريين، ولا في مدافع دولة اللصوص، إنه وباء التيفوس الفتاك الذي ظهر على متن سفينة الخط مارس والغليوطتين؛ لقد قضى الكثير من الجنود نحبهم بسبب الغرغرينة التي ظهرت بسبب البرد الشديد والخبز الحامل للبكتيريا. وكان مصدر التيفوس سفينة روسية قدمت من بحر البلطيق حيث وقع الاتصال بها عن طريق طاقم السفينة، أو أن البكتيريا كانت في الماء الشروب الذي جُلب من كوبنهاغن، المصدر الشهير للوباء، وشيئا فشيئا انتشر الوباء في كل سفن الأسطول المتجه نحو مدينة الجزائر.

كان القس الذي كان يعمل على متن السفينة المستشفى التي كانت تنقل المرضى أول ضحية لهذا الوباء، فقام الطاقم برمي جثته في البحر كما جرت العادة، لكن الجثة كانت تطفو على السطح حيث أمكن للبحارة رؤيتها في اليوم الموالي، لأنهم لم يضعوا الحجارة في النعش وكانت تبدو كأنها تسبح مع الأسطول مما جعل البحارة يفسرون ذلك بسذاجة أنه فأل سيئ، وتوجسوا خيفة مما كان ينتظرهم في هذه المواجهة، وعلى أية حال فقد جرت الرحلة في ظروف سيئة حتى قبل الدخول إلى البحر المتوسط. حيث الوباء الفتاك والموت كان يتبع السفينة التي كانت تحمل نحو 20 ضحية ومئات المصابين عندما غادرت مضيق جبل طارق. وكان على متن السفينة "الأميرة صوفيا" قس آخر يدعى هيغو فريدريك هيورثوي (Hugo Fridrich Hiorthøy) الذي كتب في يومياته يقول: **"في يوم 21 جوان قامت سفينتنا عند الإشارة بسحب السفينة المستشفى وعند هبوب رياح من الجهة الخلفية اشتم الحراس رائحة كريهة ومتعفنة قادمة من هذه السفينة التي أصبحت مكتظة ولا يوجد أمكنة أخرى للمرضى، حيث كان هناك عدد كبير من المصابين وكان على كل سفينة أن تحتفظ بمرضاها".**

وعند وصول الأسطول الدانماركي النرويجي تفاجأ قائده التحصينات الجزائرية التي كانت عكس توقعاته حيث يقول الكاتب: **"وفي يوم 24 جوان أجرى هذا الراهب اتصالا بالسفن الأخرى وأعلن عن مواصلة الرحلة نحو شرق البحر المتوسط. وفي اليوم الثاني من شهر جويلية وصلت الحملة إلى ميناء الجزائر، أين أمكن قائد الأسطول "سكوتبيناشت كاس" أن يلاحظ بخيبة أمل أن الاستعدادات الدفاعية لمدينة الجزائر تبدو أكثر قوة ومقاومة مما كان يتوقع".**

وعلى ما يبدو كان قائد الأسطول يأمل في أن يحقق السلم مع الجزائر بعدما رأى أنه من غير الممكن الحصول على معاهدة سلم مع الداي باستخدام القوة حيث يقول الأسير: **" كان الأسطول الدانو- نرويجي يضم عددا كبيرا من المدافع وكميات البارود وهو مستعد للبدء في الهجوم. لكن الدانو- نرويجيين لم يشأوا أن تتحطم قواتهم في أول مواجهة، فكان قائد الأسطول "كاس" يأمل في أن يتراجع الداي عن قرار إعلانه الحرب وإحلال السلم مع الاتحاد الدانو- نرويجي".**

ويروي لنا تفاصيل عن كيف كانت تجري المفاوضات على سطح البحر، حيث كان هناك تقليد في الجزائر خلال العهد العثماني وهو أن السفن الأجنبية لم يكن يسمح لها بالاقتراب أكثر من الميناء حتى يتم التعرف عليها وعلى مقصدها فيقول: **"وفي يوم 3 جويلية تقدم قارب صغير مع علم أبيض نحو الأسطول الدانو- نرويجي يحمل على متنه عددا من مستشاري الداي مع القنصل الفرنسي الذي جيء به ليقوم بعملية الترجمة بين الطرفين. فتحدث قائد الأسطول مع مبعوث الداي واستفسره عن الأسباب التي دفعت حكومته إلى نقض معاهدة السلم مع بلاده منذ سنة؛ فأجابه هذا المبعوث**

أن الداي مستاء من الاتحاد الدانو- نرويجي بسبب سماحه للسفن التجارية التابعة لمملكة هامبورغ مستعملة علم الاتحاد. علاوة على أن كمية البارود التي قدمها الاتحاد الدانو- نرويجي كهدايا للداي كانت من النوع الرديء. فإذا كانت هذه الأسباب غير كافية، فإن القدوم بأسطول حربي إلى مدينة الجزائر لإرغام الداي على إبرام السلم يعتبر إهانة شخصية لهذا الأخير. حينئذ لم يظهر أي طرف أي نوع من التنازل. فاندلعت إذن الحرب في بداية شهر جويلية من عام 1770".

وبعد أن يستعرض الأسباب الحقيقية للنزاع بين الحكومتين يخبرنا عن مسؤولية قائد الأسطول الدانماركي النرويجي في زيادة التوتر حيث يقول:" **(بعد ذلك وجهت انتقادات لاذعة إلى قائد الأسطول كاس الذي لم يتحل بالدبلوماسية اللازمة وكونه كان يستعمل أسلوب التهديد في تعامله مع الجزائريين، علاوة على عدم فعالية المهلة التي منحت للداي والتي حددها بأربع وعشرين ساعة، فلم تكن كافية، فكان ينبغي عليه أن يكون مُدركا أنه في موقف لا يسمح له بتوجيه هذا النوع من المطالب، وبالتحدث مع ممثل الداي بهذه الكيفية). فكان الجزائريون هم أول من بدأ المعركة؛ حيث أرسلوا أسطولا صغيرا يتكون من بضعة سفن من نوع الغالير[1] والشباك[2] لمهاجمة القوات الدانو- نرويجية، لكن الدانو- نرويجيين سحبوا قواتهم**

---

1 Galèreنوع من سفن التجديف تحتوي على أشرعة كان يستعمل في العصور القديمة حتى القرن 18م في الحروب وفي التجارة. Dictionnaire super major, Larousse, Paris, 1997, p494.

2 Chebecسفينة صغيرة كانت تستعمل بين القرنين السابع عشر والثامن عشر في البحر المتوسط تعتمد على التجديف والأشرعة وتستعمل في التجارة والحروب ويمكنها أن تحمل على متنها مدافع.

بحيث أصبحت مقابلة لدفاعات المدينة: فاضطر الجزائريون إلى الانسحاب فورا والعودة إلى الميناء. وعلى الفور قام قائد الأسطول كاس بالرد من خلال وضع قواته في وضعية الهجوم، لكن فجأة هبت رياح قوية منعت السفن من الاقتراب كفاية للتمكن من إطلاق القنابل على المدينة بنجاح".

ولكي يضفي على قصته المصداقية ينقل لنا الأحداث من داخل الأسطول الدانو–نرويجي من خلال الاعتماد على أشخاص كانوا على متن هذا الأسطول لكي يعطينا صورة حية عن معنويات الجند إذ يقول: **"كيف كانت الحالة على متن السفن الدانو– نرويجية؟ يصف لنا الكاهن هيورثوي (Hiorthøy) الذي كان متواجدا على متن السفينة "الأميرة صوفيا ماجدالينا" الوضع قائلا:"كان طاقم الأسطول مخلصين وكانوا يأملون أن يمضي الوقت بسرعة لإنهاء ما جاؤوا من أجله وهو مهاجمة القلاع، وأما أنا والآخرون فقد كنا نشعر تارة بقرب نهايتنا وتارة أخرى لا يخامرنا نفس الشعور. الجنود المؤمنين طلبوا مني إبلاغ ذويهم سلامهم في حالة ما بقيت على قيد الحياة وأنهم فارقوهم من أجل التحاقهم بأماكنهم للقيام بالواجب".**

ويمدنا بتفاصيل دقيقة عن عمليات قصف الأسطول الدنو–نرويجي لمدينة الجزائر فيقول: **"بدأت قَنْبلة مدينة الجزائر على يد القوات الدانو – نرويجية بين الساعة الرابعة والسادسة من ظهيرة يوم 6 جويلية؛ واستمر القصف إلى الساعة الرابعة من صباح يوم الغد، ألقت خلالها الغليوطتان المقنبلتان35 قنبلة على مدينة الجزائر. وفي الوقت نفسه أطلقت سفينة الأميرال عدة طلقات، رد عليها الجزائريون بإطلاق قذائف مدافعهم والقنابل التي كانت تأتي من القلاع المتواجدة في الميناء: ولكنهم لم يتمكنوا من**

النيل من السفن الدانو– نرويجية أو إلحاق أي ضرر بها"[1]. وينتقل بنا من الأسطول الغازي إلى وصف الحالة في مدينة الجزائر حيث يتساءل في قوله: **" لكن ماذا كان يحدث داخل مدينة الجزائر؟ أحيانا كان على المسيحيين العمل بدون توقف؛ فكانوا يُسَخَّرُون لحمل الحبال وأكياس الصوف التي كانت تستخدم لحماية الجنود المتواجدين في الأبراج والتحصينات، والأسوار وأماكن أخرى؛ هذه المواد يمكنها أن تحميهم من القذائف. وعلاوة على ذلك كنا نقوم بمساعدة مسيحيين آخرين في نقل المدافع، ومدافع الهاون، والقذائف والقنابل، لأنهم كانوا ينتظرون هجوما كبيرا على يد الدانماركيين".**

هكذا إذن عاش الأسير النرويجي هذه الحرب. وقد كتب مواطنه القس "**هيورثوي**" يصف الليلة الأولى في هذه الحرب في قوله: **"كانت الليلة مثل الألعاب النارية؛ كنت أشاهد قنابلنا تتساقط على المدينة بدقة؛ ورأيت إحداها وهي تلمع من المحتمل أنها انفجرت عند سقوطها على الأرض لأنني لم أتمكن من رؤيتها جيدا عند سقوطها على الأرض".**

وبما أن القس هيورثوي يمثل الدين الذي يرتكز على الرأفة والإحسان فإنه أظهر تعاطفه مع السكان المدنيين الذين كانت تتوجه إليهم القنابل الدانو– نرويجية. وكان متواجدا في مكان المعارك حيث كان دائما يتلو نصوصا من الإنجيل على الجنود لتشجيعهم، وكان قبل خوض المعارك يتوسل إلى الله أن ينصر الجنود قبل أن ينتصبوا أمام مدافعهم. لكن يوميات القس النرويجي لا تكشف لنا عن أي تعارض بين قنبلة مدينة ونصوص الإنجيل. فقد كان القس هيورثوي رجل عصره حيث امتزجت الحرب السياسية بالدينية. فكان قلقا

1 تم تخريب الممتلكات وسقط عدد من القتلى جراء القصف، لكن التقارير الدانو– نرويجية لا تتحدث عن الخسائر الجزائرية في هذه الحرب.

بطبيعة الحال على مواطنيه: حيث يقول:" **عندما كنت أعمل داخل السفينة كانت درجة الحرارة خانقة ودخان البارود كان كثيفا إلى درجة أصبح جلد يدي يتهاوى وكذلك وجهي. ولما كان هناك الكثير من القمل داخل السفن بعد رؤيتي للمرضى فقد امتلأ ردائي بعد أن قمت بالاطلاع على حالة المصابين، إنه لمن المستحيل علي أن أتخيل المعاناة التي قاساها الضباط وكذلك البحارة في هذه الحملة**".

ولم يعتمد الأسير على مشاهداته وعلى روايات الجنود الدانماركيين والنرويجيين بل نجده يعتمد على التقارير الرسمية التي كانت تحرر على متن سفن الأسطول حيث يقول: "**وقد سمحت لنا التقارير التي كانت تحرر على سطح السفن من تتبع كل مراحل قنبلة المدينة. فعلى سبيل المثال، على الساعة منتصف الليل والربع، بدأت قنابل النقيب كيرولف (Kierulff) تصيب أهدافها: حيث أصابت قنبلة القلعة الموجودة في المول، وأصابت قنبلة أخرى المدينة. وأطلقت القنبلة الثانية عشر على الساعة الثانية وخمس دقائق صباحا لكنها سقطت جهة الجنوب فلم تصب أي شيء. وضربت القنبلة الثالثة عشر المدينة؛ الجميع أشار إلى ذلك حسب سجل وقائع السفن. وقد اعتبرت القنابل الأربعة عشر التي أطلقتها الغليوطة[1] باك آن (Pak An) كلها مصيبة لأهدافها. وفي يوم الغد هبت الرياح القوية مما جعل الغليوطات المقنبلة لم تتمكن من القيام بأي عمل، لكنها عادت إلى القنبلة يوم 8 جويلية. حيث أطلقت هذه الغليوطات المقنبلة حوالي 40**

1 هي نوع من السفن الحربية تسمى بالفرنسية Galiote كانت تستعمل في الجزائر خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، وهي قارب تجديف يحمل صاريتين، وخلال القرن السابع عشر أصبحت تعرف بالقارب الشراعي، وهي سفينة متوسطة الحجم. (المُترجِم)

قنبلة جديدة على مدينة الجزائر. وكانت السفن الغالير الجزائرية السريعة تهدد الأسطول الدانو- نرويجي من حين لآخر حيث كانت تحاول أن تقترب منه، لكن سفن دانو- نرويجية أخرى تمكنت من ردها وأرغمتها على الانسحاب والتراجع. وفي اليوم الموالي (9 جويلية) أعطى قائد الأسطول الأمر بسحب الغليوطتين المقنبلتين خشية أن تتسرب النيران إليها من فوهة الإطلاق فتفجِّر مخزون البارود، وفي الوقت نفسه أرسل الجزائريون خمسًا من سفن الغالير وسِتُ سفن من نوع الشباك نحو الأسطول الدانو- نريويجي، لكن سفينة الأميرة صوفيا ماجدالينا التي كان على متنها القس هيورثيو تمكنت من توقيفها".

نهاية الحرب وانسحاب الأسطول الدانماركي- النرويجي

يقول الأسير عن هذه الحملة: **"كانت الحملة من وجة نظر الدانو- نرويجية إلى حد الآن فاشلة، كما أن الداي لم يقدم أية تنازلات، ولم تحقق قنبلة المدينة النجاح المرجو. وفي النهاية زاد هبوب الرياح من تعقيد الأمور على الأسطول الدانو- نرويجي، وفي يوم 12 جويلية كانوا يريدون الاقتراب من المدينة أكثر لكي تكون القنبلة فعالة، لكن فجأة هبت رياح شمالية قوية فخشي قائد الأسطول "كاس" أنه إن دفع بكل سفن الأسطول نحو البر فإن كل الطاقم سيقعون في قبضة الجزائريين كعبيد، حينئذ استدعى كل الضباط وأخبرهم أن مدينة الجزائر مدينة ممتنعة وأن العمل الوحيد الذي بقي عليهم القيام به هو إصدار الأمر بالانسحاب التام. وفعلا غادرت القوات الدانو- نرويجية مدينة الجزائر يوم 15 جويلية متجهة نحو ميناء ماهون بجزيرة مينوركة، حيث تم إنزال ألف مصاب بناء على تصريح طبيب كان على متن الأسطول وهو ما يعادل ثلث القوات، ونظرا لأنه ليس هناك متسع**

للجميع فقد ترك ربع المصابين في العراء عرضة لأشعة الشمس والرياح مما كان يتسبب في هلاك بحارين أو ثلاثة في كل يوم".

بعد ذلك بوقت قصير تم إرسال سفينتي مارس وهافروان لمراقبة مضيق جبل طارق ومنع سفن القراصنة الجزائريين من الحصول على الغنائم. وأما السفينتان سلاسفيغ وكريستيانزوي فقد تم إرسالهما إلى منطقة ميناء الجزائر لضمان بقاء المدينة محاصرة خلال مدة الحرب، وقد اتجهت سفينتا الخطوط المتبقية وكذلك غليوطتان تم إعطاء الأمر بعودتهما إلى أرض الوطن في خريف سنة 1770، أما السفينة الأميرالية برانس فريدريك فقد غرقت في ميناء ماهون، ولما كانت الغليوطات غير قادرة على الإبحار فلم تتمكن من العودة إلى كوبنهاغن حتى سنة 1771. بعد هذا الحصار صرح الداي أنه طالما بقي على كرسي الحكم لن يتصالح مع الاتحاد الدانو– نرويجي أبدا[1].

يذكر هذا البحار أنه كان لهزيمة الأسطول الدانماركي– النرويجي وفشله في انتزاع السلم من الجزائر باستخدام القوة والتهديد على الحكومة الدانماركية النرويجية، حيث تشكلت لجنة التحقيق وإعادة التسليح، إذ يخبرنا أنه عندما وصلت أخبار الهزيمة إلى كوبنهاغن كانت الجو مشحونا حيث أعطى الملك

1 يبدو قائد الأسطول كاس أنه لا يبحث عن حل لهذه الأزمة حيث نجده يقترح على حكومة كوبنهاغن إرسال تعزيزات أخرى إلى البحر المتوسط للقيام بمحاولة ثانية في السنة الموالية لمهاجمة الجزائر وإرغام حكومة الجزائر على إبرام معاهدة السلم، وفي الواقع لم يكن الاتحاد الدانو –نرويجي القوة الوحيدة التي كانت ضحية سوء تقدير للقدرات الدفاعية لمدينة الجزائر ولن تكون الأخيرة، حيث نظمت إسبانيا حملة بحرية قوية سنة 1775 كانت تضم حوالي 40 سفينة حربية كبيرة وصغيرة الحجم كانت تحمل على متنها 20000 جندي منهم 4000 فارس بالإضافة إلى 368 سفينة تموين، وكانت أسباب الحرب شبيهة بسبب الحرب مع الاتحاد الدانو– نرويجي خرق معاهدة السلم وقرصنة وافتداء الأسرى، وبطبيعة الحال مني الإسبان بالهزيمة.

على الفور الأمر بتشكيل لجنة تحقيق لبحث أساب الهزيمة خارج أسوار مدينة الجزائر، وقبل أن تنتهي هذه اللجنة من كتابة تقريرها النهائي طلب من برنستوف التخلي عن منصب وزير الشؤون الخارجية مما يوحي بأنها إقالة ليست لها علاقة بلجنة التحقيق وإنما جاء بناء على صراع المصالح في أجنحة السلطة في المملكة. انتهت لجنة التحقيق وكتبت تقريرها النهائي في شهر فبراير 1771 حيث جاء فيه ما يلي:

كان تحرك وزير الشؤون الخارجية متأخرا بعد قطع معاهدة السلم. كما أن القوة البحرية التي طلبها لم تكن كافية، وأن قائد البحرية نانسكجولد لوفيغ (Danneskjold-Lauvig) لم يساهم بما يكفي في التحضير للحملة. وقد توصلت هذه اللجنة إلى نتيجة تمثلت في أن قائد الأسطول **"كاس"** استعمل أسلوب التهديد مع مفاوضي الداي؛ حيث كان عليه أن يدرك أنه في موقع لا يسمح له بتنفيذ تهديدات. وأخيرا لم يقم قائد الترسانة الدانو–نرويجية في **"هولمان"** بواجبه كما ينبغي في إجراء فحص للغليوطات المقنبلة.[1] وبالمقابل أشادت اللجنة بالشجاعة والإرادة القوية التي أظهرها طاقم الأسطول رغم التحضيرات غير الكافية والسرعة التي تم بها تحضير الحملة وكذا نقص المعلومات وسوء اختيار الوسائل كل ذلك ساهم في الإخفاق العسكري في البحر المتوسط. ثم طُلب من اللجنة توقيف تحقيقها كما وُجهت تعليمات صارمة إلى المسئولين تضمنت تجنب الوقوع في مثل هذه الأخطاء مستقبلا. دون أن يحدث تطهير للبحرية أو توجيه توبيخ حتى ولو كان في سرية تامة.

1 يفيد تأكيد رئيس عمال المصنع أن صوت الهاون واهتزاز الهواءوالضجة هي التي كانت تتسبب في تصدع جسرالغليوطات المقنبلة وليس بالضرورة سحبها الذي تمت مراعاته أثناء صناعتها.

"وكان من تداعيات هذه الهزيمة استقالة وزير الخارجية برنستوف كما سبقت الإشارة وبعد ذلك طلب من **"كاس"** قائد الأسطول كذلك التخلي عن منصبه وتم استبداله بالقائد ستشوبيناشت سيمون هوغلاند Schoubynacht Simon Hoogland (1772–1789)[1] الذي أصبح منذئذ الرئيس الجديد للقوات البحرية الدانو – نرويجية في البحر الأبيض المتوسط.

ولأن الحرب بين الاتحاد الدانو– نرويجي والجزائر تواصلت فإن السفن التجارية للاتحاد كان يلحقها الضرر بصفة مستمرة ذلك أن 400 سفينة تجارية كان يُفترض بها أن تُبحر في البحر المتوسط من أجل القيام بالتبادل التجاري مع مختلف الدول الأوروبية، لكنها بقيت راسية في موانئ هذه الأخيرة خشية أن تتعرض لها سفن القراصنة الجزائريين[2]. وخسر الكثير من ملاك سفن تابعة لأمراء إيطاليين عوائدهم، وكذلك البحارة الذين كانوا على متن السفن في البحر المتوسط أصبحوا بدون عمل وانخرط بعضهم في العمل كبحارة في السفن السويدية والهولندية، كما أن السفن الفرنسية طلبت السماح لها بالعبور بحرية إلى مدينة الجزائر مما جعل الحصار الدانو– نرويجي

---

1 كان سيمون هوغلاند بحار دانو – بحارا نرويجيا يعرف جيدا بلاد الباربرسك حيث أدى دورا مهما سنة 1740 في إبرام إحدى معاهدات السلم بين هولندة والجزائر.

2في الواقع لم تكن القوات البحرية الدانو – نرويجية غائبة عن النشاط في البحر المتوسط، حيث جاء في تقرير (Tronheims Adresse - Contoirs Eftertninger) مؤرخ في 29 نوفمبر 1771 " قدم في هذا الأسبوع نثايل أونجل (Nathanael Angell) مع حمولة من الملح، قادما من سانت إيف (St Yves)ذكر أنه لم يصادف أي قرصان تركي في طريقه، وأثناء عودته كان برفقة 5 سفن دانماركية ونرويجية؛ تحت قيادة أولي أولسن سلووغ (Ole Olsen Selwog) التابع لكوبنهاغن وكان نقيب الغليوطة كريستيانزي 7 مجهز ب16 مدفعا كبيرا بالإضافة إلى مدافع أخرى صغيرة ومن حسن الحظ أنهم لم يواجهوا أي خطر أثناء عبورهم القناة.

عديم الفائدة. وبالإضافة إلى ما سبق ذكره كانت سفن القرصنة الجزائرية محمية بعيدا عن ميناء مدينة الجزائر[1]؛ علاوة على أن المدينة كانت تملك تحصينات إضافية.

وعلى أية حال فإن الأسطول الجزائري بقي محافظا على سلامته، لكن ذلك لم يكن يخدم البتة مصالح القرصنة الدانو– نرويجية في البحر المتوسط. ففي غضون هذه السنة (1771) تمكن القراصنة الجزائريون من أسر سفينة دانو – نرويجية. وشيئا فشيئا وصلت السفن التي تم استبدالها إلى البحر المتوسط، إضافة إلى أن الأسطول تَدعَّم بسفن أخرى للمشاركة في محاصرة الجزائر [2].

وعلى الرغم من أن رئيس الأسطول "هوغلاند" وبعض من أعضاء لجنة التحقيق لم يتمكنوا من الاحتفاظ بالحصار الذي بدأه القائد "كاس"، إلا أن الحكومة كانت تر غب في إعادة تسليح قوة جديدة ضد الجزائر. وكان مهندس الجولة الثانية هذه، هو الطبيب الألماني جوهان فريدريك ستريانسي (Johan Fridrich Struensee) الذي تمكن من أن ينال رضا الملك، حتى جعله طبيبه الخاص، ثم بعد ذلك أصبح سنة 1770 عشيق الملكة. وخلال مدة قصيرة أصبح في الحقيقة مصير الاتحاد الدانو – نرويجي بين يدي هذا

1 كانت سفن الأسطول الجزائري إما تقوم بالنشاط البحري في عرض البحر المتوسط، أو كانت راسية في ميناء بجاية الحصين حيث اعتادت الحكومة الجزائرية على إرساله إلى هذا الميناء لأنه يتوفر على شروط الحماية الطبيعية في فصل الشتاء. (المُترجِم).

2 في هذه الأثناء كان يتم تحضير أرمادة خاصة بالبحر المتوسط تتكون من 25 سفينة، تم تسليح قسم منها، وتم اقتراح تسميات للغليوطات المقنبلة، لكن هذه التحضيرات لم تتجسد على أرضية الواقع.

الطبيب. فأعطى الأوامر بتجهيز 8 غليوطات مقنبلة بغية توجيه حملة عقابية أخرى ضد الجزائر. وكان يدفع الاتحاد الدانو– نرويجي إلى سياسة تقوم على اللاتسامح مع الجزائريين.

وكان ستريانسي هذا يقع تحت تأثير حب الأضواء فاختار استراتيجية عسكرية دفاعية، لكن لماذا اختار أن يسلك سياسة أكثر تشديدا مع الجزائريين؟ يبقى السؤال دون إجابة. فهل يمكن أن يكون قد أراد أن يظهر للعالم الخارجي أن الاتحاد الدانو – نرويجي قوة كبيرة تمكنه من أن يفرض هكذا مطالب؛ وهل يمكن كذلك أن يكون قد رغب في معاقبة الجزائر دولة اللصوص، ويكون رغب أن يظهر بمظهر المخلص والمنقذ، من أجل القضاء على اللصوصية في البحر المتوسط. ومن المرجح أنه كان في حاجة لفرض نفسه بالقوة أمام خصومه السياسيين في الاتحاد الدانو –نرويجي بكل بساطة فسلك هذه السياسة[1].

وعلى أية حال فقد أمر القائد هوغلاند بمضايقة الجزائريين كلما أمكن، وقال إنه تلقى تعليمات بعدم البقاء مكتوفي الأيدي في ميناء مرسيليا ويجب إلحاق أكبر ضرر بالعدو وجعله يعاني باستمرار. (ومنحت لهوغلاند صلاحيات التفاوض مع الداي لكن في حالة ما إذا جاءت المبادرة من حكومة الجزائر).

اضطرار الحكومة الدانماركية– النرويجية إلى طلب الصلح مع الداي

يبدو أن الحكومة الدانماركية النرويجية أدركت حجم الخطأ الذي ارتكبته عندما أرسلت أسطولها للضغط على الديا وحمله على توقيع السلم معها حيث

1 حول النزاع الجزائري كتب ترياسني يقول" **لكي يقوم الدانمارك بالنشاط التجاري عليه أن يفعل أي شيء لتوفير الأمن لذلك الغرض** ".

يقول الأسير بهذا الصدد وعلى الرغم من إعادة تسليح قوة أخرى خلال سنة 1771 في اتجاه الجزائر فإن الداي لا يزال يرفض التفاوض مع الاتحاد الدانو–نرويجي، ولم يقبل التفاوض مع ممثل حكومة الاتحاد إلا بحلول عام 1772 وذلك بعد توسط القنصل الإنجليزي وبعد الهدايا التي قدمت له، حيث شرع الداي في المناقشات مع هوغلاند. أين حصل هذا الأخير من الداي على ضمانات الحماية في حال قام بالنزول في مدينة الجزائر، مع تقديمه وعدا بالقدوم مع غليوطتين حربيتين فقط. وفي هذه الأثناء كانت كوبنهاغن على استعداد لإبرام معاهدة سلم جديدة. وفي سنة 1772 تم توقيف طبيب الملك ستريانسي الذي كان الملك المطلق في الاتحاد، ونُفذ فيه حكم الإعدام بعد حوالي ثلاثة أشهر. وقد أعقبت هذه المعاهدة تغييرات جاءت تباعا، حيث تم توقيف التسليح الذي كان قد شرع فيه من أجل توجيه ضربة ضد حكومة الجزائر، وعاد وزير الشؤون الخارجية برنستوف لمنصبه، لكن لفترة قصيرة ذلك أنه توفي بعد مدة من توقيف الطبيب ستريانسي. وكان طاقم السفن لا يزالون يعانون من المرض الأمر الذي سرَّع من تحقيق حلم السِّلم مع الجزائر. إضافة إلى أن القائد هوغلاند كان لم يتوقف عن إرسال التقارير بأن الداي يقوم بالتحضيرات لإبرام السلم. كل ذلك وضع الحد للتحضيرات التي كانت جارية لخوض الحرب ضد الجزائر.

معاهدة سلم جديدة بين الجزائر والاتحاد الدانو –نرويجي

يخبرنا الأسير نيلز موس عن تفاصيل ومفاوضات إجراء هذه المعاهدة حيث يقول: **"في يوم 7 ماي 1772 وصل قائد الأرمادة الدانو – نرويجية مجددا إلى مرسى مدينة الجزائر، لكنه هذه المرة جاء لإبرام السلم، فقدم إذا هوغلاند من مرسيليا وكانت تعضد السفينة غرونلاند (Grøndland)،**

مع تشكيلة جميلة من الهدايا، (منها عُلب التدخين مصنوعة من الذهب والديباج المذهب)، من أجل إرضاء الداي. وقد تطلب التوصل إلى اتفاق نهائي مع هذا الأخير عدة جولات للمناقشة استغرقت مدة خمسة أيام: ذلك أنه كان ثمة فارق كبير بين مطالب الداي من هدايا ودفع تعويضات قنبلة المدينة، وطلب مبالغ مالية من أجل افتداء الأسرى الدانو – نرويجيين – والشروط التي اقترحها هوغلاند، علاوة على أن الاتحاد الدانو– نرويجي كان في حاجة ماسة إلى هذا السلم أكثر من حكومة الجزائر، فقبل إذن هوغلاند بدفع الهدايا– معدات حربية– إلى الداي. إضافة إلى دفع ضريبة سنوية قدرها خمسون ألف (50000) سكة نقدا، وضريبة قنصلية تدفعها كل سنتين قدرت بمبلغ مائتي (200) بياستر(قرش)، وكان بإمكان هوغلاند التفاوض مع الداي بخصوص الأسرى الذين كانوا بحوزته، كما كان عليه كذلك التفاوض مع بقية رجال الحكومة لتحرير الأسرى الآخرين[1] الذين كانوا في حوزتهم، كما أنه من اللازم تخصيص هدايا معتبرة لا تقل عن تلك الممنوحة للداي ووزرائه".

وفي يوم 16 ماي 1772 تم التوصل إلى توقيع معاهدة سلم جديدة بين الجزائر والإتحاد الدانو – نرويجي حيث كتب هوغلاند يقول: **"أرجو أن تدوم المعاهدة التي أبرَمها صاحب الجلالة والسمو مع الديوان إلى الأبد".** كما نصح هوغلاند الداي بلباقة قائلا له أنه في حال حدوث سوء تفاهم في

1 في شهر نوفمبر 1769 كان في مدينة الجزائر 41 أسيرا دانو –نرويجيا، بقي منهم 39 في ربيع 1772، هلك اثنان منهم في حوادث، وتمكن الأسير الثالث من مغادرة الجزائر لكن بذراع قاسية بسبب تعرضه لحادث، أما الـ9 أسرى فقد كانوا بحوزة خواص فقد لقي هوغلاند صعوبة كبيرة مع الملاك في التوصل إلى اتفاق حول مبلغ الفدية.

المستقبل بين البلدين فإن عليه أن يُكاتب الحكومة في كوبنهاغن بدلا من أن يعلن الحرب عليها. فأجابه الداي بأنه سيبذل قصارى جهده. بعد ذلك حيا الطرفان بعضهما البعض بإطلاق 21 طلقة مدفع، ثم غادرت العمارة الحربية الدانو– نرويجية ميناء الجزائر عائدة إلى كوبنهاغن[1].

وبعد ذلك بقليل صرح هوغلاند أنه: "**لا يجب التعامل مع هؤلاء الناس كما نتعامل مع بقية الأمم، حيث حُب المال هو الشيء الوحيد الذي يفهمونه**". ومن المحتمل أنه تساءل كم كلفت هذه الحرب خزينة الإتحاد الدانو– نرويجي؟ ولا شك أنه تساءل كذلك عن إمكانية دفع الأموال المطلوبة من أجل تجنب القيام بحملات عسكرية مكلفة للخزينة. ونعود مرة أخرى إلى المؤرخ الدانماركي **"دان أندرسون"** الذي أنجز أطروحة دكتوراه تحت عنوان: **" العلم الدانماركي في البحر المتوسط. الملاحة والتجارة ،1747–1807"**، حيث قدر الخسائر الناجمة عن النزاع مع حكومة الجزائر بمليون ونصف مليون ريكسدال، وقد شملت هذه الخسارة تسليح السفن الحربية والبضائع التي فُقدت من البحارة، والعمارات التي تم الاستيلاء عليها.[2]

---

1 وصلت العمارتان "مارسMars" و"هافراون Havfruen" يوم 31 ماي 1772، ووصلت السفينة كريستيانزي يوم 12 أوت ووصلت سفينة من نوع الشباك لاندورمن يوم 13 أوت، ووصلت برانسس ويلهيلمين يوم 14 أوت، ووصلت فالستر يوم 16 من نفس الشهر، ووصلت العمارتان سلسويغ وسيجران (كانت هذه الأخيرة تحت قيادة قائد الأسطول هوغلاند) يوم 23 سبتمبر، أما سفينة النقل كروفاند مولتكة فقد وصلت يوم 12 ديسمبر، ولم تصل السفينتان فيروي وألفن إلى ربيع 1773، وأما السفينة غروأنلوند بقيت في البحر المتوسط لحراسة السفن الدانو نرويجية التي كانت تحمل الهدايا المتجهة إلى مدينة الجزائر، عادت إلى كوبنهاغن يوم 15 جويلية 1773.

2 السفن الثلاثة التي وقعت في الأسر (في خريف سنة 1769) لم يتم إرجاعها إلى أصحابها، والمؤكد أن سفينة على الأقل لم تكن كذلك.

وذلك دون حساب الخمسمائة (500) بحار دانو– نرويجي الذين لقوا حتفهم بسبب الأمراض التي صاحبت السفن طوال سنوات الحرب، وبالجملة كانت الحرب مكلّفة جدا بالنسبة للاتحاد الدانو– نرويجي: فمن وجهة نظر اقتصادية كان بإمكان الاتحاد أن يوفر الكثير من الأموال لو استجاب لمطالب الداي سنة 1769، لكن الإتحاد الدانو– نرويجي تعلم شيئا مهما من هذه الحرب، وهو أنه يملك القوة البحرية الكبيرة لكن في مناطق الشمال وليس في البحر المتوسط، كما أن مدينة الجزائر كانت أكثر تنظيما وحصانة مما كانوا يعتقدون، وكان الداي بابا محمد بن عثمان باشا أذكى مما كان يُفترض، فقد كان هو الرابح في كلتا الحالتين في الحرب وفي السلم معا.

القسم الثاني

تناول الأسير في هذا القسم العديد من المواضيع القيمة والمثيرة في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني حيث بدأ بسرد قصة أسر السفينة جومفري كريستينا (1769 –1772)، ثم أتبعها بملحق عام تطرف فيه لمواضيع عديدة سنحاول تقديم ملخص عنها. فبالنسبة لقصة أسر السفينة يقول يوم 7 سبتمبر 1769 غادرت سفينة تروندهايم جومفري كريستينا[1] ميناء تروندهايم بقيادة

1 السفينة جومفري كريستيانزي تم شراؤها عام 1748 من فرنسا، على يد هانز هونمان Hans Hornemann وهيلمار مانكي Hilmar Meincke وأوطو بير Otto Beir. وهي سفينة ذات صاريتين، وهي تشبه تقريبا السفينة التي تسمى البريك، كانت تجوب البحر المتوسط بصفة شرعية، وفي سنة 1762–1763 أبحرت إلى جزر الأنتيل. في سنة 1769 ملاك السفن كانوا ممن خضعوا لفحص الولاية القضائية العسكرية، هم فريدريك كولين، وشقيقه، والمحافظ نيلز كروغ كولين Niels Krog Collin ومساعد عمدة البلدية فريدليب كريستيان أندرياس Friedlieb Andreas Christian.

القبطان هانس ثود[1] غرام وكان طاقم السفينة يتكون من 9 بحارة، إضافة إلى مسافر يدعى جاكوب كولان Jakob Collin[2]، وكان اتجاه الرحلة مدينة لشبونة. وفي اليوم التاسع من نفس الشهر أصبحنا في عرض البحر، فاجتزنا شمال إكوسيا وإرلندا، وكانت الرياح تارة هادئة وتارة قوية، واستمر الوضع على هذه الحال إلى غاية اليوم العاشر من شهر سبتمبر عندما شاهدنا رأس فينيستر، وفي اليوم الثالث عشر تقريبا عند جزر بيرلانغا على ساحل البرتغال على الساعة الثانية زوالا شاهدنا قاربا شراعيا. لما اقترب منا اعتقدنا أنهتابع اللقراصنة الأتراك، لم نكن نعتقد أنهم قراصنة جزائريون وأن الجزائر نقضت معاهدة السلم مع الدانمارك، فكنا واثقين من أن جوازات السفر التركية التي بحوزتنا كل واحد منا ستجعلهم يدعوننا نمر بسلام. وعندما اقترب القارب منا كثيرا انطلقت قذيفة من إحدى مدافعهم كادت أن تصيب مؤخرة سفينتنا. وبما أن الرياح كانت ساكنة قمنا بإنزال الأشرعة وتوقفنا ننتظرهم، وأصبح القارب قريبا جدا منا بحيث يمكنهم الاتصال بنا، فطلبوا منا الصعود على متن قاربهم لإظهار جوازات سفرنا، وفي هذه الأثناء نادى علينا قبطان دانماركي يتواجد على متن قارب القراصنة الجزائريين كان قد وقع في الأسر منذ تسعة أيام، وهو قبطان السفينة ريجرنس أونسكي Rigernes Onske[3] التابعة

---

1 ولد هانز ثودGram Hans Thode في ترونديهايم سنة 1740، وهو ابن أندرس هانسن. ج Anders Hansen. G، كقائد، كانت هذه الرحلة الأولى، والأخيرة له، على الأقل من هذه المدينة. كان قد غادر مدينة ترونديهايم بعد 1772.

2 ولد KollinHernemannJacob سنة 1740 في ترونديهايم وهو ابن رئيس رجال الحماية المدنية ومالك مزرعة، "جورج كريست كولان George Chr Kollin، أصبح ضابطا بعد سنوات وتوفي سنة 1780، ملاكو السفينة هم أخواله.

3Fr: رغبة الممالك.

لكوبنهاغن، الذي كلمنا باللغة الإنجليزية لأن القبطان التركي أمره بأن يكلمنا باللغة الإنجليزية التي كان يجيدها قليلا. ثم اتجه القبطان نحو قاربنا على متن يخت صغير وكان برفقته أربعة بحارة مكثوا في قاربهم في انتظار عودته إليهم.

وبعد ذلك بوقت قصير نزل عدد كبير من الأتراك والمغاربة على متن قاربنا، وأخذونا من أيدينا واقتادونا إلى سفينتهم، وكنا في حالة ذهول تام واعتقدنا للحظة أنهم سيقتلوننا، كنا وسط عدد كبير من الأشخاص. وسمح لنا ضوء القمر بعد انقشاع السحب من تمييز الوجوه السوداء للحشد، كانت ملابسهم الغريبة وثرثرتهم المبهمة قد زادت من قلقنا. وفي القارب كانوا يدفعون بنا في كل الاتجاهات حتى طُلب منا التوجه إلى مقر القيادة، وهناك وجدنا قائدنا جالسا على الأرض، بالإضافة إلى قائدين تركيين، وبعض المور الذين كانوا يخدمونهم ويدخلون إلى مقر القيادة، وكان هناك شابان من سفينة كوبنهاغن، أحدهما كان جاثما على ركبتيه قال لنا أن لا نخاف، لأنهم لن يلحقوا بنا أي أذى، وحدثنا عن توتر حصل بين الدانمارك[1] والجزائر، وقص علينا كيف وقعوا في الأسر منذ 9 أيام على يد قارب شراعي جزائري. ولما اعتقدنا أن الشخص الذي يكلمنا من الأعلاج لم نصدق كلامه، لكن فيما بعد أحسسنا أنه يقول الحقيقة. وبما أننا لم نكن نفهم لغتهم فقد أشار لنا أحد المور بالجلوس على الأرض.

---

1 عقدت معاهدة السلم يوم 10 أوت 1746 وجددت في سنة و1748 و1749، ونصت هذه المعاهدات على أن ترسل حكومة كوبنهاغن إلى الجزائر معدات عسكرية (المدافع والقنابل والمراسي والحبال والبارود ومدافع الهاون ...إلخ)، علاوة على الهدايا التي بعث بها جلالة الملك سنة 1751 أعرب للداي رغبته في تحسين العلاقات مع حكومته.

وقد ازدادت معاناتنا لما أخبرونا عن مصيرنا السيئ والذي لم يكن يتناسب مع توقعاتنا إطلاقا.

وبعد ذلك أخذ الأتراك زورقنا واقتادوه نحو سفينتنا، ولما شاهد طاقم السفينة زورقنا قادما نحوهم اعتقدوا أن القائد هو من عاد إليهم، لكنهم سرعان ما أدركوا عكس ذلك عندما اقترب منهم القارب كفاية وسمعوا لغة مختلفة عن لغتهم ولم يفهموا منها شيئا. ولما صعد هؤلاء الأجانب على متن سفينتنا عرفناّ أنهم القراصنة الأتراك، الذين هجموا كالأسود على كل من كان في دفة قيادة السفينة، وأنزلوا العلم الدانو –نرويجي. ثم قاموا باقتياد الأشخاص الستة الذين كانوا على متن الزورق إلى قاربهم من نوع الشباك، في حين استولى الباقون على السفينة التي كانت غنيمة جيدة.

كان من السهل تصور حالة معنوياتنا. وتم اقتياد الرجال المتبقين إلى مقصورة السفينة، حيث وجدوا زملاءهم الذين سبق ذكرهم. وفي هذه الأثناء جاء الترجمان التركي وحدثنا باللغة الإنجليزية قائلا لنا: لقد غادر قنصلكم الجزائر ولكنه سيعود في مدة أقصاها ستة أسابيع على الأكثر. ونكون إذن أحرارا ولا شيء يدعونا للخوف، رغم ذلك صَعُب علينا تصديق كل الكلام الذي كان يقوله لنا هذا الترجمان.

وبعد ذلك طُلب منا إن كان معنا نقود أو ساعات يدوية؛ يتوجب علينا تسليمها، وبما أننا نعلم أن أخذ حاجاتنا ستسلب منا باستعمال القوة فقد كنا مجبرين على تسليم كل الأشياء التي كانت بحوزتنا. وبعد ذلك أخذونا إلى جسر السفينة وقبل أن نبلغ أماكننا في مقدمة السفينة مررنا بجوار 280 شخصا كانوا ينظرون إلينا. ولما وصلنا إلى المكان المحدد لنا، وجدنا قائد

السفينة القادمة من كوبنهاكن رفقة سبعة من أتباعه والذين استفسرونا حول وضعيتنا.

وبين الحين والآخر أصبحت سفينتنا في مأمن من سفينة الأتراك التي تسمى الشباك، ولكن في صبيحة الغد جاؤوا بقاربنا مع قاربهم من نوع الشالوب وشاهدنا إنزال كل أمتعتنا: من صناديق وألبسة: لقد نهبوا كل شيء غير مربوط بالقارب، ثم استولوا على سفينتنا، وأعطوا الأمر باقتيادنا نحو مدينة الجزائر بأقصى سرعة. كنا سجناء في القارب وفقدنا سفينتنا التي أُبعدنا عنها. وكان طاقم الشباك يتألف من 280 رجلا ومزودا بأربعة وثلاثون مدفعا. وبما أن السفينة الشباك التركية انطلقت للقيام بالقبض على سفن أخرى في اليومين الموالين شاهدنا بيع أمتعتنا على يد جمع من الناس؛ وحيث كانت صناديقنا قد فُتحت عنوة.

وفي يوم 17 أكتوبر التقينا شباك جزائري آخر، كان البحر هادئا حتى اليوم الثامن عشر. ثم بدأت الرياح تهب بقوة، ألمحنا سفينة تطاردها سفينتان من نوع الشباك، وكانتا تطلقان عليها نيران مدافعهما. ولكن لما كانت تلك السفينة تملك شراعا جيدا لم تتمكَّنَا من إصابتها. ويبدو أنه عندما هدأت الرياح قام أصحاب الشباك بإنزال الأشرعة، وكان الشباك الآخر أقوى من الشباك الذي كنا على متنه، فاقترب من القارب الشراعي، ولما جن الليل وهدأ البحر أطلق الشباك نيران مدافعه على هذا القارب فأصابه في صاريته. ولم نتمكن من اللحاق بالشباك الآخر حتى يوم الغد. حينئذ قام القراصنة الأتراك بضم نصف طاقم هذا القارب إلى شباكنا، ووضعوا النصف الآخر على متن الشباك الثاني. كانت الغنيمة سفينة برتغالية من نوع البريك قدمت من أوبورتو

Oporto وكانت متجهة نحو البرازيل. وكان على متنها حمولة كبيرة واقتيدت هذه السفينة بعد مدة قصيرة في اتجاه مدينة الجزائر.

ثم واصلنا الإبحار حتى اليوم الواحد والعشرين أين شاهدنا ثلاث سفن حربية إسبانية، وعند حلول الظلام طاردتنا إحداها، لكن تهاطل الأمطار وكثافة الضباب حال دون تمكننا من رؤيتها، فقررنا حينها تغيير وجهة مسارنا، لكي نتفادى السفن الإسبانية، وأثناء ذلك قام الأتراك بذبح كبش ورموه في البحر فداء وقربانا لإلههم محمد[1]، لقد كانوا مرعوبين وصامتين في وقت واحد. واصلنا الإبحار ولكن لحسن الحظ لم نلتق أية سفينة دانماركية، كانت هناك سفن إنجليزية وهولندية وسويدية وكانوا يستظهرون جوازات سفرهم ثم يغادرون بسرعة، وكنا كلما لاحت سفينة في الأفق يتوجب علينا الاختباء لأنهم لا يريدون اكتشاف أمر أسرنا، وكنا نقيم عند جسر السفينة ونقوم بالعمل، وأحيانا كنا نتعرض للضرب. ليس من الصعب أن تتصوروا معاناتنا على متن السفينة: حيث كنا محتجزين بين السكان المور فلا نستطيع الجلوس ولا النوم. وفوق ذلك كنا نعاني الجوع والعطش والبرد، لأنهم سرقوا منا ملابسنا: وكنا نعاني خاصة من قلة الماء، لأنهم كانوا يرغبون في البقاء طويلا في البحر ومن أجل ذلك كانوا يقتصدون في استعمال الماء.

وأخيرا اقتربنا من مضيق جبل طارق يوم الخميس 28 أكتوبر، وكان المور يدخنون تحت مدافعهم كما اعتادوا القيام بذلك مساء كل خميس، وكانوا يحلقون ذقونهم، ويؤدون الصلاة ثلاث مرات في اليوم، ويبدو أنهم كانوا يعتقدون أن قيامهم بهذه الأعمال سيجلب لهم النصر في المعارك.

1 نلاحظ أن الأسير هنا يتجلى جهله بالعقيدة الإسلامية.

في يوم 29 أكتوبر وصلنا إلى الساحل البربري أو بالأحرى إلى مضيق جبل طارق، وبما أن الأتراك كانوا يخشون ظهور السفن الإسبانية عند المضيق، لم يجرؤوا على عبوره أثناء النهار، فكانوا ينتظرون في الساحل حتى حلول الليل، ولا يعبرونه إلا وهم مسلحون ومدافعهم مجهزة للإطلاق، فكانوا يستعدون كأنهم مقبلون على خوض معركة كبيرة، وكانوا جد صامتين وكأنهم يخشون وقوع أمر ما، وهذا فاجأنا لأننا اعتدنا على رؤيتهم يثيرون الصخب والضجيج، إلى درجة أننا مرات كنا نظن أنهم سيتمردون على بعضهم البعض. كان حلمنا المرور بسلام، اجتزنا الشاطئ دون أن يظهر لنا المضيق، وكانت هناك سفينة تركية من نوع الشباك مع غنيمة صغيرة تتألف من سفينتين واحدة إسبانية والأخرى برتغالية. كان الشباك في قبضة الإسبان: وتمكنوا من استرجاع الغنيمة واحتفظوا بالشباك التركي مع الشباكين الإسبانيين حتى شهر فبراير 1770. حيث تمكن من الفرار ووصل إلى مدينة الجزائر يوم 24 فبراير مع 18 أسيرا ولكن دون غنائم. ولما ألغيت معاهدة السلم مع الدانمارك أرسل الداي سبع سفن من نوع الشباك أو الأشرعة للقيام بالقرصنة، اثنان من هذه السفن استولى عليهما الإسبان الذين كانوا يحرسون الساحل ويراقبون سفن العدو، وذلك بعد أن تم تنبيههم بأن سفن القراصنة الجزائريين جاءت للبحث عن السفن الدانماركية للاستيلاء عليها.

الوقوع في الأسر

يقدم لنا الكاتب وصفا دقيقا لأحداث وقوع السفينة التي كان على متنها في الأسر على يد القراصنة الجزائريين حيث يقول:" **وفجأة حدث لقاء غير متوقع، غيَّر اتجاه السفينة وتغير معه مصير طاقمها، حيث شاهدنا في**

اليوم 13 من شهر أكتوبر 1769م سفينة تقترب من سفينتنا،[1] عرفنا على الفور أنها ملك لقراصنة الجزائر، كان الوضع لا يبشر بالخير، فلا شك أن الإيالة الجزائرية تريد نقض المعاهدة مع الدانمارك،[2] جرت الأحداث بشكل سريع وكالعادة قام القراصنة الجزائريون باتباع أسلوب الترهيب فقصفوا سفينتنا بقذيفة مدفع أصابت مؤخرتها، ثم انقضوا على طاقم السفينة كالأسود الضارية، وتحت تأثير عنصر المفاجأة لم يُبدِ أفراد هذا الطاقم أية مقاومة تذكر، ثم بعد ذلك قام هؤلاء القراصنة بإنزال العلم الدانماركي وأخذوا الرجال على متن قارب من نوع الشيباك[3]، وهكذا أصبحت السفينة الدانماركية غنيمة جيدة في أيدي القرصان الجزائريين. الذين هاجمونا وهم شاهرون السيوف وكانوا ويصدرون صرخات عالية، وكانوا يستولون على كل شيء تقع عليه أعينهم على متن السفينة.

بعد ذلك تبدأ فصول الأسر والمصير المجهول، حيث انطلقنا جميعا في اتجاه مدينة الجزائر أين وجدنا أعدادا هائلة غير معتادة من السكان في استقبال الأسرى، أسر السفن حوادث مؤسفة، محاولات المقاومة والهروب، شحن البضائع من السفن ومراقبة الركاب والسلع، وجد طاقم السفينة أنفسهم أمام وضعية لا يُحسدون عليها، حيثوقعوا تحت صدمة الخوف

---

1 أنظر الصفحة 60 وما يليها.

2 عقدت معاهدة السلم يوم 10 أوت 1746 وجددت في سنة و1748 و1749، ونصت هذه المعاهدات على أن ترسل حكومة كوبنهاغن إلى الجزائر معدات عسكرية (المدافع والقنابل والمراسي والحبال والبارود ومدافع الهاون ...إلخ)، علاوة على الهدايا التي بعث بها جلالة الملك سنة 1751 أعرب للداي رغبته في تحسين العلاقات مع حكومته.

3 كانت هذه الوحدة تتألف من 34 مدفعا وطاقما يتكون من 280 رجلا.

والجوع العطش والبرد الشديد، وفي يوم الخميس 28 أكتوبر اقتربنا من المضيق[1]وهو مكان سريع التقلبوحافل بالأخطار الكبيرة. اجتزنا المضيق[2] تحت جنح الليل خوفا من السفن الإسبانية، وكان الجميع على أتم الاستعداد لمعركة متوقعة. وفي هذه الأثناء التزم الأتراك الهدوء على غير عادتهم، ذلك أنهم كانوا معتادين على إثارة الصخب والضجيج في أحاديثهم، هل كان

---

1 يقصد به مضيق جبل طارق (المترجم) سجل الدين حضوره القوي على متن السفن حيث كان القراصنة يحملون معهم القرآن الكريم الذي يتلونه لاعتقادهم أن في البحر أشياء تذهب مع القراءة. وقد تحدث بعض الكتاب المعاصرين أو الأسرى بالتفصيل عن هذه الأوقات أثناء عبور هذا المضيق. فالأب دان le Père Dan تحدث في كتابه (تاريخ باربرية)خلال القرن السابع عشر عن الصلوات التي كان يقوم بها القراصنة عند عبورهم المضيق، حيث كتب يقول"كل مرة يبلغ فيها القراصنة (يقصد الجزائريين) أعمدة هرقل (جبل طارق) إلا وكانوا يؤدون صلواتهم، ويقولون أن ضريح مرابط كبير مقدس يوجد بهذا المكان. وعندما يصبح الوضع أكثر خطورة فإن دعوة هذا المرابط تصبح فعالة جدا ونافعة ولها دلالتها". وسجل دارندا d'Aranda –الذي كان في طريقه إلى الأسر في مدينة الجزائر– شهادته على الطقوس الخارقة التي كان يمارسها القراصنة عند وصولهم إلى مضيق جبل طارق حيث يقول:" وصلنا إلى مضيق جبل طارق المكان الذي اعتاد فيه الأتراك أن يكثروا من الصلوات والدعاء عند عبورهم هذا المضيق، وعلاوة على الصلاة كانوا يقومون بصب الزيت في البحر في اتجاه الجبل حتى يحافظ البحر على هدوءه، وكانوا يشعلون الشموع عند عبورهم المضيق أثناء الليل لكي يهدأ البحر كذلك". من كتابه قصة أسر وتحرير السيد إمانويل دارندا 1656)، وسجل الأسير غيريت متزون Guerrit Metzon في كتابه "يوميات مغامراتنا" الذي صدر في الجزائر عندار AIEO " سنة 1954 سجل الملاحظات التالية:"عند شروق الشمس كان البحار يقوم بغسل اليدين والرجلين والوجه (يقصد الوضوء – المترجم–) ثم يفترش قطعة من القماش على الأرض ويجلس على ركبتيه ويؤدي الصلاة، وبعد الانتهاء يواجه السماء وكان يتمتم بالكلمات مادًّا يديه إلى السماء إنه يقوم بهذه الطقوس ثلاث مرات متتابعة عقب كل صلاة "، من بين أخطاء غيري ميتزون قوله ساخرا " أنهم كانوا يرفعون الأيدي بدل الأرجل للتوسل إلى الله."

2 كان الأسطول تحت قيادة الأميرال دوكاس de Caas.

سبب صمتهم أنهم كانوا يخشون لفت انتباه السفن الإسبانية؟ لقد أبحرنا وكان يحدونا الأمل في ملاقاة سفينة مسيحية تقوم بتحريرنا لكن لا شيء من ذلك في الأفق."

الوصول إلى ميناء مدينة الجزائر

وفي اليوم الرابع من شهر نوفمبر وصلنا إلى ميناء مدينة الجزائر، فاقتادنا القبطان التركي إلى قاربه، وأخذنا إلى الرصيف وقام بتقديمنا إلى القائد المكلف بالأسرى المسيحيين الذي كان يتواجد بالميناء ويسمى في لغتهم ميشلاتشي Michelascie[1]، يقع هذا الميناء على جزيرة تتصل بالمدينة عبر جسر. وشاهدنا أقوى التحصينات في مدينة الجزائر، وأكبر هذه التحصينات كانت قلعة كبيرة يحيط بها خندق كبير مزود ببرج كبير تعلوه منارة كبيرة كانت تستعمل في إرشاد السفن إلى الميناء أثناء الليل، عندما تكون سفينة الأعداء بعيدة، يمكننا رؤية بريق هذه المنارة من وسط البحر، وكان ارتفاعها حوالي خمسة أذرع ومحيطها بضعة أذرع، وداخل المنارة يوجد المئات من المصابيح، وهي مغلفة من الخارج بالبلاط المصقول، وعلاوة على ذلك يوجد العديد من المدافع المعدنية مثلما توجد في باقي التحصينات.

وبعد مثولنا أمام الجنرال المذكور أخذنا القبطان من الميناء إلى بوابة المدينة، حيث تأذينا كثيرا أثناء عبورنا بالشوارع الضيقة بسبب العدد الكبير من الناس الذين اصطفوا على جانبي الطريق لرؤيتنا ومعاينتنا كانوا من الأتراك والمور واليهود. لقد كانت الفرحة تغمرهم لأنهم حصلوا على عدد كبير من الأسرى الدانماركيين، فكانوا يستمتعون بالمشهد. كان بعضهم يضحك

1 يقصد المجلس دون أن يحدد نوعه لعله يقصد به مجلس الديوان (المُترجِم)

علينا ويسخر منا، وبعضهم يبصق علينا، والبعض الآخر يمسكوننا من شعرنا بقوة، وأخيرا هناك من يرموننا بالأوساخ والحجارة وهم يصيحون **"دانماركيون دانماركيون"**. لقد وجدنا صعوبة كبيرة للوصول إلى الدايليك[1] الذي يعني الملك وحاكم القصر. وبعد أن تم إبلاغه بوصولنا أعطى الأوامر بالإقبال عليه في ساحة القصر الكبيرة، كنا 21 دانماركيا.

وعلاوة على الداي يوجد عدد من الأسياد الأتراك، وهم نائب الداي، الخزناجي، وبقية الوزراء كانوا جاثمين على رُكبهم، على الأرض أمام الداي، وكان الداي يجلس على كرسي مرتفع، ويتوسد ثلاث وسائد مخملية. وكانت بيده مروحية يبعد بها الذباب ويلطف بها الجو. وكان يوجد في هذه الساحة الأمامية الكثير من الساعات الحائطية والمرايا. وفي بعض أجنحة القصر وممراته كان يوجد الجنود الأتراك المكلفون بالحراسة: كانوا في وضعيات مهمة. بالإضافة إلى عدد كبير من خدم الداي من الأتراك والمسيحيين الذين كانوا ينظرون إلينا في أروقة القصر.

بعد نظرات الناس الوقحة اقتادونا إلى البناية التي تقع خلف قصر الداي، أين أقمنا إلى غاية يوم الغد. لما التحق بنا الأشخاص التسعة الدانماركيون الذين كانوا على متن السفينة "**ريجنس أونسكي**" Rigernes ønske كانوا قد جاؤوا على متن سفينة من نوع الشباك إلى مدينة الجزائر بمساعدة شباك آخر، ولم يتمكنوا من اللحاق بالمدينة إلا بعد يوم من وصولنا. وكانت السفينة **"ريجنسي أونسكي"** السابقة الذكر تابعة للشركة التجارية لكوبنهاغن، وكان على متنها حمولة من الملح كانت قادمة من ميناء

1 يبدو أن الكاتب نيلز موس يخلط بين المصطلحات الثلاث بايليك وباي وداي، سنعوض بايليك وكلمة داي لاحقا.

كاغلياري[1] Kagliari بجزيرة سردينيا. كما قابلنا العديد من الأسرى الألمان، ودانماركي من مدينة ألتونا Altonaقدم لنا بعض الفواكه وبعض المأكولات. لنأكلها. كان هذا الدانماركي قد وقع في الأسر يوم 21 سبتمبر وهو يعمل خادما لدى الداي في قصره. أخبرنا أن الجزائريين قطعوا علاقات السلم مع الدانمارك، وعلاوة على السفينة **"ريجنس أنسكي"** قام الجزائريون بالاستيلاء على سفينة أخرى تابعة لألتونا تدعى الأميرة مع طاقمها البالغ عدده 11 شخصا. كانت هذه السفينة قادمة من هومبورغ وكان على متنها شحنة كبيرة كانت متجهة نحو قادش Kadix[2]، لقد استولوا على سفينتنا وعلى سفينة كريستيانساند Christiansund محملة بـ نوع من الأخشاب mouru plate كانت متجهة نحو برشلونة. وقعت في الأسر على يد شباك جزائري، لكن بعد ذلك تم إطلاق سراح السفينتين على يد سفينة خفر السواحل الإسبان، كما تم تحرير السفينة الدانمركية التي كانت متجهة إلى كريستيانساند. واستولى الجزائريون كذلك على فرقاطة سويدية كانوا يعتقدون أنها دانماركية اقتادوها إلى مدينة الجزائر حيث تم تحريرها.

خلال أسرنا كنا نأكل جيدا لكننا لم نكن نشرب سوى الماء، وهو الشراب الاعتيادي للأتراك، وماء هذه المدينة عذب وحلو. لقد أقمنا ثلاثة أيام. كان الداي يراقبنا أثناء عبوره إلى حدائقه بعد تناوله وجبة الغداء كان يتجه إلى حديقته للتنزه بعد الظهيرة رفقة اثنين من وزرائه وعدد من المسيحيين الخدم.

وفي اليوم الثالث قدم إلينا كاتب مسيحي مكلف بتعداد المسيحيين وتسجيلهم والمسؤول عن مجموع الأسرى المسيحيين وأخبرنا أنه علينا المثول

---

1 هي مدينة ساحلية وميناء في جنوب جزيرة سردينيا (المُترجِم).

2 ميناء صغير يقع جنوب غرب إسبانيا على المحيط الأطلنطي (المُترجِم).

أمام الداي في ساحة قصره. وبناء على أوامر الداي أحضر هذا الكاتب معه القبطان واثنين من الأسرى التابعين لمجموعتنا، بينما بقينا نحن في أماكننا. بعد ذلك أعيد القبطان إلى السجن وبقي الأسيران المسافر وحارس قمرة قيادة السفينة اللذان سبق ذكرهما يعملان كخدم في قصر الداي، حيث كان يوجد هناك العديد من الخدم الشباب. ولقد كان الداي يعشق رؤية هؤلاء الشباب من مختلف الجنسيات، تخيلوا معي أعزائي القراء أن الداي لم تكن له رغبة في النساء، فكان يبحث عن إشباع رغباته عند هؤلاء الشباب الأبرياء ذوي التربية الجيدة، الذين كانوا يوفرون له المتعة أكثر من أي شيء آخر.

في سوق الباديستان[1]

يصف لنا الأسير كيف كان يتم بيع الأسرى في سوق الباديستان حيث يقول: **"بقينا نحن الثمانية في ساحة القصر نجهل مصيرنا. ثم بعد ذلك تم اقتيادنا إلى السوق العام أين كان التجار يتفقدوننا ليقرروا هل سيقومون بشرائنا أم لا. وقد كتبوا على ظهورنا من الرقم واحد إلى ثمانية، إن فكرة بيعي كعبد بدون سبب لا زالت تمثل لي ألما كبيرا، بقينا في هذا المكان حتى الظهيرة، حيث عاد إلينا الكاتب المذكور أعلاه وأشار إلينا بأن نتبعه حيث أخذنا إلى قصر الداي ومثلنا أمامه. بعد ذلك جاء أحد الأتراك وأخذ معه خمسة من الأسرى المرافقين لنا. ولم يبق إلا ثلاثتنا. وبعد أن قمنا بالانحناء للداي، جاء تركي وأخذ أحدنا من يده وتجول به في ساحة القصر المربعة الشكل وكان هناك حشد من الناس وأخذ ينادي بأعلى صوته: "من يزايد على المبلغ الذي قدمه الداي؟". هذا الشيخ التركي الذي من المحتمل أنه كان هو الدلّال في المزاد العلني، كان يتنقل بين بوابة القصر والساحة**

1 أنظر الصفحة 69 وما يليها.

المتواجدة خارج القصر وهو ينادي بأعلى صوته من يريد أن يزيد (لقد علمنا ذلك فيما بعد). وعلاوة على عدد كبير من الناس العاديين في هذا المكان، هناك عدد كبير من الأسياد، والحراس والجنود والخدم، والذي يدفع أكثر هو الذي يفوز بالأسير في النهاية؛ ويصبح الأسير ملكا له. وأما الأسيران الآخران فقد كانا يقفزان كالأرنب مع التركي، وبما أن المبلغ المقترح لم يكن مرضيا للداي فكان عليهما أن يصبحا خادمين للداي ولا يتم بيعهما. أخذ الأسيران إلى المكان الذي كان يتواجد فيه الأسرى الخمسة الآخرون، أي وراء جدار القصر، أين قام تركيان بإعطائهم ثياب الأسر التي كانت تتكون من ست قطع: معطف ذو قلنسوة، وبلوزة بدون أكمام، سروال تركي أبيض، وقميص أبيض قصير، وزوج من الشباشب، وقميص. كان القماش رقيقا ورديئا، وكل هذه الألبسة كانت بالية وأتلفتها العثة."

وصف الحياة في السحون[1]

بعد ذلك اقتادونا إلى أحد سجونهم كانوا يسمونه بنجر بايلك. هذا السجن كان رهيبا، لم نكن نفهم لغتهم وليس لدينا من الألبسة ما يمكن أن نحتمي به من برد مدينة الجزائر في شتاء هذه السنة الذي كان قاسيا. لهذا السبب لقد قاسينا كثيرا خلال الأسر.

وفي هذا السجن وجدنا من 300 إلى 400 أسير مسيحي أغلبهم إسبان، وكان لهم غرف خاصة، بالإضافة إلى الأسرى الخمسة من سفينة ألتونا الذين سبق الكلام عنهم، وعلاوة على هذا السجن يوجد سجنان آخران في المدينة يضمان نفس العدد من الأسرى. وبعد ذلك نقلونا إلى سجن آخر

1 المصدر السابق، ص 70 وما يليها.

يسمونه بنجر ڤاليرا حيث كنا نعيش مع حوالي ثلاثين من الأسود والنمور التي كانت تزمجر باستمرار وكانت السلاسل المقيدة بها تحدث ضجيجا حينما كانت تحطم السلاسل وتقفز من أمكنتها فكان يسود الهلع والرعب في نفوس الأسرى التعساء فيهرعون مذعورين إلى الأماكن المرتفعة للاحتماء بها. وحين لا يكون حضور هذه الحيوانات المفترسة كافيا هناك أنين العبيد المكبلين بالسلاسل الحديدية لارتكابهم جرائم خطيرة وكان كل أسيرين مكبلين بقيد واحد طول النهار وكانوا يقتادونهم كل يوم إلى العمل خارج السجون.

عندما وصلنا في هذه الليلة إلى السجن وكنا متعبين حيث مشينا طول النهار وتجولنا في الساحات الملكية، ومثل بقية الأسرى قاموا بتقييد أقدامنا بالسلاسل الحديدية أثناء الليل، ثم ناولنا الأتراك قليلا من الخبز الممزوج بالشعير والقمح، وهو يعادل تقريبا خبز الجودار الذي يبلغ ثمنه عندنا 2 شيلينغ، كانت هذه وجبة العشاء بعد يوم عصيب. ثم دلونا على المرقد الذي يحتوي على غطاءين رقيقين الذي هو الفراش والغطاء في آن واحد كما أعطونا ملابس الأسير.

في يوم الغد، جاء أحد العمال لينادي على الأسرى للتوجه إلى العمل، وقام الحارس التركي بفتح كل أبواب السجن لأن على الجميع الذهاب للعمل. لقد كنا نعمل كالبحارة، وكان أول عمل لأول يوم إنزال حمولة الشباك الذي حملنا إلى مدينة الجزائر، وكنا نشاهد بألم كبير الأتراك يأخذون أغراضنا معهم. وقدموا لنا في هذا الصباح قليلا من الخبز مع كمية من الخل وحبات من الزيتون وبضع قطرات زيت الزيتون عدا ذلك لم يكونوا يقدمون لنا شيئا في كثير من الأحيان قبل وجبة الغداء.

وكانوا يقومون بالنفخ في البوق ويرفعون علما أبيض على كنائسهم[1]، وعلى أبراج المراقبة لكي ينتبه الجميع بأنه وقت الغداء. وليس لديهم الأجراس لأنها تخيفهم، وإذا قدمت سفينة تحمل على متنها جرسا كان عليهم إيقافها حتى لا تحدث ضجيجا. كانوا يمنحون قطعتين من الخبز لكل أسير، وعند الساعة الرابعة والنصف مساء ترفع الراية البيضاء مرة واحدة لإعلام الأسرى أنهم أحرارا بقية اليوم، حينما لا يكون هناك عمل مهم لإنهائه؛ أما إذا كان هناك عمل فإن الأسرى يتوجب عليهم العمل طول الليل لإنهائه. بعد ذلك كان على الأسرى المرور على باب البحر للمعاينة قبل دخولهم باب المدينة للوصول إلى السجن، وكان للأسرى حوالي ساعة يتوقفون فيها عن العمل للراحة. ثم يأتي أحد الأسرى ليسجل الغياب حيث ينادي على الأسرى بحضور حارس تركي يراقب ويتأكد من أن الجميع حاضرون. بعد ذلك يمنح كل واحد منا قطعة خبز للعشاء، أكبر قليلا من القطعة التي كانت تقدم لنا عند الغداء؛ وكانوا يقدمون لنا الماء للشرب. وبالتالي كان علينا الاكتفاء بالخبز والماء قبل أن نتلقى بعض الأموال على يد تاجر فرنسي. ذلك أن القنصل الدانماركي قبل أن يغادر مدينة الجزائر كان قد طلب من هذا التاجر باسم الملك تقديم المساعدة للأسرى الدانماركيين في حالة احتاجوا إليها.

فليبارك الله سيدنا الكريم، ومن المؤكد أن الخدمات التي قدمها لنا هذا القنصل مع التاجر الفرنسي لم تكن بسبب الملك، حيث كان هذا التاجر يقدم لنا بانتظام ستة من الملابس الداخلية ثم كان يتبعها بألبسة ضرورية. حيث كانت الألبسة التي قدمها لنا الداي بالية ولم تكن قوية بما فيه الكفاية لمقاومة

1 يقصد الكاتب المساجد، حيث نلاحظ أنه لا يستعمل المصطلحات الإسلامية.

العمل الشاق الذي كنا نقوم به، علاوة على أن العثة أتلفتها وهي رقيقة لا تحمينا من برد الشتاء، إذن لم أجد الكلمات المناسبة كي أعبر عن سعادتنا وإحساسنا ونحن نتلقى هذه المساعدة. في شهر جانفي 1770 وصلت فرقاطة هولندية إلى ميناء مدينة الجزائر، كانت تحمل الأعلام الملكية، وفي شهر فبراير غرقت فرقاطة فرنسية جميلة في ميناء مدينة الجزائر؛ فقام القبطان الفرنسي بشراء سفينة كوبنهاغن الدانماركية وغادر الميناء في شهر أفريل.

كان يتوجب علينا العمل يوميا، ونحن مقيدون بالأغلال، وبما أن ملابسنا كانت رقيقة فقد كنا لا نطيق تحمل البرد. وكان الأتراك واليهود يرفعون معنوياتنا بقولهم لنا أننا سنحصل على حريتنا في الربيع القادم: ستأتي سفينتان دانماركيتان لإبرام معاهدة صلح مع الجزائر وتقوم بتحريرنا. في فصل الشتاء جاءت عدة سفن إنجليزية وفرنسية إلى ميناء مدينة الجزائر، وفي يوم 8 ماي وصلت فرقاطة إنجليزية حربية إلى الميناء، كما وصلت سفينة قادمة من الشرق يوم 30 من نفس الشهر كان على متنها جنود أتراك.

ولم يكن هناك سوى سفير السلطان الذي جاء إلى الجزائر للتوسط من أجل التفاوض بين الدانمارك وحكومة الجزائر. ووصلت سفينة برتغالية من نوع البريك يوم 5 جوان؛ تم أسرها على يد الشباك الجزائري الذي قام بالاستيلاء علينا، وكانت السفينة المذكورة قد تعرضت إلى عاصفة في شهر جانفي دفعتها إلى ناحية بونة[1] حيث اضطرت إلى البقاء في ميناء هذه المدينة طول فصل الشتاء.

1 هي مدينة عنابة. (المترجم).

وصف الحياة في الأسر [1]

يقول الأسير: **"لا شيء يدعو للارتياح داخل السجن أو الحمام أين يقبع مئات التعساء، والطعام الذي كان يقدم للعبيد يتمثل في الخبز الممزوج بالقمح والشعير مع الماء بدون خمر لأنه (محرم في الشريعة الإسلامية). كان الفراش قديم، وبالٍ ومتعفن، ومرتفع، ويوجد في الجوار حوالي ثلاثون من الأسود والنمور التي كانت تزمجر باستمرار وكانت السلاسل المقيدة بها تحدث ضجيجا مرعبا حينما كانت تتحرك أو تقفز من أمكنتها فكان يسود الهلع والرعب في نفوس الأسرى التعساء فيهرعون مذعورين إلى الأماكن المرتفعة للاحتماء بها".**

وحين لا يكون حضور هذه الحيوانات المفترسة كافيا هناك أنين العبيد المكبلين بالسلاسل الحديدية لارتكابهم جرائم خطيرة حيث كان كل أسيرين مكبلين بقيد واحد طول النهار وحتى أثناء خروجهم إلى العمل خارج السجون.

وفي السجن جرت العادة لدى الحكومة أنه لما كان يحين موعد تناول وجبة الغداء يُرفع علم أبيض على منارات كنائسهم[2] الخمس أو الثمانية المتواجدة في المدينة-ليعلم الجميع أنه وقت تناول وجبة الغداء، ذلك أنه لا وجود للأجراس هنا لأنها "تسبب لهم الخوف"-، وفي بعض الأحيان كان يُقدم للأسرى كوجبة للغداء كمية من الخل وحبات الزيتون وقليل من زيت الزيتون.

1 المصدر السابق، ص 72 وما يليها.

2 يقصد مساجدهم. (المترجم).

الملحق:

يشتمل هذا الملحق على معلومات وأخبار متنوعة عن مدينة الجزائر من حيث موقعها ووصف تحصيناتها وأبراجها وبواباتها، وميناءها ومنازلها ومياهها، ثم ينتقل إلى وصف العادات الجنائزية للسكان، كما تطرق أيضا لمقابر اليهود وأورد قصة نشأة مقبرة المسيحيين. وما شد اهتمام الأسير هي دفاعات المدينة حيث قدم وصفا دقيقا لها، ثم انتقل إلى وصف منصب الداي ووزرائه وكيف يجتمع مجلس الديوان ويداول في القضايا المختلفة للدولة، ثم تحدث عن العقوبات التي كانت تسلط على الأهالي وعلى الأتراك واليهود والأسرى المسيحيين وأشار إلى اختلافها من جنس لآخر، وأشار إلى الصرامة والشدة التي كانت تصاحب تنفيذ الأحكام. ثم تحدث عن المستشفيات التي كانت مخصصة للأسرى المسيحيين وعن كيفية إدارتها، ووصف كذلك الحمامات التي هي السجون التي كان يوضع فيها الأسرى المسيحيون، وذكر أعدادها والنظام المعمول به فيها وأشار إلى الكنائس والحانات التي كانت توجد بداخلها، وتحدث عن خلافة الداي في حالة وفاته، وعن المجندون الأتراك الذين كان يرسلهم الباب العالي كل سنة أو سنتين، وأشار إلى المخاطر التي كان يتعرض لها الدايات من قبيل محاولات الاغتيال، وإلى كيفية تسيير شؤون الإيالة حيث ذكر أن الداي كان يستعين بثلاث بايات في إدارة شؤون الدولة، وكان هؤلاء البايات مطالبون بدفع مبالغ من المال كل سنة لخزينة الدولة، وأشار إلى الخلافات التي كانت تقع من حين لآخر مع إيالة تونس.

ويقدم لنا الكاتب صورة حية عن الحياة في الإيالة الجزائرية، فوصف الغلات الزراعية التي كانت تنتجها، وإلى أنواع الحيوانات والطيور التي كانت تعيش في البرية، ووصف السكان وصفاتهم، ولباسهم وتطرق إلى النساء وكيف تعتنين بأنفسهن وبأطفالهن وأشار إلى تعدد الزوجات وإلى عقوبة المرأة الزانية، وتطرق إلى طقوس العبادة فقدم لنا وصفا عن كيفية أداء الصلوات الخمس والوضوء والذهاب إلى المساجد والآذان وكل ما ألفت انتباهه بصفته مسيحيا، وتحدث عن الأسرى المسيحيين والحياة في الأسر وأشار إلى فرار الأسرى والجنود من وهران التي كانت تحت الحكم الإسباني إلى مدينة الجزائر هروبا من واقع بائس وتعيس هناك.

ولم يغفل الأسير عن الحديث عن الأعياد الدينية وكيف كان السكان يحتفلون بها، وذكر أن الأسرى في أثناء ذلك كانوا يحظون بالمعاملة الحسنة، وبعضهم كانوا يحصلون على بعض الهدايا من مالكيهم،[1] وتحدث عن المرابطين الذين قال عنهم أنهم كانوا يحظون بالاحترام والتقديس من طرف السكان والأتراك على حد سواء، ويعطينا وصفا مذهلا عن ظروف عمل المسيحيين في محاجر اقتلاع الحجارة ونقلها إلى الميناء من أجل إقامة التحصينات حيث يفيدنا بمعلومات قيمة ودقيقة ويخبرنا أن السكان وحتى الوزراء كانوا يشاركون في العمل وكانوا يعتبرون ذلك شرفا وواجبا، ويقص علينا الأسير من حين لآخر قصص محاولة بعض الأسرى الفرار للالتحاق بجبال القبائل أو وهران ولكن جميع المحاولات كانت تفشل، ويعاقب أصحابها عقوبات شديدة، وفي الأخير تحدث الكاتب عن الحراس الشخصيين للداي

1 أنظر الصفحتين 114-115.

والذين وصفهم بأنهم أصحاب بنية قوية وشداد غلاظ يخشى المرء من النظر في عيونهم.

خاتمة

على الرغم من أن الأسير النرويجي نيلز موس لم يكن كاتبا أو اديبا كما أخبر هو بنفسه، إلا أن الأخبار والمعلومات التي أوردها في كتابه القيم هذا تدل على نباهته، وذكاءه وقوة ملاحظته، ودقة معلوماته، حيث استطاع أن يوصل تلك المأساة التي مر بها هو ورفقاؤه في الأسر بعناية فائقة، وقوة التأثير على القراء، ويعتبر كتابه مصدرا هاما لتاريخ الجزائر خلال القرن الثامن عشر، يضاف إلى قائمة كتابات الأسرى الأوروبيين الذين كتبوا يومياتهم عن حياة الأسر في مدينة الجزائر. إن وصفه للأحداث باعتباره رجل عسكري وبحار يتمتع بخبرة في هذا المجال، جعل كتابه يختلف عن باقي الكتابات من حيث المصداقية والدقة في الوصف، مما يجعله جدير بالقراءة والاهتمام، وهو إضافة نوعية للمكتبة الوطنية والعربية التي تفتقر إلى مثل هذه الكتابات التي من شأنها أن تميط اللثان عن كثير من الجوانب التاريخية التي لا يزال يلفها الكثير من الغموض.

جهود المؤرخين الجزائريين في جمع وتصنيف وتحقيق وترجمة الوثائق التاريخية الخاصة بالفترة العثمانية – خليفة حماش أنموذجا–

The efforts of Algerian historians in collecting, classifying, verifying and translating historical documents of the Ottoman period - Khalifa Hammache as a model-

د/ بن سالم الصالح
جامعة محمد البشير الإبراهيمي - برج بوعريريج

مقدمة

يتفرع النص التاريخي الخاص بالجزائر العثمانية لقسمين المخطوط وهو النص والمصدر المحلي والمنتشر عبر المكتبات والزوايا داخل وخارج الوطن، ومن الذين تخصصوا في تحقيق المخطوط الخاص بالجزائر العثمانية كل من أبو القاسم سعد الله، ويحيى بوعزيز، والمهدي البوعبدلي، ومحمد بن أبي شنب، ورابح بونار، وناصر الدين سعيدوني، ومحمد بن عبد الكريم الزموري، والقسم الثاني من النصوص التاريخية للجزائر العثمانية يتعلق بالوثيقة المتناثرة عبر دور الأرشيف المحلية والوطنية والدولية، ومن الذين اشتغلوا على الوثيقة الخاصة بالجزائر العثمانية نجد فاطمة الزهراء قشي التي اشتغلت على سجلات المحاكم الشرعية لبايلك الشرق عامة وصالح باي وإرث عائلة الفكون بصفة خاصة، وعائشة غطاس التي اشتغلت على سجلات المحاكم الشرعية الخاصة بدار السلطان، وودان بوغفالة الذي يشتغل على سجلات المحاكم الشرعية لبايلك الغرب والتيطري لكن أهمال معتكفين على جمع وتصنيف وتحقيق الوثيقة الخاصة بتاريخ الجزائر العثمانية هو المؤرخ خليفة حماش **فمن يكون؟ وما هو منهجه في التعامل مع الوثائق التاريخية؟ وماهي أهم الأعمال التي قدمها**

في هذا الجانب؟ وما القيمة العلمية المضافة لأعماله في البيبليوغرافيا الخاصة بتاريخ الجزائر الحديث؟

أولا/ السيرة الذاتية للمؤرخ خليفة حماش

1/ التكوين القاعدي

خليفة حماش باحث جزائري من مواليد 19 أكتوبر 1958م بقرية أولاد شلابي بلدية تاسمرت دائرة زمورة [1] ولاية برج بوعريريج. هذه المنطقة التي أنجبت الكثير من الباحثين والعلماء، ولعل من أبرزهم النحوي أبو حفص الزموري [2]، والعلامة المحقق محمد بن عبد الكريم

---

(1) **زمورة:** هي بلدة تقع بالشمال الشرقي لولاية برج بوعريريج أختلف في أصل تسميتها بين الكلمة الأمازيغية أزمور وتعني الزيتون، والكلمة التركية زمو – راه وتعني حصن الحامية، وهي من أعرق المدن بالشرق الجزائري، فقد مرت بها شعوب وحضارات عديدة: (الرومان، العرب المسلمين، الأتراك، الفرنسيين)، كما كانت قلعة للعلم والدين، فقد تخرج منها عديد العلماء والأعلام في شتى الميادين، أنظر: (سمير بن سعدي: **المختصر في تاريخ زمورة**، مطبعة زاعياش، الجزائر، 2013م، ص13).

(2) **أبو حفص الزموري:** هو عمر بن أبي حفص بن محمد الحسني يعود نسبه إلى سيدي عمر العجيسي ولد بمدينة زمورة سنة 1913م، وقد عاش يتيم الأب بعدما توفي والده وهو ابن 07 سنوات فكفله شقيقه محمد، وبعدما درس بقريته زمورة تنقل بين زوايا ومساجد عديدة في ربوع الوطن: (الزاوية العلاوية بالجعافرة، مسجد بني عبدل، زاوية الطرابلسي بعنابة، زاوية شلاطة بأقبو، زاوية سيدي موسى ببجاية، زاوية واد الزناتي بقالمة، مسجد عين الفكرون بأم البواقي، مسجد براقي بالجزائر العاصمة، مسجد سيدي رمضان بالقصبة)، وقد توفي رحمه الله سنة 1990م، وترك رصيدا علميا كبيرا خاصة في مجال النحو والصرف، ومن أهم مؤلفاته: **فتح اللطيف في التصريف على البسط والتعريف، فضل الدعاء ومطلوبيته، أبواب الجنان وفيض الرحمان في الصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد ولد عدنان، الحج على مذهب الإمام مالك...**، أنظر: (عبد الجليل مرتاض: **عمر بن أبي حفص الزموري لغويا**، مجلة اللغة العربية، ع14، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2005م، ص183–186).

الزموري [1]، وقد ارتاد خليفة مدرسة ومسجد قرية بوعزيز بمدينة زمورة أين تشبع بالثقافة الدينية، وعند نجاحه في شهادة التعليم الابتدائي انتقل للدراسة بمتوسطة ابن باديس الشرقية بولاية برج بوعريريج مركز، وبعد تحصله على شهادة التعليم المتوسط التحق بثانوية السعيد زروقي بنفس المدينة.

2/ تكوينه بالتعليم العالي

بعد نجاحه في شهادة البكالوريا سنة 1979م اختار الطالب خليفة حماش تخصص التاريخ عن قناعة وحب أين التحق بقسم التاريخ بجامعة قسنطينة، وبعد تحصله على شهادة الليسانس سنة 1983م متصدرا للدفعة قرر إكمال مشوار الدراسة بمصر أين التحق بجامعة الاسكندرية، وتحصل بها على شهادة الماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر سنة 1988م بدرجة ممتاز، وموضوع الرسالة كان حول العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي (1798-1830م) تحت إشراف خليل عبد الحميد عبد العال، وبعد عودته إلى الجزائر

(1) **محمد بن عبد الكريم:** هو محمد بن عبد الكريم المعروف باسم محمد بلخوجة ينتمي لأسرة أندلسية من أصول تركمانية مملوكية أخذ لقب خوجة من جده الذي كان خوجة أي كاتب في الحامية التركية بزمورة، وقد ترعرع محمد بن عبد الكريم في كتاتيب زمورة على يد أبو حفص الزموري والشيخ العربي كشاط والشيخ علي بوبكر، وأكمل تعليمه بتونس بمعهد الصادقية العريق، وبعد اندلاع الثورة التحريرية هاجر محمد بن عبد الكريم نحو فرنسا سنة 1956م وانخرط في الثورة من خلال كتاباته وأشعاره الوطنية، وهو ما جعله يتعرض للتضييق والتوقيف ومصادرة كتبه، وبعد الاستقلال عاد للجزائر واشتغل بالتدريس والكتابة، كما تخصص في التاريخ بعدما نال شهادة الدراسات المعمقة في التاريخ العثماني، وعرف عن المرحوم محمد بن عبد الكريم انتاجا غزيرا يتوزع بين الشريعة والأدب والتاريخ، وخصوصا تحقيق المخطوطات التاريخية، وقد تجاوزت أعماله 50 مؤلفا، وتوفي بتاريخ 09 نوفمبر 2012م بمدينة سطيف، أنظر: (الصالح بن سالم: **جهود محمد بن عبد الكريم في تحقيق المخطوط العثماني**، مجلة البحوث التاريخية، ع2، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة المسيلة، الجزائر، 2017م، ص158-162).

سجل بجامعة قسنطينة لنيل شهادة الدكتوراه تحت إشراف فاطمة الزهراء قشي، وقد ناقش أطروحته خلال الموسم الجامعي 2006-2007م بدرجة مشرف جدا مع التوصية بطبع الأطروحة، والتي كانت بموسومة بـ (الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني)، وقد تكفلت وزارة الشؤون الدينية بطبعها في ثلاثة أجزاء بمناسبة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية سنة 2015م.

3/ مشواره المهني بالجامعة الجزائرية

بدأ خليفة حماش التدريس كأستاذ مساعد بقسم التاريخ بجامعة قسنطينة قبل أن يلتحق بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية سنة 1988م، وأصبح ضمن هيئة التدريس بقسمي التاريخ واللغة التركية لغاية اليوم (2021م)، كما تقلد سابقا منصب مدير معهد الحضارة الإسلامية بجامعة الأمير عبد القادر خلال فترتي (1990-1992م) و(1995-1998م)، ورئيس اللجنة العلمية لقسم التاريخ، وخلال هذه الفترة قام خليفة حماش بتدريس عديد المقاييس أهمها: (تاريخ الدولة العثمانية، تاريخ النهضة الأوروبية، تاريخ الكشوف الجغرافية، تاريخ العلوم والفنون الإسلامية، قواعد اللغة التركية، نصوص تركية عن تاريخ الأتراك القديم، نصوص تركية عن تاريخ الثقافة التركية، نصوص تركية عن تاريخ الأتراك قبل العهد العثماني، منهجية البحث العلمي، المنهجية التطبيقية، مصادر تاريخ الجزائر الحديث) [1].

([1]) خليفة حماش: **قواعد اللغة التركية**، ج3، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2016م، ص266، **سيرة ذاتية بخط يد الدكتور خليفة حماش** قدمها لنا بتاريخ 06 سبتمبر 2020م.

4/ التكوين المكمل للشهادة

أثناء تحضيره لنيل شهادة الماجيستير بمصر تنقل خليفة حماش إلى تركيا أين تحصل بها على شهادة التأهيل في اللغة التركية من جامعة إستنبول سنة 1986م، وبذلك أصبح يتحكم في أربعة لغات بشكل جيد (العربية، الفرنسية، الانجليزية، التركية)، وخلال مدة البحث في مرحلتي الماجيستير والدكتوراه ارتاد مجموعة كبيرة من مراكز البحث الأرشيفية بمختلف مناطق العالم، أبرزها: (الأرشيف الوطني الجزائري، الأرشيف الوطني التونسي، دار الوثائق القومية السورية، الأرشيف البريطاني، أرشيف وزارة الحرب الفرنسية، أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية، الأرشيف الوطني الفرنسي، أرشيف طوب قابي سرايي بتركيا، المكتبة الوطنية الجزائرية، المكتبة الوطنية التونسية، معهد المخطوطات التابع للجامعة العربية بالقاهرة، المكتبة الوطنية السورية، المكتبة الوطنية الفرنسية، المكتبة الوطنية المغربية، الخزانة الحسنية بالرباط).

5/ أعماله

للمؤرخ خليفة حماش العشرات من البحوث في مختلف الدوريات الوطنية والدولية، ويقدر عددها حوالي57 بحثا موزعا على النحو الآتي:

أ/ المجلة التاريخية المغاربية التونسية (07 بحوث)

-الجزائر والحرب اليونانية العثمانية (1821-1827م)، ع65-66، 1992م.-السفينتين الجزائريتين اللتين كانتا بالإسكندرية قبيل الحملة الفرنسية على الجزائر، ع79-80، 1995م.- سفارة علي رئيس إلى لندن سنة 1819م، نموذج الدبلوماسية الجزائرية في العهد العثماني، ع87-88، 1997م.- وثيقة جزائرية من العهد العثماني حول موكب الحجيج المغاربة سنة

1823م، ع91-92، 1998م.- نسبة الذكور والاناث في مجتمع مدينة الجزائر في العهد العثماني، ع126، 2007م.- الأولاد وعدد الأمهات داخل الأسرة الجزائرية في مدينة الجزائر في العهد العثماني، ع127، 2007م.

- الوفيات في مدينة الجزائر في العهد العثماني من خلال عقود المحكمة الشرعية، ع131، 2008م.

ب/ المجلة العربية للدراسات العثمانية التونسية (09 بحوث)

- أهمية اللغة التركية في دراسة مصطلحات التاريخ والحضارة الاسلامية، ع15-16، 1997م.- العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية والايالات المغاربية في العهد العثماني، ع11-12، 1995م.

- كشاف الوثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين بالجزائر وتونس، ع13-14، 1996م.-الإنجاب لدى المرأة في مدينة الجزائر في العهد العثماني، ع33، 2006م.- أوقاف الحرمين الشريفين في مدينة الجزائر في العهد العثماني، ع35، 2007م.- اسم كتشاوة الذي يطلق على أشهر جامع بمدينة الجزائر - هل هو اسم تركي أو محلي -، ع40، 2009م.- العوامل المؤثرة في دور السكن بمدينة الجزائر في العهد العثماني، ع39، 2009م.- لفظة الحفيد في عقود المحكمة الشرعية والمؤلفات التاريخية بالجزائر وتونس في العهد العثماني - صيغها ودلالاتها -، ع44، 2011م.

- المصادر الوطنية عن الأسرى الجزائريين في أوروبا في العهد العثماني، ع45-46، 2012م.

ج/ المجلة العربية للأرشيف والتوثيق والمعلومات التونسية (01 بحث)

- أصول التوثيق عند الجزائريين في العهد العثماني، ع03-04، 1998م.

د/ الأعمال الجماعية المنشورة بمؤسسة التميمي التونسية (05 بحوث)

– مظاهر الاستقرار والاضطراب السياسي في الدولة العثمانية من خلال التعيين والتنحية في الوظائف العليا (الصدارة العظمى نموذجا)، كتاب جماعي تقديري للأستاذ ماخيال كيل، تونس، 1999م.– البيع بالصرة المجهولة القيمة في عقود المحكمة الشرعية بمدينتي الجزائر وغزة في العهد العثماني مظاهره ومغزاه، أعمال المؤتمر العالمي 13 للدراسات العثمانية، تونس، 2008م.– مضرات الزوجة من الزوج في مدينة الجزائر في العهد العثماني، كتاب جماعي على شرف الأستاذة ثريا فاروقي، تونس، 2009م.

–التوجه المذهبي في الوقف في الجزائر في العهد العثماني، كتاب جماعي مهدى للأستاذ المتميز عبد الجليل التميمي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2013م.–معركة نفارين من خلال تقرير تونسي من قلب الحدث، كتاب جماعي مهدى للأستاذ المتميز الدكتور هشام جعيط، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2013م.

هـ/ أعمال الملتقيات ومراكز البحث الوطنية والعربية (07 بحوث)

– تبادل الهدايا بين الجزائر والباب العالي، مخبر الدراسات الأدبية والانسانية بجامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2004م.

– الأسرى الجزائريون في أوروبا في العهد العثماني، مخبر الأبحاث الاجتماعية والتاريخية حول حركة الهجرة، قسنطينة، 2008م.

– صرة الحرمين الشريفين الجزائرية (مظهر لانتقال الأموال بين الجزائر والجزيرة العربية في العهد العثماني)، مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية، الكويت، 2009م.

– سعر الكتاب في مدينة الجزائر في العهد العثماني، أعمال المؤتمر الدولي (المغاربوالبحر المتوسط الغربي في العصر الحديث)، الرباط، 2009م، ونشر ضمن أعمال الملتقى باستانبول، إيرسيكا، 2013م.

– قراءة في قصة مهاجر جزائري إلى أوروبا في العهد العثماني، أعمال ملتقى الهجرة والحراك والمعالم الحضرية في الجزائر، مخبر الدراسات والأبحاث حول الرحلة والهجرة، قسنطينة، 2009م.

– الألقاب التركية في الجزائر في العصر الحديث، أعمال ملتقى الهجرة والحراك والنفي وآثارها على الصعيد الثقافي واللغوي، مخبر الدراسات والأبحاث حول الرحلة والهجرة، قسنطينة، 2010م.

– رحلة مثقف تركي إلى الجزائر في أوائل القرن العشرين، أعمال ملتقى الشرق والغرب في مدونات الرحالة العرب والمسلمين اكتشاف الذات والآخر، الجزائر، 2005م.

و/ مجلة أوقاف الكويتية (01 بحث)

– وقف الكتاب في البلاد العربية في العهد العثماني (وقفية المشير أحمد باشا بتونس نموذجا)، ع22، الأمانة العامة للأوقاف، 2012م.

ز/ مجلة الدارة السعودية (03 بحوث)

– دكان الحرمين الشريفين في مدينة الجزائر في العهد العثماني، س6، ع1، دار الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، 2010م.

– مكانة الصلاة في الفرمانات السلطانية العثمانية (فرمان السلطان عبد المجيد الأول نموذجا)، س40، ع4، دار الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية،2014م.

–وثائق أرشيفية عن تعمير عين زبيدة بمكة المكرمة عام 1297هـ/1880م، س42، ع1، دار الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، 2016م.

ح/ مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية بقسنطينة (02 بحوث)

– أهداف البحث العلمي ومبادئ الكتابة عند المسلمين، ع6، 1999م.

– دور الطلبة في تحرير مدينتي وهران والمرسى الكبير من الاحتلال الاسباني عامي 1710–1792، ع9، 2001م.

ط/ مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية بجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة (01 بحث)

– تجنيد المتطوعين للجيش الجزائري في أقاليم الدولة العثمانية في أواخر العهد العثماني، ع2، 2003م.

ي/ مجلة المعالم التابعة الصادرة عن جمعية التاريخ والمعالم الأثرية لولاية قالمة (05 بحوث)

– رحلة مثقف تركي إلى الجزائر في أوائل القرن العشرين، أعمال ملتقى الشرق والغرب في مُدوَّنات الرحالة العرب والمسلمين (اكتشاف الذات والآخر)، ع13، 2012م

– الأسماء في مدينة الجزائر في العهد العثماني، ع14، 2013م.

– قراءة في أسباب هزيمة الجزائريين أمام الفرنسيين في معركة أوسطه والي عام 1830م، ع16، 2014م.

– اسم "أوسطه والي" بين الكتابات التاريخية والوثائق الأرشيفية، ع19، 2016م.

– مراسلات لشخصيات جزائرية وتونسية مع عالم المغرب الأقصى الشيخ محمد بن الحسن الحجوي في عهد الحماية، ع22، 2018م.

ك/ مقالات قدمت للنشر (04 بحوث)

– أسباب هزيمة العثمانيين أمام الأوروبيين في فيينا عام 1682م، وفي أوسطه والى (بالجزائر) عام 1830م، بين رؤية المؤرخين والواقع، عمل قُدم للمؤتمر الدولي الخامس عشر حول الدراسات العثمانية، زغوان (تونس)، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، 2012م.

– الأهمية التاريخية لأرشيف المؤسسات التعليمية، أرشيف الجامع الأعظم بتونس (الزيتونة) أنموذجا قدم في ملتقى المؤسسات الدينية والتعليمية بمنطقة قالمة والشرق الجزائري عبر العصور، من تنظيم جمعية التاريخ والمعالم الأثرية لولاية قالمة، 2019م.

– حياة العالم الدانماركي "فيلهلم لودفيك بيتر تومسن" وجهوده في خدمة علم التركيات، بحث مترجم عن التركية من إنجاز الأستاذة التركية زينب قورقماز بجامعة أنقرة.

– نظام الألقاب في اللغة التركية كما كان سائدا في الدولة العثمانية، قدم لملتقى "الألقاب العائلية في الجزائر بين النص والتطبيق والآثار 1873-1962م"، من تنظيم كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي،2019م.

ل/ المؤلفات المنشورة للدكتور خليفة حماش (12 كتب)

– تدريس التاريخ في المدرسة الجزائرية (واقع وآفاق)، كتاب جماعي مع الباحثين نجيب بن خيرة واسماعيل سامعي، منشورات مخبر البحث في الدراسات الأدبية والإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2009م.

–كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الجزائرية والتونسية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2010م.

– محاضرات في تاريخ النهضة الأوروبية، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2014م.

–الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، 3ج، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بمناسبة تظاهرة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2015م.

– وثائق تاريخ الجزائر بالمغرب (المكتبة الوطنية والخزانة الحسنية بالرباط)، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2016م.

– وثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني (مراسلات وكلاء الجزائر في الخارج)، ج1، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2016م.

– كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الأرشيف التونسي، ج1، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2016م.

– قواعد اللغة التركية (العثمانية الحديثة)، 3ج، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2016م.

– كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الكتابات المتعلقة بالمغرب من العهد العثماني إلى العهد الراهن، 2ج، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2018م.

– تقويم جانبي للبحث العلمي في الجامعة الجزائرية من خلال العمل الموسوعي، قسنطينة، مؤسسة حسين راس الجبل للنشر والتوزيع، 2018م.

–الجزائر والحرب اليونانية العثمانية 1821–1827م، دار الباحث للنشر والتوزيع، الجزائر، 2020م.

–مرآة الجزائر لمؤلفه علي رضا باشا، ترجمة من اللغة التركية العثمانية إلى اللغة العربية،2021م.

م/ أعمال الدكتور خليفة حماش التي ترجمت إلى اللغة الفرنسية

-Le terme Hafid dans les documents des tribunaux et les écrits historiques des villes d'Alger et de Tunis à l'époque ottomane: ses formulations et significations, traduit par Nadia Temimi, in: AHROS, Tunis, FTRSI, N° 44/Déc. 2011.

-La fécondité des femmes dans la ville d'Alger à l'époque ottomane, tr. par le Prof. A. Temimi, in: AHROS, Tunis, FTRSI, N° 33/ Sep. 2006.

-Les waqfs des lieux saints dans la ville d'Alger à l'époque ottomane, tr. par Nadia Temimi, in: AHROS, Tunis, FTRSI, N° 40/Déc. 2009

-Le décès dans la ville d'Alger à l'époque ottomane à travers les contrats de justice charaique, tr. par A. Temimi, in : AHROS, Tunis, FTRSI, N° 45-46/ Déc. 2012 .

ثانيا/مسيرة المؤرخ خليفة حماش في أرشفة وتوثيق تاريخ الجزائر الحديث

لقد بدأت مسيرة المؤرخ خليفة حماش مع الوثيقة الخاصة بتاريخ الجزائر العثمانية أثناء مرحلة الدراسات العليا في مصر لما تناول موضوع العلاقات بين الباب العالي والجزائر خلال مرحلة الدايات، وهذا الموضوع يحتاج لكم كبير من الوثائق الهيمايونية بالخصوص من أجل إبراز نوع العلاقة التي كانت

تربط السلاطين العثمانيين بدايات الجزائر [1]، وقد ساعده في ذلك سفره لتركيا وتحكمه في اللغة التركية، والتي سمحت له بالاطلاع على مختلف الوثائق وتفكيك محتواها، كما وظف في أطروحته للدكتوراه الخاصة بالأسرة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني كم كبير جدا من الوثائق خاصة المتعلقة بسجلات المحاكم الشرعية. هذا العمل القيم أصبح من المراجع المهمة للباحثين في التاريخ الاجتماعي للجزائر العثمانية [2]، لكن أبرز أبحاث المؤرخ خليفة حماش في العمل الوثائقي ما أظهره في ما يعرف بالكشافات، وهي عبارة عن دفاتر وكتب جمع فيها مختلف الوثائق التي تخص تاريخ الجزائر العثمانية سواء المتواجدة بالجزائر أو خارجها، وسنتطرق في هذا المقال لخمسة نماذج من أعمال المؤرخ خليفة حماش.

1/ كشاف الوثائق المتعلقة بتاريخ الجزائر الحديث في المكتبتين الجزائرية والتونسية

نشر هذا العمل لأول مرة بالمجلة التاريخية المغاربية التونسية سنة 1996م ثم أعيد طبعه عبر منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، وقد صدر العمل في 288 صفحة اعتمد خلالها المؤلف على 12 مجموعة وثائقية (10 بالمكتبة الجزائرية

(1) خليفة حماش: **العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي بين 1798-1830م**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر – غير منشورة –، إشراف خليل عبد الحميد عبد العال، جامعة الإسكندرية، مصر، 1988م، ص4-5.

(2) خليفة حماش: **الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، إشراف فاطمة الزهراء قشي، جامعة قسنطينة 02، الجزائر، 2006م، ص2-5.

و02 بالمكتبة التونسية) حيث قدم لنا في البداية نظرة شاملة عن الوثيقة الخاصة بالجزائر العثمانية: أصولها، أصحابها، لغتها، أسلوبها، أماكن تواجدها، طريقة وصولها للجزائر وتونس، كيفية الاعتماد عليها، الصعوبات التي واجهته أثناء العمل – وقد ذكر بأنه أمضى أكثر من سنة كاملة يقارن فيه بين هذه الوثائق، ويشرح مصطلحاتها الغامضة مستعينا بمختلف القواميس–.

ثم شرع في توضيح محتوى الوثائق والتي يقدر عددها بحوالي 1642 وثيقة بالمكتبتين الجزائرية والتونسية، وقد أعاد خليفة حماش ترتيب هذه الوثائق والتي وجدها في حالة جد رديئة [1]، وتكمن القيمة التاريخية لهذه الوثائق في كشف العديد من المعطيات الخاصة بعلاقة حكام الجزائر بالسلاطين العثمانيين، وعلاقة باشوات الجزائر بالبايات وحكام الأقاليم وشيوخ القبائل إضافة إلى مواضيع أخرى تتعلق بركب الحج، والمؤسسات الثقافية، ونشاط الأسطول الجزائري، والأوضاع الاقتصادية، وكيفية تجنيد العساكر العثمانية بالجزائر، وكيفية تعيين وعزل القادة والحكام، كما تخص بعض الوثائق الوضع السياسي والاقتصادي لقسنطينة أيام حكم أحمد باي [2].

2/ كشاف الوثائق المتعلقة بتاريخ الجزائر الحديث في المغرب الأقصى

بعد صدور كتابه حول وثائق تاريخ الجزائر العثمانية في المكتبتين التونسية والجزائرية قرر خليفة حماش المضي في مشروعه الذي سطره، والمتمثل في

(1) خليفة حماش: **كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الجزائرية والتونسية**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2010م، ص11–19.

(2) المرجع نفسه، ص23– 24.

ابراز مختلف الوثائق الأرشيفية الخاصة بمنطقة المغارب، وقرر أن يكون كتابه التالي حول وثائق تاريخ الجزائر العثمانية في المكتبات والأرشيفات المغربية، وقد سطر لهذا العمل مجموعة من النقاط: وضع مخطط عام للعمل وتفاصيل البحث، أخذ فكرة عامة حول الدراسات السابقة عن الموضوع، الانتقال لمكان تواجد هذه الوثائق (المغرب الأقصى) حيث زارها لأربعة مرات ما بين 2011-2014م، وكانت وجهته الخزانة العامة والخزانة الحسنية بالرباط، وقد جمع خلالها حوالي 278 وثيقة تتعلق بتاريخ الجزائر الحديث، وصدر العمل في 380 صفحة عبر منشورات كلية الآداب والحضارة الاسلامية بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة سنة 2014م تحت عنوان (وثائق تاريخ الجزائر بالمغرب المكتبة الوطنية والخزانة الحسنية بالرباط).

وتتناول هذه الوثائق مواضيع وقضايا مختلفة كالعلاقات الجزائرية المغربية، ومشكلة الحدود، وموقف المغرب الأقصى من الاحتلال الفرنسي للجزائر، والمقاومات الشعبية ضد الاستعمار الفرنسي، والتبادل التجاري بين البلدين، وقد ذيل البحث بـ 189 مصطلح غامض موجود بهذه الوثائق مستعينا بعدة معاجم وقواميس، وختم الكتاب بخريطة توضيحية لأهم المدن الجزائرية والمغربية المذكورة بهذه الوثائق [1]. ويذكر خليفة حماش بأن مشروعه في البداية كان مقتصرا على ذكر الوثائق: (التعريف بها، رقمها، مكان تواجدها) لكنه تراجع عن ذلك، وقرر أن يضع بعض من تفاصيل الوثيقة للتسهيل على الباحثين والتخفيف من أتعابهم المادية.

---

(1) خليفة حماش: **وثائق تاريخ الجزائر بالمغرب (المكتبة الوطنية والخزانة الحسنية بالرباط)**، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2016م، ص06-12.

3/ كشاف وثائق تاريخ الجزائر الحديث في الأرشيف الوطني التونسي ج1

صدر هذا العمل سنة 2016م عبر منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة في 464 صفحة اعتمد خلالها على 49 مجموعة وثائقية (27 تتعلق بالتاريخ العام و22 تتعلق بالدفاتر الإدارية والجبائية) [1]، وقد قام خليفة حماش في بداية العمل بتقديم نظرة شاملة عن الأرشيف التونسي بصفة عامة والوثائق المرتبطة بتاريخ الجزائر الموجودة بالأرشيف التونسي بصفة خاصة، كما تناول أهم الباحثين الجزائريين الذين اشتغلوا على هذه الوثائق في شاكلة عميراوي أحميدة، ويحي بوعزيز، وابراهيم مياسي، كما ذكر منهجية عمله التي تعتمد على إبراز اسم الوثيقة، رقمها، نوعها، تاريخها، محتوى الوثيقة، ملاحظات عامة عن الوثيقة، وهذا العمل الكبير لم يكن مفروشا بالورود بل لاقى فيه مجموعة من الصعوبات كالمصطلحات والمفاهيم الغامضة، وركاكة الخط في الكثير من الوثائق.

أما القيمة التاريخية لهذه الوثائق فهي تكشف لنا عديد المعطيات المتعلقة بالتبادل التجاري بين الجزائر وتونس أواخر العهد العثماني، ورصد مختلف العلاقات السياسية والاجتماعية بين البلدين، ورحلات الحجاج الجزائريين والمغاربة عبر الحدود التونسية، ومختلف الوظائف الإدارية، وتجنيد الانكشارية، ومعطيات أخرى تتعلق بالعملات، والقرصنة والأسرى، والحرف. كما ترصد لنا خلال فترة الاستعمار الفرنسي معلومات مهمة عن مقاومتي الأمير عبد القادر وأحمد باي، ومشكلة الحدود بين الجزائر وتونس، ووضعية المهاجرين

(1) خليفة حماش: **كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الأرشيف الوطني التونسي**، ج1، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2016م، ص06.

الجزائريين بالبلاد التونسية، وموقف بايات تونس من الاحتلال الفرنسي والمقاومات الشعبية [1].

4/ كتاب الجزائر والحرب اليونانية العثمانية 1821-1827م

أ/ فرش تاريخي للعمل

صدر هذا العمل الموسوم بالجزائر والحرب اليونانية العثمانية 1821-1827م في شهر جوان 2020م عبر دار الباحث للنشر والتوزيع ببرج بوعريريج،وقد ارتكز هذا العمل على قضية مشاركة الأسطول الجزائري من عدمها في معركة نافرين سنة 1827م، وهذه الدراسة تعود إلى سنة 1984م لما كان خليفة حماش يحضر لرسالة الماجيستير بجامعة الإسكندرية تحت عنوان (العلاقات بين الجزائر والباب العالي 1798-1830م) من إشراف الدكتور عبد الحميد عبد العال، وكان ينوي إدراج هذه القضية في رسالته لكن المشرف امتنع عن ذلك، ونصح طالبه بالتريث لأنها قضية حساسة لسببين وجيهين:

-**سبب سياسي:** لما في الأمر من خطورة على المشرف والطالب والجامعة، ففي ذلك الوقت كانت الدولة الجزائرية عبر برامج ومناهج المدرسة في عهد الرئيسين الهواري بومدين والشاذلي بن جديد تعتبر بأن الأسطول الجزائري كان لا يقهر خلال العهد العثماني، وأن تحطمه في نافرين سنة 1827م هو سبب دخول فرنسا للجزائر سنة 1830م، وأي رواية معاكسة تعتبر تشويشا على الدولة ككل.

(1) خليفة حماش: **كشاف وثائق تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ص07-11.

-**سبب علمي:** المشرف لم يرد أن يحرق طالبه أكاديميا، فرواد المدرسة التاريخية الجزائرية من الجيل الأول والثاني أمثال أحمد توفيق المدني، ومولود قاسم نايت بلقاسم، وأبو القاسم سعد الله، ويحيى بوعزيز، وجمال قنان، ومولاي بلحميسي، وناصر الدين سعيدوني كلهم يؤكدون بأن الأسطول الجزائري شارك وتحطم في معركة نافرين، وما سيصدر عن الطالب خليفة حماش في ذلك الوقت سيعتبر مغامرة أكاديمية يؤدي إلى قبر البحث والباحث في مهده.

وقد قام المؤرخ خليفة حماش بنشر جزء من العمل عبر المجلة التاريخية المغربية بتونس في العدد 65-66 سنة 1992م، والعدد 79-80 سنة 1995م، ومع مرور الوقت ولما تكونت لدى المؤلف مادة علمية غزيرة تغطي البحث من مختلف زواياه قام بنشره سنة 2020م بعد 36 سنة من الجمع والتقصي عن هذه القضية [1].

ب/ قراءة في بنية الكتاب

صدر الكتاب في حدود 200 صفحة تطرق فيها الكاتب في المقدمة للمراحل التي مر بها في جمع المادة العلمية للموضوع، وفصلين تناول في الفصل الأول مشاركة الأسطول الجزائري في الحرب اليونانية بين (1821-1827م)، وقد تتبع فيه كل المعطيات المتعلقة بمشاركة الأسطول الجزائري في حرب اليونان منذ 1821م لغاية 1827م كتاريخ المعارك، وعدد القطع المشارك بها من طرف الجزائر، واسم السفن المشاركة، وعدد مدافعها، وعدد ركابها، ومصاريف وتكاليف الحملة، وبعدها دخل في صلب الموضوعو هو عصب البحث وعموده الفقري حول صحة وحقيقة مشاركة الأسطول الجزائري

(1) خليفة حماش: **الجزائر والحرب اليونانية العثمانية 1821-1827م**، دار الباحث، الجزائر، 2020م، ص13-14.

في معركة نافرين وتحطمه سنة 1827م، ففي البداية عرج على المصادر والروايات التي تحدثت عن مشاركته ثم قام بنقدها، وبعدها تطرق للروايات والمصادر الفعلية التي أثبتت بالبراهين والأدلة عدم مشاركة الأسطول ولو بسفينة واحدة، وقد اعتمد المؤلف على مصادر وثائقية مهمة جدا منشورة وغير منشورة من قبل.

ففي الوثائق غير المنشورة اعتمد على الأرشيف الجزائري والذي يضم حوالي ثلاثة آلاف وثيقة تتعلق بالجزائر خلال العهد العثماني، وأغلبها عبارة عن مراسلات سلاطين ووزراء الباب العالي مع حكام ايالة الجزائر، وقد استفاد المؤلف من الرسائل المتعلقة بالحرب اليونانية العثمانية بين (1821-1827م)، وأيضا وثائق القنصلية الأمريكية بالجزائر خلال الفترة المذكورة، كما اعتمد على الأرشيف التونسي أين تحصل منه على وثيقة مهمة جدا تتعلق بالقبطان الجزائري مصطفى الذي شارك في معركة نافرين سنة 1827م لكن على رأس سفينة عثمانية وليس جزائرية، وهي المغالطة التي وقع فيها عديد الباحثين الجزائريين الذي أشاروا لمشاركة الأسطول الجزائري في نافرين، وكذلك الشأن للمكتبة الوطنية التونسية التي تضم عديد الوثائق المرتبطة أساسا بمراسلات سلاطين ووزراء الباب العالي ببايات تونس حول الحرب اليونانية، واعتمد أيضا المؤلف على الأرشيف الوطني الفرنسي، والذي يضم سجلات الادارة العثمانية بالجزائر المهربة نحو فرنسا بعد 1830م، وتضم عديد الوثائق حول معركة نافرين والحرب العثمانية اليونانية، ونفس الشيء بأرشيف وزارة الخارجية الفرنسية الذييضم عديد التقارير والمراسلات لقناصلة فرنسا بالجزائر بين (1793-1827م)، وهي تقارير بها مادة علمية مهمة حول الأسطول الجزائري ومختلف تحركاته الداخلية والخارجية قبل 1830م.

كما اعتمد على أرشيف وزارة الخارجية الانجليزية والذي يضم هو الآخر مجموعة من التقارير والمراسلات لقناصلة إنجلترا بالجزائر خصوصا الفترة بين (1821-1827م)، وأيضا تقارير سفراء بريطانيا بالباب العالي خلال هذه الفترة [1]، وفي المقابل اعتمد المؤلف على مادة علمية كبيرة والمنشورة عبر صيغ مختلفة: (كتب، مقالات، موسوعات، تقارير، رسائل ...).

ويمكن أن نوجزها في الأعمال التالية: عمل لفوزي كورد أوغلو حول معركة نافرين 1827م وصدر سنة 1944م، ويعد أوغلو من كبار أساتذة التاريخ العسكري بالكلية الحربية التركية بإستنبول، السلسلة الوثائقية حول تاريخ فرنسا والعالم التي نشرها الباحث الفرنسي شارل لوي لوزير بين1818-1861م، والتي تضمنت معلومات مهمة عن الحرب اليونانية العثمانية، مذكرات أحمد الشريف الزهار، مراسلات وكلاء الجزائر في المدن العثمانية، تقرير وزير الخارجية الفرنسي داماس، تقرير القنصل الفرنسي بمصر ماليفوار، شهادة ضابط البحرية الفرنسي بومبار الذي كان يعمل بالأسطول المصري، شهادة الأميرال الفرنسي دوريني، تقرير صحيفة المراقب النمساوية، محضر اجتماع القيادة البحرية العثمانية، القائمة الرسمية للسفن المشاركة في نافرين، تقرير قيادة الأسطول الفرنسي المشارك في المعركة حول تعداد السفن العثمانية، خرائط أوروبية حول تموقع السفن العثمانية في نافرين، تقرير القبطان محمد يازجي المشارك في المعركة، شهادة الضابط الانجليزي بيتر رتشاردز، رسالة الأمير وليام دوق كليرنس حول النصر في المعركة، تقرير الجيش الفرنسي حول الجزائر ومنظومتها الدفاعية قبل 1830م، كتاب جوستان حول معركة نافرين، كتاب تاريخ إفريقيا الشمالية لشارل أندري جوليان، كتاب معركة نافرين

(1) خليفة حماش: **الجزائر والحرب اليونانية العثمانية**، المرجع السابق، ص22-27.

للمؤرخ الفرنسي جورج دوين، كتاب الحرب اليونانية العثمانية للمؤرخ الإنجليزي ديفد بريفر، مقالات ألبير دوفو حول البحرية الجزائرية، مقالة بالموسوعة الإسلامية حول معركة نافرين، تقرير تعداد السفن الجزائرية قبل وبعد نافرين [1].

وفي الفصل الثاني تطرق المؤلف لقضية مهمة وهي الأدلة التي إستند عليها الباحثين الداعمين لفكرة مشاركة الأسطول الجزائري في معركة نافرين سنة 1827م، وتتمثل في تواجد البحار والقائد جزايرلي عرب مصطفى قبطان في المعركة، وهنا يؤكد خليفة حماش بالدليل بأن وجوده هناك كان بصفة شخصية على رأس سفينة عثمانية وليس على رأس سفينة جزائرية وهي المغالطة الأولى.

والدليل الثاني وجود السفينتين الجزائريتين مفتاح الجهاد ونفر اسكندر بميناء الإسكندرية سنة 1830م حيث روجت المراجع الجزائرية على أنهما من بقايا الأسطول المحطم في نافرين وعادتا مع الأسطول المصري لميناء الاسكندرية، وهنا يؤكد المؤلف بأن السفينتين كانتا في مهمة لنقل الحجاج وليس لغرض عسكري، وقد بقتا في مصر بعد خبر سماع محاصرة فرنسا للجزائر، ونظرا لقوة السفينتين فقد حوصرتا من قبل سفن فرنسية لمدة ثلاث سنوات بميناء الإسكندرية، وهناك وقعت مشاكل انسانية كبيرة للركاب، وأخيرا يختم المؤلف كتابه بحوالي 31 ملحق متنوع بين رسائل وتقارير وخرائط وجداول تخص الموضوع، وهي بحد ذاتها ثروة وثائقية مهمة للباحثين لطرق قضايا جانبية مستقبلا [2].

---

(1) خليفة حماش: **الجزائر والحرب اليونانية العثمانية**، المرجع السابق، ص55-88.

(2) المرجع نفسه، ص90-120.

ج/ تحطم أسطورة مشاركة الأسطول الجزائري في معركة نافرين

لقد أجمع الباحثون والمؤرخون الجزائريون بعد الاستقلال على أن الأسطول الجزائري شارك في معركة نافرين سنة 1827م إلى جانب الأسطول العثماني، وانكسار وحداته في هذه المعركة كان سببا مباشرا في الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م بحكم أن المحروسة– تسمية الجزائر خلال العهد العثماني –بقت من دون حماية عسكرية، ومن أبرز هاته الأقلام التي روجت لهذه الأسطورة نذكر: عبد الرحمن الجيلالي، وأحمد توفيق المدني، ومولود قاسم نايت بلقاسم، ومبارك الميلي، وعمار حمداني، وتبعتهم في ذلك مختلف المراجع العربية التي كتبت عن تاريخ الجزائر الحديث أمثال محمد بيرم الخامس، ومحمد خير فارس، ومحمد الهادي العامري، وجلال يحيى، وعبد الكريم محمد غرايبية، وأديب حرب، وإذا تجاوزنا كل هاته المراجع بحجة عدم التخصص فإن كل من أبو القاسم سعد الله، ومولاي بلحميسي، وناصر الدين سعيدوني يعتبرون من أبرز وأهم المتخصصين في تاريخ الجزائر العثمانية بعد الاستقلال، وقد ذهبوا في كتاباتهم المتنوعة لنفس الطرح، وهو أن الأسطول الجزائري شارك وتحطم في اليونان إلا أن الأستاذ خليفة حماش من خلال كتابه– الجزائر والحرب اليونانية العثمانية – تمكن من إبطال كل هاته الآراء اعتمادا على أدلة تاريخية دامغة:

***كتابات أبو القاسم سعد الله**

لقد أشار الدكتور أبو القاسم سعد الله ﵀ لمشاركة الأسطول الجزائري في معركة نافرين سنة 1827م عبر كتابيه (محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث) و(أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ج1)، ففي الكتاب الأول يذكر حرفيا: (**المعروف أن جزءا من أسطول الجزائر كان عندئذ – لما فرضت**

فرنسا الحصار البحري على الجزائر في جوان 1827م – في اليونان لمساعدة الدولة العثمانية، وقد تحطم عدد من سفنه هناك)، ويذكر في كتابه الثاني: **(وكان تدخل فرنسا في حرب اليونان أدى إلى تحطم الأسطول العثماني، الجزائري، المصري ... ولذلك حين هاجم الجيش الفرنسي – الجزائر – أكبر وأكفأ جيش أوروبي في عصره وجد شعبا معزولا بلا أسطول وبلا سلاح وبلا مساعدة خارجية)**، وإذا تأملنا جيدا في النصين وجدناهما خاليان من الدقة والعمق في ذكر المعلومة (تفاصيل المعركة، عدد سفن الأسطول الجزائري المشارك، عدد السفن المحطمة، قائد الأسطول، عدد ركاب السفن، عدد المدافع، نوع السفن، أسماء السفن)، والسبب يعود للمصدر الذي استقى منه الدكتور أبو القاسم سعد الله المعلومة، فهي مصادر فرنسية بنت فرضياتها على التخمين والانشاء من دون معطيات دقيقة بل تضاربت أغلبها حول هذه التفاصيل.

***كتابات ناصر الدين سعيدوني**

تطرق الدكتور ناصر الدين سعيدوني لهذه القضية وأكد مشاركة الأسطول الجزائري عبر ثلاثة نصوص من أعماله بداية بكتاب (النظام المالي للجزائر)، ومقال نشر بمجلة الدراسات التاريخية / ع6، عنوانه (معركة نافرين 1827م)، ومقال نشر بالمجلة التاريخية المغربية / ع5، عنوانه (الحصار البحري الفرنسي على السواحل الجزائرية 1827–1830م)، وسنرتب نصوصه الثلاثة كرونولوجيا – حسب تاريخ نشرها–.

ففي النص الأول الذي صدر سنة 1971م يذكر سعيدوني حرفيا: **(معركة نافرين البحرية 1827م التي شاركت فيها السفن الجزائرية إلى جانب الباب العالي في حرب اليونان، وتحطمت بعيدة عن قواعدها الأصلية، ولم**

ينج منها سوى فرقاطتين استحال رجوعهما للجزائر بعد أن طاردتهما عمارتان بحريتان فرنسيتان، وفرض الحصار البحري على السواحل الجزائرية، وقد تم بيع هاتين الفرقاطتين في مدينة الاسكندرية من طرف بحارتهما لمواجهة متطلبات العيش بعد أن انقطع كل اتصال بين البحارة الجزائريين وقواعدهم بالمراسي الجزائرية)، والمتمعن في هذا النص يجده خاليا من ذكر التفاصيل المتعلقة بالأسطول المشارك أين ذكر كلمة تحطمت من دون أن يحدد عدد السفن المشاركة، وعدد السفن المحطمة ثم يذكر بأن عدد السفن الناجية هما 02 من نوع فرقاطة عادتا إلى ميناء الاسكندرية لكنه لم يذكر اسم الفرقاطتين، وعدد ركابها، وعدد المدافع، وحالة السفينتين بعد النجاة، وقائد السفينتين، ولمن بيعت هاته الفرقاطتين، والسبب هو عدم وجود المصدر الدقيق الذي يقدم هاته المعطيات.

والنص الثاني صدر سنة 1976م يذكر فيه سعيدوني: **(أما الاحتمال الآخر لتفسير الموقف السلبي للحكام الجزائريين إزاء قضية الحصار – يقصد الحصار الفرنسي للجزائر –، فيتمثل في كون ميزان القوة في صالح فرنسا، فبعد أن فقدت البحرية الجزائرية قوتها، أصبحت في موقف دفاع متخاذل أمام القوة الفرنسية المتفوقة عليها في الرجال والأجهزة، فالأسطول الجزائري كان قد تعرض للتلف أثناء هجوم اللورد إكسموث الانجليزي 1816م، وفقد أغلب قطعه إثر معركة نفارين البحرية، كما تعرضت القطع الباقية منه لأضرار جسيمة في أول صدام بحري لها مع الأسطول الفرنسي في 04 أكتوبر 1827م)**، ونفس الملاحظة السابقة نجد هذا النص مليء بالغموض من حيث الدقة في تقديم المعلومة حيث لم يذكر لنا حجم الخسائر التي تلقاها الأسطول الجزائري بعد حملة إكسموث، وكم كانت عدد السفن الجزائرية قبل 1816م ؟،

وكم بقي منها ؟، وبعدما ذكر في النص الأول بأن بقايا الأسطول المحطم في نافرين كانت 02 سفن من نوع فرقاطة نجده في هذا النص يتراجع عن ذكر التفاصيل، والغريب أنه يذكر بأن بقايا هذا الأسطول المحطم كانت متضررة أثناء مواجهة الأسطول الفرنسي رغم أنه ذكر سلفا بأن السفينتين بيعتا في ميناء الاسكندرية. مع العلم أن معركة نافرين جرت بتاريخ 20 أكتوبر 1827م أي بعد الحصار الفرنسي الذي كان بتاريخ 16 جوان 1827م.

ويذكر في النص الثالث الذي صدر سنة 1992م: **(وقد كان لهذه السفن شرف المشاركة في الجهاد الاسلامي تحت راية الدولة العثمانية، وانتهى أمرها إلى التدمير في معركة نافرين، فلم تنج منها سوى سفينتين توجهتا إلى الاسكندرية بعد أن تعذر رجوعهما إلى الجزائر بسبب فرض الحصار البحري الفرنسي على السواحل الجزائرية منذ 16 جوان 1827م، وبقيتا هناك إلى غاية 1830م، ولم يعد يعرف عنهما أي شيء بعد هذا التاريخ)** [1]، والمدقق في هذه النصوص يلاحظ تناقضا بين النصين الأول والثالث، وكأن كاتب النصين شخصين مختلفين، فبعدما ذكر في النص الأول بأن السفينتين بيعتا في ميناء الاسكندرية بسبب الوضع المزري للراكبين تراجع في النص الثالث وذكر بأن مصير السفينتين بعد 1830م يبقى مجهولا، والملاحظة الأخرى في النص الثالث تتمثل في ضبط التواريخ، فمعركة نافرين جرت بتاريخ 20 أكتوبر 1827م، وناصر الدين سعيدوني يذكر بأن السفينتين بعد انسحابهما من معركة نافرين تعذر عليهما العودة للسواحل الجزائرية بعدما سمعوا بخبر الحصار الذي بدأ بتاريخ 16 جوان 1827م، فهل يعقل بأن العدو

(1) خليفة حماش: **الجزائر والحرب اليونانية العثمانية**، المرجع السابق، ص142-143.

الفرنسي يحاصر الجزائر بتاريخ 16 جوان 1827م والأسطول الجزائري ينصرف نحو نافرين للمشاركة في معركة بتاريخ 20 أكتوبر 1827م، فكيف خرج الأسطول من الجزائر وترك الحصار الفرنسي ؟ ومن أين خرج؟ وإذا كان في بحر ايجه باليونان ألم تصله الأخبار بأن فرنسا حاصرت الجزائر بتاريخ 16 جوان 1827م؟

***كتابات مولاي بلحميسي**

يعتبر الدكتور مولاي بلحميسي رحمه الله من كبار المتخصصين في تاريخ البحرية الجزائرية، وأصدر في هذا الشأن كتبا ومقالات عديدة، وقد ذهب هو الآخر في منحىأبو القاسم سعد الله وناصر الدين سعيدوني حيث أقر بمشاركة الأسطول الجزائري في معركة نافرين سنة 1827م، وذلك عبر كتاب (تاريخ البحرية الجزائرية)، وكتاب (البحرية والبحارون الجزائريون)، حيث يذكر في النص الأول الذي صدر سنة 1983م: (**... ودامت المعركة – يقصد نافرين – التي اندلعت يوم 20 أكتوبر أربع ساعات، ولكنها كانت دموية ومفزعة لأن أحداثها أسفرت عن تدمير وقتل وغرق وانفجارات وحرق، وفي المساء من ذلك اليوم لم يبق أي أثر للأسطول الاسلامي، وقد تحطمت السفن الجزائرية التي كان أرسلها حسين داي لمساعدة السلطان، وعلى متنها أربعة آلاف رجل، وأما السفن التي استطاعت أن تفر من الكارثة، فقد وجدت نفسها في حالة سيئة، وعن ذلك حوصرت ودمرت منفردة ومنعزلة)** أين يؤكد مولاي بلحميسي في هذا النص بأن الأسطول الجزائري شارك في نافرين وتحطم كليا.

وإذا كان ناصر الدين سعيدوني لم يشر لتاريخ المعركة في نصوصه الثلاثة فمولاي بلحميسي أشار لها بالضبط (20 أكتوبر)، وذكر بأن حسين داي لبى طلب السلطان العثماني محمود الثاني، لكن السؤال المطروح هنا: إذا

كان الحصار الفرنسي بدأ في جوان 1827م، فمتى كان هذا الطلب العثماني؟ ومتى خرج الأسطول الجزائري ؟، كما لم يذكر لنا عدد السفن ومختلف التفاصيل الخاصة بالمشاركة باستثناء عدد الراكبين (4000 بحار)، وهنا سنلجأ للتخمين، وهو ما يتنافى مع المنهج العلمي للتاريخ، فاذا أخذنا سفينة مفتاح الجهاد كنموذجا، فقد كانت تحمل 400 بحار بمعنى أن السفن المشاركة كانت حوالي (10سفن)، ولم يذكر لنا عدد السفن التي نجت وكيف تم تدميرها منعزلة؟ وأين تم ذلك بالضبط؟

ويذكر في النص الثاني الذي صدر سنة 2003م: (**وفي اليوم الموالي لمعركة نافرين لم يبق من الأسطول الجزائري سوى عشرة سفن انسحبت بصعوبة كبيرة من ميدان المعركة، وهي في حالة سيئة جدا لم تستطع بسببها على مواصلة طريقها نحو الجزائر والالتحاق بموانئها، فهاجمتها السفن اليونانية وأغرقت عدد منها، ولجأت سفينتان منها هما الفرقاطة مفتاح الجهاد التي تحمل 62 مدفعا والقربيط نفر اسكندر التي تحمل 40 مدفعا إلى ميناء الاسكندرية**) [1]، ومن خلال هذه المعطيات التي ذكرها مولاي بلحميسي نسجل تناقضا كبيرا بين النصين الأول والثاني حيث يشير في النص الثاني بأن عدد السفن الناجية من المعركة حوالي 10 سفن، وفي النص الأول وجدنا فرضا بأن عدد السفن المشاركة كلها من خلال عدد الركاب (4000) هي 10 سفن، فكم من سفينة شاركت ؟ وكم من سفينة تحطمت؟ وكم من سفينة نجت؟ ثم يذكر في النص الثاني بأن عدد السفن التي نجت بصفة نهائية من المعركة هما اثنين مفتاح الجهاد ونفر اسكندر التي رابطت بميناء

(1) خليفة حماش: **الجزائر والحرب اليونانية العثمانية**، المرجع السابق، ص143.

الاسكندرية، وهي المعلومة المناقضة للنص الأول أين أشار بأن كل السفن دمرت.

د/وضعية الأسطول الجزائري قبيل الحملة الفرنسية على الجزائر

إذا كان أغلب الباحثين في تاريخ الجزائر العثمانية قد جزم بأمر مشاركة الأسطول في معركة نافرين سنة 1827م، وبذلك فمن السهولة بما كان تبرير غياب الأسطول والسفن الجزائرية أثناء الحملة الفرنسية على الجزائر إثر حادثة المروحة الشهيرة. لكن وبمجرد أن طرح الدكتور خليفة حماش قضية عدم مشاركة الأسطول في معركة نافرين سنة 1827م الكل ذهب لطرح نفس السؤال وهو: **أين كان الأسطول الجزائري أثناء وصول الأسطول الفرنسي ومحاصرته للسواحل الجزائرية؟**

فمن خلال ملاحق كتاب الجزائر والحرب اليونانية العثمانية (1821-1827م) فان المؤلف تتبع قطع الأسطول الجزائري في السنوات الأخيرة قبل الحملة الفرنسية بصفة دقيقة، وبالضبط بين (1819-1830م)، وبمجرد الاطلاع على هذه الأرقام والمستنبطة من مختلف الوثائق والمصادر الذكورة سلفا سنتأكد ونتيقن بأن الأسطول الجزائري لم يشارك في معركة نافرين سنة 1827م بأي سفينة، وكانت الاحصائيات على النحو الآتي:

- **1819م:** كان عدد قطع الأسطول الجزائري حوالي 11 سفينة.
- **1821م:** انخفض العدد إلى 09 سفن.
- **1824م:** ارتفع العدد إلى 14 سفينة.
- **1825م:** بقي العدد 14 سفينة.

- **1827م:** أصبح العدد 12 سفينة بعد مغادرة كل من نفر اسكندر ومفتاح الجهاد نحو الاسكندرية لنقل الحجاج الجزائريين.

- **1830م:** كان عدد السفن الجزائرية الراسية في الميناء حوالي 8 سفن بمعنى أن حوالي 04 سفن تعرضت للتدمير والقصف من الأسطول الفرنسي [1].

5/ترجمة كتاب مرآة الجزائر [2]لعلي رضا باشا من التركية العثمانية للعربية

لقد بدأت تجربة الأستاذ خليفة حماش مع اللغة التركية في مرحلة الليسانس بجامعة قسنطينة أين درسها أول مرة على يد الأستاذ السوري توفيق برو سنة 1983م، ولما انتقل لمرحلة التحضير للماجيستير تعامل الأستاذ حماش مع عديد الوثائق العثمانية بحكم أن موضوعه يتطلب التعامل مع هكذا وثائق لما تطرق لموضوع العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي في نهاية مرحلة الدايات لكن تجربة تعريب الوثائق العثمانية بدأها فعليا بعد نيله لشهادة التأهيل في اللغة العثمانية والتركية الحديثة من جامعة استنبول سنة 1986م، فقد شرع في تدريس هذه اللغة بجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة سنة 1992م لطلبة التاريخ الإسلامي قبل أن يساهم في تأسيس قسم اللغة التركية سنة 2013م هذه التجربة الكبيرة جسدها في مجموعة من الأعمال بداية بمقال نشره عبر المجلة العربية للدراسات العثمانية التونسية في عددها 15-16 الصادر سنة 1997م تحت عنوان (أهمية اللغة التركية في دراسة مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية) وبعدها صدر له كتاب حول قواعد اللغة التركية (العثمانية الحديثة) في ثلاثة أجزاء سنة 2016م عبر منشورات كلية الآداب والحضارة

(1) خليفة حماش: **الجزائر والحرب اليونانية العثمانية**، المرجع السابق، ص193-194.

(2) علي رضا باشا بن حمدان خوجة: **مرآة الجزائر**، ترجمه من التركية العثمانية إلى العربية ووضع مقدمته وتعاليقه وملاحقه وفهارسه خليفة حماش، نسخة إلكترونية، 2021م.

الإسلامية بجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، والعمل الثالث كان عبارة عن بحث مترجم للغة العربية عن اللغة التركية لصاحبته زينب قورقماز بجامعة أنقرة التركية، وعنوانه (حياة العالم الدانماركي فيلهلم لودفيك پيتر تومسن وجهوده في خدمة علم التركيات)، وتوجت هذه التجربة بتعريب أحد أبرز مصادر تاريخ الجزائر الحديث، والمتمثل في كتاب (مرآت الجزاير) لصاحبه علي رضا باشا ابن حمدان خوجة صاحب كتاب (المرآة).

أ/ التعريف بالكاتب

هو علي رضا باشا ابن السياسي والتاجر والفقيه الجزائري الكبير حمدان بن عثمان خوجة، وهناك من يضيف له لقب جزايرلي للتفريق بينه وبين شخصيات عثمانية أخرى تحمل نفس الاسم، فهناك ما يزيد عن 30 شخصية عثمانية تحمل اسم (علي باشا) أشهرهم الصدر الأعظم للسلطنة العثمانية علي رضا باشا، وقد ولد الكاتب بمدينة الجزائر بين (1811-1805م) وتوفي بإستنبول سنة 1876م بسبب أزمة قلبية ألمت به ودفن في مقبرة الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري.

ويعتبر علي رضا باشا شخصية جزائرية مرموقة تقلد عديد المناصب السياسية والعسكرية، فقد تولى باشوية طرابلس الغرب (ليبيا الحالية) لمرتين الأولى بين (1870-1867م) والثانية سنة 1872، وقد قام بإصلاحات كبيرة على مستوى الزراعة والبريد والموانئ والصحة والضرائب والجيش لكن أهم قطاع اهتم به علي رضا باشا هو ميدان الصحافة فهو أول من أدخل الطباعة والتيليغراف لدولة ليبيا الحالية، كما أقام سوق العزيزية الشهير والحديقة العمومية بطرابلس وبرج الساعة، كما تولى ولاية خداوندكار بالأناضول ثلاثة مرات سنوات 1870-1875-1876م، وشارك في حرب القرم بين الدولة العثمانية

وروسيا 1853–1856م، وعين عضوا في كل من مجلس الذخيرة والعتاد، والمجلس الاستشاري العسكري العثماني، ومجلس التنظيمات العسكرية نظرا لتكوينه بالمدرسة العسكرية بباريس الفرنسية لمدة تسع سنوات، ونال رتب عسكرية كبيرة بالجيش العثماني كرتبة بينباشي ومير لوا ومير آلاي وقائممقام، وعمل قائدا عسكريا في عديد القلاع بإستنبول وبورسا وبلغراد، كما كان علي رضا باشا من شهود العيان أثناء دخول القوات الفرنسية للجزائر سنة 1830م، وقد رافق والده حمدان خوجة من الجزائر العاصمة إلى قسنطينة سنة 1832م لمقابلة الحاج أحمد باي للتوسط بينه وبين الفرنسيين، وقد دون رحلته هذه باللغة العربية ونقلها الفرنسي دو صولسي للغة الفرنسية، وتكفل بتعريبها كل من علي تابليت سنة 1993م وعميراوي أحميدة سنة 2000م.

وقد نالت شخصية علي رضا باشا اهتمام عديد الباحثين والمؤرخين بداية بالمستشرق الفرنسي دو صولسي لما ترجم رحلة علي باشا إلى الفرنسية، وجاء بعده شارل فيرو من خلال كتابه (تاريخ ليبيا من الفتح العربي إلى الغزو الإيطالي)، كما ذكره المستشرق الإيطالي إيتوري روسي في كتابه (ليبيا من الفتح العربي إلى سنة 1911م)، كما نال مساحة واسعة في كتابة المؤرخين الليبيين، والذين اعتبروه من الشخصيات التاريخية العظيمة لدولة ليبيا منهم عبد العزيز سعيد الصويعي وكتابه (بداية الصحافة الليبية 1866–1922م)، وعمار جحيدر في مقال له موسوم بـ (بدايات الصحافة الليبية)، كما أنجز عنه الطالب السوداني صبحي آدم عبد الله آدم رسالة ماستر سنة 2018م بجامعة السلطان محمد الفاتح بإستنبول، كما نال أيضا اهتمام بعض الباحثين الجزائريين بداية بالدكتور علي تابليت سنة 1993م لما ترجم رحلته إلى اللغة العربية، ثم الدكتور عميراوي أحميدة سنة 2000م الذي أعاد ترجمة الرحلة،

ونشر الدكتور خير الدين سعيدي مقال بمجلة العلوم الاجتماعية بجامعة قالمة سنة 2018م حول كتاب مرآت الجزاير وشخصية علي رضا باشا، وأخيرا صدر للطبيب مصطفى خياطي سنة 2020م كتاب باللغة الفرنسية موسوم بـ (علي رضا باشا الجزائري والي طرابلس الغرب).

ب/ التعريف بالكتاب

يجب على القارئ الجزائري أن يفرق بين كتاب (المرآة) لحمدان خوجة الذي صدر سنة 1833م، وبين كتاب (مرآة الجزائر) لولده علي رضا باشا الذي صدر سنة 1876م، وأصل العنوان (مرآت الجزاير) حرره علي رضا باشا باللغة العربية لكن النسخة الوحيدة حاليا ضائعة، وقد قام علي شوقي أفندي بترجمته من اللغة العربية إلى اللغة التركية العثمانية (ذات الأحرف العربية)، وبقيت نسخة واحدة فقط بالمكتبة العامة ببلدية الفاتح بإستنبول تحت رقم 529 وقف من الشيخ علي أميري الدياربكري، وقد عرف هذا الكتاب اهتمام من قبل الباحثين المتخصيين في التاريخ العثماني لكن ولا أحد حاول ترجمته للغة العربية سابقا، وفي سنة 2012م قام الأستاذ محمد نام المتخصص في الدراسات العثمانية بجامعة استنبول بترجمة مرآة الجزائر من العثمانية إلى التركية الحديثة، وجاء بعده الأستاذ عمر جهيد كايرا سنة 2014م وترجمه أيضا للغة التركية ذات الأحرف اللاتينية، وفي سنة 2018م أنجزت الطالبة حكيمة عليوات رسالة ماستر في اللغة التركية بجامعة الأمير عبد القادر، وذلك بترجمة الفصلين الرابع والخامس من كتاب مرآة الجزائر تحت إشراف الأستاذ خليفة حماش هذا الأخير الذي قرر منذ أن اطلع على النسخة العثمانية لمرآة الجزائر سنة 1988م بتركيا أن يقوم بتعريبه واتاحته للطلبة والباحثين بالجامعة الجزائرية وهو ما تحقق أخيرا سنة 2021م.

ومن النقاط المبهمة في كتاب مرآة الجزائر هو النطق الصحيح لكلمة (مرآة) هل تنطق حرف الميم بالفتحة أم الكسرة، فكلمة المرآة بالكسرة وهو ما اعتاد الباحثون نطقه تعني الآلة التي يستعملها الانسان لتفقد مظهره وجماله بينما كلمة المرآة بالفتحة معناها الصورة أو المنظر، ويعتبرها الأستاذ خليفة حماش هي الأصل وتعني صورة الجزائر، ونفس الشيء بالنسبة لكتاب المرآة لحمدان خوجة، فالصحيح هو المرآة بفتح الميم وليس كسرها، وهو تصحيح وجب مراعاته من قبل الأساتذة المتخصصين في الفترة الحديثة بالجامعة الجزائرية، وقد تضمن الكتاب الأصلي (النسخة العثمانية) مقدمة و18 فصل تناولت النقاط التالية:

- **الفصل 1:** تعريف جغرافي لمنطقة شمال افريقيا والجزائر وظروف ظهور الاخوة بربروس بالمنطقة.
- **الفصل 2:** أوضاع الجزائر قبل وصول الإخوة بربروس.
- **الفصل 3:** عادات وتقاليد الجزائر ونظام حكمهم قبل انتصاب الحكم العثماني.
- **الفصل 4:** القوانين والنظم التي أقامها خير الدين بربروس بالجزائر طيلة حكمهم لها.
- **الفصل 5:** ظروف الاحتلال الفرنسي للجزائر وترجمة حياة حسين باشا آخر دايات الجزائر.
- **الفصل 6:** العلاقات الجزائرية الفرنسية قبل دخول العاصمة.
- **الفصل 7:** هجوم الجيش الفرنسي على مدينة الجزائر.
- **الفصل 8:** طريقة دخول الجيش الفرنسي لمدينة الجزائر.
- **الفصل 9:** نقض الفرنسيين لمعاهدة الاستسلام.

- **الفصل 10:** علاقة سكان الجزائر بالدولة العثمانية.
- **الفصل 11:** نفي الجنود الأتراك وحسين داي خارج الجزائر.
- **الفصل 12:** توسط حمدان بن عثمان خوجة بين الفرنسيين والحاج أحمد باي.
- **الفصل 13:** الحملة الفرنسية الأولى على قسنطينة.
- **الفصل 14:** الحملة الفرنسية الثانية على قسنطينة والاستلاء عليها.
- **الفصل 15:** مقاومتي الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي للفرنسيين.
- **الفصل 16:** بعض من معارك الأمير عبد القادر واستسلامه للفرنسيين.
- **الفصل 17:** تراجم لبعض الباشوات الذين تلوا حكم الجزائر.
- **الفصل 18:** ترجمة لعلي رضا باشا مؤلف الكتاب، وهو فصل مضاف للكتاب من قبل المترجم علي شوقي أفندي الذي نقل الكتاب من نسخته العربية الأصلية إلى النسخة العثمانية، ونشره بتركيا سنة 1876م، ويعتبر أول كتاب يطبع في تركيا عن تاريخ الجزائر.

ج/ منهجية المؤرخ خليفة حماش في ترجمة العمل

صدر العمل المترجم في حدود 466 صفحة موزعة على النحو الآتي: مقدمة في حدود 53 صفحة تطرق فيها الأستاذ حماش لشخصية علي رضا باشا والغموض الذي اكتنف ومازال يكتنف هذه الشخصية السياسية والعسكرية، وعدد الباحثون الذين اهتموا بعلي رضا من الأتراك والعرب والجزائريين، وبعدها عرج على كتاب مرآت الجزائر من خلال عنوانه ونسبته لعلي رضا وتاريخ تأليفه ولغته ومحتوى الكتاب، وبعدها تطرق لقضية مهمة ألا وهي درجة الصدق والمصداقية التي يتميز بها الكتاب من عدمها، وبعض الأخطاء التي وردت في الكتاب، والباحثون الذي اهتموا بالكتاب دراسة وترجمة، وأخيرا توضيح

المنهجية المتبعة من قبل المترجم في تعريب الكتاب، ثم انتقل بعدها للجزء المترجم للغة العربية في حدود 156 صفحة يتضمن مقدمة الكتاب وفصوله 18، وبعدها أدرج النص الأصلي للكتاب باللغة العثمانية في حدود 107 صفحة، كما زود عمله هذا بملاحق تتضمن فهرس للمصطلحات الصعبة الموجودة في الكتاب وترجمتها للغة العربية، وهو بذاته عمل في غاية الأهمية فهو يتيح للباحثين الذين يشتغلون على الوثائق العثمانية فرصة لمعرفة بعض المصطلحات العثمانية وما يقابلها في اللغة العربية، وتعتبر لغة الكتاب صعبة جدا فهو منسوخ بالمطبعة ذات الحروف المعدنية المتحركة (غوتنبورغ) وليس بالمطبعة الحجرية، وهو ما جعل أغلب حروفها غير واضحة وصعبت من عملية الترجمة، وجعلت المترجم يستعين بمختلف القواميس والمعاجم العثمانية والتركية.

لقد أضحت أعمال المؤرخ خليفة حماش من أبرز المراجع المعتمد عليها لدى الباحثين بالجزائر وخارجها، فالمتصفح لبيبليوغرافيا الرسائل والأطروحات الجامعية والكتب المتعلقة بتاريخ الجزائر الحديث سيجد لا محالة أعمال خليفة حماش تتصدر ثبت المصادر والمراجع، وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على قيمة هذه الأعمال التي تعتمد في مجملها على ثروة وثائقية كبيرة، كما يعتبر المؤرخ خليفة حماش أنموذجا للباحث الجاد الذي يعتمد على الدقة في تتبع وذكر المعلومة بعيدا عن المراجع والمصادر السردية والانشائية.

النخب ومسألة الهوية والانتماء في المجتمع الجزائري الحديث

Elites and the issue of identity and belonging in modern Algerian society

✍أ. د/ حميدي أبوبكر الصديق
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

مقدمة

الهوية هي بناء وتراكم تاريخي للمعطيات الثقافية والفكرية للأفراد والمجتمع، فالسجل الذي يتغذى منه الوعي لدى الإنسان في تعاملاته وإصدار أحكامه ومواقفه عادة ما تكون مبنية على خلفيات ذهنية مدرها الرصيد التاريخي من: ثقافة، عادات، امتداد القبيلة، البطولات الرمزية، تجاذبات الصداقة والعداء، المناصرة والتحالفات، تقارب المواقف... فكل هذه القضايا لا يمكن تصورها خارج الإطار الذهني المنطلق من الأبعاد التاريخية في المجتمع.

ونعتقد أن معالجة هذا الموضوع تقتضي فهم بنية المكون الثقافي والفكري التاريخي للمجتمع الجزائري في ظل الكرونولوجيا التاريخية والمؤثرات التي تعاقبت عليه. **وهل ساهمت هذه التراكمات الطويلة في بناء نسيج الهوية؟ أم هي خاضعة للتطورات الآنية؟** وللإجابة على هذه لإشكالية لا بد من ملامسة: المكونات الثقافية للمجتمع الجزائري الحديث، مكانة الترابط الاجتماعي، وحضور الرموز والقادة في التفكير الجمعي، وموقع الهوية لدى النخبة وعامة المجتمع.

أولا/ محطات في تكوين الهوية الثقافية التاريخية الجزائرية

شهدت الجزائر تطورات تاريخية ساهمت في تكوين الشخصية الجزائرية جمعت بين البعد الديني المبني على المذهب السني المالكي الذي يقوم على

الفقه الأحوط والابتعاد عن التأويلات والتعقيدات. وهو ما جعل كيان المجتمع يقوى ويتماسك أمام العديد من الاهتزازات المذهبية، ومع ظهور الدولة العثمانية وانضواء الجزائر تحت رايتها تعزز بناء الكيان الجزائري كونها شبه دولة مستقلة وحافظ المجتمع على مذهبه المالكي إلى جانب الحنفي. ورغم نهاية الحكم العثماني ورحيل العنصر التركي تمسك الجزائري بالأرض وتحمل وحده عبئ المقاومة للمحتل الفرنسي، وظلت مظاهر الانتساب للوطن والمذهب والهوية قائمة رغم الفعل الفرنسي المتعدد الأبعاد للقضاء على ذلك. وشهدت الحركة الوطنية مظاهر التنوع الفكري وأساليب النضال السياسي والتواصل مع الشرائح الواسعة.

وفي نفس الوقت كانت تحمل مظاهر التكامل ومقاومة المحتل وهي عوامل كلها ساهمت في تكوين الشخصية الجزائرية المتميزة التي صقلتها أحداث التاريخ على أسس البعد الجغرافي، والمذهب السني المالكي، والتواصل مع المحيط العربي، ورفض المحتل، وتعدد الأفكار والوحدة في الأزمات.

إن الشعور بالمواطنة يكتسب نتيجة تضافر عدة عوامل وتراكم تاريخي لجملة من القيم، لأنه قد يقيم إنسان في بلد معين معظم حياته ولكنه لا يشعر أنه ينتمي إليه إلا بقدر الإقامة به لا أكثر، ولهذا فالتشبع بالمواطنة كقناعات فكرية والإحساس بموجبات المواطنة كالوفاء المستمر للوطن والتعلق به والدفاع عن الوطن لا يأتي إلا بعد تراكم تاريخي يحيط به جملة من العوامل كالتجذر والأصالة في البلد والمذهب العقدي والفكري والاشتراك في تاريخ ومصير البلد. فالانتماء للوطن إذن هو بناء تراكمي سوسيولوجي ثقافي وفكري وواقعي يتعلق به القاطن بالبلد وتهون أمامه كل التضحيات، وإذا ما غابت هذه المفاهيم فإن المواطنة تعتبر شعورا عابرا أو مؤقتا تشوبه المصالح الآنية.

وقبل الحديث عن الوطن والمواطنة الجزائرية لابد من استعراض جذور المجتمع الجزائري وانتمائه الجغرافي لكيان أمة قائمة بذاتها عبر التاريخ لأننا أمام دحض الكثير من الشبهات وتوضيح العديد من الحقائق لإبراز ثقل هذه الأمة وفي نفس الوقت الرد على الذين قالوا بأن الجزائر لم تكن أمة ولا وطن أمثال رئيس الحكومة الفرنسية إيدقارفور سنة 1955 "**إنها لم تكن أمة ولا دولة في التاريخ** "[1] . وكذلك الرئيس الفرنسي شارل دوغول " **لم تكن هناك أبدا في أي ظرف، وبأي شكل دولة جزائرية**" [2]. وكذلك الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان "**إنها ولدت أخيرا** ". وربما نسي هؤلاء الساسة الفرنسيين أن أحد كتابهم قال: "**إن المكانة التي تتبوأها الشعوب في كتب التاريخ لا ترجع إلى القيمة الذاتية لتلك الشعوب، وتعلقها بأرضها وحبها لوطنها وشموخها بأنفها واعتزازها بنفسها، ومدى شجاعتها، وعدالة قوانينها. بقدر ما تتوقف على فصاحتها في الإبانة عن نفسها**" [3].

فالمجتمع الجزائري عبر مختلف العصور ظل يصارع من أجل الكيان المستقل وإن لم تأخذ الجزائر هذا الاسم إلا في فترة متأخرة، فنجده قد تعايش إلى حد كبير مع القرطاجيين وتغولت روما في المنطقة تخوفا من ظهور دولة نوميدية قوية في المنطقة. وفي العهد الإسلامي انصهر المجتمع الجزائري في بوتقة الدويلات الإسلامية الرستمية أو الحمادية أو الزيانية. أو تحت عباءة الخلافة الإسلامية الأموية أو العباسية، أما في العهد الفاطمي فكان تحت

1 . مولود قاسم نايت بلقاسم، **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830**، ج 1، دار الأمة، الجزائر، 2012، ص 20.

2 . المرجع نفسه، ص 34.

3 . المرجع نفسه، ص 45.

ظروف قاهرة وقصيرة. وبالتالي فقد كان لها ـ الجزائر ـ وجودها البارز وشخصيتها المميزة وعلاقاتها التي ربطتها مع مختلف الدول في إفريقيا وأوروبا والمشرق العربي والفاتيكان ... هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فالمتتبع لتكوين المجتمع الجزائري يجده جاء بعد صراع مرير أحيانا مع القوى الاستعمارية التي اجتاحت المنطقة فكانت المقاومة العنوان الأبرز في هذه المسيرة التاريخية حتى غلب ذلك على نسيان الإنجازات الحضارية للمنطقة.

كما أن اعتناق المذهب السني المالكي واستمراره كان ظاهرة مميزة رغم الهزات التي اجتاحت المنطقة وربما ساهمت الدولة الحمادية بشكل كبير في هذا الأمر حيث جعلت منطقة الجزائر محل هجرة واسعة لفقهاء وعلماء القيروان والمهدية المالكية نحوها، ومن زاوية أخرى فإن هؤلاء كانت لهم حظوة ومقام محترم في الدولة الحمادية حيث سيطروا على جميع مظاهر الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية والعسكرية والقضائية العليا وصاروا ضمن المجالس الخاصة لحكام الدولة [1].

وربما نفس الظروف التي سادت أيضا خلال العهد الموحدي، كما أن العهد العثماني كان محطة هامة في تكون الشخصية الجزائرية لأنه خلالها تشكل البعد الجغرافي والسياسي وهو أمر ضروري لارتباطه الوثيق بأبعاد المواطنة فالحدود السياسية والامتداد الجغرافي يعود لهذا العهد، والعاصمة أخذت مكانها منذ هذا العهد، والأسطول ومظاهر القوة والسيادة على الإقليم

1 ـ بونابي الطاهر، **التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين،12و13 الميلاديين** دار الهدى، الجزائر ،2004، ص 77.

من العهد العثماني والمعاهدات مع الدول صارت لها تقاليد ومظاهر واضحة إضافة إلى الوحدة الترابية وسك العملة وراية للبلد [1].

مع أنه هناك من يطرح أن أول من أطلق اسم الجزائر هو جزائري الموطن وهو بلكين بن زيري مؤسس الجزائر العاصمة والمدية وملیانة حسب ابن خلدون [2].

وفي مصادر أخرى هناك طرح سياسي أخذ أبعادا من خلال مدينة الجزائر والمفهوم الذي أعطاه خير الدين لكلمة الجزائر، فقد خاطب أعيان مدينة الجزائر سنة وهو يرتب جهاده البحري لطرد الإسبان على أنه سيعمل على أن يحترم اسم الجزائر والجزائريين.

فإذا كان لفظ الكلمة الظاهري يخص المدينة فالمعنى يتعدى إلى الإقليم الذي يدور ويتأثر بالجزائر العاصمة وهي بدايات التصور للكيان الجغرافي والسياسي الذي نعرفه اليوم، والانطلاق في رسم معالمه من خلال الخطوات التي سار عليها العثمانيون بالجزائر.

وحسب الدكتور علي أجكون بحكم خبرته في التاريخ العثماني بالجزائر أن العلاقة بين الجزائريين والسلطة الحاكمة كانت مبنية على أساس المواطنة لأن الدلالة السياسية التي تؤكد ذلك أن مصطلح رعايا السلطان لم يرد ضمن الخطابات أو الكتابات التي تخص الجزائريين في علاقتهم بالسلطان [3].

---

1 ـ مراد وزناجي، **حديث صريح مع أ.د. أبو القاسم سعد الله في الفكر والثقافة واللغة والتاريخ**، ط01، منشورات الحبر ،2008، ص 116.

2 ـ مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق ص 37.

3 ـ في حوار أجريته معه على هامش الملتقى الوطني للثورة بالجنوب الجزائري بالوادي بتاريخ 5ـ 6 نوفمبر 2014.

ثانيا/ مسألة الهوية في القرن 19 من خلال: حمدان خوجة والأمير عبد القادر

1/ الهوية عند حمدان خوجة 1773-1840

نعتقد أنه رغم الفترة الزمنية الطويلة التي أقامها الأتراك بالجزائر فإنهم لم يذيبوا الشخصية الجزائرية، ومن ثم فالإحساس بالانتماء للوطن الجزائري ظل قائما. ونقف على هذا الأمر من خلال كتابات حمدان بن عثمان خوجة الذي قدم أحسن صورة تعبر عن عمق المواطنة والارتباط بالأرض، فهو الذي قال عبارة الجزائر للجزائريين، وأن هذا المفهوم هو الإطار الذي يمكن أن تجد فيه فرنسا مخرجا مناسبا للانسحاب من الإيالة بكل شرف [1].

أما جانب الوطنية أو الارتباط بالوطن فكان حاضرا في كتاباته بالموازاة مع الولاء للخلافة الإسلامية. وكان سباقا في طرح " **الجزائر للجزائريين**" [2] .

2/ الأمير عبد القادر والهوية الجزائرية

وتعتبر مبايعة الأمير عبد القادر أميرا بشكل خاص في 1832/11/27 وبشكل عام في 04 أفريل في 1833 محطة هامة في تبلور نوع المواطنة الجزائرية، كونها تبين أبعاد هذه الهوية ذات المرجعية الدينية وحضور السياسة الشرعية والمرجعية الثقافية الجزائرية والمرجعية اللغوية العربية ومشروع النهضة الجزائرية الحديثة [3] . كما أن الأمير افتك هذه البيعة من رؤساء القبائل والأسر المحلية من جهة وسد الطريق على الذين يقبلون التعامل

---

1 . حمدان بن عثمان بن خوجة، **المرآة**، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، الجزائر، 1982، ص 28.

2 المصدر نفسه، ص 114.

3 . عميراوي حميدة، **قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث**، دار الهدى، 2005، ص 26.

مع السلطة المحتلة وسد الطريق أمام ملوك المغرب [1] الذين لهم رغبة في ضم بعض المناطق الغربية من الجزائر بعد سقوط الدولة العثمانية.

وبهذا التحديد فإن الأمير عبد القادر أعطى للمواطنة والوطن البعد الجغرافي الحديث للجزائر المعروفة حاليا، وعزز ذلك بقيادة محلية لها امتداد اجتماعي وقبلي وقبول شعبي وارتكز في ذلك على الرصيد الشرعي القاضي بالبيعة الخاصة والعامة. وهذه الخطوات حدثت لأول مرة في تاريخ الجزائر، وبالتالي فالجزائري ربما لأول مرة يحمل في ذهنه تصوره للبعد الوطني الجغرافي والثقافي والسياسي والشرعي بهذه المواصفات والإحساس بالانتماء لكيان دولة متكاملة الأركان المكانية والزمانية والبشرية والشرعية.

ومما زاد من مصداقية هذه الرمزية سك العملة والراية والشعارات وتجاوز الحدود القبلية والطرقية، بل العمل على تسخير هذه العوامل كلها لصالح المشروع الوطني. ونحن إذ نتكلم عن المراحل والرموز التي اعتمدها الأمير في بناء الدولة الجزائرية فإننا نستوحي منها التكون الشعوري والبناء الفكري والتراكم المستمر لبناء شخصية جزائرية تحمل ثقافة المواطنة.

وهناك من قال إن الأمير حاول إقامة دولة على مبادئ الخلفاء وملامح النظم الأوروبية أي أن هيكلتها وفق النظم الإسلامية التقليدية ووسائلها حديثة كالجيش النظامي المسلح الغير قبلي وربط العلاقات الدبلوماسية. كما أنه اعتمد في تسيير الدولة على العلماء والمثقفين ورجال الطرق وطلبة الزوايا حتى الذين كانوا عاملين في الإدارة العثمانية. فهو جمع بين أهل العلم والقلم، وبهذه النظرة

1. عميراوي حميدة، **موضوعات من تاريخ الجزائر السياسي**، دار الهدى، الجزائر ،2004، ص 35.

الواسعة كان أول من أسس لدولة قومية بالتعبير المشرقي أو الدولة الوطنية.[1] ونعتقد أن الأمير خالد واصل نفس المسيرة من خلال تبني مشروع المواطنة الجزائرية في مشرعه السياسي وعبر بصراحة "**لا يقبل المسلم الجزائري بديلا عن جنسيته بجنسية أخرى إلا في نطاق شخصيته الخاصة، لسبب جوهري واحد هو المحافظة على دينه وشريعته الإسلامية**" [2].

ثالثا/ الإصلاحيون والهوية الثقافية الجزائرية

ففي الوقت الذي كان الكلام فيه عن الوطنية الجزائرية هو نوع من الإساءة والمعاداة لفرنسا وكان بعض ممثلي النخبة يفتخرون بالانتماء الفرنسي. في ظل هذه الظروف لم يكن الإصلاحيون يخشون الجهر بانتمائهم وجنسيتهم الجزائرية ومعارضة الإدماج، وطيلة العمل الإصلاحي كان التأكيد على الخصوصية الوطنية بمميزاتها وأبعادها الجغرافية والثقافية والدينية [3]، وحتى العمل الجمعوي أو السياسي كان ينطلق تحت هذه الراية الوطنية وكل الجهود تصب في تكريس الشخصية الوطنية ومحاربة مظاهر الفرنسة السياسية والثقافية.

وقد كان أول شعار لجريدة المنتقد " **الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء** " كما نشر ابن باديس مقالا بمجلة الشهاب سنة 1937 جاء فيه " **لقد جهرنا بها** " . أي الوطنية . " **أيام كانت كلمة الوطن والوطنية كلمة إجرامية**

1. مراد وزناجي، المرجع السابق، ص 116.

2 ـ بسام العسلي، **الأمير خالد الهاشمي الجزائري**، ط 01، دار النفائس ،1982، ص 175.

3 ـ علي مراد، **الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر. بحث في التاريخ الديني والسياسي من 1925 . 1940**، ترجمة محمد يحياتن، ط 2، دار الحكمة، 2007، ص 481.

لا يستطيع أحد أن ينطق بها وقليل جدا من يشعر بمعناها " [1]. والملاحظ أن التوجه الإصلاحي ظل في هذه القضية يتميز بالاستمرار والوفاء رغم التطور الزمني والتطور الداخلي للتنظيم الإصلاحي. فنقف على هذا الأمر في أول عدد من المنتقد، وتبنت جمعية العلماء نفس الأمر في 1931 رغم التأكيد المزدوج على الجنسية القومية في ظل السيادة والقوانين الفرنسية، وإن كان في هذا الأمر الأخير نوع من المناورة السياسية. أو ما عبر عنه ابن باديس في التمييز بين بالجنسية القومية . (مجموع الصفات الاجتماعية والثقافية الخاصة بمجموعة بشرية). والجنسية السياسية (الوضع المدني السياسي والحقوق والواجبات) .

والمتتبع للأمر يدرك أن ابن باديس حرص على الشخصية الجزائرية العربية المسلمة وضرورة الاعتراف بخصوصيتها أما الجنسية السياسية فهي نوع من البطاقة الظاهرية في ظروف معينة.

ونعتقد أن التدافع السياسي في الثلاثينات من القرن العشرين بين القوى الوطنية أفضى إلى الحسم الصريح للإصلاحيين في هذه القضية والرد على الاندماجيين الذين أصروا على الاندماج التام في فرنسا ونكران الكيان الجزائري " **إن هؤلاء المتكلمين باسم المسلمين الجزائريين والذين يصورون الرأي العام الإسلامي الجزائري بهذه الصورة إنما هم مخطئون ... فهم في واد والأمة في واد... لا يا سادتي نحن نتكلم باسم أغلبية الأمة ...فنقول لكم ولكل من يريد أن يسمعها إن أراد أن يعرف الحقائق ولا يختفي وراء أكام الخيال نقول لكم إننا فتشنا في صحف التاريخ وفتشنا في الحالة الحاضرة فوجدنا الأمة**

1. عبد الكريم بوصفصاف، "**ماهية السياسة والوطنية في الفكر الباديسي**"، مجلة الشهاب، المجلد الأول، السنة الأولى، العدد الثاني، صفر أفريل . 1424 . 2003، ص 17.

الجزائرية المسلمة متكونة موجودة كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا "[1]. كما قال الدكتور سعد الله حول جمعية العلماء: " **حسبنا هنا أن ننبه إلى أن جمعية العلماء اهتمت بالإنسان فجعلته هو الهدف في كل تحركاتها خاطبت عقله بالعلم والإصلاح والوطنية وخاطبت عاطفته بالدين والخطابة والتاريخ**" [2].

إن هذا الكلام لا نهدف من ورائه الحديث عن محتوى التعليم ولكن عن منهج التأسيس لبناء الفرد عقليا وفكريا وتهذيبه [3] حتى يتم تربية ملكة التفكير السليم لدى الإنسان الجزائري، ولعل اجتماع ما كان يكتبه ابن باديس وما كان يمارسه رجال الإصلاح عامة في مجال السياسة وضروب الوطنية والحوار مع مختلف الأطراف يخدم هذا التوجه.

وكان السعي إلى ترسيخ هذا التوجه الوطني بالموازاة مع ربطه بمحيطه العربي والإسلامي في ظل احترام عام للإنسانية حتى يكون الانتماء للوطن والاعتزاز به يقابله احترام الأوطان الأخرى والتعامل معها. إن الرؤية المتدرجة عند ابن باديس من الوطن إلى بلاد العروبة فالدائرة الإسلامية فالإنسانية جعل لديه نظرة متكاملة إذا ما ساد الحب حيث أصدر في أول عدد من صحيفته المنتقد " **... إننا نحب الإنسانية ونعتبرها كلا ونحب وطننا ونعتبره منها جزءا ونحب من يحب الإنسانية ويخدمها ونبغض من يبغضها ويظلمها وبالأحرى، نحب من يحب وطننا ويخدمه، ونبغض من يبغضه ويظلمه** " [4]. وقسم ابن

---

1. علي مراد، المرجع السابق، ص 484.

2 . المرجع نفسه، ص 159.

3 . **آثار الإمام عبد الحميد بن باديس**، ج4، ط1، 1985، دار البعث، الجزائر ص 47.

4 . أحمد الخطيب، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 135. وأنظر أيضا، المنتقد، ع1، أوت 1939.

باديس الوطنية في هذا السياق إلى الوطن الصغير "**أهل البيت**" وهم أولى بالحب في أول العمر، والوطن الكبير وهو الوطن ويشعر بحبه عندما يكبر وتتسع دائرة أفقه، والوطن الأكبر وهي دائرة الإنسانية.

والناس عند ابن باديس أربعة أقسام:

الأول: من لا يعرفون إلا وطنهم الصغير ويصفهم بأنهم أنانيون ولا ينتظر منهم خيرا لأقرب الناس منهم.

الثاني: الذين يعرفون وطنهم الكبير ويعملون في سبيله كل شيء ولو ألحق الضرر بالأمم الأخرى ويرغبون في التوسع في الملك ولا يردهم إلا القوة.

الثالث: وهم الذين ينكرون الوطن الكبير ولا يعرفون إلا الوطن الأكبر وأنكروا الوطنيات وأديانها وعدوها مفرقة بين البشر، وعاكسو الصيرورة البشرية.

الرابع: وهم الذين يعترفون بكل هذه الوطنيات بحيث يدرج الإنسان صورته وحبه وسعادته لبيته ووطنه الكبير ووطنه الأكبر . الإنسانية . وقال هذه هي الوطنية الإسلامية العادلة التي تحافظ على الأسرة وعلى الأمة وتحترم الإنسانية [1].

ولعل بروز التيار الوطني الاستقلالي في الحركة الوطنية قد أعطى مفاهيم واضحة للوطنية معززة للتوجهات التي ذكرناها ومجاهرا بالتميز الجغرافي والثقافي والسياسي للأمة الجزائرية وفي لغة ثورية في وجه الاستعمار، وربما كانت المعاناة الاستعمارية وشظف الحياة وغياب أدنى ضروب الإنسانية في ظل الاستعمار قد ساهم في تعميق معاني الوطنية والتعلق بها والعمل لها. ومما زاد في ترسيخ ملامح الذهنية الجزائرية هو الثورة التحريرية التي تميزت بالفعل الثوري العنيف تجاه المستعمر والحصيلة الثقيلة التي تمخضت عن

1. عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص 18 ـ 19.

الثورة بشريا وماديا رسخ في الضمير الجماعي العام والخاص البعد الثوري المرادف في كثير من الأحيان للوطنية، كما أنه في غالب العرف العام الاجتماعي والسياسي يصنف أن الذي انخرط في العمل الثوري ضد المستعمر أكثر وطنية أي أنه أكثر استماتة في الدفاع عنه وإن كان هذا الأمر أكثر وضوحا لدى الفئة التي عايشت المرحلة الاستعمارية.

ونعتقد أن الذي ذاق صنوف الفقر والمظالم من قبل أبناء وطن آخر يكون تواقا أكثر لبناء وطن يحترم الأوطان الأخرى، وفي نفس الوقت يكون أكثر حساسية وتجاوبا تجاه الاهتزازات الوطنية.

خاتمة

وانطلاقا من الأبعاد السابقة للموضوع والملاحظات المقدمة فرصيد الوطنية التي يتولد عنها الشعور بالمواطنة والانتماء لا يصنع في مراحل قصيرة أو مشاريع وبرامج تربوية وثقافية مؤقتة بقدر ما يحتاج إلى تراكم رصيد تاريخي واجتماعي وثقافي مليء بالأحداث والتجارب تكون قد صقلت الشعوب والأفراد والقناعات بهذه الوطنية.

ويتعزز بعد الهوية والانتماء للوطن بقدر الفواعل التي تحشد القناعات والأفكار بين أفراد المجتمع سواء كان ذلك نظريا أو عمليا من قبل النخب المثقفة أو الزعماء أو الأحزاب، كما تعمل الظروف والأحداث الأليمة أحيانا همًا مشتركا تجعل الجميع يحس بالانتماء للجغرافيا والتاريخ المشترك.

الاستيطان الأوروبي في الجزائر إبان الاستعمار الفرنسي

European settlement in Algeria during the French colonization

✍أ/ محمد شمبازي
جامعة محمد لمين دباغين - سطيف 02

الملخص

يتناول هذا المقال موضوع الاستيطان الأوروبي في الجزائر ابان فترة الاحتلال الفرنسي، والاستيطان كمفهوم سياسي يعني تحفيز مجموعات بشرية على الهجرة من مواطنها الاصلية والاستقرار بمواطن جديدة، بغية تغيير طابعها الاجتماعي والثقافي والسياسي، وارتبطت الحركة الاستيطانية عموما بالظاهرة الاستعمارية قديما وحديثا. وكمثال عن ذلك: الاستيطان الروماني في نوميديا (الجزائر حاليا) والاستيطان الأوروبي خلال فترة الاستعمار الفرنسي، والنموذج الاخير هو ما نبحثه في مقالنا هذا.

Résumé

Cet article traite le sujet de la colonisation européenne en Algérie pendant la période de l'occupation française. La colonisation en tant que concept politique, se définit par la motivation des groupes humains à migrer de leurs lieux d'origine et à s'installer dans d'autres lieux afin de changer l'identité sociale, culturelle et politique de ceux-ci. Deux exemples illustrent ce phénomène : la colonisation romaine en Numidie (l'Algérie en ce temps) et la colonisation européenne pendant l'occupation française. C'est ce dernier exemple que nous traitons dans cet article.

مقدمة

ترتبط ظاهرة الاستيطان بالاستعمار الأوروبي الحديث، وهذا الاخير سببه الأساسي الثورة الصناعية التي عاشتها شعوب القارة الأوروبية خلال القرن

الثامن عشر والتاسع عشر، فخلال هذه الفترة امتد نفوذ القوى الأوروبية الكبرى إلى مختلف انحاء العالم، في آسيا، في إفريقيا، في امريكا اللاتينية وحتى في الجزر البعيدة.

وإذا كانت هذه القوى خلال الفترة السابقة للقرن الثامن عشر – أي زمن الاستعمار الأوروبي القديم – تكتفي بالاحتلال الموضعي المحدود والعمل قدر المستطاع على استغلال خيرات البلاد المحتلة انطلاقا من هذه الثغور، فإنها بعد ذلك عملت على تحويل الأهم منها– استراتيجيا واقتصاديا– إلى مستعمرات استيطانيه، تخضع لجيوشها وإدارتها المباشرة وتستغل كل مُقدّراتها الاقتصادية. الأمر الذي حتّم على هذه القِوى الاستعمارية غزو وإغراق هذه المستعمرات بأعداد كبيرة من المستوطنين بهدف إحداث تغيير في تركيبتها الاجتماعية، وبالتالي التحكم في ظروفها الأمنية والاقتصادية بالشكل الذي يخدم أهداف الحركة الاستعمارية. إنّ ظروف الثورة الصناعية التي عاشتها شعوب القارة الأوروبية خلال هذه الفترة عاشتها أيضا الدولة الفرنسية، وكانت من الأسباب الرئيسية في دخولها حلبة التنافس الاستعماري بل جعلت منها إحدى الدول المُؤسسة لنادي قوى الاستعمار الحديث. وإذا ما كان التوجه الفرنسي نحو الاستعمار الاستيطاني قد تأخر نسبيا في القارة الإفريقية، فإنه في مناطق أخرى كان مُبكرا، فشركات الهند الشرقية والغربية الفرنسية التي اقتصر نشاطها خلال القرن السابع عشر على الثغور والسواحل، أخذت تتطلع إلى التوسع والاستيطان في الأراضي الداخلية، مُعتبرة إيّاها مجالات حيوية يجب السيطرة عليها وإعمارها[1].

1– خلال القرن السابع عشر، تمتعت فرنسا بمكانة اقتصادية وسياسية مهمة جعلت منها ثاني أكبر قوة استعمارية بعد بريطانيا، مما ساعدها على تثبيت تواجدها في نقاط كثيرة من العالم (كندا

هذا ما حصل في القارة الأمريكية في إقليم «لويزيانا» مطلع القرن الثامن عشر، حيث تقاطر المستوطنون الفرنسيون إلى الإقليم وأسسوا به مدينة Nouvelle Orléans عام 1720 والأمر نفسه اضطلعت به الشركات السالفة الذكر في آسيا وإفريقيا، وإن كان على فترات متقطعة تبعا لظروف الدولة الفرنسية الداخلية وتبعا لما يسمح به مؤشر التنافس بين القوى الاستعمارية حينها[1].

أولا/ الاستيطان الفرنسي في بداية الاحتلال

فيما يخص الجزائر، تزامنت فترة احتلالها مع هذا التحول في إستراتيجية القوى الاستعمارية، فالسلطات الفرنسية بعد أن حسمت أمرها لصالح الاحتلال الكلي والإدارة المباشرة – على إثر تقرير اللجنة الإفريقية سنة 1834– اعتبرت مسألة تعمير الجزائر وتوطين الأوروبيين بها مسألة حيوية: تُشكّل أكبر الضمانات للاحتفاظ بهذه المستوطنة.

وكنتيجة لذلك، عرفت فترة القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، ألوانا شتى من أساليب الاستيطان ونزع الملكية، بعضها عبر القوانين والمراسيم وبعضها الآخر لا يستند لأية صلة قانونية أو شرعية. وقد وجدت هذه الإستراتيجية اهتماما كبيرا ليس فقط من جانب رجال السياسة والإدارة الفرنسيين وإنما من جانب رجال الفكر أيضا، فهذا (Alexis de Tocqueville)[2]أحد

عام 1542، مارتنيك 1635، مدغشقر 1642، السنغال 1659، أمريكا 1673، الهند 1674، غويانا 1677، الدومينيك 1697)، أنظر:

- Nicolas Bancel et autres, op.cit, pp, 27-28.

1- Emile Tersen, op.cit, pp, 27-28.

2 – **Alexis De Tocqueville**: هو أحد كبار المفكرين الفرنسيين المحدثين، مؤرخ وعالم اجتماع ورجل سياسة معروف، وُلد عام 1805 وتُوفي عام 1859، اشتهر بكتابيه: (عن

أكبر منظري الاستعمار الفرنسي يذكر في مؤلفه (Travail sur l'Algérie) الصادر عام 1841 بأن: " **المجهود الحربي وحده غير مجدي، وأن توطين العنصر الأوروبي بالجزائر سيعزز من هذا المجهود، ويجعل من مسألة الاحتلال أمرا لا رجعة فيه**" [1]. ويُضيف في موقع آخر بأنّه: "**يعارض بشدة فكرة الاحتلال الجزئي كونها تشكل خطرا على الوجود الفرنسي وحركة الاستيطان بها، على أساس أنها تُبقي على مساحات واسعة بيد القبائل المعادية...كما أن الأمر لن يستقيم لفرنسا في المناطق الساحلية وموانئها المهمة إلاّ بالتوغل في المناطق الداخلية** "[2].

وفي سبيل تحقيق هذه الغاية لا يستثني هذا المفكر ضرورة استعمال الأساليب القمعية فيذكر في سياق رده على معارضي أفكاره قائلا: "... **إنّ بعض الأشخاص ممن احترمهم ولكن لا أوافقهم الرأي دائما، يرون من غير**

الديمقراطية في أمريكا) و(النظام القديم والثورة). لقيت أعماله نجاحا كبيرا استحق لأجلها عضوية أكاديمية علوم الأخلاق والسياسة وعضوية الأكاديمية الفرنسية، شغل منصب نائب رئيس الجمعية الوطنية الفرنسية من 1839 إلى 1849 ووزير للخارجية فيما بعد. اهتم بشؤون الجزائر كثيرا وكان من أنصار فكرة الاحتلال الكامل والاستيطان مخالفا بذلك بعض معاصريه ممن طرحوا أشكالا مختلفة من الاحتلال، قام بزيارته الأولى إلى الجزائر سنة 1841 وكلف في السنة الموالية بدراسة قضية استعمار الجزائر وكان من أشهر نصوصه حول هذا الموضوع: (رسالة عن الجزائر) نشرها سنة 1837 وكتاب (عمل عن الجزائر) كتبه سنة 1841 و(مجموعة تقارير عن الجزائر) نشرها سنة 1847 بصفته مقرر اللجنة البرلمانية التي أسندت لها مهمة مناقشة الاعتمادات المالية التي ستخصص للجزائر وقضية إنشاء معسكرات فلاحية بها. انظر:

– ألكسي دو طولفيل، **نصوص عن الجزائر**، ترجمة إبراهيم صحراوي، ديوان المطبوعات الجامعية، 2008، ص ص،7–11.

1 - Olivier Le Cour Grandmaison, op.cit, pp, 105-108.

2 - Loc.cit.

اللائق حرق الغلال ونهب المطامير ومهاجمة الرّجال العزل والنساء والأطفال، نعم هي أساليب مقيتة لكنها ضرورية لمن يريد خوض الحرب ضد العرب، ولن يتيسر لنا تفكيك قوة الأمير عبد القادر إلاّ بإضعاف القبائل الموالية له وإجبارها على تركه، هذه حقيقة واضحة يجب الأخذ بها أو التخلي عن العملية برمتها... فيما يخصني لا أرى مانعا في استعمال كل الأساليب العقابية لإجبار هذه القبائل على الخضوع... " [1].

مفكر آخر (Enfantin)، حدّد من جهته موقفه سنة 1842 من هذه المسألة قائلا: "... **أعتقد أنّ استعمار الجزائر لن يكون ممكنا إلاّ باستقطاب أعداد معتبرة من الأوروبيين كما أعتقد أنّ فرض الأمن والاستقرار في هذا البلد لن يكون إلاّ عبر هذا السبيل...إنّ هؤلاء المعمرين الجدد من إناث وذكور، هم من سيُشكل الأسر وينشئ المدن ويُعمر الأرض...**" [2] . ويضيف في موقع آخر: "... **عندما يتفقّد علماء الآثار وعلماء الأجناس في الولايات المتحدة والهند، سيجد علماء الآثار في كلا البلدين الشواهد المادية للهيمنة الانجليزية. ولكن سيجد علماء الأجناس في الولايات المتحدة الجنس الإنجليزي نفسه، بينما في الهند لا أثر لهذا الجنس...**" [3] .

وفي أرض الواقع، فإن سلطات الاحتلال لم تنتظر فتوى هؤلاء المثقفين ولم تكن في حاجة إليها، فقد شرعت في تهيئة شروط الاستيطان على أرض الواقع منذ وقت مبكر، فبعد شهرين فقط من توقيع معاهدة الاستسلام في 05 جويلية 1830، أقرّت هذه السلطات أمرية 08 سبتمبر 1830، وصادرت

1 - Ibid, p, 101.
2 - Enfantin, Colonisation de l'Algérie, Editions, Bertrand, 1843, pp ,10-23.
3 - Loc.cit.

بموجبها أملاك الداي والبايلك وأملاك الحبوس والأشخاص المتغيبين عن أراضيهم، وتمّ إلحاقها بأملاك الدولة، وسمحت الاقتطاعات الأولى التي تمت داخل مدينة الجزائر وفي ضواحيها باستيعاب أولى دفعات المستوطنين من الفقراء والمشردين الفرنسيين وبعض الأوروبيين من مشارب مختلفة: إسبان، مالطيين، طليان، ألمان سويسريين وحتى من جزر الباليار، وكان عددهم في هذه الفترة المبكرة 25 ألف فرد منهم 11 ألف فرنسي[1].

ومع تجدد المقاومة والانتفاضات ابتداء من سنة 1839، وجدت السلطات الاستعمارية الحجة الكافية لمصادرة المزيد من الأراضي، كإجراء عقابي ضد القبائل الثائرة وكطريقة سهلة وسريعة لتوطين المعمرين، حتى أنّ الجنرال Bugeaud جعل من الاستيطان أحد مهام الجيش الفرنسي، وسنّ لأجل ذلك قرارا في 18 أفريل 1841، يمنح الحاكم العام العسكري صلاحية تحديد المساحات القابلة للتنازل، ويعطيه الحق في مصادرة أملاك الجزائريين بحجة المنفعة العامة[2]. وفي نفس هذه السنة أعاد (Bugeaud) بعث المكاتب

1 - Charles Robert Ageron, **histoire de l'Algérie contemporaine**, Editions, Presses Universitaires, Paris, 1964, pp, 20-21.

2 - Ahmed Henni, **la colonisation agraire et le sous développement en Algérie**, Editions, ENAG, Alger, 2009, p, 18.

أول مستوطنة للمعمرين في حوش الشاوش Clauzel في هذا الوقت المبكر (1836) أنشأ بمنطقة "**بوفاريك**" وكان القرار الصادر في 27 سبتمبر 1836 أول عقد إداري خصّ الاستيطان الزراعي وسمح بالتنازل عن 173حصة أرضية بـ 04 هكتار لكل واحدة، أنظر:

Ahmed Henni,op.cit, p, 18.

العربية[1] وأسند مهمة الإشراف عليها إلى (Daumas)، كما أصدر نفس الشخص قرارا في 01 فيفري 1844، ينص على إقامة مصلحة للشؤون الأهلية في كل إقليم عسكري، ومكتب عربي في كل مقاطعة عسكرية. وكانت المهمة الأساسية لهذه المكاتب بأن تكون واسطة بين الأهالي والسلطة الفرنسية، وأن تُراقب الوسط القبلي وتُشرف على توفير الظروف الملائمة لحركة الاستيطان بالجزائر، وهي المهام التي حددتها أول توصية صادرة عن (Daumas) عام 1840 والتي جاء فيها: " **إنّ مهمة المكاتب العربية الأولى هي فرض حالة من الأمن الدائم في الوسط القبلي... وتوفير الظروف الملائمة للمسار الاستيطاني في الجزائر...**" [2] ، كما جاء في التعليمة الصادرة عن الإدارة

1- يعتبر الجنرال (Trezel) أول من فكر في مصلحة تخص الشؤون العربية فأنشأ لهذا الغرض أول مكتب عربي في شهر أفريل 1833 وأسند مهمة الإشراف عليه للضابط الفرنسي (Lamoricière) واستمرت هذه المصلحة في إدارة شؤون الأهالي إلى أن تم إلغاؤها من طرف الجنرال (Vallée) لكن الجنرال (Bugeaud) أعاد بعثها مثلما تمت الإشارة إليه أعلاه. ويتكون المكتب العربي تبعا للمنشور رقم 280 الصادر بتاريخ 21 مارس 1867 من: ضابط رئيسا للمكتب، ضابطين مساعدين، مساعد من فرقة الصبايحية، طبيب، مترجم، خوجة أو كاتب عربي، كاتبين فرنسيين شاوش فرقتين عسكريتين من 25 مجند صبايحي و10 مخازنية. وقد لعبت هذه المكاتب دورا مهما في شؤون الأهالي حتى سنة 1871، بعدها أصبح دورها ثانويا بسبب هيمنة النظام المدني على شؤون المستعمرة وقد تطور عددها بمرور الزمن: من 21 مكتب عام 1844 إلى 49 عام 1866 كما تطور عدد الضباط القائمين عليها: من 136 ضابط عام 1859 إلى 206 عام 1866 ومعظم هؤلاء الضباط من المؤسسة العسكرية الفرنسية، خاصة من فرق المشاة، أنظر:

- Vincent Monteil, « **les bureaux arabes** », in, Esprit, n° :300, novembre 1961, pp, 575-582.
- Claude Collot, le**s institutions de l'Algérie durant la période coloniale**, Editions, OPU, Alger, 1987, pp, 38-40.

2- cité par Vincent Monteil, op.cit, p, 82.

الفرنسية بتاريخ 17 أفريل 1868 بخصوص هذه المهمة: "**ضباط الشؤون الأهلية هم الواسطة بين السلطة العسكرية والأهالي وأنهم ملزمون باستشراف الحالة النفسية للساكنة وتصحيح كل الوضعيات القانونية والتناقضات الموروثة عن السلطات التركية البائدة**" [1].

لقد قامت هذه المكاتب في بداية الاحتلال بدور الوساطة والمراقبة المكلفة بهما، ولكن شيئا فشيئا أصبحت مهمتها منصبّة على ضرورة إنجاح العملية الاستيطانية، وذلك بعد أن رأت سلطات الاحتلال في النتائج المحصل عليها في هذه الفترة أنها غير كافية لمواصلة التوسع الاستيطاني، بل غير كافية حتى لمراقبة الأقاليم التي تم إخضاعها. وكنتيجة لذلك أُقرّت إستراتيجية جديدة لا تستثني الأسلوب القديم الذي يستند إلى القرارات والمراسيم، إنما ترتكز على طريقة جديدة أكثر فاعلية: تتمثل في حصر القبائل وتجميعها في مناطق محددة والاستفادة من فائض الأراضي الناتج عن ذلك، وهي السياسة التي يسميها منظّروا الاستيطان في الجزائر تارة بـ "**التجميع resserrement**" وتارة أخرى "**الحصر والتوطين Cantonnement**"

وفي السياق الأول (اكتساب الأراضي عن طريق التشريعات) سنّت سلطات الاحتلال أمرية 01 أكتوبر 1844، التي أخضعت العقار في الجزائر للتشريع الفرنسي وسمحت بمصادرة الأراضي غير المستغلة، بما فيها أراضي المراعي وأراضي البور والأراضي التي لا يُصرِّح بها أصحابها في مدة أقصاها 03 أشهر. وكنتيجة لذلك تمكنت مصالح أملاك الدولة من ضم ما يقارب

1- Loc.cit.

200 ألف هكتار لحافظتها العقارية، منها 168 ألف حول مدينة الجزائر وحدها[1] .

كما أقدمت نفس السلطات على سن أمرية ثانية عام 1846، تنص على ضرورة إثبات الملكية لمن يدعيها عن طريق وثائق ثبوتية صحيحة، وهو ما لم يكن مُتاحا للكثير من الأهالي الجزائريين، مما تسبب في فقدان المزيد من الأراضي الزراعية، قُدّرت في سهل متيجة لوحده ب 60 ألف هكتار[2].

وبفضل عمليات المصادرة السابقة، تمكنت سلطات الاحتلال من إقامة وتوسيع 27 قرية استيطانية في متيجة وباقي المناطق الساحلية، وعند مغادرته للجزائر، ترك الجنرال (Bugeaud) ما عدده 109400 مستوطن منهم 47274 فرنسي، من بينهم حوالي 15000 معمر في المناطق الريفية.[3] وفي السياق ذاته لا يفوتنا التذكير: بأن هذا الجنرال هو من فتح الباب أمام سياسة تجميع القبائل الجزائرية ابتداء من سنة 1847، بعد أن أصدر منشورا بتاريخ 10 أفريل من نفس السنة، مُوجها إلى مسؤولي المكاتب العربية، والذي نقتطف منه ما يشير إلى ضرورة حصر القبائل: " **لقد ذكّرتكم في العديد من المرات**

1- Ahmed henni, op, cit, p, 23.

في نفس هذه الفترة –أي نهاية الأربعينيات–، شهد سهل متيجة إقامة 60 مزرعة على مساحة تقدر بـ 14500 هكتار، بمعدل 240هكتار لكل مزرعة، وفي الإقليم الأوسط للجزائر أنشئت 30 مزرعة على مساحة 11000 هكتار بمعدل 366 هكتار للمزرعة الواحدة. أما في الإقليم الغربي والشرقي فقد تأخرت نسبيا عملية إقامة مثل هذه المستوطنات بسبب الثورات والانتفاضات. إلا أن ذلك لم يمنع امتداد يد الاستيطان إليها، ففي الغرب الجزائري استفادت حركة الاستيطان من 20 ألف هكتار وفي الإقليم القسنطيني أقيمت 200 مزرعة على مساحة 20ألف هكتار بمعدل 100 إلى 400 هكتار للمزرعة الواحدة، أنظر:

- Ahmed Henni, op, cit, p, 21.

2- Ibid, p, 23.

3- Ch. R.Ageron, op. cit, pp, 21-22.

بأن عقيدتي السياسية اتجاه العرب، لا تعني إبعادهم ودحرهم بل إدماجهم في حضارتنا ولا تعني انتزاع أملاكهم بل تجميعهم على الأراضي التي يحوزونها منذ مدة طويلة والتي تتناسب مع عدد أفراد القبيلة" [1]. حتى وإن لم تُذكر في هذا المقطع كلمة (حصر) (cantonnement) بصراحة فإن صيغة (تتناسب مع عدد أفراد القبيلة) هي حجر الزاوية والذريعة التي تمّ استغلالها في مراحل عملية تجميع الأهالي وانتزاع أملاكهم وتوفير المساحات اللازمة للاستيطان.

ثانيا/ في عهد الجمهورية الثانية والإمبراطورية الثانية:1848-1870

في نهاية هذه الفترة (نهاية الأربعينيات) انكفأت الانتفاضات المرتبطة بثورة الأمير عبد القادر، وبالتالي تراجعت عمليات مصادرة الأراضي التي لطالما استفادت من هذه الاحتجاجات. كما أن الأراضي المستخلصة من تنفيذ القرارين (1844) و(1846) لم تُصبح بالقدر الذي يستوفي حاجة التوسع الاستيطاني. يضاف إلى هذا: رغبة سلطات الجمهورية الثانية في معالجة مشاكل فرنسا الاجتماعية والسياسية من بطالة وفقر وتشرد على حساب مستعمرتها الجزائر. وبما أن هذه السلطات تبحث دائما عن الحلول السهلة والسريعة، فقد لجأت كسابقتها إلى ما عُرف منذ ذاك-بإستراتيجية (التجميع والتوطين) Le cantonnement ولكن هذه المرّة على نطاق أوسع[2].

لقد احتلت مسألة (تجميع القبائل المنتشرة على مساحات واسعة) من الريف الجزائري حيزا كبيرا من النقاش في أوساط الساسة ومؤيدي الاستيطان في الجزائر، وأجمع الكثير منهم على سلامة العملية ونجاعتها، مستندين إلى فكرة محورية مفادها: أن القبائل تستحوذ على مساحات واسعة من الأراضي،

1 - M. Cornaton, op, cit, pp, 49-50.
2- Ch.R.Agéron, op, cit, p, 25.

تزيد بكثير عن حاجتها الزراعية والرعوية ، وأنه من واجب السلطة القائمة على شؤون الجزائر أن تعمل على حصر وتثبيت هذه القبائل على مساحات تتناسب مع قدراتها وعاداتها في الاستغلال الزراعي والرعوي، وصب ما زاد عن حاجتها لصالح الاستيطان[1] .ويضيف هؤلاء المنظرين، بأن هذا الإجراء لا يتعارض مع الأعراف والشرائع التي تنظم العقار في الجزائر وفي بقية العالم الإسلامي، مستدلين على ذلك بجملة من القرائن والقواعد:

القاعدة الأولى: أنّ الأرض من وجهة نظر الدين الإسلامي والقرآن– دستور المسلمين–ملكية للذات الإلهية، ترثها السلطة الدنيوية القائمة على شؤون المسلمين، والحال أن السلطة الفرنسية عوضت الحكم العثماني، فإنها ترث هذا الامتياز.

1- M.Cauquil ,**Etudes économiques sur l'Algérie**, Editions, Nabu Presse, 2011, p, 54.

في هذا الشأن صرحت جريدة Le moniteur algérien الصادرة في 20 فيفري 1857 بـ " **أن القبائل العربية في كل أقاليم الجزائر تستغل وتجوب مساحات واسعة، تزيد عن حاجتها الحقيقية** "، والعملية التي تسمى cantonnement يجب أن تتجسد عبر المراحل الآتية:

– تقوم هيئة مسح الأراضي في أول إجراء لها في تحديد المساحات الخاضعة للقبائل.

– يتم تحديد المساحات التي تخصص لكل قبيلة آخذين بعين الاعتبار عدد الأسر التي تتألف منها كل واحدة.

– بعد عملية المسح، تستفيد كل قبيلة من عقد يسمح لها بالاستغلال الجماعي للأرض.

– تخصص المساحات الفائضة عن حاجة القبائل لعمليات الاستيطان.

وفي نفس هذا الإطار اقترحت جريدة الأخبار (L'Akhbar) مقاييس التوزيع، باعتماد عدد أفراد القبيلة وعدد رؤوس ماشيتها، على أن يستفيد كل فرد من 03 هكتارات وكل رأس من الماشية الصغيرة 01 هكتار أيضا، أنظر:

– Hippolyte Peut, **annales de la colonisation algérienne**, Editions, Librairie Internationale Universelle Paris, 1857, p, 148.

القاعدة الثانية: أن الأرض وتبعا للحكم السابق، تقع تحت طائلة " **الوقف** " وهي غير قابلة للبيع أو التنازل.

القاعدة الثالثة: أن حيازة القبيلة أو الفرد للأرض هو منّة من السلطة القائمة، تمنحها ضمن نطاق الاستغلال والانتفاع لا أكثر، ولا يجوز تمليكها للأفراد أو الجماعات.

القاعدة الرابعة: أن الجزائر أصبحت في حكم البلد المحتل، وتبعا لذلك تؤول حيازة الأرض للدولة الفرنسية[1].

إن هذه الأفكار والأحكام تتعارض في طبيعتها – شكلا ومضمونا – مع قانون الملكية الفرنسي، ومع ذلك فالسلطات الفرنسية المعنية التزمت الصمت وغضت الطرف عن كل الممارسات التي نفذتها إدارتها في الجزائر لتجسيد الاستيطان على أرض الواقع، وكان الجنرال (Bugeaud) هو من باشر سياسة تجميع القبائل وتحديد محيط استغلالها للأرض، استنادا إلى منشورين أصدرهما هذا الأخير بتاريخ 10 أفريل 1847 و 04 جوان 1849، بهدف تقييم احتياجات القبائل من المساحات الزراعية والرعوية[2] .

إلا أن الحقيقة ليست كذلك، فما تم حينها، هو تقييم حاجيات الاستيطان في المقام الأول، ففي الإقليم الوهراني كان(Lamoricière) يُحدد المساحات الخصبة لإقامة المستوطنات الأوروبية، ثم يسند ما تبقى من الأراضي للقبائل المتواجدة بالإقليم، ونفس الطريقة تمت في " **المتيجة**" حيث وزِّع القائمون على العملية سنة 1851 حصص الأراضي بشكل سمح لمصلحة أملاك الدولة بالاستحواذ على نحو 16190 هكتار من أجود الأراضي وتمّ إسناد الباقي

1 - Ahmed Henni, Op.cit, p, 25.
2 - ibid, p, 26.

للقبائل المتواجدة بالمكان: 20810 هكتار، أي بمعدل 16 هكتار للعائلة الواحدة على اعتبار أن عددهم كان آنذاك 304 أسرة.[1]

الوضع نفسه ظل قائما طوال فترة حكم الجمهورية الثانية والإمبراطورية الثانية، فقد شجع المارشال Randon الهجرة والاستيطان، وجعل منها حجر الزاوية في معالجة المشاكل الاجتماعية التي أصبحت تثقل كاهل السلطات الفرنسية بعد ثورة 1848، وتبعا لذلك سمح بإقامة 56 مستوطنة أوروبية جديدة في الفترة الممتدة ما بين 1853 و1859. وإلى غاية 1861 تمكنت سلطات الاحتلال من مسح 343387 هكتار تعود ملكيتها لـ 16 قبيلة منتشرة في الإقليم التلّي، فقدت منها بعد عمليات الحصر« resserrement» 61363 هكتار لصالح حركة الاستيطان.[2]

ومن الأمثلة البارزة عن سياسة الحصر le cantonnement ما أصاب قبيلة **أولاد قصير** المنتشرة على ضفاف نهر الشلف في الإقليم الوهراني، هذه الأخيرة كانت تستغل مساحة من الأراضي الزراعية والرعوية تتجاوز 39000 هكتار، لكن بعد حصرها وتقسيمها إلى **دواوير** فقدت 12000 هكتار من أجود أراضيها[3]. وفي الإقليم القسنطيني خضع سكان منطقة عزابة بفعل تطبيق قانون Senatus Consulte لنفس الإجراءات وخسروا بسبب ذلك 30000 هكتار من أصل 50781 هكتار كانوا يستغلونها فيما سبق[4].

ومن الأمثلة البارزة عن هذه الإستراتيجية، ما تعرضت له قبيلة" **أولاد قصير** " السالفة الذكر، فقد جاء في رسالة للجنرال يوسف المؤرخة في 18

1 - Loc.cit.
2 - Ch.R.Ageron, op.cit, pp, 23-26.
3- Djillali Sari, **la dépossession des fellahs**, 2eme : Edition, ENAG, Alger, 2010, p, 27.
4 - Loc.cit.

ماي 1861، بأن: "**القبيلة التي كانت تنتشر حول مدينة الشلف والتي تضم أكثر من 13 ألف نسمة، قد خضعت لعملية التجميع والتوطين resserrement et cantonnement على يد Ch. «Richard**[1] **في محيط 45 قرية تضم ما يقارب 3 آلاف مسكن، تم بناؤها بسواعد أفراد القبيلة وبالتعاون مع بعض القبائل الأخرى في إطار ما يُسمى التويزة** ". وكل ذلك من أجل إخضاع القبيلة وعزلها عن كل تأثير معادي لسياسة الاستيطان القائمة على قدم وساق في هذا الإقليم[2].

ومن الأمثلة الأخرى عن سياسة الحصر والاستيطان تلك المسماة بـ " **الزمالة Zmala**" وهو ترتيب يعود إلى السنوات الأولى للاحتلال على إثر إنشاء فرق الصبايحية، وحسب التعليمة المؤرخة في 01 ماي 1862 فإن "**الزمالة**" هي عملية تجميع لعدد من خيم الخيالة الصبايحية مع خدمهم وأحصنتهم ومواشيهم، على ارض تابعة للدولة. وتقوم هذه الفرق بدور سياسي وعسكري– تحت إشراف المكاتب العربية– يسمح للسلطة الفرنسية بمراقبة القبائل المتنقلة وتلك المشكوك في أمرها، وتتمتع مضاربها بحماية البرج

1– قبطان في الجيش الفرنسي، شغل منصب رئيس المكتب العربي بالأصنام (الشلف حاليا) اشتهر بمقولة تخص تجميع السكان مضمونها «المهم هو تجميع هؤلاء السكان الذين يتواجدون في كل مكان ولا نجد لهم مكان ثابت، والأهم هو جعلهم في المتناول وتحت السيطرة، عندما يصبحون كذلك يمكننا التأثير عليهم بالشكل الذي نرغب فيه، بهذه الطريقة فقط يمكن الاستئثار بعقولهم بعد استئثارنا لأجسادهم،» نقلا عن:

- Pierre Bourdieu et Abdelmalek Sayad, **le Déracinement**, Editions, Minuit, 1964, p, 15.

2 - Vincent Monteil, op.cit, p, 596.

العسكري، كما تستفيد كل خيمة من قطعة أرض زراعية تتراوح مساحتها بين 15 و20 هكتارا[1].

وكان الضابط السابق « **Ch.Richard**» من أكبر المؤيدين لهذه الطريقة بتجميع السكان حيث ذكر سنة 1856 – أي بعد انتفاضة سكان الظهرة بقليل – قائلا: "**إن تجميع السكان على هذا النحو لا يتعارض مع أسلوب حياتهم، وإننا لم نواجه أيّة صعوبة في تجميعهم طيلة الفترة التي استغرقتها الانتفاضة، ومن خلال تجاربنا السابقة، نعتقد أنّ العرب وبالأخص سكان منطقة الشلف لا يبدون أيّة معارضة لتجميعهم، وهم راضون بذلك. وللزمالة أثر ايجابي على ظروف حياتهم، فهي تُمثل لهم الأمن والراحة والنوم بكل اطمئنان، وهكذا عوامل لم تتوفر لهم قبل ذلك، إنه إجراء سريع وسهل التنفيذ**" [2].

كانت هذه بعض نماذج الحصر والتوطين resserrement et» «cantonnement التي حققت بعض الاستقرار الظاهري النسبي المؤقت، ورغم ذلك فإنها لم تلق الإجماع والرضى من قبل كل الساسة والعسكريين الفرنسيين، بل أنّ بعضهم رأى فيها عاملا يزيد من الاحتقان ويُؤسس في الخفاء إلى المزيد من الانتفاضات والاحتجاجات. ويستند هؤلاء إلى جملة من العوائق والتناقضات، في طليعتها: أن سياسة الحصر تتناقض مع روح قانون **(المحافظة على سلامة العقار الريفي)** الصادر بتاريخ 16 جوان 1851، كما أنّ هذه الإستراتيجية الاستيطانية تُصعّب من مهمة المكاتب العربية التي

1- Mobacher, Alger, 22 Octobre 1862 in Vincent Monteil, op.cit, p, 596.
2 - Hippolyte Peut, op.cit, p, 165.

تضطلع بإدارة شؤون الأهالي في المناطق الريفية، وتزرع بذور التمرد والثورة في أوساط هذه الشريحة [1].

وهذا ما ذهب إليه «Lapasset»[2] في رسالة موجهة إلى «Urbain»[3] تذكره بأن حالة من الغضب ترتسم في الأفق ضد فئة المستوطنين، وأنهم سيدفعون الثمن غاليا يوما ما بسبب سياسة الاستيطان غير المتوازنة والظالمة [4].

وفي موقع آخر، وبعد زيارته إلى منطقة مستغانم عام 1864، ذكر نفس الشخص« Lapasset » منتقدا طريقة توزيع الأراضي الزراعية بها قائلا: " **للسماح بالعيش البسيط لهؤلاء السكان البؤساء الهائمين في كل اتجاه بسبب سياسة الاستيطان، تنازلت لهم السلطات المعنية (سلطات مسح الأراضي) عن مساحة أقل من 3024 هكتار من الأراضي الصالحة للزراعة و3170 هكتار من أراضي الرعي، أي بمعدل 07 هكتارات ونصف من الأرض الزراعية ومساحة تزيد بقليل عن 07 هكتارات من المراعي، أي ما مجموعه 15 هكتار للعائلة الواحدة، وهي مساحة غير كافية حسب رأي أحد المعمرين**" [5].

1- Djillali Sari, op.cit, p, 28.

2- **Lapasset**: جنرال فرنسي خريج أكاديمية «Saint Cyre» رئيس المكتب العربي لإقليم "**تنس**" سنة 1845، ثم منطقة الشلف، يتكلم اللغة العربية وكان له تأثير واضح على الإمبراطور نابليون الثالث.

3- **Ismail Urbain**: عمل مستشار للحكومة الفرنسية، ينتمي لمجموعة (سان سيمونيين) ويعتبر من أكبر الساسة الفرنسيين المهتمين بشؤون الجزائر، أنظر:

- Vincent Monteil, op.cit, p 580

4- Djillali Sari, op.cit, p, 28.

5 - Ibid, p, 27.

وكان الإمبراطور «Napoléon III» نفسه، قد انتقد سياسة الاستيطان قائلا: " **لقد انتزعنا من العرب أكثر الأراضي خصوبة وأجبرناهم على إعادة كراء ما قمنا بمصادرته منهم ...**" [1] .

هذه التناقضات وغيرها، جعلت نفس الإمبراطور يقتنع بضرورة إيجاد نوع من التوازن بين الجانب الديمغرافي ومثيله الاقتصادي في الوسط الريفي، وكنتيجة لذلك أقدمت سلطات الاحتلال على سن قانون عُرف بقانون «Senatus Consult» سنة 1863، والهدف الأساسي كان يومها تأكيد أحقية سكان الريف الجزائريين على الأراضي التي بحوزتهم [2]. **ولكن هل فعلا ضَمن لهم هذا القانون ذلك على أرض الواقع؟**

في الحقيقة المُدقّق في مضمون هذا القانون، يلاحظ العديد من التناقضات في بنوده ويتجلى ذلك فيما يأتي:

أولا: أن هذا القانون يشترط على القبيلة إثبات حيازتها الدائمة والتقليدية للأراضي التي تستغلها بوثائق تؤكد ذلك.

ثانيا: أنه يُقِر بضرورة تحديد المجال الإقليمي لـ "**الدواوير**" التي تتشكل منها كل قبيلة.

ثالثا: أنه يُقِر بضرورة توزيع وتصنيف الأراضي حسب 04 أنماط (أراضي الملك الأراضي الجماعية، أراضي الدومين، أراضي البلدية).

فعلا، كانت عمليات مصادرة الأراضي وتوسيع مجال الاستيطان وراء عودة التمرد في مناطق عدة في الجزائر (الأوراس عام 1859– الحضنة عام 1860– أولاد سيدي الشيخ عام 1864)، أنظر:

- Ch.R.Ageron, op.cit, pp,29-30.

1– Ahmed Henni, op.cit, p, 26.

2- Djillali Sari, op.cit, pp, 28-29.

رابعا: أن الأهالي لا يحق لهم الطعن في كل العقود والاقتطاعات والتسويات التي تمت فيما سبق، وأنّ تلك الإجراءات تبقى مُؤكدة وسارية المفعول بما في ذلك الأراضي الواقعة ضمن الإقليم الغابي الخاضعة لقانون 16 جوان 1851 [1].

خامسا: أن القانون المدني الفرنسي يضع كل الأملاك الشاغرة تحت تصرف الدولة وعليه فمصلحة أملاك الدولة- بعد صدور هذا القانون- لم تُصبح مُلزمة بإثبات ملكية الدولة للأراضي، بل على الأهالي فعل ذلك إذا كانت لهم مطالب عقارية[2].

لهذه الأسباب لا يمكن اعتبار هذا القانون مناسبا لتطلعات ساكنة الريف الجزائريين، بل هو أسلوب مُقنّع من أساليب مصادرة الأراضي، فاللجان التي تكفلت بمسح وتحديد الأراضي كانت تُصنِّف كل المساحات التي يعجز أصحابها على إثبات ملكيتها كأراضي" **عرش**" (جماعية)، كما كانت تجوب الأقاليم وتقتطع أجود الأراضي لتضعها في خدمة المستوطنين الأوروبيين[3]. والأكثر من ذلك كانت كل عمليات المسح مسبوقة بدراسة معمقة لنشاطات القبيلة (ماضيها، موقفها من الاستيطان، مصادر رزقها، كيفية مراقبتها وإخضاعها) وصولا في النهاية إلى تفكيكها إلى وحدات أصغر "**دواوير**" تحمل مسميات لا تمت بأية صلة لموروثها التاريخي[4]. لقد كانت حصيلة تطبيق هذا القانون صادمة لعالم الريف الجزائري، فقد مست 372 قبيلة وسمحت بمسح 6883729 هكتار، كانت إلى وقت قريب مُلكا مشاعا لهذه القبائل وكنتيجة

1- Loc.cit.
2- Ahmed Henni, op.cit, p, 31.
3 - Loc.cit.
4 - Djillali Sari, op.cit, p, 30.

لذلك استفادت سلطات الاحتلال من وراء هذه العملية بمساحة قدرت ب 1003072 هكتار، وتم توزيع الباقي على النحو الآتي:

-جدول يخص توزيع الأراضي بموجب قانون « Senatus Consult »[1].

- أملاك تابعة للدولة: 1003072 هكتار.
- أملاك تابعة للدومين: 180643 هكتار.
- أملاك تابعة للبلديات: 1336492 هكتار.
- أراضي عرش: 1523013 هكتار.
- أراضي ملكية خاصة: 2840519 هكتار.

ثالثا/ الاستيطان في عهد الجمهورية الثالثة

رغم هذه النتائج الإيجابية على حركة الاستيطان، فإن قانون « Senatus.Consulte » لم يضع حدا لجشع المعمرين، كما لم يضع حدا للجدل القائم حول مسألة الاستيطان ونظام ملكية الأراضي في الجزائر. لذلك استمر المتحمسون لنهب المزيد من الأراضي في استهداف القبيلة والملكية الجماعية، مُدّعين بأنها تُشكل أكبر العوائق أمام ازدهار الزراعة وتطور عالم الريف الجزائري، متحججين بالوقائع والأحكام التي لخصها « Cauquil » فيما يأتي:

1- أن القبائل ورغم عمليات التقليص التي مست أراضيها، مازالت تستحوذ على مساحات شاسعة، وليس بمقدورها استغلال هذه المساحات بالطرق الحديثة وهذا لن يخدم الاقتصاد الزراعي في المنظور المتوسط والبعيد.

2- أن بنية المجتمع الأهلي (القبيلة) التي تسعى السلطات الفرنسية إلى الرقي بها إلى مصاف المجتمعات المتحضرة ستبقى على حالها، طالما بقيت الملكية

1- Ahmed Henni, op.cit, p, 32.

الجماعية سائدة وطالما استمرت هيمنة القبيلة على الفرد وعلى مختلف نواحي الحياة في هذا المجتمع.

3- أن الانتفاع من الملكية الجماعية الممنوح حصريا للقبائل يشكل عائقا أمام تبادل وانتقال الأراضي بين الأهالي والأوروبيين، وهو الهدف الذي تسعى السلطة الفرنسية على تشجيعه.

4- أن هذا الانتفاع الجماعي يدخل في خانة المشاعيات، وهذا النمط من التسيير القديم يقتل روح المبادرة الفردية ويعيق العمل الجاد ويشجع على الكسل.

5- أن بقاء القبيلة على ما هي عليه حاليا بتركيبتها وعاداتها وتنظيماتها سيبقي على كل الأخطار المتأتية منها[1].

6-أن توطين القبائل وتشجيع الملكية الفردية، سيعود في النهاية بالنفع العام على الجميع فيؤدي إلى تعمير البلد وجلب رؤوس الأموال الأوروبية واستصلاح المزيد من الأراضي وزيادة الإنتاج وتحديث سوسيولوجية القبيلة والاستغلال الجيد للأرض وثرواتها[2].

وتحت تأثير هذه الدعاية وضغوطات لوبي المعمرين لم تجد سلطات الجمهورية الثالثة بدا من مواصلة سياسة سابقيها في مجال الاستيطان واستهداف القبائل، فاعتمدت الاستيطان الرسمي كأحد الركائز الكبرى إلى

1- بخصوص ضرورة تفكيك القبيلة، ذكر (Cauquil): بأنّ

"القبيلة بالنسبة للفرد العربي هي الوطن، هي المأوى، هي العائلة، هي نمط عمل وهي التوجه الفكري. وإذا كانت القبائل مصدرا للريبة والخوف وأنها تحمل دائما بذور الثورة، فذلك لأنها بالصورة السابقة. فثورات العرب تأتي إشارتها دائما من فوق بسبب خضوعهم التام لسلطة زعيم القبيلة وبسبب المصلحة المشتركة بين أفرادها "، أنظر:

- Cauquil, op.cit, p, 58.

2 - Hippolyte Peut, op.cit, pp, 150-151.

جانب الاستيطان الحر. وهكذا سنت قانونا يحمل اسم صاحبه " **Warnier** " عام 1873، الذي استهدف الملكية الجماعية، وسمح بالبيع والشراء في الأراضي التي تخضع لصفة الشيوع. وكان من نتيجته أن انتقل ما يقارب مليون هكتار من الأراضي لصالح حركة الاستيطان في الفترة الممتدة ما بين 1871 و1898[1]. لكن العملية البارزة في هذا الشأن وفي هذا العهد، هي تلك التي ارتبطت بقانون 1887 الذي أعادت بموجبه السلطات الفرنسية ما يُسمى" **حقوق الدولة في الأراضي**" والذي مسّ 244 قبيلة، ظلت إلى غاية 1887 في منأى عن تبعات قانون «Senatus Consult» السابق. وتحصلت بموجب هذا الحق" **مصالح أملاك الدولة**" على 957000 هكتار بدون احتساب الأراضي التي أُسندت للمصالح البلدية، وبحلول عام 1930، تاريخ الذكرى المائوية للاحتلال، أصبح بحوزة المعمرين الأوروبيين 2350000 هكتار، من أجود الأراضي المتوفرة في الجزائر[2].

خاتمة

كانت هذه حوصلة لسياسة الاستيطان التي نفذتها السلطات الفرنسية في الجزائر، منذ الأيام الأولى الاحتلال مرورا بفترة الحكم العسكري ثم الحكم المدني، وتعتبر المرحلة الثانية – فترة الجمهورية الثالثة بالأخص – من أحلك الفترات في مجال الاستيطان ونزع الأراضي من مالكيها الأصليين وتوزيعها على المستوطنين القادمين من مختلف مشارب الأرض، وذلك بسبب القوانين العقارية الجائرة وبسبب عمليات المصادرة التي مست أراضي القبائل الجزائرية في هذه الفترة.

1- Ch.R.Ageron, op.cit, pp, 48-51.
2- Loc.cit.

الملحق رقم01: جدول يمثل تطور الاستيطان الرسمي في الجزائر:

الفترة الزمنية	تطور عدد القرى	المساحة المحولة (هـ)
1850-1841	126	115000
1860-1851	85	250000
1870-1861	21	116000
1880-1871	264	401099
1890-1881	107	176000
1900-1891	103	120097
1920-1901	199	200000
1933-1921	67	270481
المجموع:	972	1648677

المصدر :Ahmed Henni p.34

- **الملحق رقم 02:** جدول يمثل تطور المستوطنين الأوروبيين في الجزائر:

الفترة الزمنية	تطور السكان	الفترة الزمنية	تطور السكان
1833	7812	1911	752043
1851	131283	1931	881584
1872	245117	1954	984031
1891	530924	----	----

المصدر :Ahmed Henni p.82

- المصادر والمراجع:

- الجرائد والمجلات:

- Le Moniteur Algérien, 20 février 1857.
- Mobacher, 22 octobre 1862.
- Esprit n° 300, Novembre 1961.

- المصادر:

- دو طوكفيل ألكسي، **نصوص عن الجزائر**، ترجمة إبراهيم صحراوي، ديوان المطبوعات الجامعية، 2008.

- Cauquil, études économiques sur l'Algérie, Editions Nabu presse, 2011.
- Enfantin, colonisation de l'Algérie, Editions Bertrand, 1843.
- Peu Hippolyte, anales de la colonisation algérienne, Editions librairie internationale universelle, Paris, 1857.

- المراجع:

- Ageron Charles Robert, histoire de l'Algérie contemporaine, Editions, Presse Universitaires, Paris, 1964.
- Bancel Nicolas et autres, la colonisation française, Editions Millan, 2007
- Bourdieu Pierre et Abdelmalek Sayad, le déracinement et la crise de l'agriculture, Editions Minuit, 1964.
- Collot Claude, les institutions de l'Algérie durant la période coloniale, Editions OPU, 1987.
- Cornaton Michel, les camps de regroupement de la guerre d'Algérie, Editions l'Harmattan, Paris, 1998.
- Henni Ahmed, la colonisation agraire et le sous-développement en Algérie, Editions ENAG, Alger, 2009.
- le Cour grand Maison Olivier De, coloniser exterminer, Editions Casbah, Alger, 2005.
- Sari Djillali, la déposition des fellahs, 2ème Editions, ENAG, Alger, 2010.
- Tersen Emil, Histoire de la colonisation, Editions presses universitaires, Paris, 1950

مقاومة أهالي بلاد حمزة للاستعمار الفرنسي 1830-1849م

The resistance of Blad Hamza's inhabitants to French colonialism 1830-1849 AD

د/ حسين محمد الشريف
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

مقدمة

في الوقت الذي كادت تفقد فيه بلاد حمزة أهميتها كمنطقة عبور ومحطة انتقال بين الجهات الشرقية والغربية والجنوبية وانفتاحها على سهول حمزة وعريب... وسفوح جبال جرجرة الجنوبية، كانت الكثير من المصادر التاريخية لا تشير إليها إلا كقرية حمزة، غير أن هذه البلاد المترامية الأطراف استعادت أهميتها الإستراتيجية والتاريخية والاقتصادية بفضل برجها "**برج حمزة التركي**" أو حصن حمزة إبان الفترة العثمانية التي عرفت بوطن حمزة والذي كان يضم العديد من القبائل من سفوح جبال جرجرة كبني مدور ومركالة، وأولاد لعزيز، وبني يعلى، وقبائل سهل حمزة الفسيح منها قبائل عريب ومتنان وبني سليمان دون أن ننسى أولاد بليل المقيمين أطراف عاصمة هذه البلاد "**حمزة**" وبرجها الذي جعل منها محطة تواصل بين مختلف أرجاء البلاد الجزائرية كما جعلها منطقة صراع حامي الوطيس إبان مقاومة الاستعمار بين الأمير عبد القادر والقوات الفرنسية بعد نقضها لمعاهدة التافنة عام 1839م ومحاولاتها الاستيلاء عليها بعد قضائها على مقاومة أحمد باي عام 1837م وقد تمّ لهم ذلك في أكتوبر 1839م. **ولكن كيف كانت مقاومة أهالي بلاد حمزة لهذا الاحتلال؟**

وهذا ما سنتطرق له في هذه المداخلة المتواضعة.

أولا/ بلاد حمزة قبيل الاحتلال الفرنسي

كانت السلطة العثمانية تسيطر على بلاد حمزة كغيرها من البلاد الجزائرية بواسطة الأبراج العسكرية التي تمّ إنشاؤها كبرج حمزة وبرج سور الغزلان... وكذلك عن طريق قبائل المخزن الموالية لها عن طريق الدعم كقبائل عريب وبني سليمان في بلاد حمزة، مما جعل هذه القبائل المخزنية تستبد في حكمها على القبائل الأخرى المجاورة لها، الأمر الذي دفعها إلى معاداتها والتمرّد عليها[1].

وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر يوم 5 يوليو 1830م شهدت بلاد حمزة اتحادا بين قبائل عريب وبني سليمان ودخلوا في صراع حامي الوطيس مع القبائل المجاورة لهم خاصة أولاد إدريس وبني جعد، وعملوا على مساعدة الحامية العثمانية ببلاد حمزة ومساندة الحاج أحمد باي قسنطينة إلى غاية سقوط هذه الأخيرة بيد الفرنسيين عام 1837م[2]. ثم عرفت بلاد حمزة بعد ذلك تشتت القوات العثمانية المرابطة بالبرج وتفرق قبائل المخزن الممونة والداعمة لها أمام زحف قبيلة أولاد ماضي بزعامة شيخها أبي ذياب أحمد المتلهفة للاستيلاء على مراعي حمزة[3] الفسيحة. هذه الوضعية التي كانت تتخبط فيها

1- G. Bourjades, notes chronologiques pour servir à l'histoire de l'occupation française dans la region d'Aumale 1845-1887, Adolphe Jordan, Alger, 1891, p 81. (Marge).

2- Ibid, p 82.

3- ناصر الدين سعيدوني، من سوق حمزة إلى برج حمزة إلى البويرة "**محطات في التطور التاريخي للبويرة**" (المادة المقدمة في هذه المساهمة (المؤتمر الدولي الأول لتاريخ وآثار بلاد حمزة. 15، 16، 17 شعبان 1439هـ/1، 2، 3 مايو 2018م) جزء في مادتي "سوق حمزة، برج حمزة، البويرة" والشبكة الدفاعية العثمانية حول بلاد القبائل" ضمن مشروع مدونة المدن والبلدان والأماكن

بلاد حمزة جعلت الفرنسيين يسعون إلى توسيع مناطق نفوذهم إلى مناطق أخرى من البلاد الجزائرية ومنها بلاد حمزة وبرجها لأنها تشكل منطقة إستراتيجية مهمة تربط بين إقليم الوسط والإقليم الشرقي[1]، ومن يسيطر على برجها يستطيع أن يتحكم في مقاطعة جرجرة، سيباو ووادي الساحل.

وبعد مجيء الأمير عبد القادر إلى المنطقة بعد عقده لمعاهدة التافنة عام 1836م مع الفرنسيين حالت دون تحقيق هذه الرغبة كون أن بلاد حمزة هي من أراضي ممتلكات دولة الأمير عبد القادر، عمل الأمير بها على الإصلاح بين القبائل المتصارعة ووجهها نحو العدو الغازي بالجهاد في سبيل الله وتحرير الوطن من الكافرين[2] تم مدّ نفوذه نحو بلاد القبائل والتي كانت حمزة جزءا منها. وقد اتخذ من برجها معسكرا وقاعدة له[3] كذلك مقاطعة جرجرة وسيباو ووادي الساحل يمثله فيها خليفته الحاج علي بن سيدي السعدي منذ سنة 1835م، وهي السنة التي انضمت فيها بلاد زواوة إلى المقاومة المنظمة تحت لواء الأمير عبد القادر. وفي الاجتماع الذي عقد في حمزة عام 1838م[4] تمّ تغيير خليفة الأمير الحاج علي بن سيدي السعدي على بلاد حمزة والقبائل

والمواقع والأقاليم الجزائرية التي يشرف عليها. ناصر الدين سعيدوني (أنظر **بلاد حمزة تاريخ وحضارة**، مطبعة عالية برستيج، البليدة، الجزائر، 2020م، ص 91).

1- المرجع نفسه.

2- G. Bourjades, ibid, p 82.

3- يرى ناصر الدين سعيدوني بأن الأمير عبد القادر تعرف على برج حمزة عام 1837م إثر مهاجمته لكراغلة وادي الزيتون المتمردين على سلطته وأثناء جولاته الاستطلاعية ببلاد القبائل بعد تنظيم المقاومة. (أنظر ناصر الدين سعيدوني) (المرجع السابق).

4- عرفت هذه السنة (1838) زيارة الدكتور شاو لإقامة الأمير عبد القادر ببرج حمزة وادعى بأن هذا البرج بُني من حجارة أوزيا "**سور الغزلان**"!!! (وهذا ما يبّين مدى حقده الصليبي وكرهه للمسلمين). أنظر مجلة العالمين "revue des deux mondes"، عدد 15 أوت 1838م.

بالسيد أحمد الطيب بن سالم يساعده بلقاسم أوقاسي في عمراوة والحاج محمد بن زعموم ممثلا عن عرش إفليسن أومليل، ثم سي الجودي ممثلا عن أعراش إقاواون "**زواوة**" بجرجرة.[1]

قام الأمير عبد القادر رفقة خليفته أحمد الطيب بن سالم عام 1839م بجولة استطلاعية في بلاد القبائل زار خلالها حمزة "**البويرة حاليا**"، بوغني، زاوية سيدي علي أوموسى بالمعاتقة، عمراوة كما سبق له وأن زار حمام كسانة بالجنوب الشرقي لمدينة حمزة يوم 19 ديسمبر 1837م. وقد حظي باستقبال حار من طرف السكان، خلافا ما روجه الجنرالان "**أوجان دوماس**" و"**جوزيف نيل**" في كتاباتهما التاريخية الكولونيالية. ثم عاد لزيارة هذه المدن والمناطق مرة أخرى ما بين 1845م و1846م قصد التنسيق والتنظيم مع خليفته أحمد الطيب بن سالم[2].

1- بيرم كمال، **مدينة سور الغزلان في الكتابات الفرنسية "بلاد حمزة تاريخ وحضارة"**، مطبعة عالية برستيج، البليدة، الجزائر، 2020م، ص 213.

2- عندما زار الأمير عبد القادر حمام كسانة إلتقى بأحمد الطيب بن سالم الذي أعجب به الأمير وبفطانته وذكائه وسمو أخلاقه عيّنه فيما بعد بناء على توصية المجاهد بن زعمون في منصب خليفة الأمير في منطقة القبائل. (أنظر في ذلك محمد الصالح بجاوي، **ولاية البويرة**، ملتقى الحضارات منذ 1510م، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، مصر، 2019م، ص 131. أنظر كذلك مصطفى الأشرف، **الجزائر، الأمة والمجتمع**، ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص 92).

بينما يشير الباحث أحمد قصوري نقلا عن ما قاله العقيدان العسكريان الفرنسيان "**نيل جوزيف روبان وبوجارد**" أن تنافسا كبيرا كان بين محمد بوعود وأحمد الطيب بن سالم حول زعامة المقاومة في المنطقة، وهو ما دفع محمد بوعود إلى مغادرة المنطقة والاتجاه إلى مناطق أخرى في بلاد القبائل، ومنها إلى شرق الجزائر لتحريك المقاومة هناك. (أنظر أحمد قصوري، مقاومة أحمد بوعود

ثانيا/ مقاومة أهالي حمزة للاستعمار الفرنسي

لقد كانت بلاد حمزة في فترة معاهدة التافنة محلّ نزاع بين فرنسا والأمير عبد القادر لاختلافهما في تفسير بنود هذه المعاهدة[1] التي تقول إن حدود دولة الأمير تمتد إلى ما وراء وادي قدارة إلى قدام، أي كل الأراضي الموجودة وراء وادي قدارة بما فيها بلاد حمزة. هذا كان في النص الموجود عند الأمير، أما في النص الموجود عند الفرنسيين موجود au-delà، فسرت إلى الضفة الشرقية أي الوادي فقط. وهنا أراد الماريشا فالي Valey أن يختبر الأمير عن طريق العمل ميدانيا ويفسر المعاهدة لصالحه حتى يلغيها بعد أن دامت عامين "1837-1839م"[2] بعد أن قضى على مقاومة أحمد باي عام 1837م، حيث انطلق بجيشه من قسنطينة برا، وعندما وصل إلى مضائق أبواب الحديد "**البيبان**" لاختبار الأمير فإذا سكت فيكون الفرنسيون قد حققوا بذلك هدفا، أما إذا حارب يحرجونه ويدفعونه إلى نقض معاهدة التافنة.

وعندما وصل الجيش الفرنسي حدود بلاد حمزة "**البيبان**" أسرع خليفة الأمير أحمد الطيب بن سالم بإخبار الأمير بما حدث فجاءته الأوامر والدعم بأن يحاربهم لإثبات الحق الشرعي، فحارب خليفة الأمير بكل بسالة لمدة

في منطقة البويرة، "صفحة منسية في تاريخ المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر خلال القرن 19م"، بحث خاص كتبه الباحث، 9 ماي 2018م، ص 02. وانظر كذلك:
Ahmed Kessouri, **Un oublié de l'histoire de Kabylie**, « 2éme partie et fin», la dépêche de Kabylie, Algérie, 16 août 2017, p 04.

1- للاطلاع عن ذلك أنظر (يحيى بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، الجزء الأول، الطبعة الثانية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1416هـ/1996م، ص 41، 42، 43).

2- أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، المقاومة الشعبية، المرحلة 2، مرحلة 1837-1847م، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1989-1990م.

أسبوعين، غير أن الفرنسيين استطاعوا الانتصار عليه[1] والاستيلاء على عاصمة بلاد حمزة وبرجها نهاية أكتوبر 1839م[2] حيث أقام "**فالي – Valey**" ببرجها فترة ثم شدّ رحاله إلى مدينة الجزائر.

بعد الاجتماع الذي عقده الأمير عبد القادر نهاية نوفمبر 1839م مع أعضاء مجلس الشورى بعد نقض الفرنسيين لمعاهدة التافنة، أجمع المجلس وجميع الأهالي على مواصلة الجهاد. قام أحمد الطيب بن سالم الدبيسي بجمع عناصر جيشه المكون من قبائل: أولاد لعزيز، بني يعلى، قشطولة، بني جعد وفليسة، وشنّ هجوما واسعا على إقليم متيجة الذي وصله عن طريق بوزقزة، حيث خرّب جميع المراكز الفرنسية بها وقتل كل من اعترض طريقه من الأوروبيين، ناهيك عن هجومه لمزارع الكولون بها.[3] وقد ألحق خسائر فادحة في العتاد والأرواح، فردّ عليه الجنرال بيجو بتدمير الأرياف والقرى وإحراق المحاصيل الزراعية وقطع الأشجار المثمرة وسلب أراضي كل قرية وقعت تحت هيمنته[4].

1- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق.

2- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 92.

وبعد ذلك اتخذ الفرنسيون برج حمزة عام 1843م مركزا عسكريا بين وادي يسر والساحل وفي عام 1847م قاموا بترميمه ليتخذوه مسكنا لعميلهم الآغابوزيد ثم حولوه ما بين 1849م و1852م إلى مقر للإدارة الفرنسية التي عرفت بالمكتب العربي، وبذلك تحولت حمزة إلى قاعدة عسكرية فرنسية ومركز مراقبة لكل بلاد حمزة وجبالها مما شجع مجيء موجة من المهاجرين الأوروبيين للاستيطان فيها، وتحويل عاصمتها إلى مستوطنة، ومنذ ذلك الوقت عرف برج حمزة بالبويرة وتناسى الناس اسمه القديم "**برج حمزة**".

3- محمد الصالح البجاوي، المرجع السابق، ص 143.

4- المرجع نفسه.

ثالثا/ مقاومة الشريف بوعود أو محمد الهاشمي أو محمد بوعود 1845م

1- معركة ديـرة سبتمبر 1845م

في سبتمبر 1845م التحق المجاهد محمد بوعود برفقائه في السلاح بديرة ببلاد حمزة الذين كان يجاهد معهم في إقليم متيجة تحت قيادة الأمير عبد القادر وهم: محمد بوشارب، آغا منطقة ديرة ومحمد بن قويدر من أعيان قبيلة العذاورة وقد مدّوا له يد المساعدة وشدّوا أزره، وشكل جيشا من المجاهدين وأقام له معسكرا في أولاد سيدي سلام.[1] غير أن السلطات الفرنسية تنبهت لذلك عن طريق عيونها وجواسيسها مما دفع الجنرال "**ماراي- Marey**" بالمدية إلى إرسال فرقة من الصبايحية عددها 125 فردا على رأسهم الآغا بن يحيى بن عيسى والقايد أحمد ولد الباي بومزراق للتصدي لمقاومة محمد بوعود الذي علم بذلك حيث قام بنقل معسكره من عين حازم إلى مركز القوات الفرنسية في "**قلتة الروس**" في منطقة الجواب لقطع الطريق عليهم. ثم هاجمهم عند المكان المسمى "**أهل الوسط**"، بعدها لاحق المجاهدون الفارين من الجنود الفرنسيين إلى قرية "**لونايسية**"، حيث قاتلهم اللّيلة بكاملها.[2] ويشير الباحث نقلا عن ما كتبه العقيد الفرنسي "**تيل روبان**" بأن العملية العسكرية أسفرت عن مقتل "12" اثني عشر فردا من الفرنسيين بينما لم تسفر عن أي خسائر تذكر في صفوف المجاهدين، وهذا ما دفع بالجنرال "**ماراي- Marey**" من المدية إلى التحرك على رأس جيش قوامه 2400 من المشاة و250 خيالة ومدفعين وقوات "**القوم**"

1- أحمد قصوري، المرجع السابق، ص 03. وانظر كذلك ما قاله: يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص ص 96، 97. بناء على ما أشار إليه:

Paul AZAN, **l'Emir Abdel Kader 1808-1883**, (Paris, 1925), p 217.

2- أحمد قصوري، المرجع السابق.

المرابطة في المناطق المجاورة لاقتفاء آثار المجاهد بوعود والقضاء على مقاومته[1].

وأمام هذا الوضع توجه المجاهد محمد بوعود نحو منطقة أولاد لعزيز بعد أن سبق له وأن كسب الكثير من الأتباع والمناصرين لجهاده من ونوغة، ديرة، أولاد إدريس، عريب[2] وأولاد لعزيز، كما التحق به مجاهدون آخرون من أعراش أولاد لعزيز، بني مدور، بني يعلى وبني جعد، شكل منهم جيشا من المجاهدين اتخذ من قمة الجبل الممتد من تيزي أوجعبوب إلى تاشاشيث أوناظور في الجبل الفاصل بين أولاد لعزيز وقشطولة مركزا له[3].

2- معركة أولاد لعزيز 12 نوفمبر 1845م

قامت بين القوات الفرنسية الوافدة من المدية بقيادة الجنرال "ماراي- Marey" المتحالفة مع القوات القادمة من سطيف يقودها الجنرال داربونفيل، وقد تحالفت القوتان تحت قيادة الجنرالين وبذلك أصبح عدد جنودها أكثر من 3000 جندي ومائة ضابط و1200 فارس[4]. وقوات المجاهدين بزعامة محمد بوعود بمساعدة مولاي إبراهيم ومحمد بوشارب[5] في بداية المعركة كانت السيطرة

1- أحمد قصوري، المرجع السابق.

2- يقول: "**بورجاد** – Bourjades" (**...عندما بدأت مقاومة الأمير عبد القادر تتأرجح نتيجة حرب الإبادة التي كانت تشنها القوات الفرنسية على جيشه وأتباعه من القبائل أوقفت قبائل عريب دعمها للأمير وتخلت عن محاربتها للفرنسيين عام 1844م**). أنظر:
Voir : G. Bourjades, op.cit, p 82. (Marge).

3- أحمد قصوري، المرجع السابق، ص 04.

4- أحمد قصوري، **مقاومة أحمد بوعود...**، المرجع السابق، ص 04.

5- نفسه. (يقول: الباحث أحمد قصوري في نفس المرجع: "...**لابد من تصحيح الخطأ الوارد الذي كتبته عن مقاومة آيت لعزيز والمنشور باللّغة الفرنسية في جريدة لاديبيش دوكابيلي " la Dépêche de Kabylie**" بتاريخ 2018/05/28م. حيث نسبت فيه هذه المعركة خطأ لأحمد بن سالم).

للمجاهدين، إلا أن التفوق الفرنسي عددا وعدّة جعل قوات المجاهدين وأنصارهم تتراجع إلى ما وراء الجبل عند قبيلة قشطولة (بني سماعيل، بني كوفي، بني بوغردان،...) للاحتماء عندها.[1] وعندما رأى قادة الجيش الفرنسي أن متابعة المجاهدين ما وراء الجبل يعتبر مغامرة خطيرة مجهولة النتائج، جعلهم ينسحبون من المنطقة[2] لإدراكهم صعوبة تلك المرتفعات التي تقاتل مع أبنائها كما يقال.

3- معركة بني جعد 22 نوفمبر 1845م

قادها خليفة الأمير أحمد الطيب بن سالم في منقطة بني جعد، شارك فيها المجاهد محمد بوعود حيث شنّ المجاهدون هجوما على القوات الفرنسية بقيادة الجنرال داربونفيل المتمركزة في برج بلخروب ببني جعد للاستراحة بعد معركة أولاد لعزيز. وقد ألحقوا خسائر كبيرة بالجيش الفرنسي الأمر الذي دفع بالجنرال بودو ببوغار في المدية إلى التحرك لنجدته ودعمه حيث وصل على رأس قواته إلى البويرة يوم 11-12-1845م وشنّ هجوما عنيفا في نفس اليوم على منطقة بني جعد حيث قتل عددا كبيرا من سكانها وحرق الكثير من قراهم ومصادرة أملاكهم وأموالهم ومؤونتهم[3].

4- انتفاضة الشيخ بن قويدر

هو أحد أتباع الأمير عبد القادر انتفض بمنطقة سور الغزلان على الجيش الفرنسي من سنة 1845م وإلى غاية سنة 1846م وقد شملت جبال ونوغة

1- نفسه. (يشير في هذا المضمار يحيى بوعزيز إلى أنه بعد الهجوم الذي شنّه الفرنسيون عل قوات بوعود يومي 11 و12 نوفمبر 1845م والتجائه إلى جبال جرجرة، اتصل بخليفة الأمير عبد القادر هناك "**أحمد الطيب بن سالم**". يحيى بوعزيز، **ثورات الجزائر**، المرجع السابق، ص 97.

2- للاطلاع أكثر عن سير هذه المعركة ونتائجها أنظر: أحمد قصوري، المرجع السابق.

3- أحمد قصوري، المرجع السابق.

والعذاورة الشراقة وأولاد عيسى إلا أن تفوق القوات الفرنسية بقيادة الجنرال "**سيلاق**" القادمة من سطيف والجنرال "**دوق دومال**" أخمدت الانتفاضة وأرغمت الشيخ بن قويدر على الاستسلام وقبوله بمنصب قايد على عرش الكسانة بعد استسلامهم عام 1847م، وقايد القياد على عرش العذاورة الشراقة إلى غاية وفاته، وعوض بالقايد العمري بن يوسف. والجدير بالذكر أن الشيخ بن قويدر رغم عمله تحت سلطة الفرنسيين إلا أنه كان يجري اتصالات سرّية مع الأمير عبد القادر خدمة لهذا الأخير الذي جاهد تحت إمرته مدة طويلة ضد فرنسا.

5- انتفاضة فاطمة بنت سيدي تواتي 1847م

تشير الكثير من الروايات الشفوية والذاكرة المحلية إلى المرأة "فاطمة بنت سيدي تواتي وما قامت به ضد السلطات الاستعمارية غير أن المؤرخ الفرنسي "**إدمون دوتي- Edmond Douté**" يقول عن قصتها دارت عام 1847م في دائرة أومال "**سور الغزلان**" حيث يقول التقرير الرسمي: "**أن امرأة من أولاد سيدي إبراهيم تسمى فاطمة بنت سيدي تواتي بعد قتل زوجها الذي تدعي بأنه قتل بقذيفة مدفع انطلقت من السماء تدعي أنها مرابطة ملهمة. ثم يشير إلى أن هذه المرأة الشابة كانت تتمتع بجمال ملحوظ، يتبعها فريق من الرجال الشباب طالعي البهية مدعمين أحسن تدعيم. والظاهر من ذلك أنها كانت تمارس نفوذها على ملك كبير**[1]**... المرابطة كانت تتجول وتتفسح دون هدف محدود تتلقى تبرعات الأوفياء والمريدن حيث كانت تقوم ببعض التبركات لا**

1- G. Bourjades, **Notes chronologiques pour servir à l'histoire de l'occupation française dans la région d'Aumale 1845-1887**, revue Africaine n°195.

معنى لها، ولكن فريقها ومجموعتها كانت تتزايد وتتكاثر كل يوم. هذا التجمع من الشباب التابع لها يستطيع أن يكون وسيلة عمل خطيرة"[1].

6- معركة الشرفة وبني منصور 3 أكتوبر 1849م

في الوقت الذي كان يظن فيه الكثير أن الشريف بوعود قد اختفت أخباره طيلة سنة 1848م إلا أنه ظهر في صيف 1849م بجبال جرجرة التي لم تكن محتلة بعد، حيث اتصل بسي الجودي الذي كان يمثل آنذاك شخصية معتبرة خارج النفوذ الفرنسي، وقد استقبله بقريته "**إيغيل بواماس**" في بني بودرار في شهر يوليو 1849م مقدما له حصانا وسيفا عربون اعتراف به، حيث عرف بعد ذلك بمحمد بن عبد الله "**بوعود**" وأحيانا "**بوعود**"[2]. وبعد أن وضع سي الجودي أبناءه تحت تصرفه، وشجع العديد من الشخصيات النافذة على مناصرته والانضمام إليه، عمل بوعود بمعيتهم على جمع المحاربين والمؤن والأسلحة من مختلف القرى والمداشر لمحاربة القوات الفرنسية وعملائها. انتقل بهم إلى سور الغزلان كبداية لمحاربة الفرنسيين وإخراجهم من الجزائر في نظره[3]. وقد زار لالة فاطمة نسومر في قرية ورجة للتنسيق معها وهذا نظرا لما تتميّز به من مكانة وسمعة[4].

في أوائل شهر سبتمبر 1849م اتخذ بوعود وأتباعه من ربى جبال جرجرة الشّم مركزا لهم، وقد أيده سكان بني مليكش في حين أن سكان مشدالة تردّدوا

1- Edmond Douté, **la Berberie Musulmane "les marabouts"**, Alger, Livres éditions, Alger, 2008, p 71.

2- يحيى بوعزيز، **ثورات الجزائر**، المرجع السابق، ص 98.

3- المرجع نفسه، ص 99.

4- Robin, **Histoire d'un chef de la Grande Kabylie**, revue Africaine 1870, (Alger 1870), p 350, 353.

في ذلك. وبعد ذلك ذهب إلى قرية تبحيرين القريبة من قرية سلوم إحدى قرى بني مليكش، ومن هناك دعا سكان بني منصور والشرفة للانضمام إلى صفوفه مهدّدا إياهم بحرق منازل زعمائهم مثل السعيد أولحاج من الشرفة، ومحمد الطيب، والحاج قاسي بن جبلال من بني منصور إذا رفضوا ذلك، غير أن سكان القريتين رفضوا طلبه واستنجدوا بالقوات الفرنسية المتمركزة في سور الغزلان بعد أن حصنوا القريتين حتى لا يستطيع اقتحامهما[1].

وعندما هاجم بوعود القريتين المدعمتين بالقوات الفرنسية بقيادة "**بوبريتر**"، تعرض لهزيمة استشهد خلالها تسعة من جنوده وجرح آخرون مما جعله يتراجع إلى بهاليل في بني مليكش لإعادة تنظيم قواته من جديد. أما بوبريتر فقد استغل هذا الانهزام للانتقام من السكان المؤيدين لبوعود[2].

7- نهاية المعركة واستشهاد بوعود

عمل الفرنسيون على تدعيم قواتهم بالمنطقة تحت إمرة الضابط بوبريتر، بجانب قرية الشرفة التي عزم على حمايتها هي وقرية بني منصور.[3]

وفي 3 أكتوبر 1849م قسم الشريف بوعود جيشه إلى قسمين: قسم كلّفه بمهاجمة الشرفة، أما الآخر فكلفه بمهاجمة بني منصور. وعندما قامت المعركة بين الفريقين، انتصر الفرنسيون على جيش بوعود لأسلحتهم البعيدة المدى، وذخيرتهم الكافية وعملائها الذين أفادوها بالكثير من المعلومات عن خطط المجاهدين[4] وقد حاول الشريف بوعود أن يصمد في المعركة بعد فرار الكثير

1- يحيى بوعزيز، **ثورات الجزائر**، المرجع السابق.

2- المرجع نفسه، ص ص 99، 100.

3- المرجع نفسه، ص 100.

4- المرجع نفسه، ص 100.

من أصحابه لهولها، حيث تقدم بصحبة أحمد بن الجودي وثلاثة وخمسين رجلا من بني مليكش، غير أن الفرنسيين سلطوا الضرب عليه فسقط فرسه ووقع هو على الأرض، فحاصره أربعة أشخاص من العملاء، بينهم محمد بن شنوف والفارس بلخير وأفرغوا فيه بنادقهم حتى استشهد بينما فرّ كل أتباعه. خسر الفرنسيون في هذه المعركة يوم 3 أكتوبر 1849م عددا من الجنود والعملاء بينهم سليمان بن عمر قائد أولاد فراج في ديرة العالية، وبلقاسم قائد ديرة الأعلى، والصبايحي محمد القسنطيني[1]. وبعد المعركة حمل المجاهدون جثة بوعود إلى زاوية سيدي محمد بن إدريس ودفنوها هناك[2].

8- مقاومة الأمجد بن عبد الملك المدعو بأبي بغلة 1851-1855م

من زعماء المقاومة الذين عرفتهم بلاد حمزة الأمجد بن عبد الملك المدعو بأبي بغلة، كان من جنود الأمير عبد القادر وعندما انتهت مقاومة هذا الأخير عام 1847م، دخل بلاد زواوة لأن هذه البلاد لم تكن محتلة. ظهر في سوق سور الغزلان عام 1849م[3]. حيث كان يمارس كتابة التمائم والتنجيم ويعالج المرضى، وقيل أنه كان يحترف صناعة تزوير النقود[4]. وعندما تنبهت له السلطات الفرنسية غادر المدينة والتجأ إلى قلعة بني عباس ومنها إلى بني مليكش، حيث استقبل استقبالا كزعيم ثائر[5].

1- يحيى بوعزيز، **ثورات الجزائر**، المرجع السابق، ص ص 100 و101.

2- المرجع نفسه، ص 101.

3- محمد سي يوسف، مقاومة منطقة القبائل للاستعمار الفرنسي "**ثورة بوبغلة**"، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة، تيزي وزو، الجزائر، 2000م، ص ص 33، 34.

4- Aucapitaine Henri, **les Kabyles et la colonisation de l'Algérie**, Paris, Challamel, 1864, p 144.

5- Randon Cézar-Alexandre, **(Maréchal), Mémoires**, Tome 01, Paris, imp, typographie, 1875, p 32.

دخل أبو بغلة المنطقة وبدأ يجمع الشمل من الناحية الروحية والمادية حتى عام 1851م. ثم شنّ الهجوم على المراكز الفرنسية في نواحي الصومام والشرفة وبجاية وهكذا هدّد فيها الوجود الفرنسي عدّة مرات بعد حصارها حصارا شديدا لعدّة أسابيع وكاد المجاهدون أن يستولوا عليها لولا المدفعية، وجلب السلطات الاستعمارية للإمدادات العسكرية عن طريق البحر. ومن بين القبائل التي ساندت المجاهدين، بني مليكش، والمعاتقة وبني بدرون والأربعاء ناث إراثن شاركت هذه القبائل في المقاومة. دامت ثورة الأمجد بن عبد الملك حتى عام 1854م.[1]

أما المعركة التي خاضها بوبغلة في وادي الساحل ضد حاكم بني منصور "**بوبريطر**" يوم 2 مارس 1851م فقد انتصر فيها على القوات الفرنسية مما جعل الحاكم الفرنسي بها يطلب النجدة من حاكم سور الغزلان لتدعيم قواته بمائتي فارس، وقد وصلها هذا الدعم يوم 6 مارس 1851م[2]. بعد ذلك نلاحظ أن أبا بغلة تركزت مقاومته في بلاد زواوة التي كادت ان تكون كل قرية فيها زاوية ومرابط أو أمين القرية أو الجماعة يصلح بين الناس. ينتخب من طرف الجماعة، وهو زعيم دنيوي ثم زعم روحي يدرس الناس أمور دينهم. بقيت ثورة هذا المجاهد بالمنطقة خلال سنوات بين الكرّ والفرّ إلى أن قُتل في يناير 1855م في إحدى المعارك بالقرب من بجاية ورفعت لواء الثورة من بعده لالة فاطمة نسومر من 1855م حتى 1857م.

ومما يجب الإشارة إليه في هذا المضمار أن من الزوايا التي تبنت المقاومة الشعبية من بدايتها حتى السبعينات هي الزاوية الرحمانية زعيمة الكثير

1- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق.

2- محمد سي يوسف، المرجع السابق، ص 88.

من الانتفاضات بقيادة زعمائها الروحيون أمثال "**الحاج عمر ولالة خديجة**"[1]. وأمام هذه المعارك العديدة والمقاومة التي قام بها سكان بلاد حمزة لجأ الفرنسيون إلى سياسة حرق المداشر والقتل... "**سياسة الأرض المحروقة**" على غرار ما فعلوه في جميع أنحاء البلاد الجزائرية، وهي طريقة أرعبوا بها السكان، ناهيك عن حرق الزوايا الجهادية التي تنتمي إليها هذه الأعراش المجاهدة والمقاومة "**الزواية الرحمانية**".

بعد هذا الانتصار الفرنسي في بلاد حمزة، واستحالة مواصلة المقاومة اضطر خليفة الأمير بها أن يوقف مقاومته في 27 فبراير 1847م بحوالي عشرة أشهر قبل انتهاء مقاومة الأمير.[2] والدخول في المفاوضات مع السلطات الفرنسية وتوقيع معاهدة الاستسلام ومغادرة الجزائر في 24 سبتمبر 1847م على رأس أول هجرة جماعية إلى المشرق العربي حدثت مباشرة بعد توقف المقاومة.[3] ومن الأسر المهاجرة من حمزة محمد الشريف[4]، الطيب، العارفي وزرقين...[5].

1- للاطلاع أكثر أنظر يحيى بوعزيز، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، الجزء الأول، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2013م، ص 208.

2- نادية طرشون، **هجرة أحمد الطيب بن سالم وجماعته إلى الشام عام 1874م**، أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال "1830-1962م" المنعقد بفندق الأوراسي يومي 30-31 أكتوبر 2006/ منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م، ص 86.

3- للاطلاع أكثر عن شروط استسلام أحمد الطيب بن سالم ومجريات هجرته وجماعته إلى الشام عام 1847م. أنظر: نادية طرشون، (المرجع نفسه)، ص86 وما بعدها.

4- مقتنيات خاصة بالهجرة من بلاد حمزة نحو المشرق العربي، وأنظر سجلات الشجرة العائلية رقم 591. أولاد داود، حيزر، بلدية البويرة.

5 -Matrice des arbres généalogiques, Bouira (Ouled Daoud), Ain Bessem (La Baraque).

أما المجاهد محمد بوعود فقد استشهد في المعركة المذكورة سابقا يوم 3 سبتمبر 1849م[1] وبذلك تتوقف مقاومة أهالي حمزة للاستعمار الفرنسي ليبدأ هذا الأخير في بناء مستوطناته بعد طرد الأهالي من أراضيهم وتمليك هذه الأراضي لشذاذ الآفاق من المستعمرين الأوروبيين عن طريق قوانين جائرة سميت "**إيصال الملكية**" وقرار 1844م وقانون 1851م ثم قانون 1853م. وفي عام 1860م عمل على إحلال الأوروبي محل العربي[2] وبذلك غزى الأوروبيون بلاد حمزة وحولوا عاصمتها إلى مستوطنة يحيط بها كم هائل من المزارع ناهيك عن مدنها الأخرى.

بدأ بعملية تغيير أسماء المدن مثل سور الغزلان التي أصبحت أومال، ومشدالة مايو... والسرعة في بناء المستوطنات "Aboutville" أبوتفيل (عين الحجر حاليا)، "Bertville" بيري فيل (عين بوذيب)، "Thiers" "**تيار**" (قادرية حاليا)، و"La Perrine" "**لابيرين**" (الجباحية حاليا)، "Palestro" "**باليسترو**" (الأخضرية حاليا) التي تبنت عام 1868م في المكان الذي لا زال يذكره أهالي المنطقة إلى يومنا هذا أنه كان يسمى "**زنّي**"، والتي مرّ بها الطريق الإمبراطوري (الوطني حاليا) رقم: 05 الواصل بين الجزائر العاصمة وقسنطينة[3]... ثم بدأ بمخطط التنصير الذي سموه بهتانا وزورا (التبشير) عن طريق جيش من الآباء

1- يحيى بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**...، (مرجع سابق)، ص 100.

2- Annie Rey Goldzeiger, le **royaume Arabe, la politique Algérienne de Napoleon III**, 1861-1870, SNED, Alger, 1977, p 74.

3- محمد الصالح بجاوي، (المرجع السابق)، ص ص 161، 162.

البيض والأخوات البيضوات، والمياتم، لقتل روح المقاومة وخلق روح تدعو إلى تقبل الاستعمار والرضى به والاستسلام له[1].

وكثرة الأطفال المتشردين والجفاف والقحط الذي ساد البلاد بعد ذلك... إلا أن أهالي المنطقة لم يناموا على ضيم بل واصلوا مقاومتهم وكأنهم يريدون أن يردوا على الفرنسيين ومؤرخيهم الاستعماريين بان فترة المقاومة الباسلة الممتدة من 1830 إلى 1846م التي قادها في رأيهم أمراء من العائلات الشريفة المرابطية كالأمير عبد القادر وخلفاؤه من عائلة بن سالم الإخوانية، أطلقوا عليها عهد الشرفاء "ére chorfa" قد انتهت بعد أن تميّزت في نظرهم بالاضطرابات والفوضى التي أعقبها السلم نتيجة السياسة الفرنسية [2].

وليس حرب الإبادة والقهر اللّذين رافقا عملية الاحتلال!! حيث كان ردهم في مقاومة الغزو الثقافي والتجهيل والتنطير[3].

1- قال في ذلك "**الكاردينال لافيجري**": علينا أن نخلص هذا الشعب، ونحرره من قرآنه، وعلينا أن نعتني على الأقل بالأطفال لننشئهم على مبادئ غير التي شبّ عليها أجدادهم، فإن واجب فرنسا تعليمهم الإنجيل، أو طردهم إلى أقاصي الصحراء بعيدين عن العالم المتحضر". وقال سكرتير (بيجو): "**آخر أيام الإسلام قد دنت، وفي خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر إله غير المسيح. أما العرب فلن يكونوا ملكا لفرنسا إلا إذا أصبحوا مسيحيين جميعا**". محمد الصالح الصديق، **الجزائر بين الماضي والحاضر**، كتب سياسية، الكتاب 184، مطابع الدار القومية، القاهرة، مصر، 1960م، ص 35.

2- G. Bourjades, **Notes chronologiques pour servir à l'histoire de l'occupation française dans la région d'Aumale 1845-1887**, revue Africaine n°195, 1889.

3- للاطلاع أكثر أنظر: يحيى بوعزيز، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، المرجع السابق، ص 203 وما بعدها.

خاتمة

من خلال ما سبق درسه نخلص إلى ما يلي:

لقد قارع سكان بلاد حمزة الاستعمار الفرنسي عندما كانت ولاية من ولايات دولة الأمير عبد القادر التي زارها عام 1839م ووجد في أهاليها وأعراشها الرغبة الشديدة في الجهاد من أجل الدين والوطن طيلة فترة مقاومته.

وبعد استسلام خليفته أحمد الطيب بن سالم بها في 27 فبراير 1847م، شهدت هذه الأخيرة هجرة أول دفعة من المهاجرين من الأسر المساندة له وللأمير إلى بلاد الشام. ورغم ذلك فإن المقاومة لم تتوقف عن طريق جنود الأمير وأتباعه كالشريف بوعود أو محمد بوعود، ومحمد بن عبد الملك أو الأمجد بن عبد الملك المدعو بأبي بغلة.

وبعد أن قضى الفرنسيون على هذه المقاومات حاكموا الثوار وأعراشهم واستولوا على جميع أراضي المقاومين وغيرهم، ناهيك عن منابع المياه ومنحوها لشذاذ الآفاق من الكولون الأوروبيين، وعملوا على فرنسة الأرض وتنصير الشعب...

قائمة المصادر والمراجع

أ- باللّغة العربية

- أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، المقاومة الشعبية، المرحلة 2، مرحلة 1837-1847م**، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1989-1990م.

- أحمد قصوري، **مقاومة أحمد بوعود في منطقة البويرة، "صفحة منسية في تاريخ المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر خلال القرن 19م"**، بحث خاص كتبه الباحث، 9 ماي 2018م.

– بيرم كمال، **مدينة سور الغزلان في الكتابات الفرنسية "بلاد حمزة تاريخ وحضارة"**، مطبعة عالية برستيج، البليدة، الجزائر، 2020م.

– محمد الصالح الصديق، **الجزائر بين الماضي والحاضر**، كتب سياسية، الكتاب 184، مطابع الدار القومية، القاهرة، مصر، 1960م.

– محمد الصالح بجاوي، **ولاية البويرة**، ملتقى الحضارات منذ 1510م، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، مصر، 2019م.

– محمد سي يوسف، **مقاومة منطقة القبائل للاستعمار الفرنسي "ثورة بوبغلة"**، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة، تيزي وزو، الجزائر، 2000م.

– مصطفى الأشرف، **الجزائر، الأمة والمجتمع**، ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.

– مقتنيات خاصة بالهجرة من بلاد حمزة نحو المشرق العربي.

– نادية طرشون، **هجرة أحمد الطيب بن سالم وجماعته إلى الشام عام 1874م**، أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال "1830–1962م" المنعقد بفندق الأوراسي يومي 30–31 أكتوبر 2006/ منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م.

– ناصر الدين سعيدوني، من سوق حمزة إلى برج حمزة إلى البويرة "محطات في التطور التاريخي للبويرة" (المادة المقدمة في هذه المساهمة (المؤتمر الدولي الأول لتاريخ وآثار بلاد حمزة. 15، 16، 17 شعبان 1439هـ/1، 2، 3 مايو 2018م) جزء في مادتي "سوق حمزة، برج حمزة، البويرة" والشبكة الدفاعية العثمانية حول بلاد القبائل" ضمن مشروع مدونة المدن والبلدان والأماكن والمواقع والأقاليم الجزائرية التي يشرف عليها أ. د.ناصر الدين سعيدوني.

– يحيى بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، الجزء الأول، الطبعة الثانية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1416هـ–1996م.

-يحيى بوعزيز، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، الجزء الأول، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2013م.

ب- باللّغة الفرنسية

-Ahmed Kessouri, Un oublié de l'histoire de Kabylie, « 2éme partie et fin», la dépêche de Kabylie, Algérie, 16 août 2017.

-Annie Rey Goldzeiger, le royaume Arabe, la politique Algérienne de Napoleon III, 1861-1870, SNED, Alger, 1977.

-Aucapitaine Henri, les Kabyles et la colonisation de l'Algérie, Paris, Challamel, 1864.

-Edmond Douté, la Berberie Musulmane "les marabouts", Alger, Livres éditions, Alger, 2008.

-G. Bourjades, Notes chronologiques pour servir à l'histoire de l'occupation française dans la région d'Aumale 1845-1887, revue Africaine n°195.

-Matrice des arbres généalogiques, Ain Bessem (La Baraque).

-Matrice des arbres généalogiques, Bouira (Ouled Daoud).

-Paul AZAN, l'Emir Abdel Kader 1808-1883, Paris, 1925.

-Randon Cézar-Alexandre, (Maréchal), Mémoires, Tome 01, Paris, imp, typographie, 1875.

-Revue Des Deux Mondes, 15 Août 1838.

Robin, Histoire d'un chef de la Grande Kabylie, revue Africaine 1870, (Alger 1870).

الفهرس

الجـزء الأول	
كلمة مدير مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية ✍أ.د/ عبد الله مقلاتي.....	05
القسم الأول **بحوث تتعلق بحياة وكتابات وإسهامات الدكتور يحيي بوعزيز**	
الأستاذ الدكتور يحيى بوعزيز: منارة في التأريخ، بيوغرافيا، شهادات، وآثـــار ✍د/ كركب عبد الحق – جامعة ابن خلدون تيارت.....	09
يحيى بوعزيز مؤرخا ✍الشافعي درويش – جامعة زيان عاشور الجلفة.....	37
موقف المؤرخ يحيى بوعزيز من الحزب الشيوعي الجزائري (1935-1945) ✍د/لهلالي سلوى – جامعة محمد لمين دباغين سطيف02.....	55
جهود يحيى بوعزيز وإسهاماته في الكتابة عن تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء ✍د/ الطاهر خالد – جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....	74
القسم الثاني **بحوث في تاريخ الجزائر القديم**	
منظومة الري بتيمقاد خلال الفترة الرومانية ✍أ/ عيد عبد الحق – جامعة محمد لمين دباغين – سطيف02....	115

الخيالة الثانية الأغسطسية التراقية (ALAE II THRACVM AVGVSTA) في مقاطعة موريطانيا القيصرية وأثرها على المجتمع المحلي (40م – 284م) ✍أ/ خالد شهرة – جامعة محمد لمين دباغين سطيف02 ✍أ/ خاتمي مصطفى – جامعة وهران 01.....	136
القسم الثالث **بحوث في تاريخ الجزائر الوسيط**	
الفتح الإسلامي لمنطقة الأوراس والمغرب الأوسط ✍د/ خالد حموم – جامعة محمد لمين دباغين – سطيف 02.....	159
التكامل الاقتصادي بين المغرب الأوسط والمغربين الأدنى والأقصى من القرن 3هـ/9م إلى القرن 6هـ/12م ✍د/ كمال خلفات – جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة.....	182
نبوغ علماء الجزائر في خطتي الكتابة الديوانية والكتابة القضائية خلال عصر الموحدين ✍أ/ لخضر بولطيف – جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....	213
شرفاء المغرب الأوسط وتراتبيتهم الاجتماعية (ق7-9هـ/ 13- 15م) ✍د/ إلهام قاتل – جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي.....	224
التعليم العالي في مدينة قسنطينة بالمغرب الأوسط (الجزائر) نهاية العصر الوسيط ✍د/ محمد قويسم – جامعة 20 أوت 1955- سكيكدة.....	245

القسم الرابع بحوث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر	
القادرية الكنتية في الجزائر وموريتانيا وغرب إفريقيا ✍د/ آدب ولد سيد امحمد – جامعة العيون – موريتانيا.....	256
أضواء تاريخية على جوانب من النشاط البحري الجزائري خلال العهد العثماني ✍أ/ نادية مباركي – جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله.....	280
الجزائر في أواخر القرن الثامن عشر من خلال مذكرات الأسير النرويجي نيلز موس 1769–1772 ✍د/ بوطبة لخضر– جامعة محمد لمين دباغين – سطيف02.....	316
جهود المؤرخين الجزائريين في جمع وتصنيف وتحقيق وترجمة الوثائق التاريخية الخاصة بالفترة العثمانية – خليفة حماش أنموذجا ✍د/ بن سالم الصالح – جامعة محمد البشير الإبراهيمي.....	369
النخب ومسألة الهوية والانتماء في المجتمع الجزائري الحديث ✍أ. د/أبو بكر الصديق حميدي – جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.	404
الاستيطان الأوروبي في الجزائر إبان الاستعمار الفرنسي ✍أ/ محمد شمبازي – جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02.....	416
مقاومة أهالي بلاد حمزة للاستعمار الفرنسي "1830–1849م" ✍د/ حسين محمد الشريف – جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....	439
الجزء الثاني	
كلمة مدير مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية ✍أ.د/ عبد الله مقلاتي.....	05

مقاومة الاحتلال في سوسيولوجيا العرش بالحضنة مساهمة تاريخية في مقاومة قبيلة أولاد ماضي 1830-1864 ✍أ.د/ كمال بيرم – جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....	08
المقاومة بالصحراء الجزائرية: مقاومات الشريف محمد بن عبد الله، وبوشوشة وابن ناصر بن شهرة أنموذجا ✍أ.د/ محمد قن ✍دة/ علجية مقيدش جامعة زيان عاشور بالجلفة.....	29
واقع الجزائر في ظل سياسة الاستيطان الاستعمارية (1830-1870) ✍أ/ بلقاسم صحراوي – جامعة محمد لمين دباغين – سطيف02..	48
الجزائر خلال فترة حكم نابليون الثالث 1848-1870، دراسة تاريخية لمشاريع تفكيك الملكية الجماعية للجزائريين ✍د/ قويدر عاشور – جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....	57
المقاومة الشعبية في الزيبان من 1858 إلى 1879 ✍د/فريح لخميسي- جامعة محمد خيضر بسكرة.....	72
الطبيب عبد القادر بن زهرة من خلال ملفه في الأرشيف الفرنسي 1861-1885 ✍أ/ يحيى بن فطيمة – جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 02...	102
الاستيطان وتأسيس الملكية الفردية في الجزائر 1871 – 1914م ✍ د/ خميلي العكروت – جامعة محمد لمين دباغين – سطيف02.....	113
الثوابت الوطنية في فكر وممارسات المقاومة الشعبية الجزائرية ✍د/ فتح الدين بن أزواو- جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....	130

إسهامات عمر راسم في مواجهة التغريب الثقافي الفرنسي في الجزائر مطلع القرن العشرين ✍ طالبة دكتوراه/ رحيمة قليل – جامعة زيان عاشور بالجلفة.....	146
زاوية سيدي موسى بعرش بني وغليس، نشاطها ودورها العلمي والثقافي ✍أ.د/ سفيان لوصيف – جامعة محمد لمين دباغين – سطيف02..	159
فجر الحركة الإصلاحية في الجزائر (1914-1931) ✍د/ بن موسى حمادي – جامعة أحمد دراية أدرار.....	178
الانتخابات في الجزائر خلال فترة ما بين الحربين، الانتخابات البلدية في الغرب الوهراني أنموذجا ✍د/ عبد الرحمن تونسي- جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة	210
محاولات الحركة الوطنية لاحتواء العمال الجزائريون وفك الارتباط بالنقابة الفرنسية 1939-1950 ✍د/ عبد العزيز راجعي – جامعة عباس لغرور- خنشلة.....	235
الرحلات العلمية للطلبة الجزائريين الى تونس ومصر (زدور إبراهيم القاسم أنموذجا 1946 – 1954) ✍دة/ حورية جيلالي – المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، كراسك وهران.....	261
آليات التعسف السياسي الاستعماري ضد المسلمين الجزائريين قانون 20 سبتمبر 1947 أنموذجا ✍دة/ خميسة مدور – جامعة 08 ماي 1945 قالمة.....	289
عبد الحميد مهري وإيديولوجيات الأمير عبد الكريم الخطابي ✍د/ أكرم بوجمعة – جامعة الحاج لخضر 01- باتنة.....	309

عيسى حميطوش البنداوي ودوره في الثورة التحريرية 1954. 1962 ✍د/ محمدي محمد – جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....	329
من شهداء الثورة التحريرية العربي عباسي المدعو التبسي ✍د/ سمير بن سعدي – جامعة أكلي محند أولحاج البويرة.....	343
عبد الرحمان اليوسفي وجسور الارتباط بالثورة الجزائرية ✍أ. د/ عبد الله مقلاتي – جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....	359
محمد العربي بن مهيدي من خلال شهادة عيسى كشيدة ولخضر بورقعة ✍د/ موسى لوصيف – جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 02.....	391
نشاط مكتب جبهة التحرير الوطني الجزائرية بالقاهرة (1957-1959) ✍أ.د/عمر بوضربة – جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....	402
مشروع الحمامات أو برنامج طرابلس الأخير27 ماي 05 جوان 1962 بين سندان هيئة الأركان العامة والحكومة المؤقتة ✍أ.د/ أحمد مسعود سيد علي– جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....	416
في رحاب مدرسة التاريخ الوطنية، صراع السلطة وميثاق الجزائر عام 1964 ✍أ.د/ محمد العربي الزبيري جامعة الجزائر 02.....	438
الترجمة في الإسهامات الفكرية للمؤرخ أبي القاسم سعد الله: كتاب " الجزائر وأوروبا " لجون وولف عرض وتحليل" ✍د/ عبد القادر خليفي – جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....	467

رقم الإيداع القانوني: السداسي الثاني 2021

ISBN: 978-9931-899-00-6